

أبحاث الأربعاء

في الاحوال المعاد
وما ينجّر الكلام اليها

المجلد الاول

للمحقق المدقق الجامع الخبير بالعلوم الدينية العديم النظير في زمانه الحامي
للشريعة المقدسة النبوية عليه وعلى آله الصلوة والسلام وانما الى يوم القيامة

المسمى بالمهدي الملقب باجلونيان

ابن المرتضى رحمهما الله تعالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اجلوئیان، مهدی

ابحاث الأربعاء فی أحوال المعاد، مهدی اجلوئیان -

اصفهان: کانون پژوهش، ۱۳۷۸

ج ۲

۱۵۰۰۰ ریال (هر جلد)

ISBN: 964-6017-11-8 (ج. ۱)

ISBN: 964-6017-12-6 (ج. ۲)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیفا.

۱ معاد، الف، عنوان.

۲۹۷/۲۲

K۲۲۲۲/الف ۳

م ۷۸-۹۸۷

کتابخانه ملی ایران

أبحاث الأربعاء فی أحوال المعاد و ما یفجر الکلام الیه (المجلد الاول)

تألیف: مهدی اجلوئیان

ناشر: کانون پژوهش

نوبت چاپ: اول «۱۳۷۸»

چاپ: اصفهان * صحافی: میثم

تعداد: ۵۰۰۰

شابک: ۹۶۴-۶۰۱۷-۱۱-۸

حق چاپ برای ناشر محفوظ است

قیمت دو مجلد ۳۰۰۰ تومان

فهرس المطالب

«المجلد الاول»

خطبة الكتاب	٥
فصل : قبل الشروع في ذهاب الروح و مقدماته لابد من تنقيح مطالب ثلاث.	٩
المطلب الأول: في عفو الله و غفرانه و سعة رحمته أن الآيات على ثلاثة أقسام:	
عامة . مطلقة . مقيدة	٩
القسم الأول : القسم الثاني : القسم الثالث	١٠
ثم الكلام يقع في مقالات - المقالة الأولى: في الجمع بين الآيات الكريمة	١١
المقالة الثانية : في مفاد الآيات الكريمة	١٢
المقالة الثالثة : في معنى المشية	١٣
آيات المشية	١٤
توضيح للآيات المذكورة - في ذيل الصحيفة	١٦
ان قلت ان آية العموم - و اخبارها الصحيحة في ذيل الصحيفة	٢٢
قلت هذا باطل بحسب القواعد أولاً و بحسب الدليل ثانياً	٢٤
لا بأس بذكر ما افاده في المقام السيد رضي - انار الله برهانه - في ذيل الصحيفة	٢٥
و لنختم الكلام بما قاله المحقق الطوسي (ره) في التجريد	٤٠
و اما الاخبار المطلقة الواردة في عفو الله تعالى	٤١
تتمه - قد اختلف في خلف الوعيد	٤٥
وقال الصدوق (ره)	٤٩
و المحكي عن يحيى بن معاذ في المقام كان في غاية الجودة	
و قال بعض المحشين للبحار في المقام	٥٠

- المطلب الثاني: في مسئلة التوبة . و لابد من ايراد اثني عشر مبحثاً ٥٢
- المبحث الاول في حكمها - الاول الآيات ٥٢
- اقول : الظاهر بحسب ملاحظة نفس الآية ٥٣
- واعلم ان المفسرين قد اختلفوا في تفسير توبة النصوح ٥٨
- اقول : الظاهر من هذه الاخبار ونظائرها ان توبة النصوح كانت من بعض مراتب العالية للتوبة..... ٦٠
- وقد حكم المحقق الطوسي - طاب ثراه - في التجريد بان الندم على الذنوب خوفاً من النار ليس بتوبة ٦١
- اقول : لا يخفى ما في كلام المحقق الطوسي(ره) ٦٢
- واحتمل فيها احتمالات آخر - احدها ان يحو سوابق معاصيهم بالتوبة ٦٧
- الثاني : الاخبار وهي كثيرة ٧٠
- الثالث : الاجماع ٨٠
- المبحث الثاني: في حقيقة التوبة ٨٢
- وقال المفيد(ره) في اوائل المقالات ٨٤
- اخبار الاستغفار - في ذيل الصحيفة ٨٥
- المبحث الثالث: في وجوبها ٨٩
- روايات التوبة الظاهرة في عدم وجوبها الشرعية المحضة ٩١
- في بعض تقارير المحقق الخنوي(ره) ٩٢
- الחדثة في كلامه(ره) من وجوه ٩٣
- تنبيه وازاحة ٩٤
- المبحث الرابع: في عموم وجوبها وكلام المحقق الجامع السيد عبدالله الشير(ره) ٩٧
- في المقام ٩٧
- الחדثة في كلامه - رحمه الله - بوجوه ٩٨
- تنمة ١٠٠
- واما الاخبار الواردة في الباب ١٠٢

- المبحث الخامس : في تجزيتها و تبعيضا ١٠٤
- المبحث السادس : في التوبة عن اقسام الذنوب ١١١
- ولقد اجاد افضل المحققين في المقام في تجريده ما لفظه ١١٣
- المبحث السابع : في عدم تفصيلها وتجديدها ١١٤
- المبحث الثامن : في قبولها وسقوط العذاب بها - وكلام المفيد (ره) ١١٧
- والحق هو الثاني - ولكن نحن نقول يحكم العقل من طريق آخر ١١٩
- المبحث التاسع : في تقسيم الذنوب الى كبائر وصغائر والاشارة الى بعض الاخبار الواردة في تفسير الذنوب ١٢١
- يدل على انقسامها الى القسمين امور خمسة ١٢٢
- ثبتت الكبيرة بامور اربعة - ونقل بعض الاخبار المعتمدة في المقام ١٢٥
- تتمة - واما الاشكال في معنى الاصرار ١٣٣
- حسنه ابن ابي عمير - تمام الحديث في ذيل الصحيفة ١٣٥
- اقول - الاصرار ان وقع وصفاً للفاعل الى آخر ١٣٦
- اجمال في الحسنة ١٣٩
- اجمال في المقام و اشكال و دفع في المقال - في ذيل الصحيفة ١٤٠
- تذنيب - في ذيل الصحيفة ١٤٢
- تذنيب آخر : ان ما يوجب محو السيئات و تكفيرها امور الاول - الثاني - الثالث ١٤٣
- الرابع الاعمال : الحسنة بما هي هي كانت سبباً مستقلاً لتكفير السيئات - ونحوها ١٤٥
- احتمالات الطبرسي (ره) في آية الحسنات ١٤٦
- و التحقيق في جملة ان الحسنات ١٤٧
- آية الثانية في اذهاب الحسنات للسيئة - وكلام الطبرسي (ره) ١٤٨
- اقول : لاشبهة في ان المراد بالتقوى الى آخر ١٤٩
- استدلال العلامة الطباطبائي به بعض آيات آخر ١٥٠
- اما الاخبار فستفيضة بل متواترة وكانت على طوائف : اما الطائفة الاولى ١٥٢
- اما الطائفة الثانية فيها ١٥٥

- ١٥٨ بعض الاخبار المعبرة في المتن وفي ذيل الصحيفة لاذهاب الحسنات للسينات
- ١٥٩ واما الطائفة الثالثة فنها
- ١٦٠ ذكر بعض اخبار الباب الصحيحة - وبعضها الآخر في ذيل الصحيفة
- ١٦١ تتميم - و جملة من الاخبار في ذيل الصحيفة
- ١٦٢ توضيح
- ١٦٤ ان قلت - قلت - ان قلت
- ١٦٥ قلت - وفي ذيل الصحيفة نقل طرق الروايتين
- ١٦٩ نتيجة دقيقة لهذا البحث - ومفاد آية انما يتقبل الله من المتقين
- ١٧٠ ان قلت ان الايمان اعني الولاية الى آخر
- ١٧١ قلت بيان ذلك ان الآية والاخبار الى آخر
- ١٧٢ في احتمال الآخر في آية المتقين - وهو القوى
- ١٧٣ في احتمال الآخر في الآية
- ١٧٥ في تحقيق معنى الآية
- ١٧٧ فذلكة البحث
- ١٨٠ قد اشتهر ودارت على السنة الفقهاء ان الشرائط كانت على قسمين
- ١٨٥ كلام المفيد (ره) في المقام
- ١٨٦ بعض الآيات التي استدل بها على الحبط - والتحقيق فيها
- ١٨٨ بعض الآيات الآخر المربوطة بالمقام
- ١٩٣ واما الاخبار التي يمكن ان يستدل بها للحبط في غاية القلة
- ١٩٥ نقل الاخبار المورثة لفساد الايمان - في ذيل الصحيفة
- بقي الكلام في سائر الآيات التي قد اخبر الله تعالى عن حبط اعمال الكفار وانها
- ١٩٧ بالغة الى عشرة آيات
- ٢٠٠ المبحث العاشر: في اقسام توبة العباد - وهي على قسمين
- ٢٠١ اخبار توبة رسول الله (ص) - في ذيل الصحيفة
- ٢٠٢ اخبار توبة المعصومين - في ذيل الصحيفة

- كلام المفيد (ره) في عصمة رسول الله (ص) والمعصومين (ع) ٢٠٤
- كلام المحقق السبزواري (ره) في التوبة الانبياء والجواب عنه ٢٠٦
- توضيح كلامه وان التوبة على ثلاثة اقسام وجواب السيد الشير عن الاشكال .. ٢٠٨
- ما في كلام المحقق السبزواري (ره) والسيد الشير (ره) ٢٠٩
- الجواب الثالث عن الاشكال ٢١١
- ما قال السيد المرتضى (ره) على ما حكى عنه في المقام ٢١٣
- مقدمة لتحقيق الجواب في المقام ٢١٤
- اما الجواب عن توبة الانبياء الى آخره واما الجواب عن توبة نبيتنا محمد (ص)
- الى آخر ٢١٦
- توضيح المقام يحتاج الى بيان مقدمتين - في ذيل الصحيفة ٢١٧
- بقي الكلام في معنى الآيات التي امر الله تعالى النبي (ص) بالاستغفار فيها
- منها قوله تم الى آخر ٢١٨
- ومنها قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك الآية ٢٢٠
- ومنها قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين الآية ٢٢٢
- المبحث الحادى عشر فيما يورث الاقبال على التوبة وهي امور ورواياتها
- في ذيل الصحيفة ٢٢٤
- الثالث النظر والتدبر في الآيات والاخبار الى آخره وآياتها ورواياتها في ذيل الصحيفة ٢٢٦
- الرابع التنبيه على استدراج الله تعالى واخباره في ذيل الصحيفة ٢٢٨
- المبحث الثاني عشر: في الاشارة الى انواع المعاصي واصنافها والى بعض المطالب
- المناسبة لها - واخبارها في ذيل الصحيفة ٢٢٩
- ان هذه الصفات في غاية القبح والشناعة - واخبارها في ذيل الصحيفة ٢٣١
- كلام المحقق السيد الشير (ره) في المقام وما فيه واما الثالث اعني ما كان مربوطاً
- بالجوارح ٢٣٦
- بقي هنا شيء وهو ان النية بما هي هي هل تترتب عليه اثر أم لا ٢٣٧
- ان النسب السوء على حسب عدم شمول الادلة واطلاقاتها عليها لم تكن محرمة واما ثانياً

- ٢٣٨ فيحسب الدليل
- ٢٣٩ ان قلت انه يظهر من بعض الاخبار التي قد علل فيها خلود اهل الجنة في الجنة به نياتهم
- ٢٤٠ قلت اما اولاً ان هذا الخبر ضعيف - و ثانياً الى آخر
- ٢٤٢ تذييب - اشكال و دفع
- ٢٤٤ الكلام واقع في رواية مشهورة - نية المؤمن خير من عمله
- اجوبة المجلسي (ره) عن الرواية - اثني عشر جواباً الاول - الثاني - الثالث
- ٢٤٥ و ما فيها
- ٢٤٦ الرابع: الخامس: السادس: السابع: و ما فيها
- ٢٤٧ الثامن و التاسع: العاشر: و ما فيها
- الحادي عشر: الثاني عشر: و ما فيها ثم العلامة المجلسي (ره) بعد نقل الجواب
- ٢٤٨ الاخير عن الاعلام اختاره و هو اقوى عنده
- ٢٥٠ و لعل الجواب السليم ما عرفت سابقاً ممّا - و يمكن الاحتمال الاخير في الرواية
- ٢٥٢ ترغيب و تطميع - قد ظهر من مفاد اخبار الباب سعة رحمة الله تعالى
- ٢٥٤ توضيح
- ٢٥٥ تنبيه - ان العلامة الانتصارى (ره) في مبحث التجري الى آخر
- ٢٥٦ اقول قد مرّ مفصلاً معنى قوله (ص) نية الكافر شر من عمله - الى آخر اخبار الباب
- ٢٥٧ و اما الرواية الدالة على ان الرضا بفعل كالفعل الى آخر
- و اما آية لا يريدون علواً في الارض - و اما آية يحبون ان تشيع الفاحشة
- ٢٥٧ اقول: ان بعض الروايات دالة على ان الراضي للائم هو شريك له
- ٢٥٧ اخبار الباب
- ٢٦٠ تنبيه آخر لا يخفى انه يمكن ان يستفاد عن الادلة ان الفاعل كان على ثلاثة اقسام
- ٢٦٢ اخبار الباب
- ٢٦٣ فنقول مستعيناً بالله تعالى قال الطبرسي (ره) في تفسير الآية فيه اقوال احدها
- ٢٦٥ و قال العلامة الطباطبائي (ره) فظاهر قوله تعالى الذين لو تركوا الآية
- ٢٦٦ و قال الفبض الكاشاني (ره) في جوابه عند تعرضها في تفسيره ما لفظه

- ذكر اخبار المعتبرة في الايملات الواردة على المؤمنين - ذيل الصحيفة ٢٦٦
 واما ما افاد الفيض (ره) في الجواب عنه ففيه زائداً عما ورد على الجواب
 المجلسي (ره) ٢٧٠
 وثالثاً على الفض عن جميع ما ذكرناه هو ما خطر ببالي في صبيحة يوم الخميس
 الثاني من الصفر المظفر في سنة اربعة عشر بعد اربعمائة و بعد الالف - وهو
 من عنايات التي فوّض الله تعالى علينا ٢٧٢
 اقول: ولاتوهم ان هذا الجمع كان تبرعياً ولا عبرة به ، في ذيل الصحيفة ٢٧٣
 تذييل - في ذيل الصحيفة ٢٧٥
 و بمن تصدى لاضاءات البحث فيها غايتها هو العلامة الشيخ محمد علي الكاظمي (ره)
 في تفريرات بحث استاده الثاني (ره) ٢٧٧
 اقول: لا يخفى انه (ره) قد اتعب نفسه الشريف في تحقيق هذه المسئلة ولم ارفي من
 تعرض لهذه المسئلة والدقة في شعوباتها ادق منه ٢٨٢
 اقول: لابد في هذا البحث من ذكر كلمات بعض الاصحاب رضوان الله تعالى عليهم في
 المقام والنظر فيها حتى يتم المقصود ٢٨٣
 واعجب من هذا ما ذكره في موضع آخر عن امرأة العقول ٢٨٦
 واما كلام الشهيد (ره) في المقام في القواعد - الفائدة العشرون ٢٨٧
 وقال الشيخ البهائي (ره) في المحكي عنه ٢٨٨
 ولا يخفى ما في كلامه مواضع من النظر ٢٨٩
 وقال السيد المرتضى علم الهدى انار الله برهانه في المحكي عنه ٢٩١
 المطلوب الثالث: في الأجال - انها على نوعين - آياتها ٢٩٣
 ومنها قوله تعالى و ما يعتر من معتر ولا ينقص من عمره الا في كتاب الآية ٢٩٥
 واما الآية الاخيرة يحتل فيه وجوه ٢٩٩
 تنبيه في تحقيق معنى البدء ٣٠٢
 فنقول مستعيناً بالله تعالى و نترك اليه لا اشكال في ثبوت البدء عندنا ٣٠٣

- كلام نابغة العراق نادرة الآفاق الشيخ المفيد(ره) - في البدء ٣٠٥
- واما من المتأخرين - الميرزا رفيعا ٣٠٧
- اقول: لابد لتحقيق المرام من تقديم خمس مقدمات ٣٠٨
- المقدمة الاولى: في عظمة البدء - روايات البدء والاشارة الى مضامين الاخبار
وكانت على طوائف سبعة الطائفة الاولى ٣٠٨
- الطائفة الثانية: ما دلت على ان لله تعالى علمين احدهما موقوف الى آخر ٣٠٩
- الطائفة الثالثة: ما دلت على ان ما هو الموقوف مخزون عنده الى آخر ٣١٠
- الطائفة الرابعة: ما دلت على ان بعض ما نبذه الى الانبياء حصل فيه البدء ٣١٠
- الطائفة الخامسة: ما دلت على ان لله تعالى كتاباً واحداً ولم يدع شيئاً كان او يكون
الاكتبه فيه ٣١٢
- الطائفة السادسة: ما دلت على ان الله تعالى علم قبلاً بما يبدو له بعده ٣١٤
- الطائفة السابعة: ما وردت في عدم فراغ الله تعالى من الامر والتدبير ٣١٤
- المقدمة الثانية: في معنى البدء ٣١٥
- المقدمة الثالثة: في بيان حقيقة معنى العلم - وفي ذيل الصحيفة ٣١٦
- كلام المحقق ميرداماد في التباسات في معنى العلم والاشكال الوارد عليه وسخافة
كلامه في ذيل الصحيفة ٣١٧
- لا يخفى من انه لابد من اطالة الكلام حتى يتضح الحق في الجواب في ذيل الصحيفة .. ٣١٨
- وانه كان من الامور التعلفية الصرفة ٣٢٤
- و بمن ظفرنا اخيراً على هذا - التعبير في بحث العلم هو العلامة الحلي(ره) في ذيل الصحيفة ٣٢٥
- المقدمة الرابعة: في معنى القضاء والقدر والفرق بينها والاشارة الى كون القدر
على قسمين - وكلام المحقق الخوئي(ره) في رد جبر العباد ٣٢٧
- اخبار القضاء والقدر - في ذيل الصحيفة ٣٢٩
- ان قلت فعلى هذا ما الفرق بين العلم والتقدير ٣٣٢
- فنقول: ان البدء عبارة عن تغيير التقدير عند عدم تحقق ما علق عليه ٣٣٣
- المقدمة الخامسة: في بيان مصالح البدء ٣٣٣

- ٣٣٤ فنقول : انه لا يبعد ان يكون له مصالح من جهات - الاولى
- ٣٣٥ الثانية - الثالثة - الرابعة
- ٣٣٦ اقول: ان الله تعالى قد يقدر بعض الامور بحسب الظاهر مطلقاً واخبر عنها كذلك الى آخر
- ٣٣٧ لو لم يعتقد بالبداء بمعنى ما ذكرناه لزم تعطيل جلّ الامور وسدّ حل معنى عدة كثيرة من طوائف الاخبار
- ٣٣٧ ولنختم الكلام حول البدأ زائداً على ما تقدّم
- ٣٣٨ اخبار ليلة القدر المعتبرة - في ذيل الصحيفة
- ٣٤٠ ومن اجاد الكلام في المقام هو المحقق الخوئي (ره) في تقريرات بحثه في اصول الفقه والبيان
- ٣٤٣ في رفع التنافي بين الاخبار - بقي الكلام في الجمع بين الاخبار
- ٣٤٤ اذا تمهد هذه فنقول ان التنافي واقع في المقامين اما المقام الاول - فان الاخبار التي قد وردت في علم النبي (ص) والائمة (ع) - و الاخبار في ذيل الصحيفة
- ٣٤٥ مناقية لسبعة طوائف اخرى من الاخبار - الاولى ما دلّت على انهم يزدادون في علمهم ليلة الجمعة - و اخبارها في ذيل الصحيفة
- ٣٤٥ الثانية: ما دلّت على انهم لو لا يزداد لعلمهم لنفد ما عندهم و اخبارها المعتبرة في ذيل الصحيفة
- ٣٤٥ الثالثة : ما دلّت على انهم يزدادون يوماً فيوماً ساعة بعد ساعة و اخبارها في ذيل الصحيفة
- ٣٤٧ الرابعة: ما دلّت على ازدياد علمهم في ليلة القدر و اخبارها في ذيل الصحيفة
- ٣٤٨ الخامسة: ما دلّت على عرض الاعمال عليهم - و اخبارها في ذيل الصحيفة
- ٣٤٩ السادسة: ما دلّت على ان الائمة (ع) ورثة العلم
- ٣٥٠ السابعة: ما دلّت على ان الائمة (ع) ورثوا علم النبي (ص)
- ٣٥٠ واما المقام الثاني فان الظاهر من الطائفة الرابعة عن اخبار الباب التي تدلّ على ان ما يقع فيه البداء انه قد اعطى علمه اليهم
- ٣٥٢

- فصارت مفاد تلك الاخبار انهم عالمون بما كان وما يكون لامن حيث الحتم و عدمه
 الى آخر - فتلخص من الجمع - في ذيل الصحيفة واجوية المجلسي (ره) ٣٥٣
 ويمكن ان يجاب بنحو آخر - هو ان اخبار ما كان وما يكون و اخبار لا يخفى عنهم
 شيء كانت مربوطة بما فيه قوام دينهم لامطلق العلم ٣٥٥
 ولكن بقي رفع التنافي عما بينها وبين ما تدل من الطوائف الاربعة على تزايد
 علمهم ويمكن رفعه الى آخر ٣٥٦
 اشكال و رفع قد نسب الى الرازي الناصبي من ان الامامية قد عدّدت من جملة
 الشرافات الى آخر ٣٥٨
 و ثانياً على فرض صرف النظر عن هذا الجواب الى آخر ٣٥٩
 اما قلت ان جملة من الاخبار قد دلت على ان الائمة (ع) يعلمون متى يموتون الى آخر - قلت
 لا يستفاد من تلك الاخبار الى آخر ٣٦٠
 تنبيه ٣٦٢
 و اما الاخبار التي وردت في قصص آدم و داود اما اولاً - و ثانياً - و ثالثاً - و رابعاً ٣٦٣
 ايقاط ٣٦٤
 و لنختم البحث بما هو في نفسي في قديم الايام الذي هو اتقن الاجوية لدفع
 الشبهات الى آخر ٣٦٥
 الآ التشبث باحد امور ثلاثة - احدها - ثانياً - ثالثاً ٣٦٦
 فنقول انه يمكن ان يكون معنى انهم (ع) عالمون الى آخر و اخبارها في ذيل الصحيفة .. ٣٦٧
 و منها على تعبير اذا اراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه و اخبارها في ذيل
 الصحيفة ٣٦٨
 ايضاح و تنميه ٣٧٠
 و مصحف فاطمه (ع) و الجامعة و نحوها و ينظر فيه و كذا - الى آخر ٣٧١
 و اما البرهان العقلي - و قاعدة امكان الاشرف ٣٧٦
 ان امير المؤمنين (ع) اعلم من غيرهم كما هو مفاد ابوة كثيرة و اخبارها في ذيل الصحيفة ٣٧٨
 و ان المهدي - عجل الله تعالى فرجه - افضل من تسعة عن ولد الحسين (ع) و اخبارها

- في ذيل الصحيفة ٣٨٠
- الدليل الأول : الطوائف من الأخبار التي دلت على خلاف ذلك ٣٨١
- الطائفة الأولى : الطائفة الثانية : الطائفة الثالثة : الطائفة الرابعة ٣٨٢
- تتميم في الارتقاء و علو الدرجة ومتعلقاته ٣٨٤
- الدليل الثالث : في ارتقاء الدرجة وازديادها إلى آخر وأخبارها في ذيل الصحيفة ٣٨٥
- الدليل الرابع : ما وردت عن طلبهم في الدعوات المأثورة عنهم الدرجة العليا ٣٨٧
- الدليل الخامس ٣٨٧
- ان قلت ان قوله تعالى الى آخر ٣٨٩
- قلت ان الآية لا تدل زائداً على انه (ص) الى آخر ٣٩٠
- و ثانياً ان التفاضل بين الائمة ثابت قطعاً ٣٩١
- ومع الغض عن جميع ما ذكرناه حملها على الشأنية الى آخر ٣٩٢
- ولا بد هنا من تقديم مقدمة حتى يستكمل المقصود الى آخر ٣٩٣
- اذا تمهد هذه فنقول ان قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الى آخر ... ٣٩٤
- فنقول مستعيناً بالله لاشبهة في انهم في الفضل الى آخر ٣٩٥
- فصل : في مسئلة الرجعة و تدل عليها طوائف سبعة من الاخبار ٣٩٧
- الطائفة الأولى : الطائفة الثانية ٣٩٧
- و الطائفة الثالثة : و الطائفة الرابعة : و الطائفة الخامسة :
- و الطائفة السادسة : و الطائفة السابعة : اما الطائفة الأولى ٣٩٨
- و اما الطائفة الثانية : فيها ٣٩٩
- و اما الطائفة الثالثة : اعني ما دلت على مطلق وقوع الرجعة الى آخر ٤٠١
- و اما الطائفة الرابعة : اعني ما دلت على انه من مات مقتولاً الا يرجع حتى يموت
- و من مات الا يرجع حتى قتل ٤٠٦
- و اما الطائفة الخامسة : اعني ما دلت على انه لم يبعث الله نبياً ولا رسولا الا رد جميعهم
- الى الدنيا الى آخر ٤٠٩

واما الطائفة السادسة : اعني ما دلت على اثبات الرجعة انكالا لقوله تعالى يوم

نحشر من كل امة فوجاً ٤١١

اما الطائفة السابعة : اعني ما دلت على رجعة بعض مصاديق المحضين للايمان

والكفر الى آخر ٤١٢

اقول: لم تنظر على روايات هذه الطائفة سوى هذه الخمسة ورفع التهافت بين الاخبار . ٤١٥

كلام المجلسي (ره) في المقام ٤١٧

اسماء المصنفين لمن تعرض لتأسيس هذا المدعي ٤١٨

ما نقله المجلسي (ره) عن كتاب المحتضر - وهو حديث شريف ٤١٩

قال الصدوق (ره) في المقام ٤٢١

ما ورد في صحيح المسلم وغيره في نزول عيسى بن مريم (ص) - ذيل الصحيفة ٤٢٤

اقول : انه (ره) قد اقام الى آخر ٤٢٥

قال المفيد - قدس الله روحه - في الرجعة ٤٢٦

وقال - قدس سره - في ضمن المسئلة الاولى عن المسائل السروية ٤٢٧

اقول : انه - رحمه الله - قد استدل على اثبات الرجعة الى آخر ٤٢٨

فصل: في الموت و حقيقته و حكمته - اما الآيات فمعناها ٤٣٠

قال الطبرسي (ره) في الآية الاخيرة ٤٣١

اخبار الموت - و حكمته ٤٣٢

اخبار الموت - وان ما سوى الله يموت ٤٣٣

هذه جملة من الآيات و الاخبار التي قد دلت على الموت و حقيقته و حكمته حب لقاء

الله و آياته ٤٣٩

آيات التي استهل بها لحب لقاء الله ٤٤٠

و من الاسف لم يدل شيء منها على لزوم مقصوده ٤٤٢

واما الاخبار التي اوردها في هذا الباب - كانت على طوائف ثمانية ٤٤٣

الطائفة الاولى ؛ الطائفة الثانية ٤٤٣

٤٤٤	الطائفة الثالثة : الطائفة الرابعة
٤٤٥	الطائفة الخامسة : الطائفة السادسة
٤٤٦	الطائفة السابعة
٤٤٧	الطائفة الثامنة : بقي من الروايات التي اوردها المجلسي (ره) في ذلك الباب
٤٤٨	ولم تكن بينها التضاد ولا التناقض حتى اتعب (ره) نفسه الشريف في آخر الباب في
٤٥١	الجواب عنها
٤٥١	مقدمة لايضاح المقصود ، اقول
٤٥٥	فصل: في ذكر الموت و حقيقته
٤٥٦	آيات المقام
٤٥٨	في الجمع بين الآيات والمحتمل في المقام ثلاثة - الاول
٤٥٩	الاحتمال الثاني
٤٦٠	الاحتمال الثالث
٤٦١	واما الاخبار فنها
٤٦٥	اقول ان الاخبار لو تأملت فيها تقف الى آخر
٤٦٦	تعقيب و ايضاح - مقدمة
٤٦٧	و تمام الكلام في محله
٤٦٨	الامر الثاني في سكرات الموت و شدائده - وقد وردت فيه آيات كثيرة
٤٦٩	آياته
٤٧٣	اما الاخبار الباب فنها
٤٧٥	الاخبار الباب ومنها
٤٧٧	الامر الثالث فيما يعاين المؤمن والكافر عند الموت ففيه اخبار متظافرة منها
٤٨٠	في الكافي
٤٨٥	روايات الباب ومنها ما عن الاصمعي بن نباتة وهي شريفة
	تذييل

الامر الرابع: في احوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وما يتعلق بذلك

- ٤٨٦ اما الآيات فيها
- ٤٨٩ ما ذكره الرازي في تفسير الآية
- ٤٩٠ وجوه ترجيح القول في احتمالات الآية
- ٤٩٣ قال المجلسي (ره) اقول - ذيل الصحيفة
- ٤٩٦ تحقيق في معنى كلمة احياء - اقول
- ٥٠٠ آيات الباب : ومنها قوله تعالى ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
- ٥٠٢ اقول: الظاهر من سياق الآيات اللاحقة لها ان الآية مربوطة بالقيامة
- اقول : ان المستفاد من ظاهر الآية الى آخر ومنها قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين و
- ٥٠٥ احببتنا اثنتين
- ٥٠٦ كلام ابوبكر السجستاني - وكلام الشيخ البهائي (ره) في ذيل الصحيفة
- ٥٠٨ كلام العلامة الطباطبائي (ره) في الآية
- ٥١٠ تنمة كلام الطباطبائي (ره) في ذيل الصحيفة
- ٥١١ اقول: الى الآن قد ظهر مما ذكرنا في المتن والحاشية التقوية الى آخر
- ٥١٣ و اما الاخبار فانها على طوائف خمسة - الطائفة الاولى : الطائفة الثانية : الطائفة الثالثة
- ٥١٤ الطائفة الرابعة : الطائفة الخامسة : اما الطائفة الاولى
- ٥١٨ و اما الطائفة الثانية
- ٥٢٥ و اما الطائفة الثالثة: اعني ما كانت منها دالة على السؤال والثواب والعقاب الى آخر
- ٥٢٩ و اما الطائفة الرابعة: اعني ما كانت منها دالة على ان سؤال القبر مخصوصة بطائفة خاصة فيها
- و اما الطائفة الخامسة : اعني ما كانت منها دالة على عمومية السؤال
- ٥٣١ والثواب والعقاب فيها
- ٥٣٥ الجمع بين طوائف الاخبار
- ٥٣٦ ولكن نقول اما اولاً ان السموات والمطلقات آية عن التخصيص والتقييد
- ٥٣٨ الانتصاف ان الروايات دلالتها على السؤال عن طائفة غير تمام
- ٥٣٩ الجمع الآخر بين طائفة الاخبار الخاصة وغيرها

بل يستفيد من اخبار باب الاحتضار والمجريدتين و باب سلّ الميتّ وغيره العمومية

للسؤال ٥٤٠

ورشه بالماء و باب زيارة اهل القبور و باب ان الميت يزور اهله و اخبارها في ذيل

الصحيحة ٥٤٤

اخبار صحاح العامة ٥٤٨

قال الصدوق (ره) اعتقادنا في النفوس الى آخر ٥٥٠

كلام المفيد (ره) في شرح كلمات الصدوق (ره) الى ص ٥٦٠

اقول: ان للنفس مراتب صعوداً ونزولاً الى آخر ٥٥٣

اقول: ملخص ما يستفاد من كلام المفيد (ره) الى آخر ٥٦١

ولكن بعد النظر في سند بعض اخبار الباب تجدان هذا الكلام لا اساس له في ذيل

الصحيحة ٥٦٤

واقول: ان كلامه (ره) في شرح كلام الصدوق مشتمل على عدّة نقاط ٥٦٥

النقطة الرابعة عدّ بقاء الانفس الباقية مضادة للقرآن الى آخر ٥٦٧

النقطة الخامسة أنّه (ره) قد خصّص الثواب والعقاب بعد الموت به طائفة خاصّة ففيها

الى آخر ٥٦٩

واما بمجمل كلامه في جواب مسألة الثانية ان الخبر بان خلق الارواح

قبل الاجساد بالنبي عام الى آخر ٥٧٢

واما بمجمل كلامه في حديث اخراج الذر في ضمن جواب مسألة الثانية

التي ذكرناها الى آخر ٥٧٣

الاخبار الصحيحة والحسنة والموثقة وغيرها في ذلك المورد ٥٧٥

فالجواب عنه انه حمل على الجواز والاستعارة واتعب نفسه الشريف في ذلك ٥٧٦

ولذا نقول ملخص الكلام في المقام ان التسبيح ونحوه حقيقة كانت على قسمين:

الاول: التسبيح باللسان والثاني: التسبيح بالكون والوجود - الى آخر ٥٧٨

ان قلت ما الدليل على هذا التقسيم وما حمل المفيد (ره) عليه وكلا الحمل

كان خلاف الظاهر اما اولاً أنه لما مرّ في مطاوي كلماتنا الى آخر ٥٨٢

- و ثانياً أنه يدلّنا على هذا آية السجدة حيث اطلق كلمة يسجد فيها
 على غير الشاعر و الشاعر باطلاق واحد ٥٨٢
- لاشبهة في شعورهم - اعني مطلق الارواح كما تقف آنفا على كثيرها
 في ذيل الصحيفة في الابواب المختلفة - و اخبارها في ذيل الصحيفة ٥٨٥
- تتميم ملخص الكلام في ذلك المقام زائداً على ما تقدّم في المتن
 و توضيحاً له - الى ص ٦٠٠ ٥٩١
- و بعبارة واضحة ان الممكنات لها ثلاث جهات الاولى جهة ذواتها الثانية
 جهة صدورها منه تعالى الثالثة جهة اضافتها في انفسها و نسبة بعضها الى البعض - اما الجهة الاولى
 - في ذيل الصحيفة ٥٩٣
- و اما الجهة الثانية - و اما الجهة الثالثة - و بعبارة ثالثة موجزة ان للممكنات لها جهتان
 - جهة الشأنية ٥٩٤
- الثانية جهة انتسابها الى ادوار نفسها ٥٩٥
- كلمات المفترين في المقام ٥٩٦
- و منها الفيض (ره) - و منها على بن ابراهيم القمي (ره) في المقام ٥٩٧
- و منها المحقّق الطباطبائي (ره) - و منها صدر المتألهين (ره) نكات قرآنية ذوقية في
 تفسير سورة الاعلى ٥٩٨
- بقي الكلام في بعض الآيات و اخبار الباب و أنّها مع كثرتها على طوائف
 الطائفة الاولى ٦٠١
- الطائفة الثانية: ما كانت من قبيل دعاء التلمة ٦٠٣
- و نحوها لمن بعض الطيور كالفاخنة - و لمن مبعضي آل محمد و نحوها ٦٠٤
- الطائفة الثالثة الاخبار و بعض الآيات التي دلّت على المكالمة بينهم و بين النبي (ص) .. ٦٠٥
- الطائفة الرابعة الاخبار الدالة على خصوص تسبيح الدوابّ و الطيور ٦٠٧
- اما ما اجاب (ره) عن المسئلة الثانية عن المسائل السروية ٦٠٩
- هذا تمام الكلام في كلمات الصدوق (ره) و تشييع المفيد (ره) و ما اوردنا على كلمات
 المفيد (ره) ٦١٠

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل الجزاء على تكاليفه، و اوعد وفور الحسنات على طاعاته، و اكرم عفوه في مقابل سخطاته، و افاض غفرانه و فضله في حذاء غضباته، و انزل فرقانه لختم ارساله، و جعله معجزة باقية على نحو عجز الناس بمثله، و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً، و سنداً لصحة اظهار الامم الماضين على ارسال الرسل السالفين، و اتم نعمته على اعز بريته و افضل سفرائه ارسله رحمة لمن كان له ربّ بما خلق، اعني محمداً - صلى الله عليه و آله و سلم -، و جعلنا بمن اعتقدهم و بمن خصه بالفضائل المنتخبة، و خصنا من المتمسكين بولاية من نصّه بقوله من كنت مولاه فهذا على مولاه - صلوات الله عليه - و من شيعة ذريته اعني احد عشر حججاً عليهم صلوات الله، سيما ابنه المنتظر الثاني عشر الذي ختم به الولاية، و به يملأ الله الارض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، و نحن ننتظره كما ان آباؤنا كانوا من المنتظرين له - صلوات الله عليه - كما قال

أيينا المسمى بمرتضى ابن عبدالغفار غفر الله لهما، في اوان صغرنا اني سميتك بالمهدي لحبنا بالمهدي المنتظر - عليه السلام - ، ولورأيت في زمان ظهوره لتبلغ اليه مني السلام - والسلام عليه وعلى آبائه - ونحن نستعين بالله تعالى لاتمام ذلك الكتاب وما يتلوه من سائر اجلاده من التصنيف والتأليف والنشر، مرضياً له ولوليّه الموعود صلوات الله عليه، وشكراً لنعمائه، واحياء لما هو يليق باحيائه، ولولا امر الله تعالى بحديث النعمة لم اتوفّه بما سنقول لك، وقد كان جحدنا في هذا الطريق من العلم باكثر من خمسين سنة، و نرجو من الله العزيز المتعال ان يجعله ذخراً ليوم يقوم الحساب، وان يعده من سلسلة علل المبقية لآثار الاسلام، وان يجعله مورداً لأبحاث المدرسين العظام للفضلاء والطلاب الكرام، في يوم الأربعاء، كما كان دأبنا في زائد على اثني عشر سنة وكذا كان دأب سيدنا الاستاد البهبهاني - قدس سرّه - في سالف الزمان في عشرة سنوات ونحن نحضرها، ولذلك سميتّه بذلك اعني أبحاث الأربعاء في احوال المعاد وما ينجرّ الكلام اليها ومن الواضح ان ما اضبطته في هذا الطريق لم يسبقه احد من العلماء السالفين الراشدين رضوان الله تعالى عليهم بمثله، ولا ريب ان ذلك كان من فضل الله علينا، ولا بد لمن رجع الى جميع أبحاث هذا الكتاب اولاً، كان له قوة علميّة جامعة للعلوم حتّى يستفيد منه حقّ المطالب، اذانه مشحون لاكثر العلوم ومتضمّن لآراء اكثر الفحول من العلماء الماضين، وما يصحّ ان يناقش في كلماتهم على حسب نظري المبذول من الله المتان، وثانياً، ان نظر في مباحثه بادقّ النظر واكدّ التفكير

حتى لا يوجه الخطر من ايجاد الاعوجاج له وسرعة الاشكال والايراد
عليها، و نرجوا من الراجعين بها ان يذكرونا ولاخواننا المؤمنين بالغفران
والرضوان، اذ ليس لنا الا الدّعاء، كما ليس لمعرفة الباري الآ السّلوب، و
بعد ذلك نشرع في المقصود.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

فصل، قبل الشروع في ذهاب الروح ومقدماته لابد من تنقيح مطالب.

المطلب الأول

إيراد الكلام في عفو الله وغفرانه وسعة رحمته

والآيات والاعبار في هذا الباب كثيرة جداً، أما الآيات الواردة في كتابه الكريم في هذا المورد باللغة الى ستين آية وبعد التأمل في جميعها يظهر أنها كانت على ثلاثة أقسام، بعضها عامة وبعضها مطلقة وبعضها مقيدة. أما القسم الأول: وهو ما كانت عامة بالصراحة والظاهر أنها منحصرة به آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١) - وما يشابه ذلك من جهة ويغيرها من جهة هو قوله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).
 القسم الثاني: وهو الآيات المطلقة وأنها كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِ جَنْفًا أَوْ أُنْثَىٰ فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) ومنها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ومنها قوله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤) ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥) - ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(٦) - الآية ومنها غير ذلك.

القسم الثالث: وهو الآيات المقيدة وهي كانت على صنفين: أحدهما، أن الرحمة والمغفرة قد تقيّد فيها به مشيئة الله تعالى جل شأنه منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٧) ومنها قوله تعالى: ﴿الْمَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٨) ومنها غير ذلك. ثانيها، أن الرحمة والمغفرة قد تقيّد فيها بالمؤمنين أو المتقين ونحوها، منها قوله تعالى: ﴿و

١ - النساء، ٤٨ ٢ - البقرة، ١٨٢

٣ - البقرة، ١٩٩ ٤ - الحجر، ٤٩

٥ - النور، ٢٥ ٦ - النجم، ٣٢

٧ - آل عمران، ٧٣-٧٤ ٨ - المائدة، ٤٥

بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً^(١) - ومنها قوله تعالى: ﴿قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسكت بها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾^(٢) ومنها قوله تعالى: ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾^(٣) ثم الكلام يقع في مقالات.

المقالة الاولى: في الجمع بين الآيات الكريمة فنقول ان المدار على حسب فهم العرفي هو حمل العام على الخاص وحمل المطلق على المقيد اذا تنافيا بحسب الظاهر احدهما مع الاخر بان كان احدهما مثبتاً والآخر منقياً الظاهر لاشكال ولا خلاف في الحمل في هذه الصورة في الجملة كما تقرر في مباحث الفاظ اصول الفقه، واما اذا لم يكن بينهما بحسب الظاهر منافاة ككونها مثبتين فالتحقيق كما هو الظاهر من بعض المحققين ايضاً هو حمل المطلق على المقيد كما اذا قيل ان ظهرت فاعتق رقبة وان ظهرت فاعتق رقبة مؤمنة، فاللازم هو عتق الرقبة المؤمنة وعدم كفاية مطلق الرقبة، واما في العام والخاص في هذا الفرض فالظاهر هو العمل بالعموم كما اذا قيل اكرم العلماء و اكرم الفقهاء فلا بد من الاخذ بالعموم والعمل على وفقه وان كان اللازم من القول به تأكد الحكم في مورد الخاص، وتمام الكلام موقوف الى محله.

اذا عرفت ذلك، فنقول: انه لا بد في المقام من تقييد آيات المطلقة (مثل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالمقيّدات (مثل قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، و قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾) ونحوها لما مرّ من أنّ التحقيق هو حمل المطلق على المقيّد ومن تخصيص عموم (قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾) به خصوص (قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾) لوجود التنافي بين ظاهرهما؛ إذ العموم شامل لجميع اصناف الذنوب حتّى الشّرك وقد نفى الله تعالى المغفرة عنه بقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فعلى هذا صار النتيجة من الجمع بين المرجو في مغفرة الله تعالى بمادون الشّرك ولكن مقيّدة بالمشيئة إذ الآيات المقيّدة والخاصّة في كلتا الطائفتين مقيّدة بالمشيئة وآية العموم وإن لم تكن مقيّدة بها ولكن لما كانت من هذه الجهة مطلقة أيضاً فاللّازم مضافاً الى تخصيصها تقييدها بالمقيّدات ايضاً فعلى قاعدة الحمل صار مفاد المجموع أنّ الله يغفر ما دون الشّرك لمن يشاء كما عرفت.

المقالة الثانية، في مفاد الايات الكريمة فنقول: صرف النّظر عن الاطلاق و التقييد والعموم والخصوص ان ما كان الجامع بين الادلّة هو ثبوت الغفران لاهل المعاصي و لكن بشرط الايمان اعني غير المؤمن لم يكن قابلاً لشمول رحمته تعالى لانه معانداً لاساس الخلقة اذ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) والخلقة مع ما فيها من الرحمة

كانت على أساس المعرفة والعبودية ولا معرفة ولا عبودية مع الشُّرك و لكن أن الآية الأولى كانت في مقام ترغيب العباد إلى الله تعالى وعدم قنوطهم و آية الثانية في مقام دفع توهم أن الله تعالى يعفو ويغفر ولو من غير من آمن بما نزل، ونبّه بذلك بعد توعيدهم في آية السابقة لهذه الآية بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمَسَ وَجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ آدِبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١) به تغيير النفوس (اعني التصرف فيها بحيث يوجب تغيير طباعها عن عدم مطاوعة الحقّ و تحبّب الباطل) إلى اتباع الباطل و هو المراد بالطمس (أو به تغيير الخلقة اعني تغييرهم من الخلقة الانسانية إلى القرودة) في هذه الآية بعدم غفرانهم مؤكّداً بجملة الاسمية (اعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾) و أمّا مفاد الآيتين الأخيرتين واحد و هو ظاهر كما سيأتي في شرح جميع الآيات في ذيل الصحيفة و مفاد باقي الآيات ظاهرة.

المقالة الثالثة، في معنى المشيئة فنقول: أن المشيئة لما كانت لغة و اصطلاحاً عبارة عن اختيار الشيء بعد ما كان له قدرة لذلك الشيء بمعنى أنّه لا يعقل تحقق المشيئة بالنسبة إلى شيء إلا أن يكون فاعله قادراً على ذلك فالكلمة المشيئة في كلماته تعالى كانت عبارة عن اختياره تعالى و مشيئة الله بنحو الإطلاق كانت إشارة إلى سعة وجوده و كمال قدرته و أن ما

سواء خاضع له و ذليل له و أنّه علا كلّ شيء و لما ثبت في محلّه ان هذه الهويّة ثابتة له بالذات اشار الى بعض مصاديقها في كتابه الكريم و مبرم خطابه به مناسبات مختلفة.

منها في الفاطر - بقوله عزّ شأنه : ﴿الحمد لله فاطر السموات و الارض جاعل الملائكة رسلاً اولي اجنحة مثنى و ثلاث و رباع يزيد في الخلق ما يشاء انّ الله على كلّ شيء قدير﴾^(١) و ظاهر التعليل في الآية مربوط لقوله: ﴿ما يشاء﴾ و هو دليل لما ذكرناه.

و منها فيه بقوله: ﴿ثم ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد﴾^(٢) و منها فيه بقوله عزّ وجلّ: ﴿و ما يستوي الاحياء و لا الاموات انّ الله يسمع من يشاء و ما انت بمسمع من في القبور﴾^(٣) و منها بقوله تعالى: ﴿و لو نشأ لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانّي يبصرون، و لو نشأ لمسخناهم على مكائهم فاستطاعوا مضياً و لا يرجعون﴾^(٤).

و منها في غافر - بقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾^(٥) و ما نحن بصددّه ظاهرة من هذه الآيات لمن تأمل فيها.

٢- فاطر، ١٩

١- فاطر، ٢

٤- يس، ٦٥-٦٦

٣- فاطر، ٢١

٥- غافر، ١٤

و من قوله تعالى في المائدة: ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾^(١) و من قوله تعالى في البقرة: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الاّ الاّوا الالباب﴾^(٢) و من قوله تعالى: في آل عمران: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير﴾^(٣) ولا يخفى ان هذه التعابير في الموارد المختلفة اشارة الى انحاء سعة قدرته واختياره كما اشرنا اليه و كذلك بعض تعابير في كتابه العزيز اشارة الى المشيئة في مغفرته وعذابه مثل قوله تعالى: في آل عمران ﴿ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾^(٤)

و من المعلوم ان امثال هذه التعابير في كتابه الكريم كثيرة جداً كما تطلع على بعضها في مطاوي بحثنا ومن البديهي ان المعنى المشيئة في هذه الآيات و امثالها لها معنى فاردٌ وهو الاختيار كما عرفت ولكن الله تعالى لما كان افعاله صادرة عن المصلحة لا عن لعب و هو و لم يصدر عنه شيء على خلافها لحكمته (مع انه مالك لما يمكن ان يوجد و متصرف فيها باي

تصرّف ذاتاً كما قرّرنا في مبحث العدل) على طريق أهل الحقّ خلافاً لمسلّك الاشاعرة و من تبعهم وقد ابطالنا مسلّكهم فيما سبق من أبحاثنا بأشدّ الإبطال فعلى هذا لا معنى لمشيئته تعالى في فعله إلا ما كان موافقاً للمصلحة أعني أن صدور الفعل منه مطلقاً سواء كان من الخلقة أو بذل الملك أو إعطاء العزّة أو الذلّة أو تخصيص المغفرة أو التعذيب بمن يشاء لا محالة كان لأجل منشأ صحيح و مورد لائق، و هو مفاد المصلحة فصار معنى قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يعذب، من كان فيه منشأ صحيح للعذاب و عمدتها الكفر، و يغفر، لمن كان فيه منشأ صحيح للغفران و عمدتها هو الإيمان و بالجملة أنّ مشيئة الله تعالى لم تتحقّق في المقام الآتي مورد له ملاك من المغفرة أو العذاب، ولما تبين من جمع الآيات أنّ المرجو من الله تعالى هو الغفران فيما دون الشّرك لكن لا مطلقاً بل لمن يقع مورداً للمشيئة و اثبتنا آنفاً أنّ مشيئته تعالى لا يتحقّق إلا في مورد له منشأ صحيح و قلنا أنّ العمدّة هو الإيمان كما هو منطوق هذه الآية^(١) فيلزم من هذا البيان الحكم بالغفران للمؤمن بنحو الأجمال

١ - توضيح للآيات المذكورة في المتن و إشارة الى شأن نزول بعضها

فنقول: إنّ عموم آية الاولى (الزمر ٥٣) يشمل جميع الذنوب حتّى الشّرك لكن مع التّوبة و الرجوع الى الله تعالى و التسليم له و اتّباع احسن ما انزله الله تعالى كما دلّ على ذلك الآيات - التي ذكرها الله تعالى بعدها (و هي قوله تعالى: ﴿وَ انبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ اسْلَمُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ

→ ﴿ وَاتَّبِعُوا احْسَنَ مَا انْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَانْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (و من المعلوم انّ الانابة و الرجوع الى الله تعالى و اتباع احسن ما انزل من قبله تعالى ماحية للشرك ذاتاً فعلى هذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿ان الله لا يفران يشرك به﴾ و في المجمع البيان عن على امير المؤمنين سلام الله عليه انه قال ما في القرآن آية اوسع من ﴿يا عبادي الذين اسرفوا﴾ الآية و في مصحف عبدالله ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء﴾، انتهى.

و اما الآية الثانية (النساء ٤٨) فقد مرّ الكلام فيها في المتن و لا يحتاج زائداً على ذلك للاستدلال في المقام

و اما الآية الثالثة (البقرة، ١٨٢) مربوطة به تغيير الوصية في الموردين، احدها اذا كان الوصية مورثة للظلم به بعض الورثة مثل ما اذا حرم بعض الورثة عن الارث و نحوها و ثانيها اذا كان المورث قد اوصى بحرام - في تفسير القمي «ره» قال الصادق - عليه السلام -: اذا اوصى الرجل بوصية فلا يحلّ للوصي ان يغير وصيته يوصيها - بل يمضيها على ما اوصى الا ان يوصى بغير ما امر الله فيمضي في الوصية و يظلم فالموصي اليه جائز له ان يرده الى الحقّ مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّ له بعض و رثته و يحرم بعضاً فالوصي جائز له ان يرده الى الحقّ و هو قوله: ﴿جنفاً أو اثماً﴾ فالجنف الميل الى بعض و رثته دون بعض و الاثم ان يأمر بعبارة بيوت النيران و اتخاذ السكر فيحلّ للوصي ان لا يعمل بشيء من ذلك انتهى (ج ١، ص ٦٥) و من المعلوم انها لا يضّرّان باطلاق ذيل الآية

→ و أما الآية الرابعة (البقرة، ١٩٩) مربوطة بالافاضة من العرفات على ما يظهر من بعض المفسرين ولكن ذلك لا يخلّ بمقصودنا

و اما الآية الخامسة (الحجر، ٤٩) فهي وان لم تكن مربوطة بما ذكر في آيات السابقة لها المتحملة لأحوال المتقين و تنعمهم في الجنة كما هو الظاهر و أنها مطلقة و على فرض الارتباط بها لا يخرجها عن الاطلاق.

و اما الآية السادسة (النور، ٢٠) فيحتمل ان تكون مأنوسة بما قبلها و من الواضح ان الاستيناس غير غلّ بمقصودنا.

و اما الآية السابعة (النجم، ٣٢) و ان وقعت في مقام التعليل لما قبلها كما هو الظاهر ولكن لا يضرنا ما نحن بصدده

و اما الآية الثامنة و التاسعة (آل عمران، ٧٣-٧٤) فان الفضل و الرحمة الواقعتين فيها لا يبعد ان لا تكونا راجعتين الى الفضل و الرحمة الخاصتين اعني بذل الرسالة و تفضل موهبة الالهية في مقام الرسالة و لذا عبّر بهذا التعبير «يختص برحمته من يشاء» و من المعلوم ان تلك الموهبة لا يليقها الا من اجتمع فيه شرائط الرسالة و لا يبذلها الا به و من المحسنات ان مفاد هذين الآيتين مع ضمنية آيات السابقة لها مؤيدة بل صريحة لما ذكرناه في معنى المشية فتدبر فيها و اغتم.

و كيف كان، فتخصيص صدر الآيتين بالفضل و الرحمة الخاصتين لا يضر باطلاق جملتين الاخيرتين فيها اعني قوله تعالى: ﴿و الله واسع عليم﴾ و الله ذو الفضل العظيم

→ و اما الآية العاشرة (المائدة، ٤٠) فان وقوعها عقيب هذين الايتين اعني قوله تعالى: ﴿و السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ (٣٨) ﴿فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم﴾ (٣٩) اللتين ذكر فيهما العفو عن السارق بعد توبته و ذلك لا يضرنا لما نحن فيه و ان كانت الآية مربوطة بما قبلها صارت مؤيدة لما ذكرنا في معنى المشية بانها لا تتحقق الا في مورد يكون له منشأ صحيح و في ذلك المورد هو التوبة فعلى هذا صارت الآية من صغريات المسئلة و الله عالم.

و اما الآية الاحدى و العشر (الاحزاب، ٤٧) و ان كانت آيات السابقة لها مربوطة به اخراج الناس من الظلمة الى النور و تحية المؤمنين يوم اللقاء هو السلام و دعوة النبي الى الله و كونه مشعلاً نيراً و لكن ذلك لا ينافي اطلاق البشارة بالمؤمنين في هذه الآية بقوله عز شأنه ﴿بان لهم من الله فضلاً كبيراً﴾

و اما الآية الاثني و العشر (الاعراف، ١٥٦) فصدرها ﴿و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة و في الآخرة انا هدنا اليك﴾ و الآية مربوطة بما قبلها و على ما قال بعض المفسرين: انها جزء من قصة الميقات و نزول التوراة و اختيار موسى - عليه السلام - سبعين من قومه فذهبوا معه الى الطور و لم يقنعوا بتكليم الله كلمته و سألوا الرؤية فاخذتهم الصاعقة فماتوا ثم احياهم الله بدعوة موسى - عليه السلام - و مربوطة بقول موسى - عليه السلام - : ﴿قال رب لو شئت اهلكهم من قبل و اياي﴾ و قوله - عليه السلام - : ﴿انت و لبنا فاغفر لنا و ارحمنا و انت خير الغافرين﴾ و دعائه - عليه السلام - بان يكتب

→ الله أي يقضي لهم بحسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة والمراد بالحسنة لاحالة الحياة والعيشة الحسنة، فاجاب الله تعالى بقوله عز شأنه: ﴿قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء﴾ ومن المعلوم وقوع الآية في الجواب عن سؤال موسى - عليه السلام - لا يكون موجبا للتخصيص بل نفس الآية كانت في مقام بيان عموميت الرحمة وسعتها.

ان قلت: ان ذيل الآية اعني قوله تعالى: ﴿فأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ اخص من جميع الآيات ومخصصة لعموماتها ومقيدة لاطلاقاتها فصار مفاد مجموع الآيات ان رحمة الله تعالى مخصصة بمن كان متصفة بما ذكر في الآية من الصفات الثلاث اعني التقوى عن المحارم والعمل بالواجبات لقوله ﴿ويؤتون الزكاة﴾ واكتفى منها بذلك لأنه الفرد الاصعب على الغالب مع أنه كان من باب المثال، والايان الذي عبر بقوله ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ قلت: ان مفاد ذيل الآية كان خارجة عن مشكلة الرجاء بل الظاهر منها هو التثبيت للجزاء ولذا عبر بقوله عز شأنه ﴿فأكتبها﴾ والكتابة هنا اما ان تكون بمعنى الفرض اي ﴿فاسألفها﴾ او بمعنى الكتب وهو مساوق للتثبيت فلا تغفل، وما يتوهم ان الرحمة في قوله ﴿رحمتي وسعت﴾ هي الرحمة الرحمانى الصادرة عنه في الدنيا الشاملة لجميع الموجودات وبواسطتها اخرجها عن العدم ولذا لا يقيّد بشيء من القيود غير صحيح وذلك بقرينه قوله ﴿فأكتبها﴾ حيث رجع ضميرها الى الرحمة وفرضها لاهل التقوى والعمل بالواجبات والايان في الآخرة.

اعني ان صرف الايمان لم يكن كافياً لشمول الغفران بل بنحو الاطلاق لابد من وجود شرط آخر لتحقيق المشيئة.

فنقول: يمكن ان يقال: ان هذا القيد مشيراً الى وسائل المغفرة وحصول بعضها نحو شفاعة الشافعين وبعض الابتلائات الموجبة لرفع المعاصي و مثل اعمال الحسنة المذهبة للسيئات وكانت دركة لها كما ان الاخبار متواترة فوقها دلت عليها وسيأتي الكلام فيها، بل يمكن ان يبلغ بعض الاعمال الصالحة في خصوص بعض الموارد بمرتبة القرب كأنه هو العمدة في سببته لشمول الرحمة والمغفرة ومثل التوبة بل مثل اجتناب الكبائر لخصوص تكفير الصغائر ونحوها. وبالجمله لابد من تحصيل شييء منها لتحقيق المشيئة ولو مرتبة نازلة منها كما لو علم المذنب بان عذابه وعفوه بيد الله تعالى وله ان اعذبه وان اعفو عنه كما هو مفاد رواية ثواب الاعمال الآتية وسيأتي الكلام في جميعها في البحث الآتي. وكيف كان يليق، بالمقام ان يقال: ان اجمال الآيات في المغفرة وتعليقها بالمشيئة كانت في غاية المصلحة بل لو لم تكن مجملة لوقعت سبباً لكثرة ارتكاب المحارم بل يصير الواجبات والمحرمات في نظر الناس حقيرة واجمالها صار سبباً

→ واما الآية الثالث عشر (آل عمران، ١٥٢) وان نزلت في فضية غزوة الاحد على ما هو ظاهر الآية ومربوطة به تنازع الطائفة التي امرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - بتوقفهم في العقبة وتمرد عن ذلك الامر بعضهم وترك العقبة ومع ذلك فان الله سبحانه قد عفا عنهم بفضل كما قال: ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ لكن من المعلوم ان المورد لا يقع مخصصاً.

لايجاد الخوف و ترغيب المؤمنين لآتيان بعض ما يوجب سبباً و منشأً
لشموها او انتباههم عن بعض المحرمات المورث لحرمانها - فافهم و اغتنم
- و لا يخفى انّ اللازم في هذا البحث توضيح آيات المذكورة و شأن نزولها
بالاجمال حتّى تكون انفع للوصول الى المقصود و لا بأس من ذكرها في
ذيل الصحيفة كما عرفت خوفاً من الاطالة فراجع.

ان قلت: ان آية العموم اعني قوله تعالى: ﴿و يغفر مادون ذلك﴾ لو كانت
شاملة لمعاصي الكبار يلزم من ذلك انّ الله تعالى رجع عمّا وعد العذاب
به من بعض المعاصي الكبار به نصّ الصريح في عدّة من الآيات كالقتل في
قوله تعالى: ﴿و من قتل مؤمناً متعمداً فجزائه جهنم خالداً فيها﴾^(١) و
مثل الرّبا في قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الرّبا اضعافاً
مضاعفة و اتّقوا الله لعلكم تفلحون، و اتّقوا النار الّتي اعدت
للكافرين﴾^(٢) و مثل ﴿رمي المحصنات﴾ في قوله تعالى: ﴿ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا و الاخرة و لهم عذاب
عظيم﴾^(٣) و مثل اشاعة الفاحشة في قوله تعالى: ﴿ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا و الاخرة و الله
يعلم و انتم لا تعلمون﴾^(٤) و نحوها و في كثير من الاخبار المعبرة كما

اوردنا بعضها في ذيل الصحيفة^(١) بل يلزم التناقض ظاهراً بين عموم هذه

١ - منها في الكافي بسنده الصحيح عن ابن ابي يعفور عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: من بهت مؤمناً او مؤمنة بما ليس فيه بعته الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال: قلت: و ما طينة الخبال قال: صديد يخرج من فروج المومسات (ج ٢، ب الغيبة والبهت، ح ٥، ص ٣٥٧)

و منها فيه بسنده عن بعض اصحابه عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: من استذل مؤمناً واستحقره لقلّة ذات يده و لفقره شهرة الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق. (ج ٢، ب من اذى المسلمين، ح ٩، ص ٣٥٣)

و منها فيه بسنده الصحيح عن معاوية عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : لقد اسرى ربّي بي؟ فاوحى الىّ من وراء الحجاب ما اوحى و شافهني؟ (الى) ان قال لي: يا محمد من اذلّ لي ولياً فقد ارضني بالمحاربة و من حاربني حاربه قلت: يا ربّ و من وليك هذا فقد علمت ان من حاربك حاربه قال لي: ذاك من اخذت ميثاقه لك و لوصيك و لذريتكما بالولاية. (ح ١٠، كالسابق)

و منها فيه - بسنده الحسن عن عبد الله بن المغيرة عن ابي الحسن عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : كن باراً و اقتصر على الجنة و ان كنت عاقاً [فقطاً] فاقصر على النار. (ج ٢، ب العتوق، ح ٢، ص ٣٤٨)

و منها فيه بسنده الصحيح عن عبد الله بن سنان قال: قال ابو عبد الله عليه السلام - : من خاف الناس لسانه فهو في النار. (ج ٢، ب من يتقي شرّه، ح

الآية وبين تلك الآيات وعدة من الاخبار وعلى القاعدة لابد من تخصيص عموم الآية بالآيات المزبورة و الاخبار المعتبرة فيصير عموم الآية مخصوصة بالصغائر مع أنها مغفورة بالاستحقاق لقوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾^(١) اعني وعد الله تعالى بالتكفير يصير العبد مستحقاً لطلب الوعد وبالجملة ان بعد تخصيص عموم الآية بها صار مفادها مساوقة لآية الاجتناب فعلى هذا لا يبق مورد الرجاء المغفرة التي سبقت عليها مثل آية العموم تفضلاً ونحوها الاخبار المربوطة بها وكان هذه التطويلات بلا طائل.

قلت: هذا باطل بحسب القواعد اولاً وبحسب الدليل ثانياً أما بحسب القواعد فلان غاية ما دلّت عليها الآيات المزبورة و الاخبار المذكورة هو ثبوت العقاب على جملة من المعاصي مثل القاتل والزاني ونحوه بالاطلاق ولكن لابد مع ذلك من تقييد هذه الاطلاقات بما كان مفادها من الادلة ناظرة اليها مثل ادلة الشفاعة و ادلة ﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾ ونحوها التي قد نصّ في بعضها كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحثها ان ادّخارها لاهل الكبائر و مثل بعض اخبار المعتبرة في باب

→ ٣، ص ٣٢٧

و منها فيه بسنده الصحيح عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: ﴿اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة﴾. (ج ٢، ب الظلم، ح ١١، ص ٣٣٢)

الحسنات في مثل من حمل جنازةً من اربع جوانبها أنه يورث غفران اربعين من الكبائر فصارت الآيات و الاخبار بمجملة فلا تقوى لوقوعها مخصّصة لعموم الآية ونحوها وبالمجملة على فرض صحّة الاشكال يلزم طرح مسألة الشفاعة بل طرح جميع ما ذكرناها على رفع المعاصي من الاعمال الحسنة من ان اخبارها فوق التواتر و من الابتلائات ونحوها لأنّه لم يبق لها مورداً وذلك باطل بالبدهة وبالمجملة ان هذه الاطلاقات لا مقاومة لها قطعاً لادّلة ما ذكرناه لرفع المعاصي وستقف على ادّلتها في مظانّها انشاء الله تعالى مفصلاً، أمّا بحسب الدليل فاذا لاحظنا الاخبار المعتمدة الواردة في تفسير آية العموم فلم يبق لنا ريب لشمول الآية على الكبائر وسنذكرها عن قريب. و لا بأس بذكر ما افاده^(١) في المقام السيّد

١ - اقول: أنا نكتفي باجمال بعض ما افاده السيّد الرضوي «ره» فيه لسهولة المطالب و خوفاً من الاطالة اذ بعض عباراته لم تكن خالية من الصعوبة و الاطالة ثمّ شرحنا الاعتراضات الواردة على ما افاده و من الله الاستعانة و قد عنون المطلب «ره» في مسألة السادس (ص ٣٦١) ﴿و يغفر ما دون ذلك﴾ شبهة المرجحة في الآية، الجواب عنها، و من سأل عن معنى قوله تعالى: ﴿ان الله لا يغفران يشرك به و يغفر ما دون ذلك و من يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً﴾، فقال: ظاهر هذه الآية يدلّ على خلاف قولكم في وعيد الفساق و مرتكبي الكبائر مع الاصرار بالعذاب لانّها تدلّ على أنّه تعالى يغفر ما دون الشرك و الكبائر داخلة فيما دون الشرك فأتوا بكم في ذلك.

→ فالجواب : أنَّ هذه الآية قد استقصي الاجوبة عنها شيوخ اهل العدل في كتبهم ثم قال «ره» انا نذكر ههنا طرفاً عن الكلام عليها الى ان قال: فنقول: انه لا حجة للقائلين بالارجاء في هذه الآية لان الامر لو كان على ما ظنوه من الغفران لاهل الكبائر الذين يموتون غير مقلعين و لانادمين بل مصرين متابعين لكان وجه القول ان يكون الآية ﴿و يغفر ما دون ان شاء﴾ فاما و هو تعالى يقول: ﴿و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فقد وجب انه تعالى يغفر لبعضهم و هم الذين يشاء ان يغفر لهم و دل ذلك على ان ممن يرتكب ما دون الشرك من لا يشاء ان يغفر له فلما دلت الآية على انه سبحانه يغفر لبعض من يرتكب، ما دون الشرك و لا يغفر لبعضهم علمنا انه لا يجوز في حكمته و عدله ان يكون البعض الذين يغفر لهم اهل الكبائر و البعض الذين لا يغفر لهم اهل الصغائر او ان يغفر لعبد و يعذب عبداً و الذنبيان متساويان و هما في المعصية سياتن (الى ان قال) فاذا كان الامر على ما ذكرناه فقد صح ان البعض الذي لا يشاء ان يغفر لهم ممن اتى ما دون الشرك هم اهل الكبائر الذين ماتوا على جهة الاصرار و ذهبوا عن التدم و الاقلاع و ان البعض الذي يشاء تعالى ان يغفر لهم هم اهل الصغائر و من يأت تائباً من اهل الكبائر ثم استدل برواية يأتي ذكرها في طي البحث ثم قال «ره» و نحن نزيد الكلام على هذه الآية وضوحاً بان نذكر من كم وجه تعلق المخالفون بها و اعتمدوا عليها و نفسد تلك الوجوه باجمعها (الى ان قال) فنقول:

١ - أنهم قالوا قد بين تعالى ان ما دون الشرك يغفره لمن يشاء، و ذلك يوجب

→ ان لا اجد منهم الا و جائز ان يغفر سبحانه له من غير اختصاص و كذلك نقول: في عصاة اهل الصلوة لاننا نرجى امرهم الى الله تعالى و نجوز ان يتفضل عليهم بالعفو و ان يعاقبهم بالذنب قالوا و متى حمل ذلك على الصغائر لم يصح لان فيه تخصيص قوله ﴿ ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ لانه عام في كل ما عدا الشرك فحملة على بعضه غير مستقيم.

٢- و ربما تعلقوا بذلك من وجه آخر فقالوا قد علمنا انه سبحانه لم يرد بقوله ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ﴾ على كل حال لانهم عند استقبال التوبة و محو الحوبة يجب ان يغفر لهم فالمراد اذن ان الله لا يغفر ان يشرك به تفضلاً فاذا كان ذلك هو المراد فيما بنى عليه يجب ان يكون مشروطاً فيه فكأنه تعالى قال: ﴿ يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ تفضلاً و ذلك يوجب ان يكون المراد به الكبائر لان الصغائر يجب ان تكون مغفورة بالاستحقاق لا بالتفضل.

٣- و ربما تعلقوا بذلك من وجه آخر فقالوا لا يحسن من الحكيم ان يتمدح بانه لا يتفضل بامر لكنه بفعل الواجب الذي لا بد في الحكمة ان يفعله فقوله تعالى: ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ﴾ مقرون بانه يغفر ذلك مع التوبة فكأنه تعالى قال: ﴿ انه لا يغفر ذلك ﴾ تفضلاً لعظمه و ان غفره بالتوبة فلا يصح ان يعقّب ذلك بان يقول: و يغفر الصغائر باستحقاق مع انه يغفر الكبائر باستحقاق ايضاً فحق الكلام ان يكون المراد به و يغفر ما دون ذلك تفضلاً من غير استحقاق.

٤- و ربما تعلقوا بذلك من وجه آخر و هو ان يقولوا انه قال: ﴿ و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فاضاف الغفران اليه و اضافته الى مشيئته و الواجب المستحق

→ لا يصح ذلك فيه لان الصغيرة مغفورة في نفسها لا تقع اضافة غفرانها الى احد ولا يتعلّق بمشيئة احد فهذه الوجوه من اوجه ما يمكن ان يتعلّق به في ذلك ونحن بمشيئة الله نورد الاجوبة عن جميع الفصول التي تعلّق بها ومن الله نستمدّ التوفيق والتسديد بمنّه ولطفه

فنقول: ان قوله تبارك اسمه ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ انتهى موضع الحاجة (مسئلة ٦، «ان الله لا يغفر ان يشرك به»، ص ٣٦٤)، اقول: انا نذكر الاجوبة اجمالاً و تلخيصاً خوفاً من الاطالة و سهولةً للافادة حيث ان عباراته لم تكن خالية من الصعوبة كما مرّ فاجاب السيد «ره» عن وجه الاول بان هذه الآية بمجملة لاجل تقييدها بالمشيئة و هذا التقييد مورث لابهام الآية و يحتمل ان يشمل غفرانه للكبائر او الصغائر او البعض من احدهما او البعض من كلاهما و بالجملة ان الآية غير ميّنة و على هذا الوجه اجاب الحسن - عليه السلام - عمّن سأل عن هذه الآية على ما روى ان الحسن بن ابي الحسن - عليه السلام - سأل رجل فقال: ما تقول فيمن قتل مؤمناً متعمداً قال: اقول: فيه ما قال الله ثم لا اقول: بخلافه حتى التى الله ﴿و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزائه جهنم خالداً فيها﴾ الآية، (النساء ٩٣) قال السائل فاين قوله تعالى: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فقال الحسن - عليه السلام - : او ما بين تعالى مشيئة حيث، يقول: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلاً كريماً﴾ (النساء، ٣١) و في بعض الاخبار انه قال للسائل يالكع اما بين الله مشيئة بقوله ﴿ان

→ تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴿ فبنى تلك الآية لاجمالها على هذه الآية لبيانها وجعل الايتين كأنَّ احديهما موصولة بالآخرى فكانته تعالى قال: ﴿و يغفر ما دون ذلك من السيئات لمن اجتنب الكبائر﴾ والحاصل اجاب رحمه الله عن عموم الآية اولاً بأنها مجملة وثانياً قد ازال الله تعالى اجمالها بهذه الآية وقال في آخر هذا الجواب ان الآية كانت في مقام اظهار أنه تعالى قادرٌ على الغفران وأنه يشاء غفران بعض الذنوب وكانت نظير قوله تعالى: ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ مع أنه قادرٌ على جميع الاشياء ولكن لا بفعل كلِّها يقدر عليه مما لا يكون فيه لحكته وثالثاً أنه تعالى لو قال: ﴿و يغفر ما دون ذلك﴾ مطلقة من غير تقييد بالمشية لكان تقييدها بالرواية وبآية المذكورة واجباً في فرض التقييد بالمشية لكان التقييد اولى واجاب عن وجه الرابع بأنه لا يفرق بين التكفير والغفران حيث أنه تعالى غافرٌ على كلا التعبيرين وكما أنه اضاف المغفرة في الآية الى نفسه كذلك اضاف التكفير في تلك الآية الى نفسه وما تمنع من حمل الكلام على ما هو المغفرة مستحقة له وان اضاف المغفرة الى نفسه ولو كانت الذنوب صفاتراً ثم قال «ره» (ما لفظه) فعلى هذا القول يجب بطلان قولهم أنه تعالى اراد بقوله ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به﴾ تفضلاً لان زياد ذكر التفضل ههنا لا وجه له ان كانت المغفرة لاتضاف اليه الا تفضلاً وكان يجب الا يصح ان يقول: و يغفر الشرك مع التوبة لان الغفران عندها واجب فلا وجه للاضافة وهذا يبين سقوط ما قالوه، انتهى. (ص ٣٦٨)

ثم اشكل على نفسه (ما لفظه) فان قالوا أنه سبحانه وان كان يغفر الذنوب و

→ يضاف الغفران إليه فلا وجه إذا كان واجباً لتعليقه بالمشيئة، قيل لهم: إذا كان كل ما يفعله تعالى من واجب و تفضل لابد من أن يكون مريداً له ولا بد في الثواب أيضاً من أن يكون معه فاعلاً له على وجه مخصوص يقتضي أنه يريد له على وجوه فالذي يمنع من إضافة ذلك إلى المشيئة وبعد فإن المشيئة في مثل هذه الحال إنما تدخل تمييزاً من أمر ولا يكون المقصد ظاهراً فالذي يمنع من ذلك أيضاً، انتهى.

و أجاب «ره» عن وجه الثاني عن قولهم إذا كان تعالى في صدر الكلام قد أراد التفضل فكذلك يجب فيما بعده فجوابه أنه لما ذا يجب ذلك و يجوز أن يكون إحدى الجملتين مستقلة بنفسها فلها حكمها دون جملة الثانية ولا يجب التسوية بين الجملتين و لو أنه تعالى صرح بما ذكرناه كان غير ممتنع أيضاً فيقول مثلاً: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به تفضلاً﴾ و لما تقع التوبة ﴿و يغفر ما دون ذلك من الصغائر واجباً﴾ عمن جانب الكبائر فإذا صرح تعالى بذلك كان الكلام صحيحاً غير فاسد فما المانع من أن يكون التفضل مضراً وبالجملة إذا كان صرح تعالى بذلك كان الكلام صحيحاً فالذي يمنع من أن ينزل الدليل بهذه المنزلة.

و أجاب عن وجه الثالث عما قالوا بأن الحكيم لا يجوز أن يمدح بأنه لا يغفر الشرك تفضلاً و بأنه يغفر ما دونه واجباً (ما لفظه) أن الغفران لا يتضمن الوجوب و لا التفضل و إنما يتضمن الفعل المخصوص فقط و هو بمنزلة قول القائل - لا أعطى زيداً مالاً - في أنه لا يتضمن وجوباً و لا تفضلاً فإذا قال - و

→ اعطي مالا من اشاء من اولادي لم يجب ان يريد بذلك التفضل دون الواجب وذلك بين، انتهى. (ص ٣٧١)

ثم ايد كلامه به بعض الآيات الواردة لتعذيب اليهود والمنافقين المقيدة بالمشية مثل قوله تعالى: ﴿و قالت اليهود و النصاري نحن ابناء الله و احبانه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء﴾ (المائدة، ١٨) و قوله تعالى: ﴿و يعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم﴾ (الاحزاب، ٢٤) مع انه لم يشك في تعذيبهم لقوله تعالى: ﴿ان الله لعن الكافرين و اعد لهم سعيراً﴾ (الاحزاب، ٦٤) و قوله تعالى: ﴿انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأويه النار﴾ (المائدة، ٧٢) فعلمنا من تلك الايتين انهم لو كانوا ممن يشاء ان يغفر لهم باسقاط المشية لما اخبر بتعذيبهم في المواضع الاخر قطعاً بالفاء ذكر المشية فعلى هذا لما اخبر تعذيب قاتل المؤمن والزاني و آكل الربا و قاذف المحصنات و غيرهم من اهل الكبائر فعلمنا ان جميع هؤلاء ليس ممن يشاء ان يغفر لهم ما ذكره تعالى انه يعذبهم عليه من هذه الذنوب التي دون الشرك اذ كان تعالى قد اعلنا انه يعذبهم كما اعلنا انه يعذب الكفار بعد قوله ﴿يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء﴾ فكان من يغفر لهم ما دون ذلك هم اهل الصغائر الذين وعدهم غفرانها باجتناب الكبائر في قوله ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ثم قال (ما لفظه): و مما يدل على ذلك انا قد اجمعنا على ان قوله تعالى: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به﴾ معناه انه يعذب على الشرك به فوجب ان يكون اخباره بانه يعذب القاتل و الزاني و من

→ أشبهها من أهل الكبائر هو أخبار بأنه لا يغفر لهم إذا كان ﴿لا يغفر﴾ معناه ﴿يعذب﴾ فكذا قوله تعالى ﴿يعذب﴾ هو أخبار بأنه لا يغفر فإذا صح ذلك بأنه لا يغفر الشَّرك ولا يغفر ما قال: أَنَّهُ يَعَذَّبُ عَلَيْهِ مِمَّا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ الَّتِي لَيْسَتْ بِشَرْكَ وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَقَدْ وَجِبَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ وَلَا مَا دُونَهُ مِنَ الْكِبَائِرِ الَّتِي لَيْسَتْ بِشَرْكَ لَاسْتَوَاءِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الدَّلِيلِينَ فِي نَقِي الْغَفْرَانِ وَإِقْقَاعِ الْعَذَابِ أَنْتَهَى.

و بِالْمُجْمَلَةِ فَقَدْ تَسَجَّلَ السَّيِّدُ «رَه» الْجَوَابَ بِأَنَّ الْعِقَابَ ثَابِتٌ لِمَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَ لَا يَرْفَعُ عَنْهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ نَعَمْ إِنَّ الصَّغَائِرَ مَغْفُورَةٌ لِتَكْفِيرِهَا بِالْاجْتِنَابِ وَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾، هَذِهِ خِلَاصَةُ ادِّلَّةِ الْمَرْجَّةِ، وَ أَجْوِبَتِهَا، عَنِ النَّهَايَةِ، الْمَرْجَّةُ فَرْقَةٌ مِنْ فَرْقِ الْإِسْلَامِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ كَمَا أَنَّهَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ سَمَوْا مَرْجَّةً لاعتقادهم أَنَّ اللَّهَ أَرْجَأَ تَعْذِيبِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي أَيِ الْآخَرَةِ عَنْهُمْ.

اقول: أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ جَمِيعِ أَجْوِبَةِ السَّيِّدِ «رَه» لِلْمَرْجَّةِ مَطْلَبَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْآيَةَ مُجْمَلَةٌ وَابْتِهَامُهَا مَرْفُوعَةٌ بِآيَةٍ ﴿أَنْ تَجْتَنِبُوا﴾ وَثَانِيهَا أَنَّ ادِّلَّةَ تَعْذِيبِ الْكِبَائِرِ لَمَّا كَانَتْ صَرِيحَةً فِي الْعَذَابِ قَدْ جَعَلَهَا مَخْصَصَةً لِعُمُومِ الْآيَةِ وَ أَنْ لَمْ يَصْرَحِ السَّيِّدُ «رَه» بِذَلِكَ وَ انْخَصَرَ دَائِرَةُ غَفْرَانِ الْمَعَاصِي بِالصَّغَائِرِ وَ فِيهِ مَا عُرِفَتْ فِي الْمَتْنِ مِنْ أَنَّ الْإِلَازِمَ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْحَمْلِ هُوَ رَدُّ الشَّفَاعَةِ وَ رَدُّ سَائِرِ مَا كَانَ مُورِثاً لِرَفْعِ الْمَعَاصِي مَعَ صَرَاحَةِ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي عُمُومِ الْآيَةِ مُضَافاً إِلَى أَنَّهُ قَدْ عُرِفَتْ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي الْمَتْنِ أَنَّ تَقْيِيدَ آيَةِ الْعُمُومِ بِقَوْلِهِ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كَانَ

→ مورثاً للاجمال - ولا يخفى لطفه و يظهر من استدلاله بآيات المخبرة
 لتعذيب الكفار جزماً بأن الاخبار فيها بطريق الجزم كان كاشفة من أنهم ممن لم
 يشأ غفرانهم عما اخبر عن تعذيبهم معلقاً بالمشية اعني آية ﴿و يغفر ما دون
 ذلك لمن يشاء﴾ واستفاد من ذلك ان آيات الدالة على تعذيب الكبائر جزماً
 كذلك كاشفة من أنها مما لم يشأ غفرانها من قوله ﴿و يغفر ما دون ذلك لمن
 يشاء﴾ ولا يخفى ان هذه الاستفادة كانت لاجل الغفلة عن معنى كلمة ﴿شاء﴾
 وتخيل ان معناها التردد و قد عرفت معناها في المتن و سيأتي الاشارة اليه
 ايضاً عن قريب و على فرض رفع اليد عما قلنا في معناها لم يجوز الله تعالى ان يخبر
 عن تعذيبهم في بعض الايات تنجيلاً و في بعض الاخر ترديداً كما زعمه
 السيد «ره» و عليه الجواب عن ذلك و الاشكال لا يرفع بما ذكره حيث
 لا مناسبة بين التردد و التنجيز لان ذلك هو عين رفع اليد عما قال اولاً اذ رجع
 الله تعالى عن التنجيز الى التردد او بالعكس و هو ما فرّ عنه السيد «ره» في
 اصل النزاع و نحن في الفسحة في الجواب عن ذلك على المعنى المختار بأنه لما قلنا
 أنه تعالى لم يشأ في مورد الآ و له منشأ صحيح فلا منافات بين قوله: ﴿و يعذب
 الساقين ان شاء او يتوب عليهم﴾ و قوله: ﴿يغفر لمن يشاء و يعذب من
 يشاء﴾ و بين قوله: ﴿ان الله لعن الكافرين و اعد لهم سعيراً﴾ و قوله: ﴿انه
 من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ و لم يكن الاخبار في الاولتين
 بالترديد و في الاخيرتين بالتنجيز حتى لزم التنافي لأنه بعد ما علم ان كلمة
 المشية لما اضيفت الى افعال الله تعالى لم يكن معناها ما يؤل الى التردد و اما

→ لو أضيفت الى غيره فأنها ظاهرة فيه مثلاً لو قال المولى اني اكرم ان شئت، معناه ان صدور الاكرام موقوف على مشيئتي ان شئت افعل والآ فلا ولذا يصح ان يقال: ان هذا التعبير اعني بكلمة (يشاء) في قوله تعالى: كان عبارة اخرى عن كلمة التنجيز وليس معنى قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ان تعذيب المنافقين يمكن ان لا يقع مورداً للمشية فيتردد لتعذيبهم خصوصاً لمكان كلمة ﴿أو﴾ حتى ينافي قوله تعالى في موضع الآخر الذي قد اخبر عن تعذيبهم جزماً بل لما استفيد من الأدلة ان غفرانهم ليس له منشأ صحيح لعظمة عصيانهم فعناه ان تعذيب المنافقين ان كان له منشأ صحيح فيعذبهم و ان كان لغفرانهم هكذا فيتوب عليهم ولكن لما عرفت عدم وجدان منشأ صحيح لغفرانهم مع بقاء النفاق فيعذبهم قطعاً.

و بعبارة واضحة ان المنافقين ان كانوا ثابتاً بنفاقهم وقعوا مورداً لمشية تعذيبهم لتحقق منشأ العذاب و ان صاروا ثانياً وقعوا محطاً للغفران لزوال منشأ العذاب و تحقق منشأ الرحمة و اما معنى آية اليهود و النصارى اعني قوله تعالى: ﴿و قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّاصِرِيُّ نَحْنُ ابْنَاءُ اللَّهِ وَ احْبَاؤُهُ﴾ ان الغفران فيها تابع للمنشأ الصحيح و كذا التعذيب بل لم يحتمل التردد فيها لتعذيب الكفار اصلاً لأنه لما ادعى اليهود و النصارى القرابة و المحبة لله تعالى، امر الله تعالى نبيه قل هؤلاء المفترين على ربهم ﴿فَلَمْ يَعْذِبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ اي لاي شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده و الحبيب على حبيبه و هم يقرّون بأنهم يعذبون و اضرب عن هذا الادعاء بقوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُ

→ خلق ﴿ ثم بعد ذلك وقع في مقام الاخبار عن مكافاتهم بقوله ﴿ يغفر لمن يشاء.... ﴾ اي من كان قابلاً للغفران و يعذب لمن كان قابلاً للتعذيب وبالجملة أنه لم يكن الاختلاف بين هذين الايتين و بين الايتين اللتين وعد العذاب فيها جزماً أصلاً و من اقوى الشاهد على أنه «ره» غفل عن معنى كلمة المشية وزعم ان معناها التريد هو أنه رحمه الله قال في صدر كلامه (ص ٣٦٢) لو كان المراد من آية العموم ما كان شاملاً للكبائر فلا بد وان يكون وجه القول في الآية ﴿و يغفر ما دون ذلك ان شاء﴾ حتى لا يلزم المحذور و المراد به أنه تعالى لما عبر بقوله ﴿ لمن يشاء﴾ لوجب ان يغفر لبعض اهل المعاصي و هم الذين يشاء ان يغفر لهم و دلّ على ان بعض ممن يرتكب مادون الشرك من لا يشاء ان يغفر لهم و لا يجوز في الحكمة ان يكون بعض الذي يغفران يكون اهل الكبائر و البعض الذي لم يغفران يكون اهل الصغائر و لا يجوز ايضاً ان يكون ذلك البعض الذي يغفر هو بعض العبيد دون بعض الاخر مع أنها في الذنب متساويان لان ذلك يورث في الله تكون المحبة و القرابة بالنسبة الى بعض دون بعض و هو منزه عن جميع ذلك فلا بد من ذلك ان يكون البعض الذي يشاء ان يغفر لهم هم اهل الصغائر و من مات نادماً من اهل الكبائر و بعض الآخر الذي لا يشاء ان يغفر لهم هم اهل الكبائر الذين ماتوا على الاصرار و لم يكن نادمين. انتهى مفاد كلامه.

اقول: مما ذكرنا في معنى المشية لم يكن فرق بين التعبيرين على فرض السيد «ره» حيث ان معنى قوله: ﴿و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ هو ان

→ غفرانه موقوف لمن ثبت له منشأ صحيح لذلك وكذا معنى قوله: ﴿ان شاء﴾ أي يغفر ما دون ذلك ان وجد منشأ صحيح للغفران وقد ثبت بالدلة القطعية من ان الحسنات يذهبن السيئات وادلة الشفاعة و اخبار الصحيحة وغيرها هو ثبوت منشأ الصحيح لغفران فاعل الكبيره و بالجملة بتحقيقه يلزم الغفران على كلا التعبيرين و بعدم تحققه فلاغفران كما عرفت في بعض معنى الآيات. فتدبر جيداً.

بقي الكلام في تفصيل مفاد آية العموم و آية الاجتناب و في صحة وقوع آية الثانية مبينة للاولى و لابد من صرف الكلام الى بعض آيات المتقدمة لها.

اقول: ان آية العموم قد تكررت في سورة النساء مرتين احديهما ذكرها بعد آية ٤٧ اعني قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين اتوا الكتاب امنوا بما نزلنا﴾ الآية و انها واقعة حينئذ في مقام دفع التوهم عن غفران الشرك و من لم يؤمن بما انزل الله تعالى كما عرفت في المتن مفصلاً و ثانياً ذكرها بعد آية ١١٤ اعني قوله تعالى: ﴿و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيراً. ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ و الآية في ذلك المورد بحسب التعليل و السياق واقعة لتأكيد الوعيد الذي وقع في آية السابقة و تثبيتها لما قال فيها و اما آية ﴿ان تجتنبوا﴾ واقعة في صدر السورة بعد قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض بينكم و لا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً، و من يفعل

الشريف الرضي انار الله برهانه في كتابه (حقائق التأويل في مستشابه التنزيل) الذي شرّحه العلامة الاستاذ محمد الرضا آل كاشف الغطاء «ره» والاعتراضات الواردة عليها ولكن خوفاً من الاطالة لابدّ من ذكرها في

→ ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً - ان تجتنبوا كبائر ما تنهون»، الآية و الظاهر من هذه الآية ترغيب المؤمنين و تحريمهم بعدم اكل المال بالباطل اعني به طريق الميسر و التعدي و الربا و باقي انحاء الباطل و كانت في مقام سوق العباد بالتجارة عن تراض و ترغيبهم بعدم قتل النفس كان سبباً للفتنة العظيم، فافهم.

و بالجملة ان الآية لما وقعت بعد الايات المذكورة كانت فيها نوع ارشاد الى عدم ارتكاب المحارم الكبيرة و لم ترتبط به آيتين المذكورتين اللتين في مقام دفع توهم الغفران عن الشرك بل يمكن ان يقال ان آية الاجتناب من جهة التعبير و سياق آيات السابقة لها كانت في مقام قلع المعاصي الكبيرة من بين العباد كما ان آيتي العموم كانتا في مقام قلع التوهم عن الغفران للشرك مضافاً الى انها كانتا ايضاً في مقام سوق العباد الى الرجاء العظيم الى الله العلي العظيم فيما دون الشرك كما عرفت. و بالجملة ان آية الاجتناب لم تحتل ان تقع مبيّنة لآيتي العموم مستقلاً كما هو ظاهر كلام السيد «ره» نعم يمكن ان تعدّ الآية من جملة احد صغريات ما ذكرناه كما اشرنا اليه و اما الرواية التي استدّل بها لمُدّعاء فالظاهر انها غير مسندة و لا اعتبار بها بل لو كانت الرواية مسندة باسناد صحيحة لم تكن لها قوّة لما يقابلها من الادلة القطعية التي ذكرناها في المتن هذا بالنسبة الى ما اقتضاه القواعد الاولية و اما بالنسبة الى الاخبار الخاصة الواردة في الآية كما تنبّهت عليها في المتن فلم يبق ريب في المقام.

ذيل الصحيفة فراجع - واما الاخبار المعتبرة الواردة في خصوص عموم الآية.

فمنها في الكافي ، بسنده الموثق عن سليمان بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ الكبائر فما سواها. قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء. قال نعم^(١).

و منها فيه بسنده الموثق عن اسحاق بن عمار قال: قلت: لابي عبد الله عليه السلام - الكبائر فيها استثناء، ان يغفر لمن يشاء، قال: نعم^(٢). ومنها في تفسير القمي «ره» حدثني ابي عن ابن عمير عن هشام عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: قلت: له دخلت الكبائر في الاستثناء قال: نعم^(٣).

و منها في الفقيه ، قال: وسئل الصادق - عليه السلام - عن قول الله عز وجل ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ هل تدخل الكبائر في مشيئة الله تعالى؟ قال: نعم ذلك اليه عز وجل ان شاء عذب اليها وان شاء عفي^(٤).

فهذه الاخبار كما تريها صريحة في خصوص مورد عموم الآية و شمولها

١ - ج ٢ ب، الكبائر ح ١٨، ص ٢٨٤ ٢ - ج ٢ ب، الكبائر ح ١٩، ص ٢٨٤

٣ - ج ١، ص ١٤٠

٤ - الجزء الثالث، ب معرفة الكبائر، ح ٣٥، ص ٤٦٤

للكبائر و ظهر معني قوله - عليه السلام - في الرواية الاخيرة «ان شاء عذب و ان شاء عفى» عما تقدمناه مفصلاً فلا تغفل و اما الاخبار التي صريحة في عموم المغفرة للكبائر في غير مورد الآية، فمنها في مرأة العقول عن توحيد الصدوق باسناده عن ابي ذر رضي الله عنه في حديث طويل قال: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - الى قاع حوله حجارة فقال لي اجلس حتى ارجع اليك فانطلق في الحرّة حتى لم اره و توارى عني فاطال ثم اني سمعته و هو مقبل و هو يقول: و ان زنا و ان سرق قال: فلم اصبر حتى قلت: يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحرّة فاني ما سمعت احداً يرد عليك شيئاً قال: ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة فقال: بشر امتك ان من مات لا يشرك بالله عزّوجل شيئاً دخل الجنة قال: فقلت: يا جبرئيل و ان زنا و ان سرق قال: نعم قلت: و ان زنا و ان سرق قال: نعم و ان شرب الخمر. (١)

وفيه عن الفقيه - قال: لقد سمعت حبيبي رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - يقول: ﴿لو ان المؤمن خرج من الدنيا و عليه مثل ذنوب اهل الارض لكان الموت كفارة لتلك الذنوب﴾ ثم قال - عليه السلام -: «من قال لا اله الا الله باخلاص فهو بري من الشرك و من خرج من الدنيا لا يشرك بالله دخل الجنة» ثم تلا هذه الآية الى قوله «لمن يشاء من شيعتك و محبيك يا علي» قال امير المؤمنين - عليه السلام -: فقلت: يا

رسول الله هذا لشيعتي قال: اي وربيّ أنّه لشيعتك^(١)، الخبر.

وقال في مجمع البيان معناه انّ الله لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب المشرك لاحد ويغفر ما دون الشّرك من الذّنوب لمن يريد. قال المحققون: هذه الآية ارجي آية في القرآن لانّ فيه ادخال ما دون الشّرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران وقف الله المؤمنين الموحّدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن ولذلك قال الصادق - عليه السّلام - : لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وقال بعد ذلك: وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على انّ الله يغفر الذّنوب من غير توبة أنّه نفي غفران الشّرك ولم ينف غفرانه على كلّ حال بل نفي ان يغفر من غير توبة لانّ الامة اجتمعت على انّ الله يغفره بالتوبة وان كان الغفران مع التّوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضيل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله: ﴿و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ أنّه يغفر ما دون الشّرك من الذّنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين من غير الكافرين^(٢). انتهى موضع الحاجة.

ولنختم الكلام بما قاله المحقّق الطوسي «ره» في التجريد^(٣) في المقام و العلامة «ره» في شرحه تأييداً لما ذهبنا اليه وان كان طريق الاستدلال في كلام العلامة مخالف لمسلكتنا.

المسئلة التاسعة، في جواز العفو، قال: و العفو واقع لأنه حقّه تعالى فجاز اسقاطه و لا ضرر عليه في تركه مع الضرر النازل به فحسن اسقاطه و لأنه احسان، قال: وللسّمع وقال العلامة «ره» في شرحه.

اقول: هذا دليل الوقوع سمعاً و هو الايات الدالة على العفو لقوله تعالى: ﴿انّ الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فاما ان يكون هذان الحكمان مع التّوبة او بدونها و الاول باطل لانّ الشّرك يغفر مع التّوبة فتعيّن الثاني و ايضاً المعصية مع التّوبة يجب غفرانها و ليس المراد في الآية المعصية التي يجب غفرانها لانّ الواجب لا يعلّق بالمشيئة فا كان يحسن قوله لمن يشاء فوجب عود الآية الى معصية لا يجب غفرانها. انتهى لفظه و كلامه لا يخلو من نظر و قد عرفت وجهه ممّا ذكرناه في معنى كلمة المشيئة.

واقا الاخبار المطلقة الواردة في عفو الله تعالى و مغفرته و سعة رحمته فكثيرة جداً؛ منها في امالي الصدوق، بسنده عن ابراهيم بن زياد الكرخي قال: قال الصادق جعفر بن محمد (ك) - عليها السّلام - : «اذا كان يوم القيمة نشر الله تبارك و تعالى رحمته حتّى يطعم ابليس في رحمته»^(١).

ومنها في ثواب الاعمال بسنده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السّلام - قال: قال النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - : قال الله جلّ جلاله: من اذنب ذنباً فعلم ان لي ان اعذّبه و ان لي ان اعفو عنه

عفوت عنه^(١) ومنها في الوسائل بسنده عن معاذ الجوهري عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه - عليهم السلام - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن جبرئيل - عليه السلام - قال: قال الله عز وجل: «من اذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً وهو لا يعلم ان لي ان اعذبه او اعفو عنه لا غفرت له ذلك الذنب ابداً ومن اذنب ذنباً صغيراً كان او كبيراً وهو يعلم ان لي ان اعذبه او اعفو عنه عفوت عنه».^(٢)

ومنها عن الخرائج - قال ابو هاشم سمعت ابا محمد يقول: ان الله لي عفو يوم القيامة عفواً يحيط على العباد حتى يقول: اهل الشرك والله ربنا ما كنا مشركين - فذكرت في نفسي حديثاً حدثني به رجل من اصحابنا من اهل مكة ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قرأ: ﴿ان الله يغفر الذنوب﴾ فقال الرجل «و من اشرك» - فانكرت ذلك و تنمرت للرجل فانا اقول: في نفسي اذا قبل على فقال: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ بثما قال هذا و بثما روي^(٣).

ومنها في الوسائل بسنده عن عبدالرحمن بن اعين عن ابي جعفر الباقر - عليه السلام - انه قال: لقد غفر الله لرجل من اهل البادية بكلمتين دعا بهما قال: اللهم ان تعذبني فاهل ذلك انا وان تغفر لي فاهل ذلك انت فغفر الله له^(٤).

ومنها في الامالي الشيخ بسنده عن جندب الغفاري ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: ان رجلاً قال: يوماً والله لا يغفر الله لفلان قال الله عز وجل: من ذا الذي تألّى^(١) على ان لا اغفر لفلان فاني قد غفرت لفلان واحببت عمل المتألّي بقوله لا يغفر الله لفلان^(٢).

ومنها فيه بسنده الواصل الى محمد بن مسعر قال: كنت عند سفيان بن عيينه فجاءه رجل فقال له: روي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - انه قال: ان العبد اذا اذنب ذنباً ثم علم ان الله عز وجل يطالع عليه غفر له فقال ابن عيينه: هذا كتاب الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتُرُونَ﴾ ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون و ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم^(٣) فاذا كان الظن هو المردي كان ضده هو المنجي^(٤).

ومنها فيه بسنده عن الحسين بن سليمان الزاهد قال: سمعت ابا جعفر الطائي الواعظ يقول: سمعت وهب بن منبه يقول: قرأت في زبور داود اسطراً منها ما حفظت ومنها ما نسيت فما حفظت قوله يا داود اسمع مني ما اقول: و الحق اقول: من اتاني وهو يحبني ادخلته الجنة يا داود اسمع مني ما اقول:

١ - عن الجزري قال فيه - من يتألّى على الله يكذّبه اي من حكم عليه و حلف كقولك و الله ليدخلن فلاناً النار.

٢ - ج ١، الجزء الثاني، ص ٥٧

٣ - حم السجدة، ٢٢-٢٣، ارديكم: اي اهلككم

٤ - ج ١، الجزء الثاني، ص ٥٢

والحق أقول: من اتاني وهو مستحي من المعاصي التي عصاني بها غفرتها له وانسيتهما حافظيه يا داود اسمع مني ما أقول: والحق أقول: من اتاني بحسنة واحدة ادخلته الجنة قال داود: يا رب ما هذه الحسنة قال: من فرج عن عبد مسلم فقال داود - عليه السلام - : الهي كذلك لا ينبغي لمن عرفك ان يقطع رجاء منك. ^(١)

ومنها فيه بسنده عن ابي بصير قال: سمعت ابا جعفر محمد بن علي - عليها السلام - يقول: اذا دخل اهل الجنة الجنة باعمالهم فاين عتقاء الله من النار ان الله عتقاء من النار ^(٢) و منها في الكافي بسنده الصحيح عن ابن بزيع عن ابي الحسن الرضا - عليه السلام - قال: احسن الظن بالله فان الله عز وجل يقول: انا عند ظن عبدي المؤمن بي ان خيراً فخييراً وان شراً فشرّاً ^(٣)

ومنها عن كتابي الحسين سعيد بسنده عن الثمالى قال: قال ابو جعفر - عليه السلام - : ما من عبد يعمل عملاً لا يرضاه الله الا ستره الله عليه اولاً فاذا ثنى ستر الله عليه فاذا ثلث اهبط الله ملكاً في صورة ادمى يقول للناس فعل كذا وكذا ^(٤)

ومنها في الامالي الشيخ - بسنده عن شريح بن عبيد قال: كان جبير بن

١ - ج ١، الجزء الرابع، ص ١٠٥. ٢ - ج ١، الجزء السابع، ص ١٨٢.

٣ - ج ٢، باب حسن الظن بالله تعالى، ح ٣، ومنها ج ١، ٢، و ٤ من هذا الباب، ص ٧٢.

٤ - البحار ج ٦، ب ١٩، ح ١٠، ص ٦.

نفير يحدث ان رجالاً سألوا النّوّاس بن سميان فقالوا ما ارجي شيئي سمعت لنا من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال النّوّاس: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: من مات وهو لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً فقد حلّت له مغفرته ان يشاء ان يغفر له قال نوّاس عند ذلك: اني لارجو ان لا يموت احد تحلّ له مغفرة الله عزّ وجلّ الا غفر له^(١).

ومنها عن نوادر الراوندي باسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه - عليهم السّلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: قال الله: اني لاستحيي من عبدي وامتي يشيان في الاسلام ثم اعدّيهما^(٢) و سيأتي انشاء الله تعالى في باب الحشر طائفة اخرى من الاخبار النافعة للمقام.

تتمة

قد اختلف في خلف الوعيد في أنّه هل يكون قبيحاً أم لا فقد ذهب اكثر من علمائنا وبعض مخالفينا الى عدم قبحه من الله تعالى و ذهب بعض المحقّقين على ما قيل الى خلاف ذلك لأنّه تبديل القول ولكن في المحكي عن العلامة الدّوّاني: انّ المعتزلة والخوارج اوجبوا العقاب على صاحب الكبيرة اذا مات بلا توبة و حرّموا العفو عليه لأنّه تعالى اوعد مرتكب

الكبيرة فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعده والكذب في خبره وهما محالان وذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى جواز العفو عقلاً و غير جائز سمعاً و البصريون إلى جوازه سمعاً على ما حكى عنهم العلامة «ره» في شرح التجريد في المسئلة التاسعة في جواز العفو.

اقول: ان مسلك الصحيح هو ما ذهب إليه أكثر أهل الحق و بعض تارك الحق من عدم قبحه عقلاً، و جواز العفو سمعاً أما عدم قبحه عقلاً فان ترك الوعيد لم يكن في حد نفسه قبيحاً و لم يلزم القبيح.

أما الأول فهو واضح اذ صرف تركه مع صرف النظر عن لزوم المفسدة المترتبة عليه لم يكن مذموماً بل بمدوحاً كما سيظهر عن بعض كلمات الاعلام الآتية.

و اما الثاني فلان في ترك العمل بالوعيد ليس اضراً ولا اتلافاً و هما واضحان و لا يلزم منه الكذب ايضاً و اما عدم لزومه فقد اجيب عنه تارة بان آيات الوعيد لم تكن خبراً بحسب المعنى بل يمكن حملها على انشاء التهديد كما ذهب إليه العلامة الدواني على ما حكى عنه و تارة، بانها لم تخبر عن الوقوع حتى لزم الكذب بل انها حاكية عن استحقاق ما اوعده به كما يمكن ان يستفيد ذلك من تعبير قوله تعالى ﴿من قتل مؤمناً معتمداً فجزاؤه جهنم﴾ الآية ^(١) و لكن لا يخفى ما فيها.

أما في الجواب الأول حيث أنه خلاف الظاهر اذ الآيات ظاهرة في

الاخبار لا الانشاء التهديد

اقا في الثاني حيث أنه لا يلائم بعض سائر التعابير الواردة في عقوبة بعض الكبار مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا - وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَارًا﴾^(١) الآية و مثل رمي المحصنات و اشاعة الفاحشة في الآيات التي تقدم ذكرها فإنها تدل بظاهرها على وقوع العذاب على قاتل النفس و السراي المحصنات و المشيع الفاحشة لا على الاستحقاق العذاب عليها، و الأصح في الجواب، كما عرفت أن هذه الآيات تدل باطلاقها على وقوع العذاب و لا ينافي ان تقيّد اطلاقها بما دلّت من الادلة المنفصلة على شمول عفو الله تعالى بالنسبة الى ما اوعده الله تعالى بعذابه و لاخلف واقعاً كما يستفيد ذلك من كلمات بعض الفحول و بعبارة واضحة ان آيات الوعيد مثل قوله: ﴿و مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَارًا﴾ لو ضمّها الله بجملة الاستثناء مثلاً بقوله: «الآ من وقع مشمولاً لرحمتنا» لم يلزم خلفاً و لا كذباً فكذا ما هو بمنزلة الاستثناء من الادلة المنفصلة التي دلّت على شمول العفو على صاحب الكبيرة و بالجملة ان ترك الوعيد بحسب حكم العقل لم يكن قبيحاً بل بالنسبة الى عظمة الله و فرط جوده ممدوح كما سيأتي كلام بعض الاعلام في هذا المقال و اما جواز العفو سمعاً فلقوله تعالى: ﴿و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فإنها دلّت بعمومها على غفران صاحب الكبيرة

الذي مات بـلاتوبة ايضاً كما عرفت مفصلاً نعم قد مرّ الكلام في تعليقه
 بالمشيئة فراجع و لصريح بعض الروايات نحو ما عن المحاسن - بسنده عن
 عبد الله بن القاسم الجعفري عن ابي عبد الله عن آبائه
 - عليهم السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
 «من وعده على عمل ثواباً فهو منجز له ومن اوعده على عمل عقاباً
 فهو فيه بالخيار»^(١) وما عن كنز الكراجي بسنده عن عطاء بن يسار
 عن امير المؤمنين - عليه السلام - قال: يوقف العبد بين يدي الله
 تعالى فيقول: قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله فتستغرق النعم العمل
 فيقولون قد استغرق النعم العمل فيقول: هبوا له النعم و قيسوا بين
 الخير والشر منه فان استوى العملان اذهب الله الشر بالخير و ادخله
 الجنة و ان كان له فضل اعطاه الله بفضله و ان كان عليه فضل و هو من
 اهل التقوى و لم يشرك بالله تعالى و اتقى الشرك به فهو من اهل
 المغفرة يغفر الله له برحمته ان شاء و يتفضل عليه بعفوه^(٢).

ولسائر الادلة التي تدلّ على رفع العقاب عن المعاصي بواسطة بعض
 الاسباب التي قد مرّ ذكرها اجمالاً و كيف كان فلا مجال للتتردد في
 جواز الخلف في الوعيد سمعاً امّا مطلقاً او معلقاً بالمشيئة كما سيأتي
 مزيد تحقيق في ذلك انشاء الله تعالى بل عقلاً ممدوح لانه احسان و

١ - البحار، ج ٥، ب ١٨، ح ١، ص ٣٣٤.

٢ - البحار، ج ٥، ب ١٨، ح ٢، ص ٣٣٤.

لقد اجاد في هذه المسئلة في كمال الایجاز والایفاء المحقق الطوسي قدس سره القدوسي كما مر منه في التجريد^(١) فقال والعفو واقع لانه حقه تعالى فجاز اسقاطه ولا ضرر عليه في تركه مع ضرر النازل به فحسن اسقاطه ولانه احسان، وللسمع، انتهى.

وقال الصدوق «ره»: اعتقادنا في الوعد والوعيد ان من وعد الله على عمل ثواباً فهو منجزه ومن وعد على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ان عذبه فبعد له وان عفي عنه فبفضله وما ربك بظلام للعبيد وقال عز وجل: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ والله اعلم، انتهى^(٢) لفظه.

والمحكي عن يحيى بن معاذ في المقام كان في غاية الجودة حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله تعالى اذ من ضمن انهم اذا فعلوا ذلك ان يعطيهم كذا فالوفاء حقهم عليه ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حق على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفي وان شاء اخذ لانه حقه وهو اولى بالعفو والكرم انه غفور رحيم^(٣)، انتهى كلامه.

وقال بعض المحشين للبحار في المقام: ان الوفاء بالوعد واجب بحسب قضاء الفطرة غير ان كرامة النفس ونشر الرحمة ربما يحكمان على

١ - المسئلة التاسعة، في جواز العفو ص ٢٦٢

٢ - رسالته في الاعتقادات، ص ٩٢ ٣ - في البحار، ج ٦، ب ١٩، ص ٩

هذا الحكم بحسب المصلحة فيقدمان أثراً وهو العفو عند المجازاة من غير أن يبطل أصل الأمر والنهي حتى يعود إلى التناقض أو ما يشبهه فافهم ذلك. انتهى لفظه^(١)، ولا يخفى في التعبير لطفه.

المطلب الثاني

في مسألة التوبة

المطلب الثاني من المطالب التي لا بدّ من تنقيحها هو مسألة التوبة وهي من المباحث العظيمة الشريفة ولها فوائد كثيرة منها ازدياد محبة العباد بالله تبارك وتعالى.

ومنها مورثة لترغيبهم في الالحاحات والمثوانسة وباعثة لتشديد الرّجاء وغير ذلك، ولا بدّ لبيان حقيقتها واقسامها وشرائطها وما يتعلق بها من ايراد اثني عشر مبحثاً المبحث، الاول في حكمها، وهو الوجوب بالادلة الاربعة.

الاول الآيات

وانها في هذا الباب بالغة على ستين آية ونحن نذكر جملة منها التي كانت متعرّضة فيها لبعض الخصوصيات التي كانت ماردة للبحث عند الاعلام سواء كانت دالة على الوجوب ام لا.

منها قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾. (١)
 أقول: الظاهر بحسب ملاحظة نفس الآية أنه لما كانت خطاباً لجميع
 المؤمنين هو وجوب التوبة عموماً ولكن يمكن الخدشة في ذلك حيث أن
 الآية بملاحظة ما يعطيه السياق من جهة آية السابقة (٢) لها و صدر (٣) هذه
 الآية المتكفلة لوجوب غض المؤمنين والمؤمنات عما لا يحل النظر إليها و
 حفظ العورة أعني سترها عمن لا يجوز النظر إليها كانت معناها أيها
 المؤمنون اتبعوا سبيله أعني قوله ﴿توبوا إلى الله جميعاً﴾ انتهوا ما
 نهيتهم عنه و امثلوا ما أمرتم به فعلى هذا لم تكن الآية مربوطة بمسئلة
 التوبة بمعنى الندم فضلاً من أن تدل على وجوبها عموماً مضافاً إلى ذلك و
 الغض عما ذكرناه أن الآية بمناسبة الحكم والموضوع راجعة إلى من صدر
 عنه ما يورث التوبة و أما التوبة الصادرة من المعصومين فسيأتي الكلام

١- النور، ٢٦

٢- و هي قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك
 أزكى لهم إن الله خير بما يصنعون﴾.

٣- و هو قوله تعالى: ﴿و قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن
 و لا يبدن زينتهن، إلا ما ظهر منها، و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا
 يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إبنائهن أو إبناء
 بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نساتهن أو ما ملكت
 إيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على
 عورات النساء و لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾.

ففيها ان شاء الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَمَّا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١) ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُم الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢)، قد انحصرت التوبة في آية الأولى بمن يعمل السوء عن جهالة وقد اختلف في معنى الجهالة على وجوه.

أحدها أن الجهل وقع داعياً للسوء فالعبد يفعل المعصية بجهالة وان كان على سبيل العمد وهو المروي كما في الجمع عن أبي عبد الله فإنه قال: كلّ ذنب عمله العبد وان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لاخته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون، فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله^(٣).

وثانيها أن الجهالة بمعنى عدم العلم بكنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة.

وثالثها أن الجهالة هي ان يعجل بالاقدام على السوء و يعد نفسه بالتوبة عنها و قال بعض المفسرين في معناها: ان فعل المعاصي لما كان من قبل

دواعي الشهوة و غلبتها فالفاعل حيثئذ خفي عليه وجه علمه و غاب عنه العقل المميز للحسن و القبح و احتمل فيها ايضاً ان يكون المراد هو فعل السوء بجهالة اي من غير استكبار و عناد بحيث انها لو كانت عن استكبار و عداوة لم تقبل توبته.

وفيه ان عمل السوء لو كان عن العداوة و غلوه على الله تعالى علواً كبيراً كان فاعله في سلك المشركين و الكفار و توبته على فرض تحقق حقيقتها ايضاً مقبولة كما يظهر من بعض الآيات فهذا الاحتمال ضعيف جداً و احتمل فيها وجوه اخر ذكرها مورث للاطالة.

اقول: ان الجهل بالمعصية تارة من جهة الاشتباه في الموضوع و اخرى من جهل الحكم.

اما الاول فلاشك و لاختلاف في عدم العقوبة لها.

واما الثاني على مشرب التحقيق ان الجاهل بالحكم لا يكون معذوراً و الجهل بالمعنى الاول غير مراد من الآية قطعاً كما عرفت و اما بالمعنى الثاني فهو كذلك لانه بعد انحصار التوبة للعمل بالسوء بجهالة لو كان المراد ذلك يلزم انه لو فعل المعصية مع العلم بها لم يصح توبتها و هو خلاف الضرورة و يحتمل قوياً ان قوله (بجهالة) لم يكن قيداً احترازياً بل كان توضيحياً اذ عمل السوء باي مرتبة من مراتبه لا يصدر عن شخص من الاشخاص الا اذا حصل له مرتبة من مراتب الجهل و الذهول و الغروب عن المعارف، و ذلك اما من جهة ذهول النفس عن عظمة الله تعالى، و اما من جهة تجلّي الشيطان رحمته على عقابه و اتكاله على التوبة، و اما من جهة

ان شخص العامل من حيث هو لم يكن له كمال المعرفة و نفسه واقعة في مرتبة دنية من المعرفة، و نحو ذلك، و يمكن ان يقع بعض الاحتمالات المذكورة منشأ لما ذكرناه.

فبالجملة ان وقوع المعصية موقوف على ذهول النفس عن المعرفة و لو في الجملة و لذا من لم يكن له ذهول باي مراتبه في جميع عمره لم يمكن عنه وقوع السوء اصلاً، كنبينا محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - و آله المعصومين - عليهم السلام - و يشهد على ذلك انه قد كانت كلمة (بجهالة) في بعض الآيات الاخر كانت بدون كلمه الحصر، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَاصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) و مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَاصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) و لعل هذا المعنى متبادر عن هذا اللفظ في تلك الآيات فعلى هذا ان الآية لم تكن في مقام بيان شرط زائد من هذه الجهة بل كان مفادها انه انما التوبة على الله من جهة القبول للذين يعملون السوء بواسطة وجود الجهل الذي هو المنشأ للتقصير في امتثال الاوامر و الكف عن النواهي ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ اي قبل مشاهدة ما كان موجباً للقطع بالموت فان الله تعالى يقبل توبتهم و بناءً على هذا ان الحصر في الآية كان مربوطاً بهذا التقيد

اعني صدور التوبة من قريب و بين مفاد القريب في الآية التالية بقوله ﴿و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن﴾، الآية.

وبالجملة ان الغرض من الانحصار في الآية هو وقوع التوبة في المدة التي لم يحضر له امارات الموت حتى يقع التوبة عن اختيار اذ بعد حضور الامارات لاتقع التوبة الا عن اضطرار و العمل الاضطراري غير مقبولة اذ هو معه خارج عن الاختيار و الفعل الغير الاختياري لا يمدح و لا يذم كما لا يخفى.

و بعبارة اخرى ان رفع الاثر عن التوبة في هذا الفرض كان من باب عدم اجتماع ما هو شرط فيها اذ الاثر قد يسلب عن الشيء من جهة عدم كونه جامعاً لشرائطه، و قد يسلب عنه من جهة عدم وجود نفسه اعني من باب السالبة بانتفاء الموضوع، و قوله تعالى: في ذيل الآية ﴿و لا الذين يموتون و هم كفار﴾ كان من هذا القسم اي لن يتقبل عنهم التوبة من حيث انها لم تصدر عنهم و التعبير و ان كان هكذا، و لكن المراد ان الكفار الثابتون على كفرهم لم يكن لهم فلاحاً بل، لهم عذاباً اليماً، و لا يخفى ان الآية الاولى بقرينة آيات السابقة لها و جملة ﴿يعملون السوء﴾ كانت منحصرة بالمعاصي الغير الاعتقادية، و اما آيتين المذكورتين بعدها صريح فيها و لكن يمكن ان يقال من استدراكه في الآية التالية في عدم قبولها للكفار الباقين على كفرهم انها شاملة لتوبة الاعتقادي ايضاً و ليس

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية^(١) وهذه الآية من الآيات التي دلّت على وجوب التوبة عن المعصية الغير الاعتقادية مطلقاً اذ الخطاب كان للمؤمنين و من المعلوم أنهم لم يعص الله في مسألة الايمان.

واعلم ان المفسرين قد اختلفوا في تفسير توبة النصوح كما تعرّض لذلك الطبرسي «ره» وغيره على وجوه، احدها ان توبوا الى الله توبة نصوحاً اي خالصة لوجه الله تعالى.

وثانيها ان معناها ان لا يعود في معصيته ابداً وروي الطبرسي «ره» في المجمع في ذلك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال معاذ بن جبل: يا رسول الله ما التوبة النصوح قال: ان يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع.

وثالثها ان توبة النصوح هي التي تكفر كل سيئة و هي في القران في هذه الآية وقيل ان توبة النصوح هي التي ينصح الانسان فيها نفسه باخلاص الندم مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبح وقيل هي التوبة المقبولة و لا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف ان لا تقبل و رجاء ان تقبل و امان الطاعة وقيل هي من النصح و هو الخياطة لان العصيان يخرق الدين و التوبة ترقعه و احتمل فيها احتمالات أخر و من الظاهر ان اغلبها كانت

تفسيراً بالرأي وأيما وردت فيها الرواية من طريقنا فهو المتعين والاحتمال الثاني من الاحتمالات قد ورد فيه من طريقنا اخباراً.

منها ما في الكافي بسنده الحسن عن ابي بصير قال: قلت لابي عبد الله - عليه السلام -: ﴿يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبةً نصوحاً﴾ قال: هو الذنب الذي لا يعود فيه ابداً قلت: وايتنا لم يعد فقال: يا ابا محمد ان الله يحب من عباده المفتن^(١) التواب^(٢) مع ان في بعض الاخبار قد يرد على ان توبة النصوح هي ما كان باطنه كظاهره و افضل منه مثل ما في معاني الاخبار بسنده عن ابي الحسن الاخير - عليه السلام - عن التوبة النصوح ما هي فكتب - عليه السلام - ان يكون الباطن كالظاهر و افضل من ذلك^(٣) وفيه ايضاً بسنده عن عبد الله بن سنان و غيره عن ابي عبد الله قال: التوبة النصوح ان يكون باطن الرجل كظاهره و افضل و قد روي ان التوبة النصوح هو ان يتوب الرجل من ذنب و ينوى ان لا يعود اليه ابداً^(٤)، و قد يرد في بعضها الآخر على ان التوبة النصوح هو الصوم الاربعاء و الخميس و الجمعة مثل ما فيه ايضاً بسنده عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السلام - في قول الله عز وجل ﴿توبوا الى الله توبةً نصوحاً﴾ قال: هو صوم يوم الاربعاء و [يوم] الخميس و [يوم] الجمعة،

١ - عن النهاية المفتن، המתحن يمتحنه الله بالذنب ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب.

٢ - ج ٢، ب التوبة، ح ٤، ص ٤٣٢ ٣ - ب معنى التوبة النصوح، ح ١، ص ١٧٤

٤ - ب معنى التوبة النصوح، ح ٣، ص ١٧٤.

قال الصدوق «ره»: معناه ان يصوم هذه الايام ثم يتوب^(١).

اقول: الظاهر من هذه الاخبار ونظائرها ان توبة النصوح كانت من بعض مراتب العالية للتوبة ولا يكون عدم العود مثلاً معتبراً في حقيقتها مطلقاً ويشهد على ذلك قوله في الحسنة: «وإِنَّمَا يَعْدُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عِبَادَهُ الْمُفْتَنِّ التَّوَابِ» اعني العود لا يضر بحقيقتها بل يدل على ذلك صريح بعض الاخبار الصحيحة التي سنذكرها ان شاء الله تعالى وكذا كون الباطن مثل ظاهره وافضل منه كما في الرواية الثانية لا يكون داخلاً في حقيقتها بل اشارة الى بعض مراتبها واما تفسيرها في الرواية بالصوم الثلاث على ما فسر الصدوق «ره» كان من باب ان من توطن نفسه لصوم الايام المزبورة التي لها المزية في الثواب مع مشقتها لابد وان يكون متهيئاً في الرجوع عن المعصية حقيقة بمعنى ان لا يعود ابداً مع ان الصوم المذكور لا يكون لازماً للتوبة قطعاً بل كان لازماً للتهيؤ لهذه المرتبة منها، فعلى هذا ان المتعين في معنى النصوح هو ما فسر به في الحسنة اعني لا يعود ابداً ولا يكون بين هذا التفسير وسائر التفاسير اختلافاً الا من جهة التعبير لان من تاب توبة نصوحاً ولا يعود ابداً فلازم ذلك هو تطهير باطنه وتركه نفسه حتى تقوى عن صرف ميله عن المعصية وقطع علاقته عنها وتمكن في الظاهر ان لا يعود اليها ابداً وكذا من صام الايام المزبورة وتحمل مشقتها وامسك نفسها عما يشتهي نفسها عن الطعام و

غيره للتَّهَيُّؤِ للتَّوْبَةِ لا بَدْءٍ وان يكون في مقام التَّصْمِيمِ لعدم العود و توطِينِ نفسه له و تبديل باطنه كظاھرهِ فعلى هذا وقع تفسير النُّصُوحِ في بعض هذه الاخبار بِاللَّوْازِمِ و في بعض الآخر بالمَقْدَمَاتِ و اللّٰهُ العالم، قال الشَّيْخُ البهائي «ره» في المحْكَمِ^(١) عنه قد ذكر المفسِّرون في معنى التَّوْبَةِ النُّصُوحَ وجوهاً.

منها ان المراد توبة تنصح النَّاسَ اى تدعوهم الى ان يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها او تنصح صاحبها فيقلع عن الذُّنُوبِ ثُمَّ لا يعود اليها ابداً.

ومنها ان النُّصُوحَ ما كانت خالصة لوجه اللّٰهِ سبحانه من قولهم غسل نصح اذا كان خالصاً من الشَّمْعِ بان يندم على الذُّنُوبِ لقبحها او كونها خلاف رضاء اللّٰهِ سبحانه لالخوف النَّارِ مثلاً و قد حكم المحقِّق الطُّوسِي طاب ثراه في التجريد بان النَّدَمَ على الذُّنُوبِ خوفاً من النَّارِ ليس توبة. ومنها ان النُّصُوحَ من النَّصَاحَةِ و هي الخياطة لآنها تنصح من الدِّينِ ما مرَّفته الذُّنُوبِ او يجمع بين التَّائِبِ و بين اولياء اللّٰهِ و احبائه كما تجمع الخياطة بين قطع الثَّوبِ.

ومنها ان النُّصُوحَ وصف للتَّائِبِ و اسناده الى التَّوْبَةِ من قبيل الاسناد المجازي اى توبة ينصحون بها انفسهم بان يأتوا بها على اكمل ما ينبغي ان تكون عليه حتّى تكون قالعة لآثار الذُّنُوبِ من القلوب بالكليّة و ذلك

بإذابة النفس بالحسرات و محو ظلمة السيئات بنور الحسنات انتهى كلامه.

أقول: لا يخفى ما في كلام المحقق الطوسي «ره» لأنه لا ينافي الخلو مع الخوف عن النار كما تقرّر في مبحث النية و كيف كان من المعلوم أنه مع هذه الاحتمالات في معنى النصوح لا يجوز حمله على المعنى الأوّل هذا مضافاً إلى ما تقدّمنا من الروايات الدالة على عدم جواز حمله على المعنى الأوّل بعض الروايات الصحيحة دالة بالصراحة على صحّة التوبة مع العود و بناء على أن معنى النصوح كان هو الاحتمال الأوّل فلا بدّ من حمله على مرتبتها الأعلى كما عرفت، و أمّا بعض الروايات الصحيحة.

فمنها في الكافي بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة و المغفرة أما والله أنها ليست إلا لاهل الايمان، قلت: فإن عاد بعد التوبة و الاستغفار من الذنوب و عاد في التوبة فقال: يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل الله توبته، قلت: فأنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب و يستغفر [الله] فقال: كلّما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبة عاد الله عليه بالمغفرة، و إنّ الله غفور رحيم، يقبل التوبة و يعفو عن السيئات فإياك أن تقطّ المؤمنين من رحمة الله. (١)

ومنها فيه بسنده الحسن كالصحيح عن أبي حمزة عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْتَ عَبْدِي دَانِيَالُ فَقُلْ لَهُ أَنْ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ فَانْتَ عَصَيْتَنِي الرَّابِعَةَ لَمْ أَغْفِرْ لَكَ فَاتَاهُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ: يَا دَانِيَالُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ أَنَّكَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ فَانْتَ عَصَيْتَنِي الرَّابِعَةَ لَمْ أَغْفِرْ لَكَ فَقَالَ لَهُ دَانِيَالُ: قَدْ أَبْلَغْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ قَامَ دَانِيَالُ فَنَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ: يَا رَبُّ أَنْ دَاوُدَ نَبِيَّكَ أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّنِي قَدْ عَصَيْتَكَ فَغَفَرْتَ لِي وَ عَصَيْتَكَ فَغَفَرْتَ لِي وَ عَصَيْتَكَ فَغَفَرْتَ لِي وَ أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّنِي أَنْ عَصَيْتَكَ الرَّابِعَةَ لَمْ تَغْفِرْ لِي فَوَعَدْتَنِي لَنْ لَمْ تَعْصِمْنِي لَاعَصِيكَ ثُمَّ لَاعَصِيكَ ثُمَّ لَاعَصِيكَ^(١) وَمِنْ الظَّاهِرِ أَنَّ الْمُعْتَبِرَيْنِ صَرِيحَتَانِ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ مَعَ الْعُودِ، وَأَمَّا عَدَمُ قَبُولِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَسَنَةُ، فَفِيهِ أَمَّا أَوَّلًا أَنَّ هَذِهِ التَّفْصِيلَ مُنَافٍ لِصَرِيحِ صَحِيحَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَثَانِيًا أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْإِجْمَاعِ الْمَرْكَبِ، وَثَالِثًا يُمْكِنُ حَمْلُهَا عَلَى خُصُوصِيَةِ التَّوْبَةِ فِي مَرَحَلَةِ تَرْكِ الْأَوَّلَى فَإِنَّ الْحَسَنَةَ كَانَتْ فِي تِلْكَ الْمَقَامِ، وَلَعَلَّهُ وَاضِحٌ فَتَدَبَّرْ جَيِّدًا، وَاللَّهُ الْعَالِمُ.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢)، اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى مَنْ

نسب محمداً إلى الافتراء لسياق آيات السابقة لها ثم تاب قبلت توبته وان جلّت معصيته و يعفو عن السيئات و يعلم من خيرا و شرّ فيجازيهم على ذلك و الآية و ان يمكن ارجاعها الى ما قبلها من الايات كما ذكرناه لكن لا يضرنا في شمولها لجميع المعاصي الاعتقادية و غيرها لاطلاقها كالاية الاولى.

ومنها قوله تعالى: ﴿قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم﴾^(١)، و من المعلوم ان هذه الآية مربوطة به قصة موسى - عليه السلام - و انتصاره عن شيعة الاسرائيلي كما يظهر ذلك من آية السابقة لها من قوله تعالى (فوكزه) اي على عدوه القبطي (فقضى عليه) و قال موسى - عليه السلام - : ﴿هذا من عمل الشيطان انه عدو مبين﴾ اعني هذا الاقتتال بينهما الذي انجرّ الى القتل كان من عمل الشيطان و بالجملة ان موسى بن عمران - عليه السلام - لما صدر عنه دفع القبطي عن الاسرائيلي بهذا النحو فقد رأى نفسه في خطرٍ عظيم، و الشيطان كما يوسوس الانسان لالقائه في الاثم و المعصية كذلك يوسوس لالقائه في المشقة و الكلفة، كما و سوس على آدم - عليه السلام - و حواء فاكلا من الشجرة المنهية، ثم صار ذلك موجبا لخروجهما من الجنة، قال: رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي اعني و احفظني عن مشقة هذا القتل و خطره، لأنهم لو علموا بذلك لقتلوني و يشهد على ذلك قوله تعالى في سورة طه:

﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾^(١) وكيف كان أن الغفران في هذه الآية كان غير مربوطة بمسئلة المعصية لكن أنها لما كانت في مقام رفع النقاهة مع سائر الايات مشتركة.

ومنها قوله تعالى: ﴿الْأَمِنْ تَابَ وَأَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً﴾^(٢)، اعلم ان هذه الآية واقعة بعد آيات التي وصف الله تعالى فيها عباده به ثمانية^(٣) اوصاف التي بعضها كان فيما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ الْآبَالِحِقَ وَلَا يَزْنُونَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ إِثْماً يَضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاناً﴾^(٤). فبين بعض الاوصاف في هذه الآية بان عباده لابد ان تكون موحداً ولا تكون مشركاً ولا تكون قاتلاً للنفس المحرم ولا زانياً ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ اعني هذه الخصال جميعاً على قول يلقي عقوبتها وجزائها مضاعفة من حيث الاجزاء لانفس العذاب كان مضاعفاً لأنه ظلم (يوم القيامة)

٢- الفرقان، ٧٠

١- طه، ٤٠

٣- وبعضها في آيات السابقة لها وهي قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً * انها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ (٦٧)

٤- الفرقان، ٦٩

خالداً فيه على وجه الإهانة واستثنى من جملتهم الطائفة التائبين بقوله: ﴿الْأَمِنْ تَابَ وَأَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحاً.....﴾ فهذه الطائفة خارجة عن عذاب المذكور «وَيَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ هَؤُلَاءِ بِالْحَسَنَاتِ» وقد وقع الاختلاف في هذه الآية في تبدل السيئة بالحسنة بعد التوبة، وفيه احتمالات قال الطبرسي «ره»: قال قتاده الآمن تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأَمِنَ بِرَبِّهِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ قَالَ: وَالتَّبْدِيلُ فِي الدُّنْيَا طَاعَةُ اللَّهِ بَعْدَ عَصْيَانِهِ وَذَكَرَ اللَّهُ بَعْدَ نِسْيَانِهِ وَالْخَيْرُ يَعْمَلُهُ بَعْدَ الشَّرِّ وَقِيلَ يَبْدُلُهُمُ اللَّهُ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ فِي الشَّرِّ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِسْلَامِ بِالشَّرِّ إِيْمَانًا وَبَقَتْلِ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ، وَبِالزَّانَا عَفَا، وَاحْصَانًا، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبِجَاهِدٍ وَالسَّيِّدِ وَقِيلَ إِنْ مَعْنَاهُ أَنْ يَمْحُو السَّيِّئَةَ عَنِ الْعَبْدِ وَيُثَبِّتَ لَهُ بِدَلَهَا الْحَسَنَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَمَكْحُولٍ وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ وَاحْتَجَّوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مَرْفُوعاً إِلَى أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَيُقَالُ اعْرَضُوا عَلَيْهِ صَغَارَ ذُنُوبِهِ وَنَحْيَا عَنْهُ كِبَائِرَهَا فَيُقَالُ عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا وَهُوَ مَقَرٌّ لَا يَنْكُرُ وَهُوَ مُشْفَقٌ مِنَ الْكِبَائِرِ فَيُقَالُ اعْطَوْهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمَلَهَا حَسَنَةٌ فَيَقُولُ: إِنْ لِي ذُنُوبًا مَا أَرَاهَا هِيَهَا» قَالَ: وَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ انْتَهَى. ^(١) وَاحْتَمَلُ فِيهَا أَيْضاً أَحْتِمَالَاتٍ أُخْرَى.

أحدها أن يحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم
وثانيها أن يبدل ملكة المعصية في النفس بالملكة الحسنة والطاعة
وثالثها أن معناه أن يوفقه لاضداد ما سلف منه.

أقول: الظاهر من قوله تعالى ﴿أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ أن
تبدل نفس السيئة بالحسنة فهذا الاحتمال يقوى تعيينه من بين المحتملات
كما ذهب إليه بعض المحققين من المفسرين وبناءً على هذا لا بد من صرف
الكلام إلى بيان أن التوبة من جميع المعاصي مطلقاً مورثة لتبديل السيئات
بالحسنات أم يختص بمورد الآية أعني التوبة عن الشرك المقرون بفعل
بعض المعاصي من القتل، والزنا، ونحوه، في حال الشرك لأن هذه الآية
متكفلة للتوبة عن الشرك ولم تكن عامة بالنسبة إلى سائر المعاصي دون
الشرك وجهان لا يخلو ثانيهما عن قوة لأنه تعالى رتب التبديل على من
تاب وأمن وعمل صالحاً أعني أخبر الله تعالى عن نتيجة التوبة المذكورة
بأنه يبدل الله سيئاتهم حسنات لا عن مطلق التوبة وعلى القاعدة لا بد
من توقيف الحكم على مورد المقيّد وفي التعدي عنه يحتاج إلى الدليل، و
أما آية التي وقعت بعد ذلك أعني قوله ﴿ومن تاب وعمل صالحاً فإنه
يتوب إلى الله متاباً﴾ قد دلّت من حيث السياق على أن تبديل السيئات
بالحسنات لم يكن مورداً للتعجب إذا لعبد رجع إلى مرجع عظيم الشأن و
كثير العفو ولا أبالي به تعالى ذلك، فالظاهر من هذه الآية أنه راجعة إلى
الآية السابقة ومفادها بعينه كان مفاد آية السابقة ولم تكن متكفلة لبيان
حكم توبة مطلق المعاصي كما زعمه بعض المحققين من المفسرين غاية

الامر صدرت بنحو قضية الشرطية وكانت في مقام رفع الاستعجاب و بعد اللتيا و التي يمكن ان يقال ان ما ذكرناه في الآية اعني آية التبديل المتحملة لهذا الحكم في خصوص التوبة عن الشرك، و ساكنة عن غيرها كان بحسب مفاد نفس الآية، و اما بالنظر الى بعض الاخبار ان الحكم المذكور شاملة لسائر المعاصي ايضاً مثل ما في ثواب الاعمال بسنده عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: سمعته يقول: اوحى الله عز وجل الى داود النبي - عليه السلام - يا داود ان عبدي المؤمن اذا اذنب ذنباً ثم رجع و تاب من ذلك الذنب و استحيي مني عند ذكره غفرت له و انسيته الحفظة و ابدلته الحسنة و لا ابالي و انا ارحم الراحمين^(١) اذ هذه الرواية مخصوصة بذنب العبد المؤمن و مثل ذلك ما قال مولى الموالي علي بن ابي طالب صلوات الله و سلامه عليه و على ذريته في دعائه المعروف بدعاء كميل بن زياد، اللهم لا اجد لذنوبي غافراً و لا لقبائحي ساتراً و لا لشيئي من عملي القبيح بالحسن مبدلاً غيرك لا اله الا انت، فان هذا الكلام دلّ بمفهومه على ان الله تبارك و تعالى متّصف بهذه الصفات اعني كونه غافراً للخطيئات و ساتراً لها و مبدلاً لها بالحسنات و الا لم يجز الدعاء بهذه التعبيرات و من الممكن ان يكون نظره - عليه السلام - الى مفاد الآية و كيف كان و لم اقف على ما يدل من الاخبار و غيرها على التبديل المذكور سوى ما ذكرناه، و من المعلوم ان

التكفير للسيئات كما في آية النصوح والعفو عن السيئات كما في بعض آيات الآخر، وفي بعض الاخبار غير مربوطة بمسئلة التبديل وكذا كتمان الذنوب وانساء الحفظه والامحاة كما في بعض الاخبار الآخر فلا تغفل. ولما كان المقام من مسئلة الرجاء فاننا لانضايق ونكتفي بما ذكرناه واما الرواية المرفوعة^(١) التي نقلتها آنفاً ومثلها كثيرة من الخاصة^(٢) والعامة فانما ناظرة الى توسعة عفو الله تعالى ورحمته في يوم القيمة وغير

١- اعني ما رواه مسلم في الصحيح قد تقدم في صحيفة (٦٢) وهي عامي.

٢- ومن تلك الاخبار ما رواه فيض الكاشاني في الصافي «ره» في تفسير الآية عن الامالي عن الباقر عليه السلام انه سئل عن قوله الله عز وجل ﴿فاولئك يبذل الله سيئاتهم حسناً﴾ فقال: يؤتي بالمؤمن المذنب يوم القيمة حتى يوقف بموقف الحساب فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه احداً من الناس فيعرفه ذنوبه حتى اقر بسيئاته قال الله عز وجل للكتبه بدلوها حسناً و اظهرها للناس فيقول: الناس حينئذ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة ثم يأمر الله به الى الجنة فهذا تأويل الآية وهي في المذنبين من شيعةنا خاصة (ص ٣٦٢).

و منها ما في العيون بهذا الاسناد قال: قال رسول الله ﷺ: اذا كان يوم القيمة تجلى الله عز وجل لعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً ثم يغفر الله له لا يطلع الله على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلأ و يستر عليه ما يكره ان يقف عليه احد ثم يقول لسيئاته كوني حسناً (ب في ان الله يغفر ذنوب عبده المؤمن، ص ٢٣) و هكذا نقل الروايتين في البحار، ج ٧، ب ١١، ح ٥ و ١٢.

مربوطة بما نحن فيه وكذا ما ورد^(١) من نقل الحسنات إلى المغتاب كما يظهر ذلك لمن أمعن النظر فيها، هذه ما يستفاد من الآيات الستة المذكورة من الخصوصيات التي تكون موردة للبحث و سيأتي تفصيلها في مباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

الثاني الأخبار وهي كثيرة

منها ما رواه في البحار عن دعوات الراوندي قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشتغلوا و صلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم آياه^(٢)

ومنها ما فيه أيضا عن الأمالي بإسناد أخي دعبل عن الرضا - عليه السلام - عن آبائه - عليهم السلام - قال: قال أمير المؤمنين

١ - منها ما رواه علامة الانصاري «ره» في مكاسبه، عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يؤتي باحد يوم القيمة فيوقف بين يدي الرب عز وجل و يدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيه فيقال: الهي ليس هذا كتابي لا ارى فيه حسناتي فيقال له: ان ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتيال الناس ثم يؤتى بآخر و يدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول: الهي ما هذا كتابي فاني ما عملت هذه الطاعات فيقال له: ان فلانا اغتابك فدفع حسناته اليك الخبر، ص

- عليه السّلام -: تعطّروا بالاستغفار لاتفضحكم روائح الذنوب^(١)
ومنها ما فيه ايضا عن تحف العقول عن ابي جعفر الثاني - عليه السّلام -
قال: تأخير التوبة اغترارٌ و طول التسويف حيرة و الاعتلال على الله
هلكة و الاصرار على الذنب امن لمكر الله ﴿و لا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون﴾^(٢).

ومنها ما في الخصال، الاربعائة، قال امير المؤمنين - عليه السّلام -: توبوا
الى الله عزوجل ﴿و ادخلوا في محبته فان الله يحبّ التوابين و يحبّ
المتطهرين و المؤمن تواب﴾^(٣).

و لا يخفى ان الروايتين الاوليين ظاهران في الحكم بالوجوب بل الحكم
مطلقة بالنسبة الى جميع المعاصي و كذا الكلام في الثالثة اما الاخيرة
فيستفيد الوجوب مطلقا عن كلمة الاغترار حيث انها لو لم تكن واجبة لم
تكن في تأخيرها اغترارٌ و كذا يمكن ان يستفيد الوجوب عن جميع
الذنوب من ح ١٠،^(٤) و كذلك يمكن ان يستفيد الوجوب من بعض
الاخبار التي سيأتي في المباحث الاتية ان شاء الله تعالى. و الاخبار في
مسئلة التوبة و ان كانت فوق الاستفاضة بل متواترة فوقها و زائدة على

١- البحار ج ٦، ب التوبة، ح ١٨، ص ٢٢

٢- البحار ج ٦، ب التوبة، ح ٣٦، ص ٣٠

٣- خصال ج ٢، ص ٦٢٣

٤- جامع الاحاديث، ج ١٤، ص ٣٢٦، و ح ٩٧، ص ٣٤٣ و ح ١٩، ص ٣٢٨ في

مأتي رواية و لكن اكثرها واردة لبيان مطالب اخرى و ان دلت جميعها على حسن التوبة و فضلها و لكن لم تدلّ على الوجوب فبعضها واردة لبيان اثر المترتب على التوبة مثل قوله - عليه السلام - : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١)

وبعضها لبيان صدور ذلك العمل مورث لتحصيل القرب و الفرح لله تعالى مثل قوله - عليه السلام - «ان الله تعالى اشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل اضلّ راحلته»^(٢)

وبعضها لبيان الامهال لعبد المؤمن اذا صدر عنه الذنب سبع ساعات فان تاب لم تكتب ذنبه و الا كتبت سيئة^(٣)

١ - تمام الحديث في الكافي بسنده عن جابر عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: سمعته يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب له و المقيم على الذنب و هو مستغفر منه كالمستهزىء، ج ٢، ب التوبة، ح ١٠، ص ٤٣٥

٢ - تمام الحديث في الكافي بسنده الصحيح عن ابي عبيدة الحذاء قال: سمعت ابا جعفر - عليه السلام - يقول: ان الله تعالى اشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل اضلّ راحلته و زاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها. ج ٢، ب التوبة، ح ٨، ص ٤٣٥.

٣ - تمام الحديث في الكافي بسنده عن زرارة عن احدهما قال: ان الله تبارك و تعالى جميل لآدم في ذريته من همّ بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة و من همّ بحسنة و عملها كتبت له بها عشرأ و من همّ بسيئة و لم يعملها لم تكتب

وبعضها لبيان الامر بالجوارح وبقاع الارض ان تكتفي ما عليه من الذنوب و عرض النسيان^(١) للحفظه ما تكتب عليه

وبعضها واردة في تفسير بعض^(٢) آيات التوبة و عدة منها واردة لبيان مطالبات اخرى ذكرها تورث الاطالة و عليك بمراجعتها و كيف كان فقلّ منها تدلّ على الوجوب و لا بأس في خاتمة المقام به نقل بعض الاخبار التي واردة في بعض ما تنهاه عليك و بعض ما لم تنهه.

منها ما رواه الصدوق في اماليه مع ما فيه اشارة الى سعة عفو الله بسنده عن عبدالرحمن بن غنم الدوسي قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله

→ عليه [سيّئة] و من همّ بها و عملها كتبت عليه سيّئة ج ٢، ب من همّ بالحسنة، ح ١.

١ - تمام الحديث فيه بسنده الصحيح عن معاوية بن وهب قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام - يقول: اذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا و الآخرة فقلت: و كيف يستر عليه قال: ينسى ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، و يوحى الى جوارحه اكنمي عليه ذنوبه، و يوحى الى بقاع الارض اكنمي ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلحق الله حين يلتقاه و ليس شيء فيشهد عليه بشيء من الذنوب، ج ٢، ب التوبة، ح ١، ص ٤٣٠.

٢ - منها في الكافي بسنده الحسن كالصحيح عن ابي الصباح الكنائي قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا توبوا الى الله توبة نصوحاً﴾ قال: يتوب العبد من الذنب ثم لا يعمود فيه، ج ٢، ب التوبة، ح ٣، ص ٤٣٢.

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - باكياً فسلم فردّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ثم قال: ما يبكيك يا معاذ فقال: يا رسول الله انّ بالباب شاباً طرئ الجسد نقي اللون حسن الصورة يبكي على شبابه بكاء التكلّي على ولدها، يريد الدّخول عليك فقال النّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : ادخل على الشابّ يا معاذ، فادخله عليه فسلم فردّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ثم قال: ما يبكيك يا شابّ قال: كيف لا ابكي وقد ركبت ذنوباً ان اخذني الله عزّ وجلّ به بعضها ادخلني نار جهنّم، ولا اراني الا سيأخذني بها ولا يغفر لي ابدأ فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : هل اشركت بالله شيئاً قال: اعوذ بالله ان اشرك بربي شيئاً قال: اقتلت النفس التي حرّم الله قال: لا فقال النّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل الجبال الرواسي، قال الشابّ فأنها اعظم من الجبال الرواسي فقال النّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل الارضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق، قال: فأنها اعظم من الارضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق، فقال النّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل السموات ونجومها ومثل العرش والكرسى، قال: فأنها اعظم من ذلك، قال: فنظر النّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كهيئة الغضبان قال: ويحك يا شابّ ذنوبك اعظم ام ربك، فخرّ الشابّ لوجهه وهو يقول: «سبحان الله ربّي ما شيء اعظم من ربّي، ربّي اعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم».

فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : فهل يغفر الذنب العظيم إلا
 الرب العظيم، قال الشاب: لا والله يا رسول الله ثم سكت الشاب، فقال
 النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب
 واحد من ذنوبك، قال: بلى، أخبرك اني كنت انبش القبور سبع سنين
 اخرج الاموات وانزع الاكفان فماتت جارية من بعض بنات الانتصار فلما
 حملت الى قبرها ودفنت وانصرف عنها اهلها و جنّ عليهم الليل اتيت
 قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من اكفانها، وتركها
 متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً، فاتاني الشيطان فأقبل
 يزنيها لي ويقول: اما ترى بطنها وبياضها، اما ترى وركيها فلم يزل
 يقول لي هذا حتى رجعت عليها ولم املك نفسي حتى جامعها، ويتركها
 مكانها فاذا انا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم
 الدين يوم يقفني واياك، كما تركتني، عريانة في عساكر الموتى ونزعتني
 من حفرتي وسلبتني اكفاني وتركنتي، اقوم جنباً الى حسابي فويل
 لشبابك من النار، فما اظن اني اشم ريح الجنة ابداً فما ترى لي يا رسول الله
 فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : تنح عني يا فاسق اني اخاف
 ان احترق بنارك، فما اقربك من النار ثم لم يزل - صلى الله عليه وآله وسلم -
 يقول: ويشير اليه حتى امعن من بين يديه، فذهب فاتي المدينة
 فتزود منها، ثم اتى بعض جبالها فتعبد فيها ولبس مسحاً وغلّ يديه جميعاً
 الى عنقه، ونادى يا رب هذا عبدك يهلول بين يديك مغلول يا رب انت
 الذي تعرفني وزلّ مني ما تعلم سيدي، يا رب اني اصبحت من النادمين

و اتيت بنبيك تائباً فطرّدني و زادني خوفاً، فاسئلك باسمك و جلالك و عظمة سلطانك، ان لا تخيب رجائي سيدي و لا تبطل دعائي و لا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك اربعين يوماً و ليلة تبكى له السباع و الوحوش، فلما تمت له اربعون يوماً و ليلة، رفع يديه الى السماء و قال: اللهم ما فعلت في حاجتي ان كنت استجبت دعائي و غفرت خطيئتي، فاوح الى نبيك و ان لم تستجب لي دعائي و لم تغفر لي خطيئتي و اردت عقوبي، فعجل بنار تحرقني او عقوبة في الدنيا تهلكني، و خلّصني من فضيحة يوم القيمة، فانزل الله تبارك و تعالى على نبيه - صلى الله عليه و آله و سلم -، ﴿و الَّذِينَ اِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ^(١) يعني الزنا ﴿او ظَلَمُوا انْفُسَهُمْ﴾ يعني بارتكاب ذنب اعظم من الزنا و نبش القبر و اخذ الاكفان ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرُوا لَذُنُوبِهِمْ﴾ يقول: خافوا الله فعجلوا التوبة و من يغفر الذنوب الا الله يقول عزّ وجلّ اناك عبيدي يا محمد تائباً فطرّدته فاين يذهب و الى من يقصد و من يسئل ان يغفر له ذنباً غيري، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿و لم يَصْرُوا عَلٰى مَا فَعَلُوْهُ وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾، يقول: لم يقيموا على الزنا و نبش القبور و اخذ الاكفان، ﴿اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم و جنّات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و نعم اجر العاملين﴾، فلما

١ - تمام الآية: ﴿و الَّذِينَ اِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً او ظَلَمُوا انْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لَذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ اِلَّا اللَّهُ وَ لم يَصْرُوا عَلٰى مَا فَعَلُوْهُ وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾
 اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم و جنّات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
 و نعم اجر العاملين﴾ (آل عمران، ١٢٩، ١٣٠).

نزلت هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خرج و هو يتلوها و يتبسم فقال لأصحابه: من يدلني على ذلك الشاب الثائب، فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا، فضى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بأصحابه حتى انتهوا الى ذلك الجبل فصعدوا اليه يطلبون الشاب فاذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولته يداه الى عنقه، وقد اسود وجهه و تساقطت اشفار عينيه من البكاء، و هو يقول: يا سيدي قد احسنت خلقي و احسنت صورتي فليت شعري ماذا تريد بي افي النار تحرقني او في جوارك تسكنني، اللهم أنك قد اكثرت الاحسان الى و انعمت على فليت شعري ماذا يكون آخر امري، الى الجنة تزفني، ام الى النار تسوقني، اللهم ان خطيئتي اعظم من السموات و الارض و من كرسيك الواسع و عرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي ام تفضحني بها يوم القيمة، فلم يزل يقول نحو هذا و هو يبكي و يحشو التراب على رأسه، و قد احاطت به السباع و صفت فوقه الطير و هم يكون لبكائه، فدنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فاطلق يديه من عنقه و نفخ التراب عن رأسه و قال: يا بهلول، ابشر فانك عتيق الله من النار ثم قال - صلى الله عليه وآله وسلم - لأصحابه: «تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ابشر فانك عتيق من النار ثم تلا عليه ما انزل الله عز وجل فيه، و بشره بالجنة». ^(١)

ومنها في الوسائل بسنده عن فطر بن خليفة عن الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، سعدوا ابليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقال: نزلت هذه الآية فمن لها فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا فقال: لست لها ثم قام آخر فقال: مثل ذلك فقال: لست لها فقال الوسواس الخناس: أنا لها قال: بماذا قال: أعدهم وامنهم حتى يواقعوا الخطيئة فاذا وقعوا الخطيئة انسيهم الاستغفار فقال: انت لها فوكله بها الى يوم القيمة. (١)

ومنها، كلام امير المؤمنين - عليه السلام - ما روي في تحف العقول قال كميل بن زياد: سألت امير المؤمنين - عليه السلام - عن قواعد الاسلام ما هي فقال: قواعد الاسلام: فأولها العقل وعليه بني الصبر. والثاني صون العرض وصدق اللهجة. والثالثة تلاوة القرآن على جهته. والرابعة الحب في الله والبغض في الله. والخامسة حق آل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعرفة ولايتهم.

و السادسة حقّ الاخوان و المحاماة عليهم.

و السابعة مجاورة الناس بالحسنى.

قلت: يا امير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله فيه فما حدّ الاستغفار؟

قال: يا ابن زياد التوبة.

قلت: بس. قال: لا.

قلت: فكيف؟

قال: انّ العبد اذا اصاب ذنباً يقول: «استغفر الله بالتحريك».

قلت: و ما التحريك؟

قال: «الشفان و اللسان يريد ان يتبع ذلك بالحقيقة».

قلت: و ما الحقيقة؟

قال: «تصديق في القلب و اضمار ان لا يعود الى الذنب الذي استغفر منه».

قال: كميل فاذا فعلت ذلك فانا من المستغفرين قال: «لا».

قال كميل: فكيف ذاك؟

قال: «لأنك لم تبلغ الى الاصل بعد».

قال: كميل فاصل الاستغفار ما هو؟

قال: «الرجوع، الى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه و هي اول درجة

العابدين و ترك الذنب و الاستغفار اسم واقع لمعان ست:

اولها الندم على ما مضى. و الثاني العزم على ترك العود ابداً.

و الثالث ان تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك و بينهم.

والرابع ان تؤدّي حقّ الله في كلّ فرض.
والخامس ان تذيب اللحم الذي نبت على السّحت و الحرام حتّى يرجع
الجلد الى عظمه ثمّ تنشأ فيما بينها لحماً جديداً.
والسادس ان تذيب البدن الم الطّاعات كما اذقته لذات المعاصي»^(١).
ومنها في الوسائل بسنده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عن
آبائه - عليهم السّلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله و
سّلم - : «طوبى لمن وجد في صحيفه عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب
استغفر الله»^(٢)
ولا يخفى أنّ الامر بالتوبة في الرواية الاولى كانت بمرتبها العليا من التوبة
وفي الثالثة بين اقسامها من حيث الموارد واقصى مراتبها والباقي كما
ترى.

الثالث الاجماع

كما عن غير واحد مثل صاحب الذخيرة و شارح اصول الكافي بل ادعى
هو اجماع الامة كما يظهر ذلك من العلامة «ره» في شرح التجريد.

١ - كلامه - عليه السّلام - في قواعد الاسلام و حقيقة التوبة ، ص ١٩٢.

٢ - ج ١١ ، ب ٨٥ ، ح ١٤ ، ص ٣٥٥.

الزّابع العقل

ولاشبهة في حكمه بالوجوب كما قال افضل المحققين الحكيم الطوسي
 - قدّس سرّه - في تجريده: والتوبة واجبة لدفعها الضرر و لوجوب التّدم
 على كلّ قبيح او اخلال بالواجب.

المبحث الثاني

في حقيقة التوبة

وهي لغة بمعنى الرجوع، قال الشيخ الطريحي «ره» في مجمع البحرين، في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾، التَّوَابَ اللَّهُ تعالى يتوب على عباده و اللَّفْظَةُ من صيغ المبالغة أي رجَّاع عليهم بالمغفرة يق تاب الله عليه غفر له، وانقذه من المعاصي، والتَّوَابَ من النَّاسِ التائب الرَّاجِع إلى الله تعالى من تاب من ذنبه يتوب توبة و توباً أقْلَع منه انتهى.^(١)

فالتَّوْبَةُ من الله تعالى هي الرجوع من العقاب إلى الغفران، والتَّوْبَةُ من العبد هي الرجوع من العصيان إلى الطاعة، وبعبارة أخرى هي الرجوع من خذلانه إلى رحمته تعالى، والظاهر أنها في الاصطلاح باقية على معناها اللغوي ولم تنقل عنه، كما سنبيِّن لك من مطاوي بحثنا ولا يتحقق ذلك الرجوع إلا بعد تحقق المعرفة بأن العصيان والانحراف عن سبيل

الحق من السمومات المهلكة ومورثة الى الخسران والدركات الاخرية بحسب مرتبة الانحراف والانزال عن سبيل، الحق فمن اجل تلك المعرفة بحسب مرتبتها يتحقق له الندم كذلك عما انحرف عنه في الزمان الماضي و يلزم ذلك الندم العزم على عدم عوده في الاستقبال فحقيقتها الندم الملازم مع العزم على عدم العود ولكن كثيراً ما يطلق التوبة على الندم وحده، كما جاء في المروي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الندم توبة، وروايات صحيحة وغيرها كثيرة بهذا المضمون، وسيأتي ذكرها، وليس ذلك الا من باب الغض عما يلزم الشيء بعد تحققه، كما قال العلامة «ره» في شرح التجريد: التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصيةً والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لان ترك العزم يكشف عن نفي الندم،^(١) وكيف كان فلا يعتبر فيها العزم على عدم العود بمعنى الوثوق والاطمينان بحصول ما عزم عليه اذ لا دليل عليه مع أنه يستلزم عدم تحققها ممن لا يثق بنفسه في مورد الابتلاء كسيء الخلق الذي لا يثق بنفسه ولا يأمن منها اذا وقع في مكروه مكرراً من شتم ونحوه وكذلك الجبان الذي وقع في معركة الحرب لا يأمن من عدم فراره عن الزحف ونحو ذلك فبقي اطلاق قوله - عليه السلام - كفى بالندم^(٢) توبة على حاله و

١- ص ٢٦٣.

٢- تمام الحديث في الكافي، ج ٢، بسنده الصحيح عن علي الاحمسي عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: والله ما ينجو من الذنب الا من اقر به، قال: وقال

كذا قوله - عليه السلام - ان كان الندم على الذنب توبة فاني وعزتك من التادمين^(١)، واما العزم الذي اعتبرنا فيها آنفاً ففاده تحقق ارادة التائب بعدم عوده في الاستقبال، فهو مما لا ينفك عن الندم.

وقال المفيد «ره» في اوائل المقالات: اقول: ان حقيقة التوبة هو الندم على مافات على وجه التوبة الى الله عز وجل وشرطها هو العزم على ترك المعاودة الى مثل ذلك الذنب في جميع^(٢) حيوته فمن لم يجمع في توبته من ذنبه ما ذكرناه فليس بتائب وان ترك فعل امثال ما سلف منه من معاصي الله عز وجل وهذا مذهب جمهور اهل العدل ولست اعرف فيه لمتكلمي

→ ابو جعفر - عليه السلام - : كفى بالندم توبة، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها، ح ١، ص ٤٢٦.

ومن هذا النبيل ما في الوسائل بسنده عن ايان بن تغلب قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: ما من عبد اذنب ذنباً فندم عليه الا غفر الله له قبل ان يستغفر ما من عبد انعم الله عليه نعمه فعرف انها من عند الله الا غفر الله له قبل ان يحمد، ج ١١، ب ٨٢، ح ٤، ص ٣٤٩، وبهذه المضامين قد ورد في هذا الباب روايات اخرى.

١ - في مناجات الاولى من الادعية الخمسة عشر المنسوبة الى مولانا علي بن الحسين - عليها السلام - .

٢ - كما ورد اعتبار ذلك بذلك المعنى في بعض الروايات مثل ما رواه في معاني الاخبار، وقد روي ان توبة النصوح هو ان يتوب الرجل من ذنب و ينوى ان لا يعود اليه ابداً، ب معنى التوبة النصوح، ص ١٧٤.

الامامية ما احكيه و عبدالسلام الجبائي و من اتبعه يخالفون فيه انتهى كلامه رفع مقامه^(١).

و الظاهر من كلامه هو جعل العزم من شرط الندم و كأنه اراد به ان شرط تحقق الندم هو العزم على عدم العود و هو المساوق لما ذكرناه و ان اراد - قدس سره - غيره فعليه اقامة الدليل و كيف كان فهل يعتبر فيها الاستغفار بمعنى نوع من الطلب الانشائي فإنه قد احتمل بعض المحققين كالشيخنا الانصاري «ره» بل صرح بعض آخر بلزومه نظراً الى بعض اخبار الباب و اوردنا تلك الاخبار في ذيل الصحيفة^(٢) و لكن بعد

١ - ص ١٠٤.

٢ - منها ما في الكافي، ج ٢، بسنده عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام - قال: لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار. باب الاصرار على الذنب، ح ١، ص ٢٨٨.

و منها ما فيه ايضا عن عدة من اصحابنا رفعوه قالوا، قال: لكل شيء دواء و دواء الذنوب الاستغفار. باب الاستغفار من الذنب، ج ٢، ح ٨، ص ٤٣٩.

و منها قوله - عليه السلام - ما اصر من استغفر، هذه الرواية نقل الشيخ الانصاري «ره» في رسالته في العدالة، و استدلل بها على تقوية احتمال اعتبار الاستغفار في حقيقة التوبة و لكن غير سديد اذ لعل المراد من الاستغفار المذكور في هذه الروايات هو الاستغفار الحقيقي اعني التوبة و لم يكن الغرض اعتبار لفظه في حقيقة التوبة و يشهد على ذلك بعض الاخبار الاخر اعني الاخبار الكثيرة التي تدل على تأخير كتابة الذنوب الى سبع ساعات و نحوها حتى

الرجوع إليها. يظهر لك أن اعتباره محل تأمل - نعم إن كان الاستغفار بمعنى

→ صدر عن صاحب المعصية الاستغفار أعني التوبة والآكبت عليه.

منها ما في الكافي بسنده عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله - عليه السلام - يقول: «إن العبد إذا اذنب ذنباً أجلاً من غدوه إلى الليل فإن استغفر الله لم يكتب عليه». باب الاستغفار من الذنب، ج ٢، ح ١، ص ٤٣٧.

و منها فيه بسنده الصحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: من عمل سيئة أجلاً فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاث مرّات لم تكتب عليه. ج ٢، ب الاستغفار من الذنب، ح ٢، ص ٤٣٧. ومثلها الحديث الخامس الصحيح من هذا الباب فلا بدّ من ضمّ جملة صيغة الاستغفار إذا كانت مع قصد التّدوم ولكن يمكن كون الصحيحتين في مقام بيان فرد الكامل من التّوبة بقرينة سائر أخبار الباب كما عرفت بعضها آنفاً. فإنّ أمثال هذه الروايات تحمل على الاستغفار مع شرائطه أعني التّوبة الحقيقية و يؤيد بل يدلّ على ذلك رواية حفص وهي ما فيه أيضاً بسنده عن حفص قال: سمعت أبا عبد الله - عليه السلام - يقول: ما من مؤمن يذنب ذنباً إلّا أجّله الله عزّ وجلّ سبع ساعات من النهار فإن هو تاب لم يكتب عليه شيء، وإن هو لم يفعل كتب [الله] عليه سيئة فاتاه عبّاد البصري فقال له: بلغنا أنّك قلت: ما من عبد يذنب ذنباً إلّا أجّله الله عزّ وجلّ سبع ساعات من النهار فقال: ليس هكذا قلت: و لكنّي قلت: ما من مؤمن وكذلك كان قولي. ج ٢، باب الاستغفار من الذنب، ح ٩، ص ٤٣٩.

و بالجملة المظنون أنّ الاستغفار في جميع هذه الأخبار يحمل على نفس التّوبة و غير مربوطة باعتبار لفظه فيها و الله العالم.

شوق المغفرة وحبها فهو مما يلزم الندم ولكن ليس به بعيد اعتبار ذلك نظراً إلى رواية كميل بن زياد المتقدمة أعني قوله يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حد الاستغفار قال: يا بن زياد التوبة قلت: بس، قال: لا، قلت: فكيف، قال: إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول: استغفر الله بالتحريك قلت: وما التحريك قال: الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة قلت: وما الحقيقة قال: تصديق في القلب واضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه الخبر^(١).

ففي هذا الخبر قد شدد التوبة بالاستغفار المقرون باذعان القلب مع العزم على عدم العود فعلى هذا يلزم اعتباره فيها لو كانت الرواية من حيث السند سليمة ويمكن استفادة اللزوم من مجموع بعض اطلاقات اخبار الباب، ولحن المسترعة ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه السيد الطباطبائي - قدس سره - في عروة الوثقى في احكام الاموات، قال: اعلم ان اهم الامور ووجب الواجبات التوبة من المعاصي وحققتها الندم وهو من الامور القلبية ولا يكفي مجرد قوله، استغفر الله، بل لاجابة اليه مع الندم القلبي وان كان احوط ويعتبر فيها العزم على ترك العود اليها والمرتبة الكاملة منها ما ذكره أمير المؤمنين - عليه السلام - ، انتهى،^(٢) ولم يعلق عليها من المراجع تعليقة وان فتاوايهم وافقوه على

١ - كلامه في قواعد الاسلام و حقيقة التوبة ص ١٩٢

ما ظفرنا إليها والله العالم.

ثم أنه يظهر المغايرة من عطف التوبة على الاستغفار في كثير من الآيات و الاخبار و الاذكار مثل قوله تعالى: ﴿و ان استغفروا^(١) ربكم ثم توبوا اليه﴾، وقوله - عليه السلام - في ذيل حديث^(٢) فقال: كلما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبة عاد الله عليه بالمغفرة و ان الله غفورٌ رحيم، و ما هو الوارد في الصلوات و الادعية مكرراً كثيراً و هو «استغفر الله ربّي و اتوب اليه»، و يمكن حمل الاستغفار في تلك الموارد على الارشاد بالتوجه الى الله تعالى و الالحاح اليه مقدّمة للتوبة لطلب العفو في مورد التوبة و الرجوع اليه.

١ - هود، ٣.

٢ - كافي، ج ٢، باب التوبة، ح ٦، ص ٤٣٤.

تمام الحديث: فيه بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال: يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة و المغفرة اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قلت: فان عاد بعد التوبة و الاستغفار من الذنوب و عاد في التوبة فقال: يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت: فانه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب و يستغفر [الله] فقال: كلما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبة عاد الله عليه بالمغفرة و ان الله غفورٌ رحيم يقبل التوبة و يعفو عن السيئات فايّاك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله.

المبحث الثالث

في وجوبها

المبحث الثالث في ان وجوبها المستفاد من الاوامر في الكتاب والسنة هل تكون شرعية محضة كسائر الواجبات الشرعية بمعنى ان تركها مورثة للعقاب بل لو كان فورياً لزم تعدد العقاب كما عن الشيخ البهائي «ره» اسناداً الى المعتزلة حيث قال: واما فورية الوجوب فقد صرح بها المعتزلة فقالوا يلزم بتأخيرها ساعة اثم آخر يجب التوبة منه ايضاً حتى ان من آخر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فعل كبيرتين وساعتين اربع كبائر الاولتان وترك التوبة عن كلّ منها و ثلاث ساعات ثمان كبائر وهكذا واصحابنا يوافقونهم على الفورية لكنهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رايته من كتبهم الكلامية، انتهى.^(١)

والمعلوم انه لاشبهة في تعدد العقاب مع القول بالفورية فانه يلزمها» او تكون وجوبها ارشادية محضة قولان: فقد ذهب جملة من الاصحاب الى الاول كما هو صريح بعض المحققين الخوئي - قدس سره - في

رسالته «منهاج الصالحين» مسئلة ١٢٧٥ في العبادات «فأنها من الواجب وتركها كبيرة موبقة.

والحق هو الثاني كما ذهب إليه شيخنا الانصاري «ره» والسيد الحكيم «ره» في المستمسك بمعنى أنه لا يترتب على تركها إلا ما يترتب على نفس المعاصي من العقوبة ولا على موافقتها مثوبة، سوى ما يترتب على المعاصي من جهة رفع العقاب، كما هو الشأن في جميع الاوامر الارشادية، وكان الامر بها كامر الطبيب بالدواء والغذاء المخصوص فإنه لم يترتب على مخالفته، سوى المفسدة المترتبة على ترك المعالجة وليس الامر بها من قبيل الاوامر التعبدية صدرت من السيد، لالغاء العبد حتى يترتب على موافقة نفس الامر مثوبة اذ المفروض ان المأمور به ليس في نفسه مصلحة وهكذا في المخالفة ولعل هذا واضح والدليل على ما ادعينا ان العقل لما حكم بوجوبها مستقلاً كما عرفت ذلك آنفاً من قول المحقق الطوسي «ره» «من أنها واجبة لدفعها الضرر....» فحكم الشارع بوجوبها لا بد وان يكون ارشاداً الى حكم العقل وايضاً لو كان الامر بها مولوياً لزم ان ينتهي معصية واحدة الى معاص غير عديدة وذلك باطل قطعاً بيان ذلك ان المعصية يجب التوبة لها فتركها معصية ثانية فيجب التوبة لذلك فتركها معصية ثالثة فيجب التوبة عنها وهكذا.

وهكذا نظير ذلك ما قرر في وجوب الاطاعة بطريق آخر اذا كان الامر بها مولوياً و صرف النظر عن ذلك كله لا يصح قطعاً ان نحكم بان فاعل الكبائر بل الصغائر الغير المكفرة عوقب في الآخرة بعدد كل معصية

عقابين احدهما لنفس المعصية و ثانيها لترك التوبة لها فبالقطع ان كل معصية صدرت عن فاعلها لا يجزي في الآخرة الا عقاباً واحداً و يشهد على ذلك بل يدل اطلاق آية، من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثلها،^(١) على ان السيئة مطلقاً لا تجزي الا مثلها مطلقاً فاستكشف من وحدة الجزاء ان السيئة الواحدة لم تزد على وحدتها شيئاً و لو ترك التوبة عنها و جملة من الاخبار الواردة في سبب تأخير التوبة الى سبع ساعات و في غيره من الابواب المستفرقة بسائه لا يكتب لفاعلها الا سيئة واحدة فتلك الاخبار تدل باطلاقها على ما نحن بصدد.

منها ما رواه في الكافي بسنده عن ابي عبد الصمد بشير عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: العبد المؤمن اذا اذنب ذنباً اجله الله سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتب عليه شيء و ان مضت الساعات و لم يستغفر كتبت عليه سيئة و ان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له و ان الكافر لينساه من ساعته^(٢).

ومنها رواية حفص المتقدمة التي نقلناها في ذيل الصحيفة^(٣) دالة على ذلك و بالجملة ان الروايتين و نحوها دلّت على ان تارك التوبة بعد سبع

١ - الانعام، ١٦١.

٢ - ب الاستغفار من الذنب، ج ٢، ح ٣، ص ٤٣٧.

٣ - في ذيل الصحيفة، ٧٦.

ساعات لا يترتب على هذا الترك سوى ما يترتب على السيئة وإذا كتبت على فاعلها سيئة ولا يكتب زائداً عليها بل على أنه لو صدر عنه التوبة لم يكتب عليه شيء أعني ترفع أثر المعصية فقط من غير مثوبة وبعبارة واضحة دلّت تلك الفقرة من الروايتين باطلاقها على أنّ التائب لم يكتب عليه شيء لا عقوبة ولا مثوبة بناءً على كونها في مقام البيان من هذه الجهة وتلك الفقرة بهذه العبارة قد كرّرت صريحاً في أكثر أخبار هذا الباب بل في غير هذا الباب وبهذه المفاد قد كررت في بعض أخبار سائر الأبواب الآخر فعليك بالمراجعة وتمعن النظر فيها وبالجملة لو كان امتثال امر التوبة أو مخالفته مورثاً لمثوبة أو لعقوبة لينبغي ذكرها في شيء من تلك الأخبار فترك التوبة ليس من المعاصي فضلاً عن أن ينقسم إلى الصغيرة والكبيرة نعم ترك التوبة للكبيرة قد يصل من حيث المفسدة إلى حدّ الكبيرة بل يمكن أن ينتهي إلى مفسد عظيمة وقد لا يصل إلى حدّ الكبيرة فضلاً إلى المفسد العظيمة خلافاً للمحقق الخوئي «ره» في بعض تقريراته^(١) قال: ومن الظاهر أن ذلك لا يأتي في التوبة لأنها امر مستقل غير الاتيان بالواجبات وترك المحرمات أو عصيانها وللامر بها أثر وهو استحقاق العقاب بمخالفته وتركه التوبة بحيث لو ترك الواجب وترك التوبة عنه عوقب عقوبتين فتكون التوبة واجبة شرعاً ولا محذور فيه فالتوبة مأمور بها بالامر المولوي ومتصفّة بالوجوب شرعاً كما أنّها

واجبة عقلاً ولا مانع من ان يكون شيء واحد واجباً عقلاً وشرعاً كالظلم وهو قبيح عقلاً ومحرم شرعاً انتهى موضع الحاجة.
اقول: لا يخلو كلامه من الخدشة من وجوه:

الاول أنه على حسب زعمه ان تارك التوبة كان له عقوبتين ما ادري ما الفرق بين ترك التوبة في الساعة الاولى والساعة الثانية وهكذا مادام لم يلزم التسلسل والكلام فيها هي الكلام في الساعة الاولى ولا وجه للتفصيل بينها لا من العقل ولا من الشرع لا من ناحية الدليل ولا من من ناحية اصول العملية الا في مورد لزوم التسلسل وحينئذ وجهه ظاهر.

الثاني ان اطلاق الادلة كما اشرنا اليه بل خصوص اطلاق ﴿و من جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثلها﴾ كاف للحكم بالعقاب الواحد وذلك كاشف من ان ترك التوبة ليس بسيئة.

الثالث ان قوله «ره» من ان عدم المانع من ان يكون شيئاً واحداً واجباً عقلاً و شرعاً كالظلم لا يورث تعدد العقابين حيث ان العقل لا يرى غير المفسدة القطعية في مورد ولا يكون له حق للحكم فيه بالعقاب لعدم مولويته، والشارع لاجل تلك المفسدة او لغيرها له حق للحكم به ترتب العقوبة عليه لمولويته وقد بينا ان الشارع قد حكم من اجل ناحية اطلاق الادلة بالعقاب الواحد في خصوص نفس السيئة فقط ولا لاجل ترك التوبة عنها.

الرابع ان بعد حكم العقل بلزوم التوبة لا اثر لحكم الشارع بها و صرف

نفس المخالفة في الأوامر والنواهي كافية للحكم بالعقاب.
 الخامس أن نفس المخالفة للحكم بالعقاب في المقام كان في مرتبة سابقة
 للتوبة وهي كافية للعقاب كما قال بذلك - قدس سره - في الطاعة و
 حكم العقل بدفع الضرر كان سابقاً على الحكم الشارع الذي يحصل
 بالتوبة فامر الشارع بها صار بلا اثر فافهم وتدبر.

تنبيه وإزالة

قد نقلنا آنفاً عن المحقق الخوئي - قدس سره - القول الأول بأن ترك
 التوبة كبيرة موبقة ولكن قد وقفنا على بعض تقريراته (مستند العروة
 الوثقى كتاب الصوم) وأنه - قدس سره - وافقنا في المختار وإن عبر بنحو
 ما مرّ قال في مسئلة عدم وجوب المبادرة في كفارة الصوم ما لفظه (وربما
 تحتمل الفورية نظراً إلى أنها كفارة للذنوب رافعة له فحكمها حكم التوبة
 التي تجب المبادرة إليها عقلاً لمبغوضية البقاء على الذنب كحدوثه بمناط
 واحد ثم قال في الجواب عن هذا الاحتمال بعد الجواب عن عدم جواز
 التهاون في الواجبات، الغير الموقّنة ما لفظه (وأما ما ذكر وجهاً للفورية
 من أن البقاء على الذنب كحدوثه فهو أنما يستقيم في مثل التوبة فإن العزم
 على المعصية بل التردد فيها مبغوض ولا بدّ للمؤمن من أن يكون بانياً
 على عدم العصيان فلو ارتكب فلا بدّ من التوبة أي الندم على ما فعل و
 العزم على أن لا يفعل وهذا كلّ واجب دائماً لكونه من لوازم الإيمان ومن
 شئون الطاعة والعبودية والآكان متجربياً ولاجله كان وجوب التوبة

فورياً» انتهى. (١)

و من تأمل في هذا الكلام يظهر له ان المراد من الوجوب هو الوجوب العقلي وان يأباه ظاهر كلامه لما نقلنا عنه آنفاً في الجملة و للمسئلة السابقة و لذا اشكل عليه بعض تلامذته عند شرح تلك المسئلة في (مباني منهاج الصالحين) ما لفظه قد ذكرنا في رسالة التوبة ان الامر بالتوبة ارشادي و ليس مولوياً و على القول بالمولوية يلزم التسلسل لولم يتب العاصي من معصيته اذ لولم يتب يتحقق عصيان آخر و التوبة منه و هكذا و هل يمكن الالتزام بهذا اللازم، انتهى. (٢)

ان قلت: قد ظهر من بعض الايات و الاخبار و الادعية تقدم بعضها ان التائب لاجل التوبة يصير مورداً لمحبة الله و يصير ذي الدرجة العلية بل يصير ذي ثبوتات بناءً على تقوية هذا القول و ذلك لا تكون الا لاجل ما اتى به انه مطلوب لله تعالى و لذا صار متقرباً اليه.

قلت: لاشبهة في انه اتى بما هو ممدوح عقلاً و شرعاً و يصح ان يتحقق قصد القربة في الاوامر الارشادية ايضاً بل منشأ انشاء القربة في هذه الاوامر كان اقوى من غيرها لان الملاك في صحة قصد القربة ان يتشخص المتقرب ان هذا الفعل كان مطلوباً لله تعالى و لو احتيلاً كما قررنا شبه ذلك في البحث عن مقدمة الواجب فانها على مسلكنا غير واجبة شرعاً بل وجوبها عقلية صرفة و لكن المثوبة عليها كانت من واد

آخر. وفيما نحن فيه قد تشخّص قطعاً بأنّها مطلوبة للمولى جلّ شأنه عقلاً وشرعاً واما صيرورته مورداً لمحبة الله كان لاجل ما عمله كان مطلوباً للمولى ولو لم يأمر بها بامر المولوي واما المثوبات المترتبة عليها كانت لاجل سعة رحمة الله الواسعة كما عرفت ويمكن كما مرّ الاشارة اليه ان تكون لاجل تحصيل المعرفة و توطين نفسه لترك المخالفة و تهيؤه للاطاعة لانه لو لم يصعد العبد الى مرتبة من مراتب نفس العلية ولم يرقعها لم يمكن عنه صدور التوبة فيصحّ ترتب المثوبة للتوطين و هو امر شاقّ عظيم و كيف كان فالمسئلة لا يخلو عن دقّة.

المبحث الرابع في عموم وجوبها

المبحث الرابع في عموم وجوبها بالنسبة الى الاشخاص وانه هل يكون بالنسبة الى المعاصي مطلقاً صغيرة كان او كبيرة ام لا وجوه: فقد ذهب الى الاول المحقق الجامع السيد عبدالله الشبر^(١) «ره» في مجلد الثاني من الحق^(٢) اليقين واستدل بعموم الآية ما هذا لفظه «اعلم ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة، كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا^(٣) الى الله جميعاً﴾، فعمم الخطاب وكل انسان لا يخلو عن معصية الا ان الانبياء والاولياء ذنوبهم ليست كذنوبنا، وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات ولذا ورد ان حسنات الابرار سيئات المقربين، انتهى محل الحاجة، فان السيد^(٤) «ره» قد جزم الحكم بالوجوب، لعموم الآية خصوصاً مؤكداً بقوله ﴿جميعاً﴾ وفيه اما اولاً فانه يحتمل بل

١- مبحث التوبة في الفصل الرابع، ص ١٦٧

٢- النور، ٣١

قويًا كما مرَّ سابقاً في البحث^(١) الأوّل من مباحث الباب في تفسير هذه الآية بأنّ (توبوا) اي اتبعوا سبيله وبعبارة اخرى وانتهوا مانهيتهم وامتثلوا ما امرتم به، بقرينة سياق آيات السابقة لها كما ذهب الى ذلك جزءاً بعض المحققين من المفسرين فعلى هذا أنّها غير مربوطة بمسئلة التوبة ولكن يليق بالمقام بمناسبة الحكم والموضوع أنّ السيّد «ره» قد اخرج الانبياء والمعصومين والتاركين عن الكبائر عن عموم الآية واختص عموميتها بما سواهم ان كانت الآية في مقام بيان التوبة المصطلحة ولكن قد عرفت الخدشة فيه فافهم واغتنم.

وثانياً سلّمنا لكن من المقطوع ان ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات لايجب التوبة عنه قطعاً اذ من الواضح ان ترك الذكر والاشتغال بالمباحات ليس منهيّاً حتّى بالنهى التنزيهى فلا يعقل الحكم بوجوب تركه والرجوع عنه بل من الاعاجب ادخال ترك دوام الذكر في جملة المعاصي وشمول عموم قوله تعالى ﴿.....﴾ وتوبوا الى الله جميعاً، له ولهم صلوات الله عليهم اجمعين فلا تغفل وما ورد من أنّ حسنات الابرار سيئات المقرّبين معناها أنّ المقرّبين من حيث نيلهم الى مرتبة العالية من المعرفة والكمالات تعدّ حسنات الابرار سيئاتهم اعني أنّهم لا يقنعون في الاطاعة بمثل حسناتهم فإنّها لا يليق بمقامهم لان الحسنات بواسطة معرفتهم صارت السيئة لهم فحينئذٍ أنّهم لا يخلون عن المعصية فيجب

عليهم التوبة و سيأتي البحث ان شاء الله تعالى في معنى اعترافهم بالذنوب واستغفاراتهم، صلوات الله عليهم.

وثالثاً سلمنا لكن عرفت في المبحث السابق ان وجوب التوبة عقلي ولا يحكم العقل بوجوبه الا لدفع الضرر الذي حصل من فعل قبيح او اخلال بواجب و من المعلوم ان ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات لا يوجب ضرراً فلا يحكم العقل بدفعه لانتفاء موضوعه.

ورابعاً ان مختار السيد «ره» هيئنا منافياً لما اختاره في الفصل الثاني المتقدم من هذا المبحث في وجوب التوبة وهو ما لفظه.

اقول: الاظهر انها انما تجب لما لم يكفر من الذنوب الكبائر والصغائر التي اصر عليها لكونها ملحقة بالكبائر فاما مع اجتناب الكبائر فهي مكفرة اذا لم يصر عليها لا تحتاج الى التوبة، انتهى، و عليك بالتدبر فيها حتى تنتهي الى تنافيهما وقد ذهب الشيخ الانصاري «ره» الى الثاني اعني وجوب التوبة عن عموم المعاصي كبيرة كان او صغيرة واستدل باطلاق هذه الآية و باطلاق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا توبوا الى الله توبة نصوحاً﴾^(١) عسى ان يكفر عنكم سيئاتكم.

اقول: ففيه اما اولاً فان الآية الاولى فقد عرفت انها غير مربوط بمسئلة التوبة فلا يصح الاستدلال بها لاصل الحكم فضلاً عن عمومها و اما الآية الثانية فهي و ان كانت ظاهرة في التوبة المصطلحة و لكن اطلاقها غير

شاملة للصغيرة التي قد كُفرت باجتناب الكبيرة لأنه بقرنية التعليل بقوله ﴿عسى أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾ كانت الآية في مقام تكفير السيئات ووجب التوبة لذلك فشمولها للصغيرة الكذائي بمنزلة وجوب الحكم الفعلي بدون الموضوع، وبعبارة أخرى أن إيجاب التوبة كان لاجل تحصيل التكفير، وفي المورد أنه حاصل فشمول الآية لمورد تحصيل الحاصل غير صحيح، نعم إطلاق الآية شاملة للصغيرة التي لم تكفر أعني الصغيرة التي لم تجنب فاعلها عن الكبيرة، فإن التوبة لهذه الصغيرة لازمة قطعاً لأنها لم تكفر.

وإذاً ثانياً سلمنا لكن قد عرفت أنفاً أن وجوبها عقلية محضة ولا يحكم العقل بوجوبها إلا عند وجود الضرر وفي مورد المفروض قد انتفى الضرر بحكم قوله تعالى: ﴿أن تجتنبوا كبائر ما تنهون﴾ فكفر عنكم سيئاتكم^(١) ومن الأسف أن الشيخ «ره» كان من جملة القائلين بذلك المسلك كما عرفت. فالتحقيق أن الحكم بعموم لزوم التوبة من حيث الأشخاص ومن حيث المعاصي مطلقاً غير صحيح سوى ما ذكرناه آنفاً فافهم واغتنم.

تنمة

ان قلت: إن الآيات التي دالة باطلاقها على المقصود مطلقاً غير منحصرة بما ذكر بل كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وإن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه

يَمْتَعِكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴿١﴾، وقوله تعالى، ناقلاً عن هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ (٢)، وقوله تعالى، ناقلاً عن صالح: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٤) نقلاً عن شعيب - عليه السلام - فهذه الايات باطلاقها دالة على المقصود مطلقاً. قلت: ان ما هو الظاهر عن التوبة في هذه الايات بقرينة آيات السابقة (٥)

١- هود، ٣٠ ٢- هود، ٥٢

٣- هود، ٦١ ٤- هود، ٩٠

٥- اما آيات السابقة لآية الاولى قوله تعالى: ﴿الرَّكَابُ أَحَكَّتْ آيَاتُهُ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ، وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا إِلَّايَةَ، وَآمَّا الْآيَةَ الثَّانِيَةَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالِى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ، يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ الْآ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ، وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا﴾ الْآيَةَ، وَآمَّا الْجُمْلَةَ الْمُعْطَوْفَةَ عَلَيْهَا بِلِ مُتَفَرِّعَةٍ عَلَيْهَا فِي الْآيَةِ الثَّالِثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالِى ثُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ الْآيَةَ، وَآمَّا الْآيَةَ السَّابِقَةَ لآيَةِ الرَّابِعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا فِى أَمْرٍ نَأْتِيهِ بِمُخَالَفَةٍ، أَنْتَ لَنَا نَشَأٌ أَنْتَ لَنَا الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي إِنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٩) ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا...﴾

لها أو الجملة المعطوفة عليها هي التوبة عن عبادة غير الله تعالى، أعني النهي عن اعتقاد بان ما كان مستحقاً للعبودية هو غير الله تبارك و تعالى، فالمراد عن التوبة فيها هي التوبة عن الكفر، فغير مربوطة بمسئلة التوبة عن معاصي الغير الاعتقادية، حتى يمكن الاخذ باطلاقها.

وأما الاخبار الواردة في الباب فقد تقدم^(١) أنها وإن كانت فوق الاستفاضة بل متواترة ولكن أغلبها واردة في غير مسئلة حكم التوبة بل واردة في مطالبات أخرى أعني في ذكر الفوائد المترتبة عليها وقلّ منها متعرّض لحكمها^(٢) كما نقلنا ما كان منها متعرّضة له و ما منها على الوجوب وإن كانت مطلقة بل عامة بالنسبة إلى الأشخاص، لكن أنها بقرينة بعض التعبيرات الواردة في بعضها وكون ذلك البعض واقعة لبيان المراد لبعض الآخر دالة على أن المراد عنها هي التوبة عن الذنوب المحرّمة فقط، فلا تشمل الانبياء والأوصياء كما زعم السيد الشبر «ره» وأما

١ - في الصحيفة. ٦٦.

٢ - ومن الاخبار التي دلّت صريحاً على لزوم التوبة عن جميع الذنوب ما في الوسائل عن مهج الدعوات عن الرضا - عليه السلام - عن ابائه - عليهم السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: اعترفوا بنعم الله ربكم و توبوا إلى الله من جميع ذنوبكم فإن الله يحبّ الشاكرين من عباده (ج ١١، باب ٨٦، ح ١٦) وفيه أما أولاً فيمكن أن يكون المراد بالذنوب هي التي لا تكون مكفّرة، و ثانياً يظهر من لحنها كانت في مقام بيان حكم الارشادي خصوصاً بقرينة جملة المتقدمة عليها.

اطلاقها الشاملة للذنوب مطلقاً و ان كان كذلك لكن قد تقدم آنفاً ان
 الاوامر الواردة في هذه المسئلة كلها ارشادية محضة، ولا تكون مولوية بل
 المحاكم بالوجوب هو العقل، وهو لا يحكم مع المئمن من الضرر في
 الصغيرة اذا اجتنب فاعلها عن الكبائر، فالمئمن موجودة وهو قوله
 تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الآية، ففي ذلك
 المورد لاحكم للعقل وهو واضح، هذا كله اذا قلنا ان حرمة المعصية
 فطري اعني بملاك دفع الضرر، و اما اذا قلنا ان حرمتها عقلي، بناءً على
 الحسن و القبح العقليين، اعني بملاك شكر المنعم، لزم التوبة عن الصغيرة
 ايضاً لوجود الملاك في الصغيرة، مع كونها مكفرة، و مع ذلك كله ان
 الوجوب عقلي لا يترتب على نفس مخالفته عقوبة.

المبحث الخامس

في تجزيتها و تبعيضها

فقد اختلف بين المتكلمين ان التوبة هل تتبعض ام لا. قولان: قد ذهب الى الاول، بعض المحققين كالمحقق الطوسي - قدس سره - في التجريد والمحقق الجامع السيد عبد الله الشبر «ره» في الحق اليقين والى الثاني بعض شيوخ المعتزلة كما قال العلامة «ره» في شرح التجريد: اختلف الشيوخ المعتزلة هنا فذهب ابو هاشم الى ان الندم لا يصح من قبيح دون قبيح و ذهب ابو علي الى جواز ذلك والمصنف «ره» استدلل على مذهب ابي هاشم باننا قد بينا انه يجب ان يندم على القبيح لقبحه ولولا ذلك لم تكن مقبولة على ما تقدم والقبح حاصل في الجميع فلو تاب من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه تائباً عنه لالقبحه بل لامر آخر يوجد في ذلك دون هذا انتهى^(١).

وفيه ان القبح وان كان امراً مشتركاً في جميع امور قبيحه ولكن قبح كل

أمرٍ بحسب الحقيقة ممتازٌ عن الآخر و يجوز الندم من ذلك الأمر لقبحه دون الآخر.

فالحق هو القول الأوّل اذ كثيراً ما يوجد الدّاعي على ترك بعض الأمور القبيحة دون بعض الآخر و ذلك أمّا لاجل عظمة عقوبة ذلك الأمر القبيح و أمّا لشدة شناعته عند العقلاء و أمّا لاجل قوّة نفس الثّائب على ترك ذلك الأمر بخصوصه لعدم قوّة شوقه الى فعله دون الآخر و نحو ذلك و بعبارة اخرى أنّه كما ان صدور الافعال تابعة لوجود الدّواعي و تختلف الدّواعي قوّةً و ضعفاً بالنسبة الى الافعال و ما لم يصل الدّاعي للفعل بمرتبة الشّوق المؤكّد لم يقع ذلك الفعل في الخارج فكذلك ان ترك الافعال تابعة للصّوارف و تختلف الصّوارف شدّةً و ضعفاً بالنسبة الى التّروك و مادام لم يصل الصّارف عن الفعل بمرتبة العزم لم يحصل للمكلف ترك هذا الفعل فقد حصل الصّارف الجدي للمكلف في بعض القبائح لشدة قبحه او لسهولة تركه عليه دون بعض الآخر و بالجملة ان القبائح مشتركة في القبح و لكن غير مشتركة في الصّارف فقد يجد الصّارف في بعض دون بعض فعلى هذا يجد الندم على بعض القبائح دون الآخر و الحاصل انّ التّجزية بحسب دقّة العقلي بل على فهم العرفي متصورة و لا يلزمه الاشكال في شيء من اركان التّوبة و حقيقتها بل التّصوص من هذه الجهة مطلقة و سيأتي ضعف مقيدتها بل يصحّ استفادة التّبعض من بعض

موارد إطلاق الأمر بالتوبة في الآيات في خصوص معصية مثل رمى^(١) المحصنات والزَّانِ وَيَأْتِيَانِ الْفَحْشَاءَ^(٢) ونحوهما وكفاية التوبة في خصوص المورد لأنّه لو لم يتحقق التوبة في خصوص تلك المعصية لعدم إمكان التبعض فاللّازم على الله تعالى أن يبيّنه بأن يقول: لزم عليه التوبة عن جميع المعاصي لاجل تحقّق التوبة عن تلك المعصية الخاصّة ولما لم يتبيّن وكان تعالى في مقام البيان لزم الأخذ باطلاقه وهو يفيد أنّ التوبة عن تلك المعصية متحقّقة وكافية وكذلك الكلام في الأخبار، فالقول بالتبعض في غاية القوّة والصّحة، وقال أفضل المحقّقين في المقام كما في تجريدّه: والتحقيق أن ترجيح الداعي إلى النّدم عن البعض يبعث عليه خاصّه، وأن اشترك الداعي في النّدم على القبيح لقبحه كما في الدّواعي إلى الفعل ولو اشترك الترجيح اشترك وقوع النّدم فلا يصحّ النّدم، وبه يتأوّل كلام أمير المؤمنين - عليه السّلام - وأولاده - عليهم السّلام - وهو أنّ التوبة لا تصحّ عن بعض دون بعض والآلزم الحكم ببقاء الكفر على

١ - كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الَّذِينَ تَابُوا وَاصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿النور، ٥﴾.

٢ - كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيَانِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنِ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَاْمَسْكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَاصْلَحَا فَاعْرِضُوا عَنْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. النساء، ١٦.

التائب منه المقيم على صغيرة انتهى^(١) و استشهد «ره» لما ذهب اليه بأن الكافر اذا اسلم و هو مقيم على معصية فان اسلامه قبول، كما قال العلامة «ره» في شرح ذلك ما لفظه: لأنه لولا ذلك لزم خرق الاجماع و التالي باطل فالمقدم مثله، بيان الملازمة ان للكافر اذا اتاب عن كفره و اسلم و هو مقيم على الكذب فاما ان يحكم باسلامه و تقبل توبته عن الكفر اولا.

و الثاني خرق للاجماع لاتفاق المسلمين على اجراء احكام المسلمين عليه و الاول هو المطلوب انتهى محل الحاجة.

اقول: ويمكن الخدشة في ذلك بان صحة التوبة عن الكفر كانت لاجل ادلة الثانوية اعني مثل ما روي مشهوراً عن النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - كما قال الشيخ^(٢) الطريحي في الحديث، الاسلام يجب ما قبله، و

١- ص ٢٦٥

٢- في مجمع البحرين، في لغة جيب، و قال بعد ذلك و الجبّ القطع يقال جيبته من باب قتل قطعتة

اقول: هذه الرواية و ان كانت مرسله لكن قد نقلها باختلاف التعابير في كثير من كتب التواريخ و السير و غيرها جماعة من الخاصة و العامة في قضايا متعددة كما اجمعها السيد الحكيم «ره» في مستمكه في الجزء ٧ في فصل قضاء الصلوة و منها ما في حاشيته عن كنز العمال، الاسلام يجب ما كان قبله. و منها اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله و ان الهجرة تهدم ما كان قبلها و

التوبة يجب ما قبلها من الكفر والمعاصي والذنوب (انتهى)، وكانت بمنزلة التوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي كما هو صريح رواية المذكورة ومضمون غيرها وذلك ليس به بعيد ويدل على ذلك أيضاً بعض الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، ودلالاتها على المقصود ظاهرة فعلى هذا لو قلنا بعدم قبولها التجزية لا يلزم من هذا القول خرق الإجماع لأن تلك المورد خارج عن مسألة التجزية بل التوبة عن الكفر هي التوبة عن جميع المعاصي وظهر مما ذكرناه الأشكال فيما قال السيد الجامع عبد الله الشبر «ره» في آخر كلامه في مبحث التوبة في فصل التامن من مجلد الثاني من الحق اليقين ما لفظه: ويدل على تجزية التوبة أن الكافر إذا تاب عن كفره واسلم وهو مقيم على الذنب، أما أن يحكم بإسلامه وتقبل توبته من الكفر أولاً والثاني خرق الإجماع لاتفاق المسلمين على إجراء حكم المسلم عليه والأول هو المطلوب انتهى^(٢).

وأيضاً استدلل السيد «ره» فيما قبل ذلك لقبول التجزية باطلاق بعض روايات الباب، ما لفظه، وقد قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: الندم توبة ولم يشترط الندم عن كل ذنب، وقال - صلى الله عليه وآله وسلم -

→ إن الحج يهدم ما كان قبله، ص ٥٠ ولعل الشهرة موروثة لتقوية سندها والله

سَلَّمَ - : التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولم يقل التائب من الذنوب كلها، انتهى.

وفيه ان مثل هذه الروايات لم تكن في مقام بيان حكم التوبة من هذه الجهة، ولعلّ هذا واضح لمن أدق النظر فيها ولا اقلّ من الشك فلا يجوز الاخذ بالاطلاق، لفقدان بعض مقدمات الحكمة ومع عدم اجتماع المقدمات لايجوز الاخذ بالاطلاق كما قرّر في محله فالصواب للحكم بالتجزيه هو ما قدّمناه.

بقي الكلام، في بعض الروايات الواردة عن علي - عليه السلام - واولاده - عليهم السلام - في عدم قبول التوبة التجزية كما اشار اليه المحقق الطوسي «رد» ولكن لم نظفر عليها الى الان حتّى نقلتها ونظر فيها والله العالم. وللمحقق الخوئي - قدس سرّه - كلام في المقام بعد نقل جميع مصادر حديث الجبّ من الخاصّة والعامة^(١) وهو ما لفظه والحاصل أنّ حديث الجبّ لم يثبت بطريق معتبر لكن مفاده ثابت بالسيرة حيث أنّ الرّسول - صلى الله عليه وآله وسلم - والائمة - عليهم السلام - لم يكلفوا من اسلم باعادة الصلّة والصوم وغيرهما من التكاليف الشرعيّة الاسلاميّة انتهى موضع الحاجة.^(٢)

١ - فقه العترة ج ٢، في زكوة الفطرة، ص ٧١ - ٧٥.

٢ - فقه العترة، ج ٣، في زكوة الفطرة، ص ٧٥. وقال في المجلد الخامس من المستند كتاب الصلوة: لكن الحديث ضعيف السند جداً فانا لم نظفر عليه من طرقنا عدا ما رواه في غوالي اللثالي مرسلأ، ص ١١١.

أقول: أيراد كلامه في المقام وأن كان غير مربوط بما نحن فيه ولكن الغرض منه أنه «ره» قد ردّ حديث الحبّ لضعفه واستدلّ بالسيرة على عدم قضاء الواجبات بعد اسلام الكافر وبناءً على مردودية الحديث نحن نقول: قد اقام السيرة القطعية على قبول توبة الكافر مع اقامته على الكذب ونحوه كما لعله واضح فلا يكون صحة توبة الكافر مع اقامته على الكذب ونحوه دليلاً على صحة التجزية في التوبة نعم يصح الاستدلال لصحة توبته بناءً على عدم صحة التجزية بالسيرة التي ذكرناها آنفاً وبالآية المذكورة ولكن الحق أنها قابلة للتجزية لاختلاف الدواعي كما عرفت فافهم واغتنم.

المبحث السادس في التوبة عن اقسام الذنوب

اقول: مستعيناً بالله تعالى انّ الذنب عبارة عن المخالفة وهي تارة تحقّق به ترك ما امر به وتارة بفعل ما نهى عنه وكلاهما اما بالنسبة الى حقّ الله تعالى او حقّ الناس وتلك المخالفة اما ان يلزم لها التلافي في المستقبل كقضاء الصلوة والصوم واداء الديون ونحوه او لا وحقيقة التوبة وهي النّدم على ما مرّ بالنسبة اليها واحدة ولما اعتبرنا سابقاً العزم على عدم العود بمعنى ارادة التائب على عدم عوده في تلك المخالفة فهذه الارادة لا تتحقّق الا بالعمل بلوازمها فاللازم الحكم به تصميم العمل باللوازم فيما كان له التلافي، اما فوراً كردّ الدين للمتمكّن والارشاد ان كان اضلالاً والمضلّ متمكّن من رفعه، واما تراخياً كقضاء الصلوات وردّ حقّ الناس لغير المتمكّن فعلاً، وطريق ردّ حقّ الناس مختلف بحسب قوانين الشرع فان كان مالا فيجب ردّه على صاحبه او وكيله، وان مات فالى وارثه، و ان كان حداً فان كان قصاصاً فيجب تسليم نفسه، الى اولياء المقتول اذا طالبوه، فاما ان يقتلوه، واما ان يعفوه، وهكذا ان كان في عضو وطريق

الخروج عن العهدة في جميع أقسام الحقوق، موكل إلى بيان فروع فقهية فليطلب من مظانها، وأما مثل ترك صلاة العيدين لو وجبا على المكلف والكذب والزنا والظلم على نفسه من شتم أو جرح أو رد على نفسه من غير تجويز شرعي، ونحوها فيكفي فيها الندم، وظهر مما ذكرناه أن التوبة بمجرد الندم والعزم على عدم العود في جميع الأقسام متحققة، ثم إن قام بعد ذلك بما عزم عليه من التبعات كان ذلك اكتمالاً للتوبة، بمعنى إسقاطاً للذنوب مطلقاً، وأما إن لم يقم بها فالذنوب بالنسبة إلى آثارها السابقة مغفورة وأما بالنسبة إلى الاستقبال كانت كالذنوب المستأنفة يعني أنه لو صدق التهاون بالنسبة إلى ترك قضاء الصلوات ونحوها بحيث لو ترك ما هو وظيفته في العاجل لكان خائفاً من أن يصير عاجزاً في الآجل لا مطلقاً فالإسراع باتيان الواجبات الموسعة في زمان خوف الفوت صار واجباً فورياً لا بصدق التهاون فقط ولو لم يكن خائفاً كما قرّر في محله فلزمت التوبة أيضاً بالنسبة إلى زمان الخوف لو لم يأت بوظيفته حينئذٍ ولكن إذا كان تاركاً للصلوة والصوم مثلاً ثم تاب ولم يأت بقضائهما بعد ذلك لكن لأعلى نحو ما ذكر حتى عجز عن فعلهما غفلة ثم مات بغتة ولم يكن مقصراً في الوصية مطلقاً فالظاهر أنه مغفورٌ بالنسبة إلى ترك هذه الصلوة والصوم لأنه بعد ترك الصلوة والصوم قد عمل بوظيفته ولم يتهاون عليهما حتى عجز ولم يكن له مال ولا متبرّع حتى، يتمكن بإحدهما الخروج عن العهدة فلا شيء عليه هذا على القاعدة ولكن لا بد في الفقه من التماس دليل وهو موكل إلى محله ولا يقاس المقام بما إذا ترك الصلوة

مثلاً في أول الوقت ثم لم يتمكن من ادائه في آخر الوقت فعليه قضائها في خارج الوقت لأن وجوب القضاء في تلك الصورة كان لاجل صدق الفوت، لا لاجل كشف عدم التوسعة كما قد يتوهم والمكلف متمكن من قضائه في خارج الوقت، وباقي الكلام في محله.

ولقد اجاد افضل المحققين في المقام في تجريده ما لفظه: والذنب ان كان في حقه تعالى من فعل قبيح كفى فيه الندم والعزم على العدم، وفي الاخلال بالواجب اختلف حكمه في بقائه وقضائه وعدمها وان كان في حق آدمي استتبع ايصاله، ان كان ظلماً او العزم عليه مع التعذر او الارشاد ان كان اضلالاً وليس ذلك اجزاء انتهى^(١).

وقال العلامة «ره» في شرح جملة الاخير: واعلم ان هذه التوابع ليست اجزاء من التوبة فان العقاب يسقط بالتوبة ثم ان قام المكلف بالتبعات كان ذلك اتماماً للتوبة من جهة المعنى لأن ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب بالتوبة عما تاب منه بل يسقط العقاب ويكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزم التوبة عنها، نعم التائب اذا فعل التبعات بعد اظهار توبته كان ذلك دلالة على صدق الندم، وان لم يقم بها امكن جعله دلالة عدم صحة الندم، انتهى^(٢).

المبحث السابع

في عدم تفصيلها وتجديدها

أما الأول: فلما ثبت سابقاً أنه بمجرد الندم على المعصية والعزم على عدم المعاودة عليها، يحصل التوبة، فلم يفرق في حصول ذلك بين أن يكون المعصية واحدة أو كثيرة مفصلة أو مجملة، فإذا صار الشخص نادماً عليها أجمالاً مع العزم على عدم المعاودة، ولو لم تذكر المعاصي تفصيلاً، يكفي في صحة التوبة عليها لصدق الندم والعزم على عدم المعاودة عليها جميعاً، وشمول إطلاقات الأدلة لهذا المورد كان بلا عناية و تجاوز، فلا يحتاج إلى تفصيل أصلاً، ويترتب جميع الآثار عليها بالنسبة إلى تلك المعاصي شرعاً وعقلاً، وما نقل العلامة «ره» في شرح التجريد، عن قاضي القضاة لزوم التوبة حينها تفصيلاً كان حكم من غير دليل.

وأما الثاني فنقول: أنه لا يلزم إعادة التوبة وتجديدها إذا تذكر المعصية، لأن التوبة به تحققها يرفع آثار المعصية، ولا يبق لها أثر حتى يحتاج إلى تجديد الرفع، وما يتخيل في المقام من أن شخص النادم كلما تذكر المعصية فاما أنه متفرع عنها أو متفرح بها،

فعلى الأول فهو معنى الندم وتجديد التوبة.

وعلى الثاني فإن الندم صار مقبلاً على المعصية فيجب تحصيل الندامة و هو معنى تجديدها ومثله ما نقل العلامة «ره» عن أبي علي من أن عند ذكر المعصية أما أن يكون الفاعل نادماً أو مصراً.

والثاني قبيح فيجب الأول، كان مربوطاً بمسئلة ثبات الندم على العزم بعدم المعاودة والمفروض أن التائب قد تحقق عنه الإرادة على عدم العود حين ندامته ولو نقض هذه الإرادة بعد ذلك وقصد نحو المعصية ولم يفعلها ثانياً وإن كان ذلك مذموماً عند العقلاء لكن لم يترتب على ذلك القصد اثر المعصية عند الشارع حتى لزم التوبة عليها بل كان ذلك من قبيل نية السوء وهي لا تكتب بل لو قصد المعصية وأوجد ما كان علّة لها لا يلزم لها التوبة مادام لم يحصل المعلول ولم يترتب على العلّة، لعدم قبحها من حيث هي مثل الرامي لورمي لأجل قتل نفس المحترمة فقبل الإصابة هل يلزم الندم على الرمي لأنّه علّة للمعصية قيل أنّه لازم لأنّه قبيح لكن من المعلوم أن قبحها كان من حيث ترتب المعلول عليها ولما لم يترتب عليها المعلول فلا تكون قبيحة نعم يصح أن يقال: أنّه كان متجرباً وبناءً على التحقيق أن التجري ليس بمعصية كما قرّرناه في محلّه ولم يكن له قبح فعلى بل قبح الفاعلي ثابت له بلا اشكال. والمحقق الطوسي - قدس سرّه - قد أورد ما ذكرناه في هذا البحث في تجديده بكلام موجز تام، ما لفظه، وفي إيجاب التفصيل مع الذكر اشكال، وفي وجوب

التجديد ايضاً أشكالاً، وكذا المعلول مع العلّة، انتهى^(١).

المبحث الثامن

في قبولها و سقوط العذاب بها

لا ريب في سقوط العقاب بها كما اتفق على ذلك اهل الاسلام و لا خلاف في ذلك، كما انبأ بذلك صريح بعض الايات و الاخبار الواردة في المقام، و انما الخلاف في ان سقوط العذاب واجب على الله تعالى عقلاً حتى لو عاقب التائب لكان ظلماً، او ان سقوط العذاب كان تفضلاً، فقد نقل المفيد «ره» اجماع المعتزلة على الاول و العلامة «ره» في شرح التجريد و المجلسي «ره» في البحار نقل هذا القول عنهم و نقل العلامة «ره» احتجاجهم فيه بوجهين و اجاب عنهما فراجع^(١).

و ذهبوا الاشاعرة الى الثاني، كما نقل عنهم العلامة المجلسي «ره» و كيف كان و من اصحابنا الشيخ الطائفة ذهب الى الثاني، و العلامة في بعض كتبه الكلامية كما حكى عنها المجلسي «ره» في البحار، و قد ادعى المفيد «ره» اتفاق الامامية على الثاني كما في اوائل^(٢) المقالات ما لفظه: و اتفقت

الامامية على ان قبول التوبة تفضل من الله عز وجل وليس بواجب في العقول اسقاطها، لما سلف من استحقاق العقاب، ولولا ان السمع ورد باسقاطها لجاز في العقول بقاء التائبين على شرط الاستحقاق و وافقهم على ذلك اصحاب الحديث واجمعت المعتزلة على خلافهم وزعموا ان التوبة مسقطه لما سلف من العقاب على الوجوب انتهى.

و توقف محقق الطوسي «طاب ثراه» في تجريده وقال المجلسي «ره» في البحار^(١): مختار الشيخين هو الظاهر من الاخبار، وقال في شرح اصول الكافي كما حكى عنه السيد الحكيم «ره» في مستمسكه^(٢): والحق ما اختاره الشيخ «ره»، كما يظهر من كثير من كتب الاخبار وادعية الصحيفة الكاملة وغيرها، ودليل الوجوب ضعيف، انتهى.

و استشكل فيه السيد الحكيم «ره» بان الاستدلال بالاخبار والادعية غير ظاهر في الاحكام العقلية فالعمدة نفي الحكم العقلي اذ ليست التوبة عقلاً الا مرتبة من الانقياد والتذلل ليس من مقتضاها نحو الاستحقاق كغيرها من الطاعات.

اقول: لما كان البحث بعد عدم الخلاف في سقوط العذاب في أنه هل يحكم العقل بوجوب السقوط على الله تعالى جل شأنه حتى يكون العقاب بعد ذلك ظاهراً ام لا بل السقوط كان تفضلاً ان اشكال السيد الحكيم «ره» عن هذه الجهة كان في محله وقوله ان التوبة لها مرتبة من الانقياد وهي غير

مقتضية لمحو العقاب استحقاقاً حتى يلزم العقاب ظلماً كان صغرى لكبرى الكلية كما اشار اليه و هي ان عبادة العبيد هل تورث حقاً على المولى ام كان وظيفة العبيد هي العبودية والعمل بالوظيفة لا تورث الاستحقاق. **والحق هو الثاني** ولكن نحن نقول: يحكم العقل من طريق آخر بقبح العقاب اعني من باب ان الكذب وخلف الوعد يحكم العقل قبيح على الله تعالى وقد وعد الله تعالى في آيات^(١) عديدة عن قبول

١ - فنها قوله تعالى: «و هو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون» (جمسق، ٢٥) فانه تعالى قد اخبر في هذه الآية عن قبول التوبة عن العباد و العفو عن السيئات و قد مر تفسيرها في صحيفة ٦٠. و منها قوله تعالى: «يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الانهار» الآية (التحریم، ٨)، فقد اخبر تعالى فيها على طريق الرجاء به تكفير المعاصي و دخول الجنة للتائبين بناءً على ان (عسى) من الله تعالى واجب كما قال به الطبرسي «ره» و قد مر شرحها مفصلاً في صحيفة ٥٤.

و منها قوله تعالى: «الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات» الآية (التوبة، ١٠٤) فان هذه الآية قد ورد على طريق الاستفهام و يراد به التنبيه على ما يجب ان يعلم ان الله تعالى يقبل التوبة و التاكيد في العلم بالقبول كان لاجل المسارعة الى التوبة و قد اخبر الله تعالى فيها بقبول التوبة مع التعبير المذكور. و منها قوله تعالى: «الا من تاب و عمل صالحاً فاولئك يدخلون الجنة و

التوبة مع العفو عن السيئات وتكفيرها وسقوط العذاب عن التائبين بل وعد في بعضها دخول الجنة ولا يجوز له في إيعاده وإخباره عن قبول التوبة مع العفو وتكفير السيئات أن يخبرنا بالكذب وبما لا يقصده ولا يريد من المعلوم أن الكذب قبيح عليه قطعاً، وأما أن قلت: أنه تعالى عند إخباره كان قاصداً ولم يكذب فيه ولكن بعد ذلك يمكن أن يصير منصرفاً فنقول: أن ذلك كان خلفاً في وعده وهو أيضاً قبيح عقلاً كما قرر في محله وأما خلف الوعيد فليس عليه قبيحاً كما أشرنا إليه سابقاً و صرف النظر عن ذلك لو صحّ عليه تعالى الكذب والخلف لاختلاف الاعتقاد في مسألة معاد الجسماني التي هي أصل من الدين إذ طريق اثباته منحصرة بالسمع كما يأتي أن شاء الله تعالى في مباحث الآتيه ولا يخفى على المتأمل بعد الظفر بما ذكرناه وضوح الحكم بوجوب سقوط العقاب وهو لا يكون منافياً لما ادّعى المفيد «ره» الاتفاق على عدم وجوب السقوط عليه تعالى فتدبر.

→ لا يظلمون شيئاً» (مريم، ٦٠)، فإن هذه أماً مربوطة بالتوبة عن معصية غير الاعتقادي كما هو ظاهر آية السابقة لها، وهي قوله تعالى: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً» (٥٩) و أما مطلقة وكيف كان أن في هذه الآية قد أخبر الله تعالى بدخول الجنة أيضاً عن التائبين العاملين بالعمل الصالح.

المبحث التاسع

في تقسيم الذنوب الى كبائر وصغائر

وقبل الخوض في المقصود لا بأس بالاشارة الى بعض الاخبار الواردة في تفسير الذنوب ومنها في الكافي بسنده الحسن عن اسحاق بن عمار قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: كان ابي - عليه السلام - يقول: نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء وتقرب الآجال وتخلى الديار وهي قطيعة الرحم والعقوق وترك البر^(١).

والغرض من هذه الاشارة ان الذنوب يترتب عليها اثر الوضعي من حيث هي مع صرف النظر عن حرمة وعقوبته فعلى هذا فارجع مظانه حتى تقف على ما نحن بصده وكيف كان على المشهور ان الذنوب تنقسم على قسمين كبائر وصغائر والسيد الحكيم «ره» قد حكى في المتمسك^(٢) عن المفيد والقاضي والشيخ في العدة والطبرسي والحلي رضوان الله

١ - ج ٢، ب تفسير الذنوب، ح ٢، ص ٤٤٨.

٢ - المجلد السابع في فصل شرائط امام الجماعة في مثلة ١٢، ص ٣٣٣.

عليهم أن كلَّ معصية كبيرة و الاختلاف بالكبر و الصغر أنما هو بالاضافة الى معصية اخرى و ربما حكى عن بعض كون الاضافة بلحاظ الفاعل فإنَّ معصية العالم اكبر من معصية الجاهل و لو مع اتِّحاد ذاتهما و قال: و الوجه فيما ذكره اشتراك الجميع في مخالفة امر الله تعالى او نهيه مضافاً الى جملة من النصوص^(١) الدالَّة على أن كلَّ معصية عظيمة، و فيه، أن ما ذكر لا ينافي انقسامها الى القسمين الذي عرفت أنَّه ظاهر الكتاب و السَّنة انتهى محل الحاجة.

اقول: أن كان الغرض عن قولهم أن كلَّ معصية كبيرة على ما حكى عنهم، هو ما اشار اليه في الحديث من أن كلَّ ذنب عظيم و لعلَّه كذلك، فلا ينافي ما نقل عنهم لانقسامها الى القسمين و الآ فلا مجال لانكار التنافي، و كيف كان يدلَّ على انقسامها، الى القسمين امورٌ.

الاول أن ظاهر قوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم^(٢) سيئاتكم﴾ الآية فإن المراد من السيئات المكفرة هي الصغائر و الآ لما تكفر بالانتهاة عن الكبائر و يمكن أن يستفيد ذلك ايضاً من قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش الا اللَّمَم ان ربك واسع المغفرة﴾^(٣) الآية، حيث أنَّ اللَّمَم قد استثنى اجتنابه من الكبائر و الظاهر

١ - مثل ما في الوسائل بسنده عن الحلبي عن ابي عبدالله - عليه السلام - عن القنوت في الوتر، الى أن قال: و استغفر لذنبك العظيم، ثم قال: كلَّ ذنب عظيم،

جلد ١١، باب ٤٦، ح ٥، ص ٢٥٤.

ان الاستثناء منقطع ولذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿ان رَبَّكَ واسع المغفرة﴾، و
الظاهر مفاد الآية هو ما يستفاد من الآية السابقة خصوصاً بملاحظة
الموثقة الواردة في تفسيرها وهي ما في الكافي بسنده الموثق عن اسحاق
بن عمار قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : ما من مؤمن الا وله ذنب
يهجره، زماناً ثم يلم به وذلك قول الله عز وجل ﴿الا اللّٰم﴾، وسألته
عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الْاِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ اِلَّا
اللّٰم﴾ قال: الفواحش الزنا والسرقة واللّٰم الرجل يلم، بالذنب
فيستغفر الله منه. ^(١) فتأمل فيها حتى تجد ما نحن بصده.

الثاني مفهوم بعض الاخبار الدالة على أنه لاصغيرة مع الاصرار ^(٢).

الثالث مفهوم جملة من الاخبار ^(٣) الواردة في وجوب اجتناب الكبائر
التي اوجب عليها النار فان الذنوب لو لم تكن على قسمين لامعنى
لوجوب الاجتناب عن خصوص الكبائر التي اوجب عليها النار ومفهوم

١ - ج ٢، ب اللّم، ح ٣، ص ٤٤٢.

٢ - تمام الحديث ما في الكافي بسنده عن عبد الله سنان عن ابي عبد الله
- عليه السلام - قال: لاصغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار. ج ٢، ص
٢٨٨، ح ١.

٣ - منها ما في الكافي بسنده الصحيح عن ابي بصير عن ابي عبد الله
- عليه السلام - قال: سمعته يقول (ص): ﴿و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً
كثيراً قال: معرفة الامام واجتناب الكبائر التي اوجب الله عليها النار﴾. ب
الكبائر، ج ٢، ص ٢٨٤، ح ٢٠.

بعض الاخبار^(١) الواردة في دخول الكبائر في الاستثناء فالذنوب لو كانت كلها كبيرة لم يكن وجهاً للسؤال عن دخول الكبائر في الاستثناء، ومفهوم جملة من الاخبار^(٢) التي سئل فيها عن كميتها و ماهيتها، وفي بعضها عدها بالسبع وفي بعض الآخر باقل منها وفي جملة منها باكثر منها ويظهر من هذه السؤالات ان تقسيم الذنوب الى القسمين كانت من الامورات المرتكزة عند المشرعة ولذا يسئل عن كميتها و ماهيتها.

الرابع عد الاصرار في جملة من الاخبار^(٣) من الكبائر وذلك كالصرح بانها كانت على قسمين.

١ - منها ما في الكافي بسنده الموثق كالصحيح عن سليمان بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، الكبائر فما سواها قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء قال: نعم. ج ٢، ص ٢٨٤، ح ١٨، ب الكبائر.

٢ - منها ما فيه ايضاً بسنده الصحيح عن ابن محبوب قال: كتب معي بعض اصحابنا الى ابي الحسن - عليه السلام - يسأله عن الكبائر كم هي و ما هي؟ فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته اذا كان مؤمناً والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين و اكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنات و اكل مال اليتيم و الفرار من الزحف. جلد ٢، ب الكبائر، ص ٢٧٦، ح ٢.

٣ - منها ما في الوسائل بسنده عن الاعمش عن جعفر بن محمد عليهم السلام في حديث شرائع الدين قال: والكبائر محرمة وهي الشرك بالله الى ان قال: والاصرار على صفائر الذنوب. جلد ١١، باب ٤٦، ح ٣٦، ص ٢٦٢.

الخامس عدّ بعض المعاصي من الكبائر في جملة من ^(١) الاخبار التي دالة على المقصود فالحاصل ان الحكم بانقسامها الى القسمين كان بلا اشكال، وثبتت الكبيرة بامور.

الاول النص في الحديث المعتبر على كونها كبيرة كما ورد في جملة من المعاصي في بعض ^(٢) الاخبار بانها كبيرة.

١ - منها ما في الوسائل بسنده عن ابي خديجة سالم بن مكرم الجهم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الاوصياء من الكبائر. جلد ١١، باب ٤٦، ح ٢٥، ص ٢٥٩.

٢ - منها في العيون، بسنده عن الفضل بن شاذان قال: سئل المأمون على بن موسى الرضا - عليهما السلام - ان يكتب له محض الاسلام على سبيل الايجاز والاختصار؟

فكتب - عليه السلام - له: ان محض الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الى ان كتب (و الحديث طويل) والايمان هو اداء الامانة واجتناب جميع الكبائر وهو معرفة بالقلب و اقرار باللسان وعمل با الاركان (الى ان كتب) واجتناب الكبائر وهي قتل النفس التي حرم الله تعالى والزنا والسرقه وشرب الخمر وعقوق الوالدين والفرار من الزحف و اكل مال اليتيم ظلماً و اكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به من غير ضرورة و اكل الربا بعد البيئة والسحت والميسر والقمار والبخس في المكيال والميزان قذف المحصنات واللواط وشهادة الزور والياس من روح الله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ومعونة الظالمين والركون اليهم واليمين

الثاني ورود توعيد النار عليها في الكتاب أو السنة صريحاً أو ضمناً، وما يدل على إثبات الكبيرة بهذا الأمر روايات صحيحة منها في الكافي^(١) بسنده الصحيح عن ابن محبوب قال: كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن - عليه السلام - يسأله عن الكبائر كم هي وما هي؟ فكتب ﴿الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار، كفر عنه سيئاته﴾ الحديث. ومنها صحيحة عبد العظيم بن عبد الله الحسيني المروية في الكافي بسنده الصحيح قال: حدثني أبو جعفر - عليه السلام - قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر - عليهما السلام - يقول: دخل عمرو بن عبيد علي أبي عبد الله - عليه السلام - فلما سلم وجلس تلا هذه الآية ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾^(٢) ثم أمسك فقال له أبو عبد الله - عليه السلام - : ما أسكتك قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل فقال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الإشراك بالله يقول الله ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾^(٣)، وبعده اليأس من روح الله لأن الله عز وجل يقول: ﴿أَنَّهُ لَا يَإْيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

→ الفموس وحبس الحقوق من غير العسرة والكذب والكبر، والاسراف و
التبذير والحياة والاستخفاف بالحج والمحاربة لاولياء الله تعالى والاشتغال
بالملاهي والاصرار على الذنوب. ج ٢، ب ٣٥، ح ١، ص ١٢١.

١ - الكافي، ج ٢، ب الكبائر، ح ٢، ص ٢٧٦.

٢ - النجم، ٣٢.

٣ - المائدة، ٧٢ - والآية في المصاحف هكذا، أنه من يشرك بالله الآية.

الكافرون ﴿^(١)﴾ ثم الامن لمكر الله لان الله عزوجل يقول: ﴿فلأيامن
مكر الله الآ القوم الخاسرون﴾. ^(٢)

ومنها عقوق الوالدين لان الله سبحانه جعل العاق جباراً شقيماً ^(٣) و قتل
النفس التي حرم الله الآ بالحق لان الله عزوجل يقول: ﴿فجزاؤه جهنم
خالداً فيها﴾ ^(٤) الى آخر الآية و قذف المحصنة لان الله عزوجل يقول:
﴿لعنوا في الدنيا و الآخرة و لهم عذاب عظيم﴾ ^(٥) و اكل مال اليتيم لان
الله عزوجل يقول: ﴿انما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً﴾ ^(٦) و
الفرار من الزحف لان الله عزوجل يقول: ﴿و من يؤثم يومئذ دبره الآ
متحرّفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم و
بسّ المصير﴾ ^(٧) و اكل الربا لان الله عزوجل يقول: ﴿الذين يأكلون
الربا لا يقومون الا كما يقوم يتخبطه الشيطان من المس﴾ ^(٨) و السحر لان
الله عزوجل يقول: ﴿و لقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من
خلاق﴾ ^(٩) و الزنا لان الله عزوجل يقول: ﴿و من يفعل ذلك يلقى
اثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهاناً﴾ ^(١٠) و اليمين

١- يوسف، ٨٧ ٢- الاعراف، ٩٩

٣- اشارة الى قوله سبحانه في سورة مريم، و برّاً بالدقي و لم اك جباراً شقيماً.

٤- النساء، ٩٣ ٥- التور، ٢٣

٦- النساء، ١٥ ٧- الانفال، ١٦

٨- البقرة، ٢٧٧ ٩- البقرة، ١٠٢

١٠- الفرقان، ٦٩

الغموس^(١) الفاجرة لأن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾،^(٢) والغلول^(٣) لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾،^(٤) ومنع الزكاة المفروضة لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾^(٥) وشهادة الزور وكتمان الشهادة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٦) وشرب الخمر لأن الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله لأن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: من ترك الصلوة متعمداً فقد برىء من ذمة الله وذمة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ونقض العهد وقطيعه الرّحم لأن الله عز وجل يقول: أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ^(٧). قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه،^(٨) وهو يقول: هلك من قال: برأيه ونازعكم في الفضل و

١ - عن النهاية: البمين الغموس هي البمين الكاذبة الفاجرة كالتّي يقطع بها المحالف مال غيره سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الانتم ثم في النار وفعول للمبالغة.

٢ - آل عمران، ٧٧

٣ - الغلول: الخيانة في المغنم والسّرقة من الغنيمة قبل القسمة.

٥ - التوبة، ٣٥

٤ - آل عمران، ١٦١

٧ - التوبة، ٢٦

٦ - البقرة، ٢٨٣

٨ - اقول: لا بأس بشرح الصحيحة اجمالاً، وهو أنّه لا يخفى أنّها وان دلت بالتضمن

العلم^(١) ولا يخفى ان استدلاله - عليه السلام - بالآيات لاثبات الكبيرة بتوعيد العذاب فيها دالة على قاعدة كليته بان ما عليها التوعيد من العذاب كانت كبيرة سواء كان بواسطة الآيات او غيرها ولعل ذلك واضح من استدلاله - عليه السلام - ايضاً بقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في اواخر الرواية.

الثالث ثبوت كونها اعظم او مساوٍ لاحدى الكبائر المنصوصة كالامر الاول، او الموعودة كالامر الثاني من طريق الشرع كتاباً^(٢) او سنة^(٣) او

→ على ان الكبائر هي التي اوعده الله عليه بالنار لاستدلاله - عليه السلام - للاشراك في كونه كبيرة، بقوله تعالى: فقد حرم عليه الجنة، و لكبارة قتل النفس بقوله تعالى: ﴿فجزاءً بهنّ خالداً فيها﴾، ولكن قد تضمن بعض افراد امر الاول اعني ثبوت الكبيرة بالنص الصحيح مثل كتمان الشهادة ونحوه بل تضمن ثبوت الكبيرة بالامر الثالث ايضاً اعني ثبوتها بما هو مساوٍ واعظم لكبيرة اخرى مثلاً كشرب الخمر حيث أنه - عليه السلام - علل كبارة شرب الخمر و كونه منهيّاً بأنه كما نهى عن عبادة الاوثان و العلة كما أنّها مخصّصة أنّها معصية ايضاً و هي هنا معصية اعني كلّ ما نهى عنه بمثل ما نهى عن عبادة الاوثان كبيرة، و من المعلوم أنّه لخصوصية في الاوثان ففاد كلامه ان كلّ ما نهى عنه بمثل ما نهى عمّا هو مساوٍ واعظم منه فهو كبيرة.

١ - جلد ٢، باب الكبائر، ص ٢٨٥، ح ٢٤.

٢ - مثل قوله تعالى الفتنة من القتل، البقرة، ٢١٧.

٣ - مثل المروي في الكذب، كما في الكافي بسنده الموثق عن محمد بن مسلم عن ابي

كونها عظيماً في أنفس أهل الشرع كسائر المرتكزات الشرعية التي منتهية إلى المعصوم ومن المعلوم اثبات الكبارة بهذه الأمور كان بلا ريب ولا يحتاج إلى إقامة برهان ولكن تشخيص الأشدية والتساوي بين المعاصي غالباً مورد تأمل لأنه لما كان إحاطة العقل بالمفاسد غالباً قاصرة لم يحكم في الموارد بالأشدية أو التساوي إلا في نادرة منها. وبعبارة أخرى كون الأشدية والتساوي بحسب العقل من حيث الكبرى صحيح، ولكن من حيث الصغرى في غاية الندرة، نعم إذا ثبت أحدهما بالنقل الصحيح كما مر الإشارة إلى بعضها في شرح الصحيحة عبد العظيم في ذيل الصحيفة كان بلا خدشة ولذا أوردنا في ضمن شرح بعض تعاليننا على مسائل عروة الوثقى في مسألة العدالة على شيخنا الأعظم على ما في رسالته في العدالة عند قوله «ره» ومثل حبس المحصنة للزنا، فإنه أشد من القذف بحكم العقل من أن مفسدة القذف قد ينجر إلى أنواع المفاسد المختلفة العظيمة.

منها النفاق بين المحصنة وعلها،

ومنها شيوع التهمة لها،

ومنها يوجب الجرأة للزنا لسائر النساء ممن سمعت تلك النسبة،

→ جعفر - عليه السلام -، قال: إن الله عز وجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب والكذب شر من الشراب، جلد ٢، باب الكذب، ص ٣٣٨.

ومنها قد يورث القتل للعداوة الواقعة بين قوم البعل والمحصنة هذا بخلاف الحبس فإن تلك المفاصد كلها لا تكون مترتبة عليه فالحكم بأشدية الحبس في غاية الاشكال نعم تمثيله في الاشدية بمثل اعلام الكفار بما يوجب غلبتهم على المسلمين فإنه اشد من الفرار من الزحف كان في غاية المتانة.

الرابع هو ما زاد شيخنا الاعظم «ره» وهو ان يرد النص بعدم قبول الشهادة عليه كما ورد النهي عن الصلوة خلف العاق لوالديه، وهذا بناء على ان الصغيرة غير مضرّة بالعدالة والآ لا تثبت العدالة بهذا الطريق وكيف كان ففى بعض الاخبار قد تعدّ الكبائر خمسة^(١) وفي بعضها الآخر سبعة^(٢) وذلك لا ينافي ما

١ - مثل ما في الوسائل عن عقاب الاعمال والعلل والخصال بسنده عن عبيد بن زرارة قال: قلت لابي عبدالله - عليه السلام - : اخبرني عن الكبائر فقال: هنّ خمسٌ و هنّ مما اوجب الله عليهنّ النار قال الله تعالى: ﴿انّ الله لا يغفر ان يشرك به﴾ (النساء، ٤٨). وقال: ﴿انّ الذين يأكلون اموال اليتامي ظلماً آنما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً﴾. (النساء، ١٠). وقال: ﴿يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّهم الادبار﴾. (الانفال، ١٥). الى آخر الآية وقال عز وجل: ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الزنا﴾. (البقرة، ٢٧٨). الى آخر الآية ﴿و رمي المحصنات الفاحشات المؤمنات﴾. (التور، ٢٣). «و قتل مؤمن متعمداً على دينه». (جلد ١١، باب ٤٦.

تعدّ في صحيحة عبد العظيم المتقدّمة أنّها بالغة على عشرين اذ قد حمل خمسة او السبعة على اكبرها كما ان عدّها في الصحيحة بالغاً على عشرين لا ينافي عدّها على ما في العيون زائداً على الثلثين اذ الصحيحة كانت في مقام بيان ما كان منها ممّا اوعدها النّار في كتاب الله تعالى ورواية العيون و ان وصفها الشيخ الانصاري «ره» في الرسالة العدالة بالحسن كالصحيح و لكن عندنا لم تكن خالياً من الضعف لآنه وقع في طريقها، على بن محمّد بن قتيبة النّيسابوري و هو غير موثّق و لا بمدح مدحاً يعتدّ به على ما في معجم رجال الحديث الخوئي - قدّس سرّه - ^(١) وكذا عبد الواحد بن محمّد بن عبدوس الواقع فيها و ان رضي عنه الصدوق «ره» غايتها و لكن لم تدلّ على توثيق الرّجل و مدحه كما في

٢ - مثل ما في الكافي بسنده عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السّلام - قال: سمعته يقول - عليه السّلام - : «الكبائر سبعة منها قتل النفس متعمّداً و الشّرك بالله العظيم و قذف المحصنة و اكل الرّبا بعد اليّنة و الفرار من الرّحف و التعرّب بعد الهجرة و عقوق الوالدين و اكل مال اليتيم ظلماً قال و التعرّب و الشّرك واحد» (ج ٢، ب الكبائر، ح ١٤، ص ٢٨١).

و مثل ما فيه بسنده الصحيح عن محمّد بن مسلم عن ابي عبد الله - عليه السّلام - قال: سمعته يقول - عليه السّلام - : الكبائر سبع قتل المؤمن متعمّداً و قذف المحصنة و الفرار من الرّحف و التعرّب بعد الهجرة و اكل مال اليتيم ظلماً و اكل الرّبا بعد اليّنة و كلّ ما اوجب الله عليه النّار، (ج ٢، ب الكبائر، ح ٣، ص ٢٧٧).

١ - جلد ١٢، ص ١٦٠

المعجم^(١) والحاصل أنه لا إشكال في ان ما في الصحيحة من الكبائر والله العالم.

تتمة

لا إشكال ظاهراً في ان الاصرار بالصغيرة كان من الكبائر وتدل على ذلك بعد الاجماع المحكي الاخبار.

منها الرواية المتقدمة عن عبدالله سنان عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار^(٢).

ومنها الاصرار في الرواية العيون المتقدمة^(٣) من الكبائر.

ومنها الرواية الاعمش المتقدمة^(٤) قال: والكبائر محرمة الى ان قال: والاصرار على صغائر الذنوب.

ومنها قوله - عليه السلام - في ذيل حسنة ابن ابي عمير الآتية لا كبير مع الاستغفار ولا صغير مع الاصرار وغير ذلك من الاخبار.

وانما الاشكال في معنى الاصرار وهو لغة الالتزام^(٥) والادامة وقيل كما في المجمع البحرين^(٦) المراد بالاصرار على الصغيرة العزم على فعلها بعد

١ - جلد ١١، ص ٣٧.

٢ - في الكافي، جلد ٢، باب الاصرار على الذنب، ح ١، ص ٢٨٨.

٣ - ذيل صحيفة ١٢١، ٤ - ذيل صحيفة، ١٢٠.

٥ - كما في المجمع، اصر على الشيء، لزمه وداومه، ص ٢٦١.

٦ - في لغة صرر، ص ٢٦١.

الفراغ منها سواء كان المعزوم عليه من جنس المفعول أم لا هذا هو
الاصرار الحكيم، انتهى.

و شيخنا الانصاري «قدس الله روحه» بعد اختياره بأن الظاهر بقاءه
على معناه اللغوي العرفي وهو الإقامة والمداومة عليه قد ذهب «ره» إلى
صدق الاصرار عرفاً بعد فعل الصغيرة مع العزم على العود.

وقال في رسالته العدالة ما لفظه: فيشترط في صدق الاصرار عدم التوبة
عن المعصية السابقة ثم أنه أما ان يعزم على غيره مع فعله أو لامعه وأما ان
لا يعزم عليه وعلى الثاني أما ان يفعل الغير وأما ان لا يفعله وحكم
الجميع أنه وان كان عازماً على العود فالظاهر صدق الاصرار عرفاً وان
لم يعد إليها ويؤيده مفهوم قوله - عليه السلام - ما اصر من استغفر^(١) و
قوله - عليه السلام - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَصِرُوا﴾، الاصرار ان
يحدث الذنب فلا يستغفر^(٢) وقد عدّ - عليه السلام - في حديث جنود

١ - تمام الحديث في جامع الاحاديث ك، الشيخ الفتوح في تفسيره عن رسول الله
- صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم
سبعين مرة». ج ١٤، ب ٧٥، ح ٤٣، ص ٣٣٣.

٢ - تمام الحديث في الكافي عن ابي علي الاشعري عن محمد بن سالم عن احمد بن
النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن ابي جعفر - عليه السلام - في قول الله
عز وجل: ﴿وَلَمْ يَصِرُوا﴾ على ما فعلوا وهم يعلمون ﴿آل عمران، ١٣٥﴾ قال:
«الاصرار هو ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبه فذلك
الاصرار». جلد ٢، باب الاصرار على الذنب، ح ٢، ص ٢٨٨.

العقل والجهل منها التوبة وجعل ضدها الاصرار بناءً على ان ظاهر السياق كونها مما لا ثالث، فتأمل. وفي حسنة ابن ابي عمير عن ابي الحسن الكاظم - عليه السلام - قال: لا يخلد الله في النار الا اهل الكفر والجحود والضلالة والشرك ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر^(١) الخبر، ونقلها «ره» بطولها،

١ - نقلها في الوسائل تماماً في متنه و هامشه، مع اختلاف يسيرة عن التوحيد بسنده عن محمد بن ابي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر - عليها السلام - يقول: لا يخلد الله في النار الا اهل الكفر والجحود و اهل الضلال والشرك و من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر قال الله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلاً كريماً﴾، قال: قلت: فالشفاعة لمن تجب؟ فقال: حدثني ابي عن آبائه عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول الله: «انما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي، فاما المحسنون فاعليهم من سبيل» قال ابن ابي عمير، فقلت له: يا بن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لاهل الكبائر والله تعالى يقول: ولا يشفعون الا لمن ارتضى، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى؟ فقال: يا ابا عماد ما من مؤمن يذنب ذنباً الا ساءه ذلك و ندم عليه، و قد قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : كفى بالئدم توبة، و قال: من سرته حسنة و سائته سيئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه، فليس بمؤمن و لم تجب له الشفاعة، و كان ظالماً و الله تعالى ذكره يقول: ما للظالمين من حميم و لاشفيح يطاع، فقلت له: يا بن رسول الله كيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه فقال: يا ابا

انتهى. (١)

أقول: الإصرار أن وقع وصفاً للفاعل فيمكن أن يصدق عرفاً على من فعل الصغيرة و عزم مطلقاً على العود بها أو مثلها أنه مصرٌّ على المعصية، أعني أن هذا الفاعل يصير متصفاً بالإصرار بواسطة ذلك العزم، هذا وإن كان في حدّ نفسه قبيح و باعث لانحطاط النفس، ولكن لم يكن ذلك الاتّصاف في الخارج موجباً لازدياد العقاب و مانعاً لتكفير ما أتى به من الصّغيرة وإن وقع وصفاً للمعصية فلا يصدق الإصرار عرفاً إلا بالتكرار و المداومة لأنّه ظاهرة في ذلك كما هو معناه اللغوي فعلى هذا لا يجوز رفع اليد عن هذا الظهور عن لفظ الإصرار على الصّغائر الواردة في الروايات المتقدمة و حمّله على صدور الصغيرة مع العزم على العود فعلى هذا أن قول الشيخ - قدس سرّه - بأنّه «أن كان عازماً على العود فالظاهر صدق

→ أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي و هو يعلم أنّه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب و متى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، و متى لم يندم عليها كان مصرّاً و المصّر لا يغفر له، لانه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، و لو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، و قد قال النبي - صلى الله عليه و آله و سلّم - : لا كبير مع الاستغفار و لا صغير مع الإصرار، و أما قول الله عزّ وجلّ : ﴿و لا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، و الذين الإقرار بالجزء على الحسنات و السيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب، لمعرفته بعاقبته في القيامة. جلد ١١، باب ٤٧، ح ١١، ص ٢٦٦.

الاصرار عرفاً وان لم يعد اليها» ان كان مراده انّ الذنب بواسطة العزم و لو حصل بعده صارت كبيرة و تحقق الاصرار لاجله، كما هو ظاهر كلامه، فأنّه، ادّعاء بلا دليل و العرف لا يساعده بل لا يعقل في صورة حصول العزم بعد الذنب على العود ان يؤثّر العزم المتأخّر في الذنب المتقدّم و يغيّره عن صفته الصّغيرة بالكبيرة اذ ما وقع مع وصف من الاوصاف لا يمكن تغييره بعد وقوعه فمن تلك الناحية انّ الصّغيرة لم يصّر كبيرة و من ناحية اخرى ان صرف العزم على المعصية ليس بمعصية حتّى يقال أنّه قد تكرر الصّغيرة فبالنتيجة أنّه لم يتحقّق التكرّر في الصّغيرة حتّى تشمل، ادّلة الاصرار في الصّغيرة و تكررّها و ان كان مراده ان هذا الشخص كان مصرّاً على المعصية صفّة فهو صحيح كما ان العرف يساعده كما مرّ و لكن لم يوجب ازدياد المعصية في الخارج باي وجه و اما تأييده «ره» به مفهوم قوله - عليه السّلام - ما اصرّ من استغفر، ففيه : اما اولاً فقد انتفى صفة الاصرار فيه عن تاب و استغفر فهذا بعينه راجع الى القسم الاول و نفي صفة الاصرار غير مربوط بصدق الاصرار في خصوص المعصية.

و ثانياً بناءً على اخذ مفهومه فأنّه كان عبارة عنّ لا يستغفر فهو مصرّ و هذا المفهوم على اطلاقه يلزم ان غير التائبين عن الصّغيرة و لو لم يعزم على العود كانوا مصرّاً و ذلك غير صحيح و لا يرضى بذلك احد حتّى الشّيخ «ره» نفسه كما يظهر من بعض كلامه في المقام مضافاً الى أنّها مرسلة كما هو واضح و اما تأييده «ره» بما ورد في تفسير الآية ففيه :

أَمَّا أَوَّلًا أَنْ الرَّوَايَةَ ضَعِيفَةً جَدًّا. (١)

و ثَانِيًا يَلْزَمُ عَلَى إِطْلَاقِهِ الْمَحْذُورِ السَّابِقِ اعْنِي بِمَجْرَدِ صُدُورِ الذَّنْبِ عَنِ الْفَاعِلِ وَ عَدَمِ تَهَيُّوهِ لِلتَّوْبَةِ أَنَّهُ كَانَ مُصَرًّا وَ لَوْ لَمْ يَعْزَمْ عَلَى الْعُودِ وَ هَذَا خِلَافَ مَا يَرْضَى بِهِ الْأَصْحَابُ كَمَا عَرَفْتَ وَ أَمَّا تَأْيِيدُهُ بِهِ حَدِيثُ جُنُودِ الْعَقْلِ وَ الْجَهْلِ فَأَنَّهُ «رَه» أَشَارَ إِلَى سَقَمِهِ بِقَوْلِهِ فَتَأَمَّلْ وَ أَمَّا تَأْيِيدُهُ «رَه» بِمَا فِي حَسَنَةِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ فَفِيهِ:

أَمَّا أَوَّلًا يَلْزَمُ الْمَحْذُورُ السَّابِقُ.

و ثَانِيًا أَنَّهَا غَيْرُ مُرْبُوطَةٍ بِهِ بَيَانُ مَعْنَى الْأَصْرَارِ بَلْ يَظُنُّ أَنَّهَا كَانَتْ فِي مَقَامِ بَيَانِ مُطْلَبٍ آخَرَ وَ هُوَ أَنَّ مَعْنَى مَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الْكَبِيرَةِ مَعَ عِلْمِهِ بِالْعِقَابِ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ وَ لَذَا قَالَ «وَلَوْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْعُقُوبَةِ لَنْدَمَ» وَ مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ قَدْ مَثَلَ بِالْكَبَائِرِ لِأَنَّهَا قَدْ أَوْعَدَ عَلَيْهَا النَّارَ، وَ الْمُرَادُ مِنْ لَفْظِ النَّدَمِ الْمُتَكَرِّرِ فِيهَا هُوَ مَا يَلْزِمُ الْإِيمَانَ اعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالْعِقَابِ إِذَا صَدَرَ عَنْهُ الْمَعْصِيَةُ الْكَبِيرَةُ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ سَيُعَاقَبُ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ النَّدَمُ إِذْ لَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِالْعِقَابِ وَ بَيْنَ عَدَمِ النَّدَمِ.

١ - لِأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي طَرِيقِهَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍو، فِي مَجْمَعِ الرِّجَالِ عَنِ الْكُشِيِّ فِي ذَيْلِ صَحِيفَةِ ٢٨٦، جُلْد ٤، أَنَّ عَمْرًا هَذَا مَتَّهَمٌ بِالْغُلُوفِ وَ التَّفْوِيزِ، وَ فِيهِ أَيْضًا فِي صَحِيفَةِ ٢٨٧، جُلْد ٤ عَنِ النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنُ شَمْرٍو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَعْفِيُّ عَرَبِيٌّ رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ضَعِيفٌ جَدًّا، زَيْدٌ أَحَادِيثُ فِي كُتُبِ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ يَنْسَبُ بَعْضُهَا إِلَيْهِ وَ الْأَمْرُ مُلْتَبَسٌ وَ تَقَدَّمَ فِي جَابِرٍ، وَ فِي ذَيْلِهَا أَنَّ عَمْرًا هَذَا غَمَزَ عَلَيْهِ وَ هُوَ ضَعِيفٌ.

وبالجملة انَّ الحسنة كانت ناظرةً الى ان عقاب فاعل الكبيرة كان لانجاره الى الانكار بمسئلة العقاب ولذا قال: والمصرّ لا يغفر له مع ان من المقطوع انَّ المصرّ في المعاصي ولو في الكبائر كان قابلاً للمغفرة اذا لم ينجرّ الى الانكار و ممّن تكون قابلاً للشّفاة و يشهد على ذلك قوله - عليه السّلام - في اواخر الحسنة «و الذين الاقرار بالجزاء على الحسنات و السيّئات»، اذ مرتكب الكبائر ولو مصرّاً و هو ممّن اقرّ بالجزاء على الحسنات و السيّئات هو المرتضى و قابل للشّفاة و ليست في مقام بيان معنى الاصرار و بيان حقيقة التّوبة مع شرائطها اذ لو كان المراد كذلك كان التائب بمضمون آيات التّوبة و اخبارها داخلًا في المحسنين، و اما المحسنون فما عليهم من سبيل.

و بعبارة اخرى، انَّ الحسنة غير مربوطة بالاصرار بالصغيرة بل مربوطة بالاصرار في الكبيرة، بمعنى انَّ المصرّ هو الجرّى، على اتيان المعاصي بحيث يرجع اصراره و ابقائه على المداومة على الكبيرة الى عدم تحقّق الايمان بالعقوبة، و اما اذا كان مؤمناً بها لكن بقاءه على المداومة كان لاجل اتكائه على التّوبة فيما بعد ذلك لا يكون مصرّاً و لا يصدق عليه الاصرار و ذلك المفاد غير مربوطة بما نحن بصده و استشهاد الامام - عليه السّلام - به قول النبيّ - صلى الله عليه و آله و سلّم - في ذيلها راجع الى جملتها الاولى «اعني قوله لا كبير مع الاستغفار» لاجل تحقّق معنى التّوبة بالاستغفار و لذا قد انتفى - صلى الله عليه و آله و سلّم - الكبيرة معد و غير مربوطة به جملة الثّانية اعني قوله و لاصغير مع

الأصرار ولو كان كذلك لكان الاستشهاد غير مناسب ولعلّه واضح و كيف كان أن الأصرار باق على معناه اللغوي ولم يبق لنا وجه للصرف عما هو الظاهر فيه والله العالم.^(١)

١ - أجمال في المقام، و اشكال و دفع في المقال:

أما الأجمال: فهو أن الظاهر من المحسنة صدراً و ذليلاً أنها اثبتت الشفاعة لاهل الكبائر اذا كانوا نادمين اذ الندامة علامة للإيمان بالعقوبة و في صورة عدم الندامة عدّها من قبيل الظالمين «الذين ليس لهم شفيع يطاع» فلم يشملهم الشفاعة، و بالجملة: جعل فيها صلاحية الشفاعة لاهل الكبائر لاجل الندامة المستلزم للإيمان بالعقوبة و جعل المصّر في مقابل ذلك و هذا غير مربوط بما نحن بصدده. و اما الاشكال: فهو ان مرتكب الكبائر ان كان نادماً و يكفي الندامة لتوبته فلا يحتاج الى الشفاعة كما هو صريح متن ما روي - عليه السلام - عن النبي بل هو من المحسنين «و ما على المحسنين من سبيل» كما نصّ به في المحسنة و لو كان العاصي من اهل الصغائر أنّه ايضاً من اهل المغفرة لتكفيرها بنص الآية: «ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم»، و ان مرتكب الكبائر ان كان غير نادم فلا يكون مشمولاً للشفاعة و كان ظالماً و الله تعالى ذكره يقول «ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع» كما هو صريح ذيل الرواية فالألزام من ذلك لغوية الشفاعة لاهل الكبائر و الصغائر لأنهم على فرض الندامة عن الكبائر لا يبقّى سيئة لا كبيرة لاجل الندامة و لا صغيرة لاجل التكفير و على فرض عدم الندامة عن الكبائر لا تشملهم الشفاعة لاجل عدم الإيمان بالعقوبة ففي جميع الصور لا تنفع الشفاعة أصلاً فصارت لغواً و هو باطل قطعاً بالأدلة المبرهنة في

→ محلة نعم يبقى موردٌ لنفع الشفاعة فيه و هو من كان مرتكباً للكبائر و الصغائر و نادماً على الكبائر فقط فلا تنفع الشفاعة لها للندامة و لكن لم يكن نادماً على الصغائر فالشفاعة نافعة في هذا الفرض و لكن ان ذلك خارج عن مورد الزاوية و نادر جداً مع أنه يمكن من دخول هذا المورد في عموم قوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون...﴾ فافهم و تأمل.

و اما الدفع: اعلم ان الحسنة قد اشتمل على فقرات:

الفقرة الاولى: هي صدر الزاوية «الى قوله، قال ابن ابي عمير فقلت» ففادها معلومة و لا اشكال فيها.

الفقرة الثانية: قوله بعد ذلك يابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب «الى قوله، و لاشفيح مطاع» فكان - عليه السلام - في تلك الفقرة في مقام بيان مورد اهل الشفاعة و بين انها اهل الكبائر و اشكل ابن ابي عمير بانهم ليسوا من اهل الشفاعة اذ انهم ليسوا بمرتضى و اجاب عنه بانهم لما كان من التاديبين به افعالهم السوء فهم المؤمنون و اوضح ايمانهم في الفقرة الثالثة اعني قوله: «فقلت له: يابن رسول الله كيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب» فاجاب - عليه السلام - عنه بأنه مع علم المرتكب بالعقاب لو لم يندم فهو مصرّ فانه لا يغفر لانه صار حينئذٍ من غير اهل الايمان بالعقاب و لو كان من اهل لندم و لا يجتمع الايمان بالعقاب مع عدم التدم فعلى هذا ان المراد بالتدم هنا، التدم الذي منشأ الخوف من العذاب الملازم للايمان بالعقاب و ليس المراد التدم بمعنى التوبة.

فالحاصل، ان المراد بالتدم هو الملازم للايمان بمعنى ان المؤمن المعتقد بالجزاء

→ لا يَنفَكَ عنه الندم على أعماله السوء لاعتقاده بالجزاء، ولذا كان من أهل الذين، وفسر في آخر كلامه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، بالارتضاء عن دينه والذين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات فالحسنة اجنبية عما بصده الشيخ - قدس سره - فتأمل فيها لدفع الاشكال عنها. والآ فلا بد من ايكالها مفاداً إلى من صدر عنه - صلوات الله عليه -.

تذنيب

هل يكون اللازم التوبة على رجل قد اقيم عليه الحدّ أم لا بمعنى أنّه يعاقب عليه لو لم يندم على معصيته او بمجرد اقامة الحدّ عليه سقط عنه العقاب أمّا على القاعدة، وعلى ما اسلفنا من المباحث، يلزم عليه التوبة حتّى يدرء عنه العقاب، واما على حسب حسنة حمران التي سنذكرها للتّالي، فيسقط عنه العقاب تفضلاً نعم لا يبعد توقيف الامر على موردها وعلى ما يرادفها من القتل لانّها مخالف للقاعدة و تحقيق الكلام موكول الى محله والمجلسي «ره» قد اطنب الكلام. (مرأت العقول ج ١١، ص ٣٢٥ الى ٣٣٢). في التوبة ولكن لم ينقح ما اشرنا اليه آنفاً واما الحسنة، ففي الكافي بسنده الحسن عن حمران قال: سألت با جعفر - عليه السلام - عن رجل اقيم عليه الحدّ في الرّجم، أيعاقب [عليه] في الاخرة؟ قال: ان الله اكرم من ذلك. (ج ٢، ب ان الذنوب ثلثة، ح ٢، ص ٤٤٣).

تدنيب آخر

أن ما يوجب محو السيئات وتكفيرها أمور:

الاول التوبة وقد مرّ أن شأنها رفع العقاب مستقلة

الثاني اجتناب الكبائر فإنّه ماحية ومكفّرة للصغائر كما عرفت من مطالب السابقة ولما كان جملة ان تجتنبوا في قوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾^(١) مطلقة فاللازم هو ان يجتنب من الكبائر طيلة الحياة فلو صدر عنه كبيرة ولو في آخر عمره لم تكفر عنه الصغائر.

الثالث الابتلائات الواردة على المؤمن فإنها مورثة لتكفير ذنوبه و يدلّ على ذلك الاخبار الكثيرة:

منها في مجالس المفيد «ره» بسنده قال: حدثني ابي عن جدّي عن ابيه عن جدّه عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب قال: سمعت عليّ بن الحسين زين العابدين - عليهما السلام - يقول: ما اختلج عرق ولا صدع مؤمن قطّ الا بذنبه وما يعفوا الله عنه اكثر وكان اذا رأي المريض قد برى، قال: ليهنك الطهر من الذنوب فاستأنف العمل.^(٢)

ومنها فيه بسنده عن الحكيم عتيبة قال: قال أبو عبد الله - عليه السلام - :
 إنَّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده ما يكفرها ابتلاه الله تعالى
 بالحزن فيكفر عنه ذنوبه. ^(١) ونقل ثقة الاسلام الكليني «ره» جملة منها في
 باب ^(٢) تعجيل عقوبة الذنب.

منها بسنده عن حمزة بن حمران عن أبيه عن أبي جعفر - عليه السلام -
 قال: إن الله عز وجل إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنبٌ ابتلاه
 بالسقم فإن لم يفعل ذلك له ابتلاه بالحاجة فإن لم يفعل به ذلك شدد عليه
 الموت ليكافيه بذلك الذنب قال: وإذا كان من أمره أن يهين عبداً وله
 عنده حسنة صحح بدنه فإن لم يفعل به ذلك وسع عليه في رزقه فإن هو لم
 يفعل ذلك به هون عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنة ^(٣)، ونقل العلامة
 المجلسي «ره» بعضها في البحار في باب ^(٤) سكرات الموت وشدائده.

منها عن الخصال الأربعمئة عن أمير المؤمنين - عليه السلام - قال: ما من
 الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتى يتلى ببلية تمحص بها
 ذنوبه أما في مال وأما في ولدٍ وأما في نفسه حتى يلقي الله عز وجلّ وما له
 ذنب وأنه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد به عليه عند موته. ^(٥)

١- المجلس الثالث، ص ١٤.

٢- جلد ٢، ص ٤٤٤، وهذا الباب محتوئ اثني عشرة رواية وجميعها دالة على
 المدعى، خصوصاً ح ٤ و ١٠ و ١٢ كلّها صحاح فراجع.

٣- جلد ٢، باب تعجيل عقوبة الذنب، ح ١، ص ٤٤٤.

٤- ج ٦، باب ٦، ص ١٤٥. ٥- ج ٦، باب ٦، ح ١٤، ص ١٥٧.

ومنها ما فيه ايضاً عن مجالس المفيد و امالي الشيخ بسنده عن محمد بن عطية عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: الموت كفارة لذنوب المؤمنين^(١)، ولكن عقد فيه لهذه الاخبار باباً في شدة ابتلاء المؤمن و علته و فضل البلاء فراجع لذلك جزء^(٢) سبع و ستين، و لا يخفى ان الاخبار صريحة فيما ذكرناه فلا يحتاج الى اطالة الكلام فيها.

الرابع الاعمال الحسنة بما هي هي كانت سبباً مستقلاً لتكفير السيئات و نحوها و يدل على ذلك بعض الآيات و الاخبار المستفيضة بل متواترة قطعاً اما الآيات فتدل بعضها بنحو الخصوص و الآخر بنحو العموم.

اقم الاول مثل قوله تعالى: ﴿واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾^(٣). قال الطبرسي «ره»: قيل اراد بطرفي النهار صلوة الفجر و المغرب و بزلف من الليل صلوة العشاء الآخرة، و الزلف اول ساعات الليل عن ابن عباس و ابن زيد قالوا و ترك ذكر الظهر و العصر لاحد امرين، اما لظهورهما في انهما صلوتا النهار، فكانه قال و اقم الصلوة طرفي النهار مع المعرفة من صلوة النهار و اما لانهما مذكورتان على التبع للطرف الاخير لانهما بعد الزوال فهما اقرب اليه، و قد قال سبحانه: ﴿اقم الصلوة لعلك تلوك الشمس

الى غسق الليل ﴿١﴾، ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن أبي جعفر - عليه السلام - وقيل صلاة طر في النهار الغداة والظهر والعصر و صلاة زلف الليل المغرب والعشاء الاخرة عن الزجاج وبه قال: مجاهد و الضحاك و محمد بن كعب القرظي والحسن، قالوا: لأن طرف الشيء من الشيء و صلاة المغرب ليست النهار قال الحسن: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: المغرب والعشاء زلفتا، الليل، وقيل اراد بطر في النهار صلاة الفجر و صلاة العصر، ﴿٢﴾ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴿٣﴾، قيل في معناه ان صلاة الخمس تكفر ما بينها من الذنوب، لانه عرف الحسنات بالالف واللام وقد تقدم ذكر الصلوة عن ابن عباس و اكثر المفسرين ثم نقل «ره» خمسة من اخبار الباب، بعضها دالة على ان صلاة الخمس موجبة لاذهب السيئات، وبعضها على ان الصلوة كانت كذلك ولم يقيدها بالخمس، وبعضها على ان الحسنة مورثة للاذهاب، وعللها به جملة ان الحسنات يذهبن السيئات، ثم قال: وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكانها يذهبن بها وقيل ان المراد بالحسنات التوبة فانها تذهب السيئات بان تسقط عقابها لانه لاخلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة، ﴿٤﴾ ذلك ذكره للذاكرين ﴿٥﴾، يعني ان ما ذكره من ان الحسنات تذهب السيئات فيه تذكار و موعظة لمن تذكر به وفكر فيه انتهى كلامه رفع مقامه. (١)

اقول: ولا يخفى ان احتمال الاخير في غاية الضعف ومخالف لظاهر الآية و
للاخبار الواردة في تفسير الآية خصوصاً في جملة ﴿ان الحسنات....﴾
لان لفظ الحسنات ظاهرة في مطلق الحسنة ولا يفسرها في شيء من
الاخبار بالتوبة بل يعلل جملة ﴿ان الحسنات....﴾ فيها لمطلق الحسنات
اعم من الصلوة ونحوها اعني جميع افرادها وظاهر التعليل ان نفس
الحسنة بما هي هي مزيله للسيئات واما الاحتمال السابق عليه اضعف من
ذلك اذ بناءً عليه لابد من التصرف في اسم ان اعني الحسنات الظاهرة في
افراد الحسنة ويحملها على الدوام من غير دليل والتصرف في
جملة ﴿يذهبن﴾ الظاهرة في المحو وينصرفها الى معنى الترك من غير
قرينة وكلاهما مخالف لدأب اهل اللسان ويبقى احتمال الاول اعني
تخصيص جملة ﴿ان الحسنات....﴾ بصلوة الخمس ويأتي الكلام فيه
للتالي ان شاء الله تعالى.

والتحقيق انه لا اشكال في ان جملة ﴿ان الحسنات....﴾ واقعة في مقام
التعليل لقوله تعالى: ﴿واقم الصلوة....﴾ ولما كانت العلة عامة لمكان
الجمع المحلى باللام والسيئات ايضاً عامة كذلك فلا بد من الاخذ بهما معاً و
كان مفادها ان كل آحاد من الحسنات تذهب كل آحاد من السيئات
صغيرة كانت او كبيرة، وخصوصية المورد لا تؤثر في عمومية العلة كما هو
واضح، ونحن لم نظفر بعد فحص التام في الاخبار على ما يكون مخصصاً
لهذا العموم، فحسب القاعدة لابد من الاخذ بالعمومين كليهما، بل نجد
لتقريرهما وتثبيتهما في كثير من الاخبار عموماً وخصوصاً كما ستطلع

عليها في مبحث الاخبار ان شاء الله تعالى ولا يخفى ان هذه الآية واردة في خصوص الحسنات.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقِبِي الدَّارُ﴾^(١) قال الطبرسي «ره»: اي يدفعون بفعل الطاعة المعصية. قال ابن عباس: يدفعون بالعمل الصالح السييء من العمل كما روي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال لمعاذ بن جبل: اذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تمحها وقيل معناه يدفعون اساءة من اساء اليهم بالاحسان والعفو ولا يكافون كقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ عن قتاده وغيره وقيل معناه يدفعون بالتوبة معرة الذنب عن ابن كيسان. انتهى كلامه.^(٢)

اقول وكيف كان فالآية مطلقة ولا دليل على ان يخصها به بعض الوجوه كما قال بعض المحققين: فعلى هذا ان ما نحن بضدده داخل في الآية فلا تغفل.

واقا الثاني اعني ما كان دلالتها بنحو العموم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ. يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣)، قال الطبرسي «ره»: اي ان تتقوا عقاب الله

بالتقاء معاصيه و اداء فرائضه، يجعل لكم فرقاناً أي هداية و نوراً في قلوبكم يفرقون بها بين الحقّ و الباطل عن ابن جريج و ابن زيد و قيل معناه يجعل لكم مخرجاً في الدنيا و الاخرة عن مجاهد و قيل يجعل لكم نجاة عن السّدي و قيل يجعل لكم فتحاً و نصراً كما قال: ﴿يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ عن الفراء و قيل يجعل لكم عزّاً في الدنيا و ثواباً في الاخرة و خذلاناً و عقوبة لاعدائكم و ذلاًّ و عقاباً كلّ ذلك يفرق بينكم و بينهم في الدنيا و الاخرة عن الجبائي ﴿و يكفر عنكم سيئاتكم﴾ التي عملتموها، انتهى^(١).

اقول: لاشبهة في ان المراد بالتقوى في هذه الآية هو التقوى العملي اذا لخطاب فيها الى المؤمنين و المراد منه اما مطلق التقوى اعني الاتقاء عن المعاصي و اداء الفرائض و منها امثال امر الجهاد كما هو ظاهرها خصوصاً بقرنية آية السابقة لها اعني قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تخافوا الله و الرسول﴾ الآية و اما المراد خصوص الجهاد اذ اوائل السورة متعرضة للجهاد و ان كان ذلك الاحتمال ضعيف و كيف كان ان الآية كانت في مقام بيان قاعدة كليّة به مقتضى الفضيّة الشرطية و هي ان التقوى مستقلة موروثة لجعل الميز بينكم و بين الكفار و لتكفير المعاصي و غفرانها مطلقاً و اصرح من تلك الآية في بيان القاعدة المذكورة هو قوله تعالى: ﴿ذلك امر الله انزله اليكم و من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم

له اجراً ﴿١﴾ و مفادها واضحة و هذه الآية و ان كانت آية السابقة (٢) لها
مربوطة بالتقوى النساء في زمن العدة و لكن مع ذلك أنها كانت في مقام
بيان قاعدة كليته فلا تغفل، و لما كان التقوى مركباً عن اتقاء المعاصي و
اداء الفرائض فالآية تدلّ لا بنحو الخصوص على ما ادّعيناه و ان شئت
جعلت التقوى عنواناً مستقلاً للتكفير فلا بأس به، و من الآيات التي تدلّ
على المقصود في خصوص بعض الحسنات، هو قوله تعالى: ﴿ان تقرضوا
الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم و الله شكور حلیم﴾ (٣).
و قد استدللّ العلامة الطباطبائي - قدس سره - في تفسيره للتكفير به
بعض آيات آخر:

منها قوله تعالى: ﴿و اذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه و من تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى و اتقوا الله و اعلموا انكم اليه
تحشرون﴾ (٤).

و منها قوله تعالى: ﴿الا من تاب و عمل صالحاً فاولئك يبذل الله سيئاتهم
حسنات و كان الله غفوراً رحيماً﴾ (٥)، اما الآية الاولى تدلّ على المدعي

١ - الطلاق، ٥

٢ - و آية السابقة لها هي قوله تعالى: ﴿و الا اني ينسن من الحيض من
نساكنم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر و الا اني لم يحضن و اولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن و من يتق الله يجعل له من امره يسراً﴾.

٤ - البقرة، ٢٠٣

٣ - التباين، ١٧

٥ - الفرقان، ٧٠

بناءً على أنها كانت في مقام بيان ان من اثم مناسك الحج فهو مغفور، سواء تعجل ام لا كما فسرّه المحقق المزبور بذلك وان كان التعجيل مشروطاً على اتقائه عن اصابة العبد والنساء في حال الاحرام كما عليه المشهور كما في الجواهر^(١) و تدلّ على ذلك ايضاً بعض الاخبار واذا انتفى الشرط لم يجز له التعجيل في النفر الاول بل يجب التأخير الى النفر الثاني ولكن هذا احد الاحتمالين في قوله تعالى: ﴿فلا اثم عليه﴾ واما بناءً على احتمال الآخر فلا تكون الآية دليلاً لما نحن فيه، وهو ان الآية كانت في مقام بيان حكم التعجيل فقط اعني ان التعجيل في صورة الاتقاء لا اثم عليه، وتكرار قوله ﴿فلا اثم عليه﴾ عند التأخير من قبيل قوله ان الصدقة ان اعلنتها حسنة وان اسررتها حسنة وان كان الاسرار افضل، ويحتمل ترجيح هذا الاحتمال لان الجملة واقعة بعد الامر بذكر الله تعالى في ايتام معدودات و هي ايتام التشريق و يتوهم ان التعجيل يستلزم الاثم فقد نفى الاثم على شرطه الاتقاء والله العالم. وعلى فرض التسليم ان هذه الآية كانت احدى مصاديق آية ﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾ فتدبر جيداً.

واما الآية الثانية فربوطة بمسئلة التوبة ولم تكن دليلاً لما نحن بصده و قد تقدّم تفصيلها في البحث عن آيات التوبة فراجع^(٢) اما الاخبار فستفيضة غايتها، بل متواترة، وكانت على طوائف:

الاولى قد دلت صريحاً على محو السيئات بواسطة الحسنة مع الاستدلال

فيها به جملة ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ الآية.

الثانية قد دلت صريحاً على نحو السيئة بالحسنة فقط.

الثالثة دالة على ما ادّعيناه بالاجمال اعني يترتب فيها الغفران على فعل الحسنة فقط ونحن نكتفي به نقل جملة من تلك الطوائف الثلاث ونشير الى باقي الاخبار الباب في ذيل الصحيفة اجمالاً أخافة من الاطالة أما الطائفة الاولى،

فمنها ما في الكافي بسنده الصحيح عن فضل ابن عثمان المرادي قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: اربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن الا هالك يهيم العبد بالحسنة فيعملها فان هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته وان هو عملها كتب الله له عشرأ و يهيم بالسيئة ان يعملها فان لم يعملها لم يكتب عليه شيء وان هو عملها أجل سبع ساعات وقال: صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال لا تعجل عسى ان يتبعها بحسنة تمحوها فان الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ او الاستغفار فان هو قال: استغفر الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذو الجلال والاكرام واتوب اليه لم يكتب عليه شيء وان مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار قال: صاحب الحسنات لصاحب السيئات اكتب على الشقي المحروم^(١).

ومنها ما في امالي المفيد بسنده عن ابي النعمان عن ابي عبد الله جعفر بن محمد - عليهما السلام - قال: قال لي: يا ابا النعمان لا يغرّك الناس من نفسك فان الامر يصل اليك دونهم ولا يقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحصى عليك و احسن فاني لم ار اشدّ طلباً ولا اسرع دركاً من حسنة، محدثة لذنوب ان الله عز وجل يقول: ﴿ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾^(١).

ومنها ما في الامالي الطوسي عن ابي اسحاق الهمداني قال: لما ولي امير المؤمنين علي بن ابي طالب - صلوات الله عليه - محمد بن ابي بكر مصر و اعياها كتب له كتاباً و امره ان يقرأه على اهل مصر و ليعمل بما وصّاه به فيه و كان الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين علي بن ابي طالب - عليه السلام - الى اهل مصر و محمد بن ابي بكر سلام عليكم (الى ان قال) فمن عمل لله تعالى اعطاه اجره في الدنيا و الآخرة و كفاه المهمّ فيهما و قد قال الله تعالى: ﴿قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة و ارض الله واسعة انما يوفي الصّابرون اجرهم بغير حساب﴾^(٢)، فما اعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿للذين احسنوا الحسنى و زيادة﴾^(٣)، و الحسنى هي الجنة و الزيادة هي الدنيا، و ان الله تعالى يكفر

بكلّ حسنة سيّئة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١)، حتّى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثمّ اعطاهم بكلّ واحدة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عزّ وجلّ: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا﴾^(٢)، وقال: ﴿فَاُولَئِكَ﴾^(٣) لهم جزاء الضّعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾^(٤)، الحديث. فهذه بعض روايات التي قد صرح فيها بمحو السيّئة عند فعل الحسنة مع الاستدلال بجملة ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ هذه الاخبار من طرق الخاصة، وأمّا الاخبار من طرق العامّة في هذا الباب فهي كثيرة.

منها في صحيح المسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود ان رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فذكر ذلك له قال: فنزلت ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ لِلذَّاكِرِينَ﴾، قال: فقال الرّجل الى هذه يا رسول الله قال: لمن عمل بها من أمّتي.^(٥)

ومنها فيه بسنده عن عبد الله قال: جاء رجل الى النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم -

٢- النبأ، ٣٦

١- هود، ١١٤

٣- النبأ، ٣٧

٤- جلد ١، الجزء الأوّل، ومن طوائف الأولى ما نقلها المفيد «ره» في إماله، م ٢٣، ح ٣، ص ١٠٨، والطبرسي في مجمع البيان في تفسيره، حسنات، هود ١١٤، وما في

البحار عن الرجال كشي في باب ٨٢، ح ٣٢ و ٣٣، ج ٧٥

٥- الجزء الثامن، ب أن الحسنات يذهبن السيّئات، ص ١٠١-١٠٢.

آله و سلم - فقال: يا رسول الله اني عاجلت امرأة في اقصى المدينة و اني اصببت منها مادون ان امسها فانا هذا فاقض في ما شئت فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك قال: فلم يرد النبي شيئاً فقام الرجل فانطلق فاتبعه النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - رجلاً دعاه و تلا عليه الآية ﴿ اقم الصلوة طر في النهار و زلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ فقال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة قال: بل للناس كافة. (١)

اما الطائفة الثانية فيها، ما في الامالي الطوسي، بسنده عن ابي ذر الغفاري رحمه الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم -: اتق الله حيث ما كنت و خالق الناس بحسن خلق، و اذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها. (٢)

ومنها ما فيه ايضاً بسنده عن ابي عثمان قال: كنا مع سلمان الفارسي رحمه الله، تحت شجرة فاخذ غصناً منها فنفضه، فتساقط ورقه فقال: الا تسألوني عما صنعت فقلنا خبرنا فقال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - في ظل شجرة فاخذ غصناً منها فنفضه فتساقط ورقه فقال: الاتسألوني عما صنعت فقلنا اخبرنا يا رسول الله قال: ان العبد المسلم اذا قام الى الصلوة تحاطت عنه خطايا كما تحاطت ورق هذه

الشجرة (١).

ومنها ما في الكافي بسنده عن ابان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام - مزاملة فيما بين مكة والمدينة فلما انتهى الحرم نزل و اغتسل و اخذ نعليه بيديه ثم دخل الحرم فصنعت مثل ما صنع فقال: يا ابان من صنع مثل ما رأيته صنعت تواضعاً لله محي الله عنه مائة الف سيئة و كتب له مائة الف حسنة و بنى الله عز وجل له مائة الف درجة و قضى له مائة الف حاجة^(٢)، و نقلها بعينها الشيخ «ره» في التهذيب^(٣) عن الكليني «ره» مع اختلاف يسير في العبارة.

ومنها ما فيه ايضاً بسنده عن مثنى الحنّاط عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام - قال: سمعته يقول: من اتى الحسين - عليه السلام - عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر.^(٤)

ومنها في التهذيب بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: لو كان على باب دار احدكم نهر فاغتسل في كلّ يوم منه خمس مرّات اكان يبقّى في جسده من الدرن شيئا قلنا: لا. قال: فان مثل الصلوة كمثّل النهر الجاري كلّما صلى

١ - ج ١، الجزء السادس، ص ١٧٠. ٢ - جلد ٤، باب دخول الحرم، ح ١، ص ٣٩٨.

٣ - ج ٥، باب دخول مكة، ح ٣١٧، ص ٩٧.

٤ - ج ٤، باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسين - عليه السلام -، ح ٨، و حديث التاسع و العاشر من هذا الباب كانا بهذا المضمون ايضاً، ص ٥٨٢.

صلوة كفرت ما بينها من الذنوب.^(١)

ومنها ما فيه ايضاً بسنده عن جابر عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: من حمل جنازةً من اربع جوانبها غفر الله له اربعين كبيرة^(٢).

ومنها في امالي المفيد بسنده عن ابي النعمان العجلي قال: قال ابو جعفر محمد ابن علي - عليهما السلام - : يا ابا النعمان لا تحقّق علينا كذباً فتسلب الحنيفيّة يا ابا النعمان لا ترأس فتكون ذنباً يا ابا النعمان انك موقوف و مسئول لاحالة فان صدقت صدقناك و ان كذبت كذبتك يا ابا النعمان لا يفرّك الناس عن نفسك فان الامر يصل اليك دونهم و لا تقطعن نهارك بكذا و كذا فان معك من يحفظ عليك و احسن فلم ار شيئاً اسرع دركاً و لا اشدّ طلباً من حسنة لذنوب قديم.^(٣)

١- ج ٢، ح ٩٣٨، ص ٢٣٧. ٢- ج ١، ح ١٤٧٩، ص ٤٥٤

٣- م ٢٣، ح ٤، ص ١٠٨ و من هذه الطائفة ما نقلها المفيد «ره» في هذا المجلس من اماليه، ح ١٤، ص ١١١.

و منها خمسة روايات نقلها الطبرسي «ره» في مجمع البيان في تفسير آية «ان الحسنات» الآية التي تقدّم ذكر بعضها هود ١١٤، ص ٥٤٢.

و منها ما في امالي الصدوق، م ٨٠، ح ١، ص ٥٣٤.

و منها ما فيه ايضاً، م ٨١، ح ١، ص ٥٤٢ و م ٨٦، ح ١١، ص ٥٨٧.

و منها ما في الامالي الطوسي، ج ١، الجزء الخامس، ص ١٤٩.

و منها ما في الامالي الصدوق، م ٨١، ح ٢٢، حديث شريف طويل ص ٥٤٩.

ومنها ما في الكافي بسنده عن سيف التمار عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: من نظر إلى الكعبة لم يزل تكتب له حسنة وتمحي عنه سيئة حتى ينصرف ببصره^(١) عنها.

ومنها ما فيه أيضاً بسنده الحسن عن حريز عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: النظر إلى الكعبة عبادة والنظر إلى الوالدين عبادة والنظر إلى الإمام عبادة وقال: من نظر إلى الكعبة كتبت له حسنة ومحيت عنه عشر سيئات^(٢)، وهذه الطائفة كما ترى صريحة في أن السيئات تمحي بفعل العبادات وإن دركها هو الحسنات.

→ ومنها ما في التهذيب، ج ٣، ح ١٩٨، ص ٥٧.

ومنها ما في الكافي بسنده الصحيح عن عبد الكريم بن عتبة عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: سمعته يقول: من قال عشر مرات قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كانت كفارة لذنوبه ذلك اليوم. جلد ٢، باب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عشراً. ح ١، وإيضاً في باب تلو تاليه، ح ١، ص ٥١٩.

ومنها في الكافي جلد ٤، في باب فضل زيارت أبي الحسن الرضا - عليه السلام -، ح ٣، ص ٥٨٥ وغير ذلك منها في سائر الأبواب. منها فيه في بواب قراته ج ٢، ح ٢، صحيح ص ٦١١.

١ - ج ٤، باب فضل النظر إلى الكعبة، ح ٤، ص ٢٤٠.

٢ - ج ٤، باب فضل النظر إلى الكعبة، ح ٥، ص ٢٤٠.

وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ فَمِنْهَا مَا فِي الْكَافِي بِسَنَدِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - قَالَ: مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَعْرِفَةٍ فَعَرَفَ مِنْ حَقِّهَا وَحَرَمَتِهَا مِثْلَ الَّذِي عَرَفَ مِنْ حَقِّهَا وَحَرَمَتِهَا غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ وَكَفَاهُمْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ. ^(١)

وَمِنْهَا مَا فِيهِ أَيْضاً بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَّازِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - قَالَ: إِنْ لِلْكَعْبَةِ لِلْحِظَّةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَغْفِرُ لِمَنْ طَافَ بِهَا أَوْحَنَ ^(٢) قَلْبِهِ إِلَيْهَا أَوْ حَبَسَهُ عَنْهَا عَذَرَ. ^(٣)

وَمِنْهَا مَا فِي أَمَالِي الصَّدُوقِ بِسَنَدِهِ عَنْ غِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ - عَلَيْهِمُ السَّلَام - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: مَنْ صَامَ يَوْماً تَطَوُّعاً ابْتِغَاءً ثَوَابِ اللَّهِ وَجِبَتْ لَهُ الْمَغْفِرَةُ. ^(٤)

وَمِنْهَا مَا فِيهِ أَيْضاً بِسَنَدِهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَام -: مَنْ صَامَ يَوْماً فِي الْحَرِّ فَاصَابَهُ ظَمَأٌ وَكُلَّ اللَّهُ بِهِ الْفَ مَلِكٌ يَمْسَحُونَ وَجْهَهُ وَيُبَشِّرُونَهُ حَتَّى إِذَا افْطَرَ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَا أَطِيبَ رِيحِكَ وَرَوْحِكَ يَا مَلَأْتُكَتِي أَشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غُفِرْتَ لَهُ. ^(٥)

وَمِنْهَا مَا فِي التَّهْذِيبِ بِسَنَدِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ خَالِدٍ عَنْ حَدَّثِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ

١ - جلد ٤، باب فضل النظر الى الكعبة، ح ٦، ص ٢٤١

٢ - اى اشتاق و مال اليها

٣ - جلد ٤، باب فضل النظر الى الكعبة، ح ٣، ص ٢٤٠

٤ - م ٨٢، ح ٢، ص ٥٥١. ٥ - م ٨٦، ح ٨، ص ٥٨٦

- عليه السلام - قال: كان يقول: الدّاخل الكعبة يدخل و الله راض عنه
و يخرج عطلاً من الذّنوب.^(١)

و منها ما فيه ايضاً بسنده عن ابن القدّاح عن جعفر عن ابيه
- عليهم السلام - قال: سألت عن دخول الكعبة قال: الدخول فيها دخول
في رحمة الله و الخروج منها خروج من الذّنوب معصوم فيما بقي من عمره
مغفور له ما سلف من ذنوبه^(٢)، و الروايتان الاخيرتان اللذان نقلهما
الشيخ «ره» عن الكليني و كان ثانيهما بسنده الموثق قد نقلهما بعينهما ثقة
الاسلام الكليني «ره» في الكافي.^(٣)

و منها ما في التهذيب بسنده الصحيح عن سعد الاسكاف عن ابي جعفر
- عليه السلام - قال: أيما مؤمن غسل مؤمناً فقال: اذا قلبه «اللهم هذا
بدن عبدك المؤمن و قد اخرجت روحه منه و فرقت بينهما فعفوك عفوك»
الا غفر الله له ذنوب سنة الآ الكبائر^(٤)، و نقل^(٥) الصدوق «ره» هذه

١ - ج ٥، باب دخول الكعبة، ح ٩٤٣، ص ٢٧٥.

٢ - ج ٥، باب دخول الكعبة ح ٩٤٤، ص ٢٧٥

٣ - جلد ٤، باب دخول الكعبة، ح ١ و ٢، ص ٥٢٧.

٤ - جلد ١، ح ٨٨٤، ص ٣٠٣.

٥ - في الامالي الصدوق، م ٨٠، ص ٥٤٠، ح ٣ و من هذه الطائفة ما نقلها ثقة الاسلام

الكليني (ره) في الكافي، ج ٤، باب النفر من مني الاول و الاخر، ح ١٠، ص ٥٢١.

و منها ما في الامالي الصدوق، م ٨١، ح ٢، ص ٥٤٢.

و منها ما فيه ايضاً، م ٨٥، ح ٥، ص ٥٧٦ و غير ذلك منها في سائر الابواب.

الرواية بعينها مع اختلاف في السند، وهذه الطائفة من الاخبار وان كانت مضمون بعضها قريبة من الطائفة السابقة ولكنها واضحة الدلالة على المدعي.

تتميم

ههنا طائفة اخرى من الاخبار التي تدل على غفران الذنب بواسطة ترك الظلم ونقف عليها اخيراً، منها، في الكافي بسنده الموثق عن اسحاق بن عمار قال: قال ابو عبد الله: من اصبح لا ينوي ظلم احد غفر الله له ما اذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دمأً او يأكل مال يتيم حراماً^(١) وكيف كان هذه جملة من الاخبار^(٢) التي وقفت عليها في هذا الباب ومن الواضح ان المتفحص لو بذل قليلاً من الجهد يقف على غيرها من اخبار تلك الباب اضعافاً.

١- ج ٢، ب الظلم، ح ٧، ص ٣٣١ ومنها ح ٨ وح ٢١، من هذا الباب.

٢- و من تلك الطوائف منها في كامل الزيارات، ح ٥، ب ١٠٨، ص ٣٣٠ ومنها فيه ب

٤٩، ح ١، ص ١٣٢ ومنها فيه ب ٢٤، ح ٢، ص ١٢٣ بل كثير ابوبته تدل على ما

ذكرناه فارجعها.

و منها روايات كثيرة مختلفة في اخبار الوضوء التي نقلتها في جامع الاحاديث ج ٢،

ص ٢٣٦ الى ٢٤٢ و عليك الرجوع به كثير من ابواب مجلدات هذا الكتاب تجد فيها

ما نحن بصده خصوصاً المجلد التاسع منه ب ٣، في فضل شهر رمضان ص ٥٧ و

٥٨ و المجلد العاشر منه.

توضيح

لابدّ لاجل ما يستفاد من مجموع الأدلة ان يقيد إطلاق امثال هذه الموثقة بما اذا كان عدم نيته كان لاجل القربة حيث ان ترك المعصية مطلقاً وكذا المكروه اعني تركه اذا كان مقروناً بالامر القربى صار مستصفاً بالحسن شرعاً وله مثوبة وهو واضح اعني حتى يصير عبادة فذلك التّرك يصير من قبيل الحسنات و صار احد صفريات تلك الكبرى ولا خير بل يمكن ان يقال: كلّ ما ترك من المحرمات والمنهيات الغير المحرّمة بقصد القربة كما عرفت صارت من صفريات هذه المسئلة بل يمكن ان يقال: ان آية ان تجتنبوا كبائر الى آخره كانت ناظرة الى ما ذكرناه فاللازم هو تفقيد إطلاق الاجتناب به قصد القربة فلا تغفل كما دلّ على ذلك ما في الكافي بسنده عن السكوني عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «من ترك معصية لله مخافة الله تبارك وتعالى ارضاه الله يوم القيامة»^(١) وايضاً ان ذلك هو المنساق من اكثر سائر روايات باب السابق له واغلبها حسان وصحاح كما سنذكره ان شاء الله تعالى تالياً، منها حسنة زرارة بسنده عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: ما عبد الله بشيء افضل من عفة بطن وفرج^(٢)

١- ج ٢، ح ٦، باب اجتناب المحارم، ص ٨١.

٢- ج ٢، ح ١، باب العفة، ص ٧٩، وح ٢ حسن وح ٣ وح ٤ صحيح وح ٦ وح ٧

و منها حسنة هشام بن سالم بسنده عن سليمان بن خالد قال: سألت
اباعبدالله - عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿و قد منا الى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾^(١) قال - عليه السلام -: «اما
والله ان كانت اعمالهم اشدّ بياضاً من القباطي ولكن كانوا اذا عرض لهم
الحرام لم يدعوه»^(٢) ولا يخفى ان الآية بقرينة آيتي قبلها كانت في مقام
بيان اعمال الكفار كما عليه بعض المفسرين و اما الحسنة فهي شارحة لها و
لكن بواسطة جملة الاخيرة اعني قوله - عليه السلام -: و لكن كانوا اذا
عرض لهم الحرام قد يقال بان الحرام قد يسري الى حبط الطاعات مطلقاً
كما اشار الى ذلك المجلسي «ره» في مرآت^(٣) العقول و اطنب الكلام في
مسئلة الحبط و التكفير و لكن ان الضمير في قوله - عليه السلام - اذا
عرض لهم الحرام راجع الى ضمير في قوله تعالى الى ما عملوا و هو راجع
الى الكفار فلا تكون الحسنة مربوط بهذا الباب اعني انها كانت في مقام
بيان شرط صحة عملهم من الاسلام او ما هو بمنزلة من الايمان لترتب
الاثر كما اشار اليه في ذيل رواية التالية و هو غير موجودة و كانت الآية
بمثابة قوله تعالى: ﴿الذين كفروا و صدّوا عن سبيل الله اضلّ اعمالهم﴾^(٤)
كما دلّ على ذلك صريح رواية التي نقلت في تفسير القمي «ره» في تفسير

→ صحيح من تلك الباب و من باب اجتناب المحارم ١ صحيح و ح ٢ حسن و ح ٣ و
ح ٤ حسن و كلّها دالة على المقصود.

١ - الفرقان، ٢٣ ٢ - باب اجتناب المحارم، ح ٥، ص ٨١

٣ - ج ٨، ص ١٧ ٤ - محمّد، ٢

الآية والظاهر أنّها معتبرة وإن كان على نحو آخر وهي هذه بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: يبعث يوم القيامة قوماً بين أيديهم نور كالقباطي ثم يقال له: كن هباءً منثوراً ثم قال: أما والله يا أبا حمزة أنّهم كانوا يصومون ويعلمون ولكن كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه وإذا عرض لهم شيء من فضل أمير المؤمنين - عليه السلام - أنكروه^(١) والحاصل أن الحسنة بناء على هذه الرواية كانت في مقام بيان الشرطية والله العالم.

ان قلت: إنّ الآيات والأخبار باطلاً قد تدلّ على أنّ الحسنات موجبة لرفع السيئات ويمكن أنّ يقيدها بادلّة التوبة فتكون محو السيئات مشروطة بحصول التوبة.

قلت: أمّا أولاً أنّ أدلّة التوبة غير ناظرة لهذه الأدلّة بل مفادها الشأن في التوبة على فرض الحصول هو ثبوت الغفران للمعاصي ولا ينافي ذلك بوثب ذلك الشأن لغيرها أيضاً.

و ثانياً على فرض التسليم أنّ الظاهر منها هو أنّ الحسنات سببٌ مستقلٌّ لرفع السيئات أعني ظهورها في السببية المستقلة أقوى خصوصاً مع ما هو في بعضها من عدّ الحسنة عدلاً للتوبة في رفع المعصية كما في الرواية الصحيحة الأولى من الطائفة^(٢) الأولى.

ان قلت: على فرض التسليم يمكن أن يكون المراد من السيئات الماحية

بالحسنات هي الصّغائر الغير المكفّرة كما صرّح في الرواية الصّحيحة
الاخيرة^(١) بل يقوى ان يقيّد اطلاقاتها بهذه الصّحيحة.
قلت: انّ هذه الرواية وان كانت صحيحة^(٢) ولكن مضافاً الى معارضتها
برواية جابر المتقدمة^(٣) في الطائفة الثانية التي ايضاً صحيحة بناءً على ما

١- اعني الصحيفة ١٥٥

٢- قد نقلها الشيخ في التهذيب بهذه الطريق. فاخبرني به الشيخ ايده الله تعالى
عن ابي الحسن محمّد بن احمد بن داود عن ابيه عن ابي الحسن علي بن الحسين
عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن احمد بن يحيى عن محمّد بن الحسين بن ابي
الخطاب عن ابن محبوب عن عبدالله بن غالب عن سعد الاسكاف عن ابي
جعفر - عليه السّلام -، و يصحّ الاعتماد على جميع رواها اما ابي الحسن فهو
شيخ الطائفة في وقته، راجع (معجم الرجال، ج ١٤، ص ٣٣١)، و اما ابيه احمد بن
داود القميّ فهو ثقة ثقة (راجع المعجم، ج ٢، ص ١١٣)، و اما علي بن الحسين
يكنّ به ابوالحسن فهو من الاجلاء راجع (المعجم، ج ١١، ص ٣٥٨ و ٣٦٨)، و
اما محمّد بن يحيى فهو ثقة عين (راجع المعجم، ج ١٨، ص ٨ و ٢٥ و ٣٠ و ٧٧)، و
كذا محمّد بن احمد بن يحيى ثقة (راجع المعجم، ج ١٥، ص ٢٦ و ٤٤) و اما
ابو الخطاب ايضاً ثقة (راجع المعجم ج ١٥، ص ٢٩١) و كذا ابن محبوب (راجع
المعجم، ج ٥، ص ٨٩)، و اما عبدالله بن غالب ثقة (راجع المعجم، ج ١٠، ص
٢٧٣) و اما سعد الاسكاف فهو سعد بن طريف (راجع المعجم، ج ٨، ص ٤٦ و
٦٨) و هو صحيح الحديث.

٣- في الصحيفة، ١٥٢ و قد نقلها الشيخ «ره» بهذه الطريق، سعد بن عبدالله عن

ذكر و صريحة في الكبيرة أنَّ ظهور بعض أخبار الباب في العموم أو الإطلاق كان أقوى من أن يصير هذه الصَّحِيحة مقيِّدة لها خصوصاً مع الاختلاف في المورد إذ بعضها صريحة في مغفرة ما مضى من ذنبه، و ما تأخَّر، و اعتاقه من النَّار و بعضها صريحة في الصَّغار و الكبائر، و على فرض الغضِّ عن جميع ما ذكرناه أنَّه لا يحيص عن التَّصرف في الصَّحِيحة

→ عبدالله بن جعفر عن ابراهيم بن مهزيار عن ابن ابي عمير عن سيف بن عميرة عن جابر عن ابي جعفر - عليه السَّلام -، و يصحَّ الاعتماد على جميع هذه الروايات أمَّا سعد بن عبدالله فكان من أوجه الثَّقَات (راجع المعجم الرجال للبخاري - قدس سره -، ج ٨، ص ٧٥) و كذا عبدالله بن جعفر فأنَّه ثقة (راجع المعجم ج ١٠، ص ١٣٩) و أمَّا ابراهيم بن مهزيار من الثَّقَات (راجع المعجم ج ١٠، ص ٣٥٦)، و أمَّا ابن ابي عمير هو محمَّد بن ابي عمير و لا يخفى جلالته (راجع المعجم ج ١٤، ص ٢٨١)، و أمَّا سيف بن عميرة فأنَّه ثقة (راجع المعجم ج ٨، ص ٣٦٥) و أمَّا جابر و هو جابر بن يزيد الجعفي فله من الشَّأن (راجع المعجم ج ٤، ص ٢٥) فاصبحت الرواية الصحيحة هذا بناءً على توثيق كلِّ ما وقع في طريق رواة كامل الزِّيَّارات على ما ذكر في أوَّل كتابه (أنَّه لم يذكر فيه إلَّا ما وقع له من طريق الثَّقَات و منها ابراهيم بن مهزيار الَّذي وقع في طريق هذه الرِّواية و لكن قد وصلني في اخير من الايَّام حول اسناد كامل الزِّيَّارات من بعض الثَّقَات المنفحص ان هذه الرِّوات قد ظهر اشتغالها على جملة وافرة لعلَّها تسربو على الضَّعف لا تنطبق عليها الاوصاف الَّتِي ذكرها في المقدمة فعلى هذا صارت الرِّواية غير معتبرة و ماردة للتأمل و ان اختلف الاصحاب في حال الرَّاوي المزبور (راجع المعجم، ج ١، ص ٣٠٢).

ولا يجوز الاخذ بظاهرها قطعاً، حيث أنّ ذنوب السنّة كانت كبيرة اذ الصّغيرة بالتكرار صارت كبيرة كما مرّ بحثه فلا بدّ من حمل العموم اعني «الآ الكبائر» فيها على بعض الكبائر الخاصّة والله العالم. واحسن ما يقال في المقام ان لا تكون التّنافي بين العمومات و المطلقات و بين هذه الصّحيحة اصلاً، حتّى تحتاج الى اصلاحه بالتقييد و نحوه، بل ترشدنا الى مطلب اخرى، و هو أنّ الحسنات من حيث صلاحيتها للمحو واقعة في مراتب شتى اعني بعضها لا تقوى للمحو الآ للصّغائر و بعضها تقوى على اربعين من الكبائر و بعضها على جميع الذّنوب كما عرفت ذلك في بعض اخبار الحجّ و الظاهر أنّ ذلك قويّ، بل متعيّن، اذ امثال تلك الروايات كانت في مقام بيان تكفير خصوص هذه الحسنات لخصوص تلك المعاصي، كبيان اجتناب الكبائر في خصوص تكفير الصّغائر في قوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾، و الوجه القوي على ما يؤدّي اليه نظري العميق اخيراً أنّ الادلّة التي وردت لتكفير الصّغائر مثل آية التكفير و لغفرانها مثل الصّحيحة الاسكافي و نحوها كانت مربوطة بموارد الخاصّة و سبب خاص، و لا يصحّ ان يعارض بواسطتها لادلّة التي دلّت بعمومها على مطلق تكفر المعاصي او غفرانها، لأنّه لا بدّ لمسئلة التعارض من وجود المعارضة بين الدليلين في مورد واحد، كما لو دلّ دليل مثلاً على تكفير الصّغائر و دليل آخر على عدم تكفيرها فيقع التعارض بين الدليلين.

و اما لو دلّ دليل على غفران الصّغائر في خصوص مورد و دليل عام آخر

على غفران الذنوب عموماً لا يصح تخصيص ذلك العموم بهذا المخصص و حمل العموم عليه كما فيما نحن فيه، وذلك لأنه لم يقع بين هذا الخاصّ و ذلك العموم تهافت لأنه يمكن أن يكون الغفران في الصّغيرة مربوطة بمورد مخصوص و سبب خاصّ و لاتهافت في ذلك بين أن يدلّ دليل آخر على نحو العموم لغفران مطلق المعاصي لانه لا تعارض بين هذا العموم و بين هذا المورد و السّبب الخاصّ أصلاً حتّى يرفعه العرف بحمل العموم على الخصوص، و لذا لو وقع هذا العموم و هذا الخاصّ في كلام واحد لم يحمل المخاطب هذا العموم على هذا الخاصّ بل عمل على الخصوص في مورده و سببه و عمل على العموم في مصاديقه، نعم لودلّ دليل من حيث الاطلاق على تكفير مطلق المعاصي و غفرانها و دلّ دليل خاص آخر على خصوص تكفير الصّغائر و غفرانها في مورد خاصّ و سبب مخصوص يمكن حمل اطلاق دليل الأوّل على خصوص دليل الثّاني لاجل صحّة وقوع هذا الخاصّ في مقام بيان اطلاق هذا المطلق اعني مقدمات الحكمة في هذا المورد صارت غير تامّة بعبارة واضحة أن دليل الخاصّ في هذا المقام مورثة للضّربة بمقدمات الحكمة دون تلك المقام فلا تغفل كما مرّ نظيره في صدر الكتاب. و بالجملة لاشبهة في أن الحسنات بما هي هي سببٌ مستقلٌّ لمحو السيّئات و الله العالم.

نتيجة دقيقة لهذا البحث

وهي ان قد اشتهر بين الاعلام رضوان الله عليهم ان الاعمال لا تقبل الا من المتقين اعني لا يترتب عليها شيئاً من الثواب وان كانت موجبة لسقوط العقاب والمراد من المتقين من لم يصدر عنه المعصية والاخلال بالواجب واستدل لذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿أَمَّا يَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وتقريره انه تعالى انحصر بكلمة المحصر ان القبول كان من المتقين اعني لا يتقبل الله الا منهم وتلك الجملة مقولة لقول، هاييل وحكى الله تعالى عنه اذ الآية واقعة في بيان قصة هاييل وقايل وحكاية قولها ولما تقبل القربان من هاييل ولم يتقبل من اخيه قال: قايل لاقتلنك قال: هاييل في جوابه فما ذنبي، أما يتقبل من المتقين، قال الطبرسي «ره»: أما يتقبل الله من المتقين، للمعاصي فاطلق للعلم بان المراد انها احق ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس: اراد أما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب ورُدَّ عليك لانك لست بزاكي القلب واستدل بهذا على ان طاعة

١ - المائدة، ٣٦، صدر الآية، «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ: لَا تَقْبَلَنَّكَ قَالَ: آمَنَّا...» الآية.

الفاسق غير مقبولة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لأن المعنى أن الثواب إنما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فأما إذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثواباً ولا يمتنع على هذا أن يوقع من الفاسق طاعة يوقعها على وجه الذي يستحق عليه الثواب فيستحقه انتهى.^(١)

اقول: لاشبهة في أن الأعمال الصادرة عن العباد لها مراتب في التقرب و القبول و ثواب صلوة الصادرة من شخص العالم افضل و اكثر من الصادرة بمثلها من الجاهل وهكذا الصادرة من المقرّين افضل و احسن من الابرار و من المعصومين بالنسبة الى غيرهم لدلالة العقل و النقل على ذلك و كذا الكلام في المتّقين و غيرهم بل يمكن ارتقاء مرتبة القبول في العبادة به بعض ما يوجب ذلك مثل حضور القلب في الصلوة و السعي في الانفاق من ابرّ ماله و اشرفه و نحوه و بالجملة ان القبول له مرتبة النازلة و هي مربوطة بعبادة الفاسق و له مرتبة الفضلي و هي مربوطة بالمتّقين و له مرتبة الاعلى فالاعلى و أنّها مربوطة بمن فوقهم و هكذا فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد من القبول في الآية هو مرتبة الفضلي منه فيحمل عليه.

ان قلت: انّ الايمان اعني الولاية بمضمون الاخبار المتواترة^(٢) شرط لقبول الاعمال كما هو الظاهر من بعض اخبار الباب فعدمه موجب لطرح العمل كلّ و لم يبق للعمل شيء من مرتبة القبول فعلى هذا يمكن ان يكون المقام بهذه المثابة.

قلت: انّ الايمان ان كان شرطاً لصحة العمل كما قيل فغير مربوط بما نحن فيه، و ان كان شرطاً للقبول كما هو المختار كان كما قلت و ذلك لدلالة صريح بعضها على انّ الاعمال مع خلوها عنه بمنزلة الزخرف و لكن ليس في ادلة المقام من هذه التعابير بل قام الدليل على خلاف ذلك و لذا لو تأمل المتفحص في الاخبار «التي لا تقبل الا بالولاية» و ان كان التعبير فيها مختلفة «ففي بعضها، به كلمة ما يتقبل ونحوه و هو كثير، و في بعضها به كلمة لا ينفع ونحوه، و في بعضها لم يكن له ثواب، يجد ان مفادها مشيرة الى امر واحد اعني ان العمل بدونها كان بمنزلة هواء مشوراً و ذلك بخلاف ما نحن بصددده و من المعلوم ان الآية لو كانت ظاهرة فيما ذهب اليه الاعلام لزم ان آية الحسنات و نحوها و اخبار الباب كلها صارت بلامورد اصلاً و ذلك غير صحيح قطعاً بمعنى انه لو لم يرتكب خلاف الظاهر فيها لزم تلك المحذور العويص في الآية و الاخبار.

بيان ذلك: انّ الآية و الاخبار واردة من حيث المفاد فيمن له الحسنة و السيئة و أنّها صريحة في ان صاحب الحسنة تمحو عنه السيئة بواسطة صدور الحسنة منه و لو كانت حسنته غير مقبولة اعني لم يترتب عليها الثواب لأنّها كانت صادرة عن غير المتقين لامعنى لقدرتها على المحو حيث انّ العمل الغير المقبول لا يكون منشأً للتقرب فما لم يكن له في حدّ نفسه تقرب، لم يصر قطعاً سبباً للمحو الذي له مرتبة من التقرب. و بالجملة انّ الآية و نحوها الاخبار قد دلّت على ان الحسنات بنفسها ماحية للسيئات فلو كانت قبولها موقوفة بالتقوى الذي هو عبارة عن اتقاء

المحرّمات فالعبادة الصّادرة عن صاحب السيّئة لم تكن مقبولةً و العبادة الغير المقبولة لم تقو على محو السيّئة اذ من المعلوم انّ ما لم يترتب عليه اثر في حدّ نفسه لم يمكن ان يؤثّر في غيره بمعنى انّ ما كان فاقداً لمزيّة لم يمكن ان يكون مورثاً لهذه المزيّة و هو واضح فعلى هذا لم يبق مورداً للآية و الاخبار بل لم يتعلّق لها مفاد كما اشرنا اليه مضافاً الى أنّها واردة في غير المتّقين اذ المتّقين لم تكن لهم سيّئة حتّى تقع طاعتهم ماحية لها فالحاصل انّ المراد من القبول في الآية هو مرتبة الفضلي، لا الدّرجة النازلة و الدّليل على ذلك الحمل هو آية ﴿ان الحسنات﴾ و الاخبار المزبورة فافهم و اغتنم.

و يحتمل ان يكون المراد من المتّقين هو الخائفين الّذين يعملون العبادة للتقرّب الى الله لالغيره كما استفيد من تفسير الطبرسي «ره» في الآية و كان مفاد الآية كان مفاد قوله تعالى: ﴿و سيجنّبها الاتق﴾^(١) الّذي

١ - الليل، ١٧، قال الطّبرسي «ره» اي سيجنّب التّار و يعمل منها على جانب (الاتق) البالغ في التّقوى (الّذي يؤتي ماله) اي ينفقه في سبيل الله (يتزكّى) يطلب ان يكون عند الله زكياً لا يطلب بذلك رياءً و لاسمعةً الى ان قال «ثم وصف سبحانه الاتق فقال ﴿و ما لاحد عنده من نعمة تجزى﴾ اي و لم يفعل الاتق ما فعله من ايتاء المال و انفاقه في سبيل الله ليُد اسديت اليه يكافي عليها و لا ليُد يتخذها عند احد من الخلق ﴿الابتغاء وجه ربّه الاعلى﴾ اي و لكنه فعل ما فعل يبتغي به وجه الله و رضاه و ثوابه و أمّا ذكر الوجه طلباً لشرف الذّكر و المعنى الآ الله و الآ ابتغاء ثواب الله، انتهى. ج ٢.

يؤتي ماله يتركي، وما لاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى، وبناءً على^(١) هذا كان معنى آية ﴿أَمَّا يَتَقَبَّلَ اللَّهُ﴾ ان العمل مقبول ممن يريد ثواب الله لاعن الذي يريد به وجهاً آخر من امور الدنيا.

ويحتمل ان يكون المراد من المتقين هو التقوى الاعتقادي اعني يتقبل الله من المؤمنين اعني ﴿من آمن بالله ورسوله وباليوم الآخر﴾ فسر بذلك بعض الاساتيد دام ظلّه في تفسيره الفارسية^(٢) وكما قال بعض المحققين دام ظلّه: على ما في تنقيحات بحث كتاب طهارته^(٣) بأن المتقين في الآية المباركة بمعنى المؤمنين اي من امن بالله ورسوله واليوم الآخر والقاتل في الآية المباركة لم يكن مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر ولذا كان مخلداً في النار في الثابت هذه هي الاحتملات في الآية ولكن التحقيق فيها هو لزوم ارتكاب خلاف الظاهر فيها ويرشدنا الى ذلك بل يدلنا هو

١- و يدلّ على صحّة ذلك الاحتمال بل تعيّن قوله تعالى: في صدر السّورة، ﴿فأما من اعطي واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (٥-٧) فان الظاهر من عطف التقوى على الاعطاء هو التقوى في الاعطاء اعني الاتفاق لوجه الله بقرينة مقابلته للبخل الظاهر في الامساك عن اتفاق المال ولذا ترتّب الاثر على اعطاء المال لوجه الله والتصديق بالحسنى بقوله، فسنيسره لليسرى، فافهم جيّداً.

٢- ج ٤، ص ٢٤٢

٣- ج ٥، ص ١٧.

الاجبار^(١) الكثيرة الواردة في ان من الصلوة لا يقبل نصفها وثلاثها وربعا وخمسها الى العشر وفي بعضها لم يرفع من الصلوة الا الثلث او الربع او السدس وفي بعضها الآخر لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها.

بيان ذلك ان هذه الصلوة اما ان تكون فاعلها من المتقين او من غيرهم فاذا كانت منهم فلا بد من قبول جميعها وان كانت من غيرهم فلا بد من عدم القبول كذلك فالتقسيط فيها كان لاجل بعض الامورات الموجودة لصلوته من حضور القلب ونحوه المورث لمراتب القبول في النصف ونحوه والا لامعنى للتقسيط فلا بد من حمل الآية على خلاف ظاهرها.

ان قلت: ان الحمل على خلاف الظاهر صحيح مع وجود القرينة ولكن بشرط عدم خروج المورد وحمل الآية على الاحتمال الاول والاخير موجب لخروج المورد عن الآية اذ الجملة ﴿انما يتقبل الله﴾ تعليل لعدم قبول قربان احدا بني آدم - عليه السلام - اعني قاييل وعلى الاحتمال الاول لزم ان ما قرّبه صار مقبولا بمرتبه مع انه مناف لصريح جملة ما قبلها اعني قوله تعالى: ﴿و لم يتقبل من الآخر﴾ الظاهر في عدم القبول المطلق واما على الاحتمال الاخير لزم ان لا تكون الجملة تعليلاً لما قبلها حيث ان ابني آدم كليهما كانا من المؤمنين مع ان هذا الاحتمال لم يكن له قرينة ايضاً فلم يجز حمل الآية على احد الاحتمالين نعم ان المورد يناسب

الاحتمال الثاني اعني ما ذهب اليه الطبرسي «ره» اذ يمكن ان ما قرب قابيل ليس لاجل الطاعة وخالصة لوجه الله تعالى بل داعيه كان بعض وجوه اخر من امور الدنيا ولكن هذا الحمل ايضاً ليس عليه دليل ولا قرينة فاللازم بقاء الآية على ما هو ظاهرة فيه.

قلت: لا اشكال في ان ظاهر الآية غير مراد قطعاً لامرين:

الاول عدم بقاء المورد لاية الحسنات والايثار المزبورة كما عرفت.

الثاني ان من البعيد غايته بل لا يعقل ان يحكم بعدم مأجورية من صام مثلاً ايام الرجب والشعبان متوالياً في شدة الحر مع قلة بضاعته واحيى ليا لياها ويستغفر باسحارها وكان معتمراً ايضاً وامثال ذلك اذا كان من غير المتقين وان الله تعالى لا يعطيه شيئاً من الثواب فعلى هذا ان هذا الامر كانا قرينة مطلقاً لصرف الآية عن ظاهرها والانصاف حملها على احتمال الاخير اعني الحمل على التقوى الاعتقادي غير صحيح لخروج المورد مع انه ليس عليه دليل وكذا الاول لصدر الآية كما مر فالتعين هو الحمل على الاحتمال الثاني كما عليه الطبرسي «ره» مضافاً الى ان اثبات ظهور لفظ (المتقين) في الاطلاق في غاية الاشكال اذ يمكن ان يكون المراد ان العمل وقع مقبولاً اذا كان فاعله متقياً بالنسبة الى ذلك العمل نفسه لا بالنسبة الى مطلق اعماله اعني ان يعمل له لا بتغاء وجه ربه الاعلى وعلى فرض تسليم الاطلاق ان آية ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتِي...﴾

وردت لبيان هذا الإطلاق كما اشرنا اليه آنفاً^(١) والعجب من السيّد الطاطبائي «ره» في العروة الوثقى في باب النية حيث استدللّ بالآية لعدم قبول الصلوة وغيرها من غير تردّد (ما لفظه) و من موانع القبول ايضاً حبس الزكوة و سائر الحقوق الواجبة ومنها الحسد والكبر والغيبة ومنها اكل المحرام و شرب المسكر ومنها النشوز والابق بل مقتضي قوله تعالى: ﴿أَمَّا يَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ عدم قبول الصلوة وغيرها من كلّ عاص و فاسق، انتهى موضع الحاجة.

وكيف كان لا مجال لكلامه لما مرّ مفصلاً و اما ما نقلنا آنفاً عن بعض المحققين^(٢) اعني الاحتمال الاخير و قال «ره» بأن الآية المباركة اجنبة عما نحن بصده و قد تقدّم منه ايضاً قال ﴿ولذا كان مخلداً في النار﴾ ففيه و أنّه و ان كان ذلك يظهر عن مضمون بعض الاخبار على ما في ذكره الا أنّ التعليل في الآية المباركة لم يكن مترتباً على ذلك و لذا تبصّر الى ذلك و قال «ره» في ذيل كلامه ثمّ لو فسرنا المتّقين بمن اجتنب عن المحرّمات و اتقى بالواجبات فلا مناص من التاويل في ظاهر الآية المباركة بحملها على عدم الثواب بمرتبة الراقية و عدم القبول الكامل الحسن، وفيه ايضاً انّ هذا الاحتمال لا يناسب صدر الآية كما مرّ فتدبر جيّداً و الله العالم.

فذلّة البحث ممّا ذكرنا الى الحدّ الان قد ظهر أنّه لا بدّ من التّصرف امّا في كلمة ﴿يَتَقَبَّلَ اللَّهُ﴾ و امّا في كلمة ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ امّا التّصرف في الاولى فلا

يلائم لصدر الآية حيث قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخِرَةِ الظَّاهِرُ فِي مطلق عدم القبول اذ لا بدّ من الاتحاد في معنى القبول في كلا الموردين فلازم ذلك التصرف ان قوله ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ معناه القبول بمرتبة من مراتبه وقوله ﴿لَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ ان معناه عدم القبول به بعض مراتبه وهو خلاف المفروض^(١) وأما التصرف في الثانية بان يحمل المتقين على تقوى الاعتقادي ففيه:

أما أولاً ان التقوى بهذا المعنى هو شرط الصحة ولا شبهة في ذلك وقد مرّ أنه خلاف مورد الآية.

وثانياً لم يدلّ عليه دليل بل يؤيد على عدم صحّة هذا الاحتمال الاخبار^(٢)

١ - وأما مثل حنة ابي بصير، قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: «لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الاصرار على شيء من معاصيه». (الكافي، ج ٢، ب الاصرار على الذنب، ح ٣، ص ٢٨٨) فلا بدّ من الحمل على بعض مراتب القبول لما استفدت من مطاوي كلماتنا في هذا الباب فتأمل جيداً.

٢ - منها في جامع الاحاديث، فقيه، ٤٤٧ بالاسناد المتقدم في باب عدد الركعات «في حديث وصايا النبي لملي - عليه السلام -» يا علي ثمانية لا يقبل الله منهم الصلوة، العبد الا بقى حتى يرجع الى مولاه والناشر وزوجها عليها ساخط ومانع الزكاة وتارك الوضوء والجارية المدركة تصلي بغير خمار وامام قوم يصلي بهم وهم له كارهون والسكران والزبين وهو الذي يدافع البول والغائط، (ج ٥، ب ٥، ح ١، ص ٥١)

التي وردت لعدم قبول العبادات حيث تعرّض فيها أن كثيرة من المحرمات مورثة لعدم القبول مثل النشوز والسكران ومنع الزّكوة وبيع الخمر واشترائه ونحوها وبعض شرائط الصّحة ايضاً مثل ترك الوضوء ونحوه وبعض الامورات المكروهة مثل مدافع الاخبثين والتضمخ بخلوق والتثمل بيت شعر من الحنّاء في ليلة الجمعة وبعض الامورات التي وجودها مورثة لقبول العبادة مثل حضور قلبه مع بدنه وبين فيها أن الامورات

→ ومنها فيه، (جامع الاخبار، فصل ١٠٩) قال النبي: من اغتاب مسلماً، او مسلمة لم يقبل الله تعالى صلوته ولا صيامه اربعين يوماً و ليلة الا ان يغفر له صاحبه (ج ٥، ب ٥، ح ٥، ص ٥٢)

ومنها فيه المحاسن، ١٥، بسنده عن ابي القدّاح عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال الله تبارك وتعالى: انما اقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي ويكف نفسه عن الشّهوات من اجلي ويقطع نهاره بذكرى ولا يتعاطم على خلقى و يطعم الجائع و يكو العاري و يرحم المصاب و يؤوي الغريب فذلك يشرق نوره مثل الشمس و اجعل له في الظلمات نوراً و في الجهالة علماً و اكلاء بعزّي و استحفظه بلائكتي يدعوني فاليّ (فاليّه، ك) و يسئلني فاعطى (فاعطيه، ك) فقل ذلك عندي كمثّل جنّات الفردوس لا تبيس ثمارها و لا تتغيّر عن حالها (ج ٥، ب ٥، ح ٦، ص ٥٢)

ومنها فيه، و في رواية حمران (٦) من باب استحباب التثفل بالف ركعة من ابواب نوافل شهر رمضان قوله - عليه السلام - ان العبد لا يقبل من صلوته الا ما اقبل عليه منها بقلبه فقال الرجل: هلكتنا فقال: كلا ان الله عزّ وجلّ مستمّ ذلك بالنوافل (ج ٥، ب ٥، ص ٥٣) و غير ذلك راجع باب المذكور.

المذكورة وجوداً أو عدماً مورثة لقبول العبادات ولم يذكر في شيء منها الايمان^(١) مورث لقبول العبادات او عدمه مانع له وهذا شاهد على ما ذكرناه فعلى هذا يمكن ان يقال بل يتعين ان نقول: ان الآية لا تنظر الى شيء مما ذكرناه بل انها ناظرة الى امر آخر وهو كيفية صدور العمل وجهه بان تكون ناظرة الى جهة صدور العمل اذ العمل قد يصدر على وجه الاتقاء وقد يصدر على غير وجهه والآية انحصرت القبول فيما اذا صدر العمل على وجه الاتقاء دون غيره وبعبارة واضحة ان الآية ناظرة الى شرطية قصد القرابة في العمل واتيانه على ابتغاء مرضات الله وهو احد دواعي الامر القريب وان العمل على غير هذا الوجه ونحوه لا يكون مورداً للآثر والقبول كما هو مفاد كلام بعض اهل التفاسير في احوال قابيل فالآية كانت من جملة الأدلة التي دلت على شرطية القرابة في العبادات والقرينة على تعيين هذا الاحتمال هو قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾^(٢) الاتقى الذي يؤتي ماله يتركي، وما لاحد عنده من نعمة تجزي، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى، كما مر مفصلاً.

١ - نعم وردت اخبار متواترة على ان الولاية الائمة - صلوات الله عليهم اجمعين - شرط للقبول في جميع الاعمال وتلك الروايات منهاضة عن هذه الاخبار ولم يتعرض في اخبار الولاية هذه الاية اصلاً مع انها كثيرة ومختلفة من حيث المضامين وقد عقد لها العلامة المجلسي (ره) في البحار باباً عليحدة في البحار، ج ٢٧، ب ٧، باب انه لا يتقبل الاعمال الا بالولاية ص ١٦٦ (راجع).

تنبيه

قد اشتهر و دارت على السنة الفقهاء بل يستفيد من مطاوي كلماتهم ان الشرائط كانت على قسمين القسم الاول شرط للصحة والثاني شرط للقبول فان الصحة والاجزاء كانت غير القبول كما صرح بذلك السيد الطباطبائي في عروة الوثق ويتنوا ان العمل لو كان فاقداً لشرط القبول و ان كان تاماً الاجزاء و الشرائط لم يترتب عليه اجرٌ اصلاً بل انه مسقط للاعادة والقضاء والعقاب ولو كان فاقداً لشرط الصحة فهو غير مسقط للاعادة والقضاء والعقاب وتمسكوا بهذه الآية اعني ﴿أَمَّا يَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولكن قد عرفت عدم صحة التمسك لذلك بالآية وظفرت من مطاوي كلماتنا ما هو التحقيق في المقام اذا كنت ذوي الفراسة والانتقال. وتوضيحه ان الأمور به اذا صدر عن المكلف صحيحاً بمعنى تام الاجزاء و الشرائط لا يعقل ان لا يترتب عليه ثواباً اصلاً اذا كان فاقداً لشرائط القبول لان امتثال الامر هو ملازم للثواب عقلاً على حسب ما مرّ منّا قطعاً ولو بادنى درجة ولا شبهة في ذلك عقلاً و اما نقلاً فلقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ونحوه، ولم يدل دليل على تخصيص هذه الآية ونحوها سوى الآية وقد عرفت انه غير صحيح حملها على ذلك بل ولا على مراتب القبول كما صنعه المحقق الخوئي - قدس سره - في بعض كلامه نعم ان الاخبار التي قد قدّمنا بعضها وانها واردة في المسئلة القبول لا بد من حملها على مراتبه على حسب مقتضياتها، فافهم اغتنم.

بقى الكلام في اشكال تداخل شرائط الصّحة والقبول في الاخبار المذكورة في ذيل الصحيفة ولاشبهه في التنافي بينهما اذ لايجوز اطلاق اللفظ و ارادة اكثر معنى واحد منه اذا لم يكن بينهما جهة اشتراك و معلوم انّ ما هو شرط للصّحة هو مباين لما هو شرط للقبول حيث انّ وجوده على المعنى الاول موجب لسقوط الاعادة او القضاء و عدمه موجب لعدمه اعني عدم الاجزاء.

والشرط بمعنى الثاني أنّه لا يترتب عليه شيء من ذلك بل معتبر وجوده في ترتّب الاجر او مرتبته الفضلي على العمل و عدمه على عدمه كذلك و الجواب عنه انّ القبول لم يستعمل في الاخبار الآ في معنى الواحد و هو كون العمل مورداً للآثر و هو اعم من ان يكون مسقطاً للقضاء و الاجزاء او مورداً للاجر و لو مرتبه الراقية و هو معنى فارد و لكن لا بدّ من المجتهد من الفحص خارجاً في الادلة لهذه الشرائط فلو وجد على أيها دليل على كونها من شرائط الصّحة فلا بدّ من الحكم بلزوم الاعادة او القضاء في صورة فقدانها و الآ فلا يحكم كذلك نعم لا بدّ من القول بمراتب القبول لا لاجل الآية كما عرفت بل لاجل صريح بعض الاخبار التي تدلّ على انّ من الصلوة لا يقبل نصفها و ثلثها و هكذا كما مرّ. فالحاصل لامعنى لتقسيم الشرائط بين شرائط الصّحة و شرائط القبول بمعنى المعروف بل كلّ عبادة اذا صدرت عن المكلف صحيحاً كان مقبولاً و لو بدرجة دنية الآ مسامحة و اما بعض الاخبار التي دلّت على انّ بعض الصلوة لا ترفع بل تضرب على رأس صاحبها «على ما في ذكرى» اما محمول على عدم كونها

صحيحة او على عدم كونها من حيث الفضيلة لائقة للارتفاع فتأمل
جيداً.

تذنيب

لما وقع الكلام في التكفير يناسب نقل البحث الى مسألة الحبط اجمالاً و نقول: انّ ما هو مورد الاتفاق عندنا هو حبط الارتداد و الكفر للاعمال الصالحة كما قال الله تعالى: ﴿و من يرتدد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا و الآخرة و اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(١)، و الآية صريحة في انّ الارتداد محبط لاعماله مطلقاً كما انّ الايمان موجب لمحو اعماله السابقة و عدم ترتيب الآثار عليها كما قال تعالى: ﴿و الذين امنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد و هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم و اصلح بالهم﴾^(٢)، و قد تقدّم بسط الكلام في ذلك و اما اذا ارتدّ عن الاسلام ثمّ تاب عن ارتداده و اسلم و مات فهل تحبط اعمالها الصالحة قبل الارتداد كمن مات على كفره يمكن ان يستفاد من آية السابقة عدم حبطها و ان كان فيه بحث و لكن امثال هذا المقام مظنة للرجاء و الرحمة بل لا يبقى الشك في عدم الحبط مع دلالة صحيحة محمد بن مسلم عليه كما في الكافي بسنده عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: من كان مؤمناً فعمل خيراً في ايمانه ثمّ

أصابته فتنة فكفر ثم تاب بعد كفره كتب له وحسب بكل شيء كان عمله في إيمانه ولا يبطله الكفر إذا تاب بعد كفره. ^(١) بل لم تدل الآية الآ على الحبط لمن مات على كفره وأما غيره فعلى القاعدة لا بد من الحكم بالمشابة في عمله حيث صدر عنه العمل مع شرطه وكيف كان مع وجود الدليل لا يبقى المجال لبسط الكلام في المقام كما صنعه العلامة الطباطبائي - قدس سره - في تفسيره. ^(٢)

ثم لا إشكال في بطلان التحايط بين الأعمال بمعنى أن الكبيرة الواحدة إذا أقدم بها احبطت جميع أعماله الصالحة واسقطها ونسب ذلك إلى أبي على ^(٣) جباني أو بمعنى أن الأعمال الصالحة للعبد يوازن بالأعمال السيئة فينعدم ما يساوي الناقص بالتأقص ويبقى الزائد كما نسب ذلك إلى أبي هاشم وذلك لعدم الدليل عليه بل يدل ظاهر الآيات ^(٤) والأخبار على خلاف ذلك ولا يجوز تأويلها من غير دليل مع أن ما نسب إلى أبي على مستلزم للظلم في بعض الصور وهو قبيح قطعاً على الله تعالى والتحايط بهذا المعنى لا يخفى بطلانه عند أكثر الإمامية وغيرهم كما سيأتي نقلها عن

١- ج ٢، ب أن الكفر مع التوبة لا يبطل العمل، ص ٤٦١.

٢- الميزان، ج ٣، ص ١٦٩.

٣- كما في شرح أوائل المقالات ص ٩٩ وفي شرح التجريد، ص ٢٦٥.

٤- مثل قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (الزلزال، ٧-٨)، فإن الظاهر من هذه الآية أن أعمال الصالحة تصيب أجزائها إلى فاعلها وكذا غيرها من غير تحايط.

بعض الاعلام واما الاشكال في ان اعمال الصالحة هل تكون موجبة لارتفاع اعمال القبيحة و بالعكس ام لا و ذلك اما ان تكون على سبيل الاحباط و التكفير و اما على سبيل الشرط بمعنى ان جزاء الاعمال الصالحة مشروطة بعدم تعقبها بالمعاصي الى آخر عمره و بالعكس فاذا تعقبها بالمعاصي التي معادلة لها فلاثواب و الا فبحسبها و بالعكس كذلك فلاعقاب و الا على حسبها و قال المجلسي «ره»^(١): الظاهر من كلام المعتزلة و اكثر الامامية انهم لا يعتقدون اسقاط الطاعة شيئاً من العقاب او المعصية شيئاً من الثواب سوى الاسلام و الارتداد و التوبه، انتهى كلامه.

و قال المفيد «ره»^(٢): اقول: انه لا تحابط بين المعاصي و الطاعات و لا الثواب و لا العقاب و هو مذهب جماعة من الامامية و المرجئة و بنونو بخت يذهبون الى التحابط فيما ذكرناه و يوافقون في ذلك اهل الاعتزال انتهى.

و كيف كان ان التحقيق كما مر انه لاشبهة في الاعمال الصالحة بما هي هي و كذا الابتلايات موجبة لمحو الاعمال القبيحة كالتوبة و اجتناب الكبائر بمقتضي الادلة السابقة كما عرفت مفصلة و ما نسب الى ظاهر بعض الامامية و المعتزلة بالنسبة الى هذا المورد مخالفة لصريح بعض الآيات و الاخبار السابقة فتدبر جيداً. و لما ثبت ان ما ذكرناه كان مقتضي الادلة

لا يهتَمُّ نقل البحث الى انَّ ذلك المحو كان على سبيل التكفير او الاشتراط فانه وان كان راجعة الى البحث اللفظي الا انَّ الظاهر هو على سبيل التكفير كما هو ظاهر لسان الادلَّة واما عكس القضية اعني ان السيئات غير الارتداد والكفر ماحية للحسنات فلم نظفر على ما يصحَّ الاعتماد عليها من الادلَّة الدالَّة عليها بعد تفحص التام سوى ما سنذكره عن قريب و على فرض الظفر بالدليل فلا بدَّ من اتباعه في هذا المورد ايضاً وقد استند للحبط به بعض الآيات و الاخبار اما الآيات:

فمنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَ اطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾^(١)، وقد احتمل انَّ المراد بالابطال هو بفعل المعاصي او بخصوص الكبائر كما احتمل فيه انَّ المراد منه هو بالشك او النفاق او بالرياء او السمعة او بالعجب ونحو ذلك.

والتحقيق انَّ الآية اما ان تكون مخصوصة بمسئلة القتال لسياق آيات^(٢) السابقة لها و انها كانت في مقام تأكيد حكم القتال و اما اعم و انها كانت في مقام مطلق التأكيد لاطاعة الله و رسوله و على التقديرين نهى عن ابطال الاعمال و اسقاط اثرها و هو اما مستندة بفقدان شيء من الاجزاء او الشرائط و اما بما صدر عن صاحب العمل بعده و هو سبب للاسقاط

١- محمّد، ٣٣

٢- و هي قوله تعالى: ﴿و لنبلونكم حتّى نعلم المجاهدين منكم و الصّابرين و نبلوا اخباركم، انّ الذين كفروا و صدّوا عن سبيل الله و شاقّوا الرّسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضرّوا الله شيئاً و سيحبط اعمالهم﴾ (٣١، ٣٢).

مثل الارتداد كما استظهر ذلك ايضاً من العلامة الطّباطبائي - قدّس سرّه - في تفسير الآية^(١).

و اما كون المعاصي او الكبائر الصّادرة بعد العمل مسقطه لاثـر العمل و هو عين محل النزاع فلا تثبت بهذه الآية.

و بعبارة اخرى: ان الآية كانت في مقام بيان تحريم بطلان الاعمال بكلا المعنيين اما في خصوص القتال او الاعم و لا تكون في مقام بيان ما يورث به بطلان العمل حتّى يجوز ان يستدل بها لما كان مشكوكاً في المحبّطة بل اثبات احباط المعاصي او الكبائر بهذه الآية دوري حيث ان احباط المعاصي متوقّفة على ان الآية دالّة على الاحباط و دلالة الآية على ذلك متوقّفة على ان المعاصي تثبت محبّتها و هو دور واضح و قد نقل العلامة الطّباطبائي - قدّس سرّه - في تفسيره بعض الاحتمالات الاخر في المراد عن ابطال الاعمال في تلك الآية و اورد الخدشة عليها فراجع^(٢).

و بالجملة ان البصير المتفطن اذا تدبّر في آيات السّابقة لها حصل له الظنّ القوي بان المراد في هذه الآية هو تذكر المؤمنين و التأكيد بشبّاتهم في الدّين حتّى لا يظهر منهم ما كان سبباً لارتدادهم حتّى تعدّوا في ضمرة من قال تعالى في حقّهم في آيات السّابقة لها: ﴿اتَّبِعُوا مَا اسْخَطَ اللَّهُ وَ كَرِهُوا

١ - الميزان، ج ١٨، ص ٢٤٧.

٢ - الميزان، ج ١٨، في تفسير الآية في سورة محمّد ص ٢٤٧، مع انّ من المحتمل قويّاً انّ المراد من الآية على فرض كونها في مقام بيان خصوص القتال ان لا يخلّفوا عن القتال كما تخلّف المنافقون و اهل الردّة و الله العالم.

رضوانه فاحبط أعمالهم ﴿١﴾، ونحوه.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)، قال الطبرسي «ره»: أي كراهة أن تحبط أو لئلا تحبط أعمالكم وقيل أنه في حرف عَبد الله فتحبط أعمالكم ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ أي وأنتم لا تعلمون أنكم احبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه «إلى أن قال» وقال أصحابنا المعنى في قوله ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ أنه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآية ولأنه تعالى علق الأحباط في هذه الآية بنفس العمل وهم يعلقونه بالمستحق على العمل وذلك خلاف الظاهر، انتهى لفظه.^(٢)

وفيه أن احتمال الأول أعني أنهم عبد الله على حرف فتحبط أعمالكم كان خلاف الظاهر حيث أن الخطاب متوجه إلى أهل الإيمان الظاهرين في أنهم عبد الله تعالى بغير حرف وأما الاحتمال الثاني ففيه أيضاً أن الظاهر من الأعمال المحبطة بالفتح هي مباينتها لرفع الصوت والجهر بالقول أعني لو رفعت صوتهم فوق صوته والجهر بالقول احبطت سائر أعمالهم من

العبادات لاحبط نفس ما ترتب على غضّ الصّوت وعدم الجهر بالقول لو اوقعها على خلاف التعظيم وفي الآية احتمالات اخر كما نقلتها العلامة الطّباطبائي - قدّس سرّه - واشكل على بعضها واختار بعضها، منها أنّ مفاد الآية أنّ الرفع والجهر المحبطين كانا متهيئين اعني الفعل المعلّل كان منهى عنه لا أنّ الفعل المنهى كان معللاً، وفيه تكلف ظاهر.

ومنها أنّ النهى عن رفع الصوت والجهر بالقول كان مطلقاً ومن المعلوم أنّ ملاكه التحذر عمّا يتوقّع فيه من ايداء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي ينجرّ الى الكفر الذي هو محبط للعمل بالاتفاق فورد النهى عمّا مظنة اذاه سواء وجد هذا المعنى ام لاحسباً للمادة ولما كان المنهي منقسماً الى ما بلغ حدّ الكفر والى ما لا يبلغ ولا يميز بين القسمين لزم المكلف ان يكفّ عنها مطلقاً لئلا يقع في ما فيه الايداء ولاجل ذلك قال ﴿وانتم لاتشعرون﴾ اعني لولم يكفّ عنها مطلقاً يقع في محذور الحبط من غير شاعر.

وبالجملة أنّها ليسا بمحيطين من حيث انفسهما بل من حيث اذائهما الى ايدائه - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو كفر وانه محبط بالاتفاق. واورد عليه أنّ ظاهر النهي في الآية هو التّنفسي لا المقدّمى اخذاً بالاحتياط وأنّ الامرين وان كانا بحسب حكم العقل منكوراً وقبيحاً ويمكن ان يتسامحوا بهما حتّى ينجرّ الى ذلك ولهذا بينها الله تعالى بقوله: ﴿ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون﴾ لاجل ان لا تقربوها وبعبارة اخرى أنّهم لا يطلّعون به شناعة الامرين فقد نبّه سبحانه بذلك.

ومنها أنَّ الآية ظاهرة في أنَّ رفع الصوت و الجهر بالقول كانا معصيتان موجبتان للحبط فيكونان مما يوجب الحبط غير الكفر و هو مختاره في تفسير الآية^(١) حيث قال ما لفظه: و ظاهر الآية رفع الصوت فوق صوت النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ - و الجهر له بالقول معصيتان موجبتان للحبط فيكون من المعاصي غير الكفر ما يوجب الحبط، انتهى موضع الحاجة.

اقول: أنَّ الظاهر من قوله: ﴿أَنْ تَحْبُطَ أَعْمَالُكُمْ﴾، علّة للنهي عن رفع الصوت و الجهر بالقول سواء كان في محلّ النصب اعني كان مفعولاً له او الجزم بتقدير اللام و بناءً على ما قيل تقديره كراهة ان تحبط او حذر ان تحبط كان ايضاً بمنزلة العلّة و كيف كان أنَّ الآية مترددة بين الاحتمالين الاخيرين و يمكن تقوية اولهما بأن آيات التي قد اخبر سبحانه فيها به حبط اعمال الكفار كثيرة و لكن ما تدلّ منها على حبط الكفر للاعمال الصالحة منحصرة به آيتين^(٢) و قد عبّر فيهما بلفظ الماضي الذي تدلّ على

١ - الميزان، ج ١٨، ص ٣٠٨.

٢ - و هي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ عَنْ دِينِهِ قُتِلَ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ﴾ الآية، (البقرة، ٢١٧) و قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة، ٥).

اقول: اذا كان ثانياً بعد كفره فلا تحبط اعمال الصالحة له لصريح حنة محمد بن

تنجيز الحبط بمعنى أنه بمجرد عروض الكفر سقط جميع آثار الاعمال وكذا في الآيات التي مربوطة به حبط اعمال الكفار سوى الواحدة منها وسيأتي الكلام فيها أما في هذه الآية قد عبر به لفظ المستقبل اعني قوله «ان تحبط» وهي في حكم الفرض بمعنى أنه لا ترفعوا ولا تنجروا لاجل الحبط اعني ان الرفع والجهر لما يرثان الايذاء وهو ملازم للكفر فانحبط اعمالكم ولو كان نفس الرفع والجهر موجبة للحبط ينبغي ان يعبر به لفظ «لأنحبط» ولعل تغيير التعبير كان لاجل ان المدار في الحبط هو الايذاء الملازم للكفر ويؤيده قوله «وانتم لا تشعرون» وذلك لان هذه الجملة ظاهرة في الجملة الحالية وكان مفاد الآية ان الرفع والجهر، قد يورثان الحبط والحال انتم غير مشعرين به، ولو كان الجملة ناظرة الى اصل الحكم بمعنى ان هذا الفعل لا تحقروه وانتم غير مشعرين بأنه محبط كما صرح بذلك العلامة الطباطبائي - قدس سره - لينبغي ان تكون الجملة خالية عن حرف العطف ولم تكن الحالية اذا الجملة الحالية غير مناسبة لما اختاره الطباطبائي - قدس سره - وكيف كان على فرض التسليم وعدم ترجيح الاحتمال الاول، فلا اقل من التساوي فصارت الآية بجملة و

→ مسلم كما تقدمها عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: «من كان مؤمناً فعمل خيراً في ايمانه اصابته فتنة فكفر ثم تاب بعد كفره كتب له وحسب بكل شيء» كان عمله في ايمانه ولا يبطله الكفر اذا تاب بعد كفره»، (الكافي، ج ٢، ب ان الكفر مع التوبة لا يبطل العمل، ح ١، ص ٤٦١) بل باطلاقها تدل على ان توبة المرتد القطريّ مقبولة ايضاً.

لا يجوز التمسك بها للحبط، و من الآيات التي قد يستدل بها على الحبط هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فُتِلَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَمَكَّرَ صُلْدًا﴾^(١)، واستدل العلامة الطباطبائي بالآية بأنها تدل على حبط الصدقة بلحوق ﴿الْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٢)، ولكن من المحتمل بل الظاهر أن الآية كانت في مقام بيان أن الصدقة التوأم بالْمَنِّ وَالْأَذَى لآثر لها كالانفاق المقرون بالرياء فعلى هذا بطلان الصدقة كانت لاجل عدم إيقاعها على الوجه الذي يستحق عليه الثواب بقرينة تشبيها بالانفاق الذي كان لاجل الرياء خصوصاً لاجل تمثيله تعالى في آخر الآية انفاق المرابي بالتراب الواقع على الحجر الملس إذا أصابه المطر الشديد فإن المطر لا ينفعه بل يغسله و على فرض عدم الظهور فيما ذكرناه فلا أقل من المحتمل فالآية لا تكون دليلاً على الحبط، قال الطبرسي «ره»^(٣) في قوله تعالى: ﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ﴾، أي بالمنة على السائل وقيل بالمنة على الله و الذي بمعنى اذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلاً لعمل المتان و عمل المنافق جميعاً فأنهما اذا فعلاً لفعل على غير الوجه المأمور به فأنهما لا يستحقان عليه ثواباً و هذا هو معنى الإبطال و هو إيقاع العمل على غير الوجه الذي يستحق عليه

التَّوَاب (الى ان قال) وليس في الآية ما يدلّ على ان التَّوَاب الثَّابِت المستقرّ يبطل و يزول بالمنّ فيما بعد و لا بالرياء الَّذِي يحصل فيما يستقبل من الاوقات على ما قاله اهل الوعيد (انتهى لفظه). مضافا الى أنّه قد قرّر في محلّه الرياء بعد العمل لا يبطله فضلاً عن المنّ و الاذى بعد الانفاق، و الله العالم.

وامّا الاخبار التي يمكن ان يستند بها للحبط في غاية القلّة و الضّعف، منها: ما في البحار عن مصباح الشريعة في خبر طويل مرفوعاً: قال الصادق - عليه السّلام -: الغيبة حرام على كلّ مسلم، الى أن قال: فان اغتبت فأبلغ المغتاب فلم يبق الاّ ان تستحلّ منه و ان لم يبلغه و لم يلحقه علم ذلك فاستغفر الله له و الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، اوحى الله تعالى عزّ وجلّ الى موسى بن عمران - عليه السّلام -: المغتاب ان تاب فهو آخر من يدخل الجنّة و ان لم يتب فهو أوّل من يدخل النار، الخبر. (١)

ومنها ما فيه ايضاً عن جامع الاخبار مقطوعاً عن سعيد بن جبير عن النبيّ - صلى الله عليه و آله و سلّم - أنّه قال: يؤتى باحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله و يدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول: الهي ليس هذا كتابي فاني لا ارى فيها طاعتي فيقال له: ان ربك لا يضلّ و لا ينسي ذهب عملك باغتيال الناس ثمّ يؤتى بآخر و يدفع اليه كتابه فيرى فيها

طاعات كثيرة فيقول: الهي ما هذا كتابي فاني ما عملت هذه الطاعات فيقال: لان فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك و قال - صلى الله عليه و آله و سلم - : كذب من زعم أنه ولد من حلال و هو يأكل لحوم الناس بالغيبة فأنها ادام كلاب النار، الخبر^(١).

و منها في عقاب الاعمال بسنده عن ابي هريره و عبد الله بن عباس قالوا خطبنا رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - قبل وفاته في خطبة طويلة الى ان قال: و من ظلم اجيراً أجره احبط الله عمله و حرّم عليه ربح الجنة (الى ان قال) و من رمى محصناً أو محصنةً احبط الله عمله (الى ان قال) و من سعى باخيه الى سلطان لم يبدله منه سوء و لا مكروه احبط الله عزّ وجلّ كلّ عمل عمله - (الى ان قال) و اشتدّ غضب الله عزّ وجلّ على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها او غير ذي محرم منها فأنها ان فعلت ذلك احبط الله كلّ عمل عملته، الخبر^(٢). و لم نظفر الى الآن بعد فحص التأم على ما دلّت على المحبط او ما يؤل اليه سوى الروايات المذكورة ولكن ادعى^(٣) المجلسي «ره» على أنه قد دلّت الاخبار الكثيرة على ان كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات فان كان غرضه من لفظ الكثير هذه الروايات فلاضير و

١ - ج ٧٥، باب الغيبة، ح ٥٣، ص ٢٥٩.

٢ - باب يجمع عقوبات الاعمال، ص ٣٣٠.

٣ - البحار، ج ٥، ص ٣٣٤.

الافعليه ارائتها وكيف كان أنه من المعلوم أن هذه الروايات لا تصلح للتمسك بها لعدم السند في الاولى وقطعه في الثانية^(١) و ضعف الظاهر في الثالثة اعني كونها نبوية خصوصاً مع مخالفتها لظاهر الآيات و الاخبار نعم بعض الاخبار قد دلت على خصوص بعض المعاصي أنها مورثة لفساد الايمان^(٢) و لنقصانه^(٣) و بعض الآخر موجبة لعدم

١ - مضافاً الى ان سعيد بن جبير و ان كان قد يمدح و لكن كان من اصحاب السّجاد - عليه السّلام - و من البعيد روايته بدون الوساطة عن النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - راجع لذلك المعجم الرجال الخوفي - قدس سره - (ج ٨، ص ١١٥).

٢ - كما ورد في سوء الخلق نحو ما في الكافي بسنده الحسن كالصحيح عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله - عليه السّلام - قال: ان سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (ج ٢ باب سوء الخلق، ح ١، ص ٣٢١)

و الصحيحة و ان كانت ظاهرة في افساد العمل و لكن يمكن ان يكون المراد اولاً الايمان كما دلّ على ذلك الرواية الرابعة من هذا الباب و ثانياً لا معنى لافساد العمل بعد وقوعه حيث وقع صحيحاً مع شرائطه كما قال المحققون في الرياء بعد العمل و على كل حال لا يصح التمسك للحبط بتلك الصحيحة لما ذكر.

و ما ورد في الغضب مثل ما فيه بسنده عن السكوني عن ابي عبدالله - عليه السّلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل (ج ٢، باب الغضب، ح ١، ص ٣٠٢).

٣ - كما ورد في باب الحسد نحو ما فيه بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم قال: قال

وجدان^(١) طعم الايمان و بعض الاخر واردة لبيان تبعات مطلق^(٢)

→ أبو جعفر - عليه السلام - : «أن الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر وأن الحسد ليأكل

الايمان كما تأكل النار الحطب» (ج ٢، باب الحسد، ح ١، ص ٣٠٦).

و ما ورد في باب الظلم نحو ما في عقاب الاعمال بسنده عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه قال: ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم (ب عقاب الظالم، ح ٥، ص ٣٢١).

١ - كما ورد في باب الكذب نحو ما في الكافي بسنده عن الأصمعي بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده (ج ٢، باب الكذب، ح ١١، ص ٣٤٠).

٢ - كما ورد في باب مطلق تبعات الذنوب نحو ما فيه بسنده الموثق كالصحيح عن أبي بكير عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «أن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلوة الليل وأن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم» (ج ٢، باب الذنوب، ح ١٦، ص ٢٧٢).

و مثل ما فيه أيضاً بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: «أن العبد يسأل الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى أجل قريب او الى وقت بطيء فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك و تعالی للملك لا تقض حاجته و احرمه اياها فانه تعرض لسخطي و استوجب الحرمان مني» (ج ٢، باب الذنوب، ح ١٤، ص ٢٧١).

و نحو ما فيه أيضاً بسنده عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: كان أبي - عليه السلام - يقول: «ما من شيء افسد للقلب من خطيئة أن

الذنوب و من الواضح انّ هذه المضامين غير مربوطة بمسئلة حبط الحسنات بل ان هذه الاخبار واردة لبيان آثار المعاصي من غوائلها و ضرباتها بالايان و بالجملة انا لم نظفر لحبط الحسنات بالسيئات بما يصحّ الاعتماد عليها، والله العالم.

بقي الكلام في سائر الآيات التي قد اخبر الله تعالى عن حبط اعمال الكفار و أنّها بالغة الى عشرة آيات و الحبط لغة و اصطلاحاً يطلق على ما سقط اثره و بطل و رفع تأثيره عمّا هو شأنه و اعمال الكفار قد تكون راجعة الى الصدّ^(١) عن سبيل الله و المنع عن الايمان برسوله و الشّركة في

→ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله» (ج ٢، باب الذنوب، ح ١، ص ٢٦٨).

و نحو ذلك ما فيه بسنده الحسن كالصحيح عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: «من ظلم مظلمة اخذ بها في نفسه او في ماله او في ولده» (ب الظلم، ج ٢، ح ٩، ص ٣٢٢).

و نحوه ما فيه بسنده الصحيح عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم -: «اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيمة» (ج ٢، ح ١١، ص ٣٣٣).

و من الواضح ان جميع هذه الروايات كما ترى مضامينها مربوطة بآثار الوضعيّة المترتبة على مطلق المعاصي او خصوص بعضها و غير مربوطة بأنّها محبطة للعمل ام لا و لعلّ هذا واضح.

١ - كما اشار الله تعالى الى ذلك القسم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ

أمر الجهاد، و تلك الأعمال صادرة عن رؤسائهم فإن الله تعالى قد أخبر عن هدم مساعيهم وما عملوا لإطفاء نور الله وإسقاط أثر أعمالهم، وقد تكون مربوطة^(١) بما اتخذوه سبيلاً وهو سبيل الغي فذلك قد أخبر عن حبطها وقد تكون مربوطة بأموراتهم العبادية^(٢) فإنها لما لم تكن على طبق المأمور به أعني غير واجدة لشرائطها من الإيمان بالله ورسوله و اليوم الآخر ونحوها فلم يترتب عليها الأثر لا في الدنيا مطلقاً ولا في الآخرة من الثواب والاجر ونحو ذلك^(٣) فعلى هذا أن الآيات الواردة في

→ الله و شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم ﴿(محمّد. ٣٢)

و بقوله: ﴿اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله سيراً﴾ (الاحزاب، ١٩).

١- كما أشار تعالى الى حبط تلك الأعمال بقوله: ﴿و الذين كذبوا بآياتنا و لقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (الاعراف، ١٤٧).

٢- كما أشار الله تعالى الى حبط تلك الأعمال بقوله: ﴿و ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم و في النار هم فيها خالدون﴾ (التوبة، ١٧).

و بقوله: ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيمة و زناً﴾ (الكهف، ١٠٤-١٠٥).

٣- كما أشار إليها في سورة آل عمران، آيه ٢٢ - و في سورة العائدة، آيه ٥٣ - و في

حبط اعمال الكفار غير مربوطة بما نحن فيه، فتدبر جيداً.
 واما قوله تعالى: ﴿ولقد اوحى اليك و الى الذين من قبلك لئن
 اشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين﴾ (١).
 فبقريئة آية السابقة (٢) واللاحقة (٣) لها ان الظاهر كان في مقام بيان
 الشرك في العبادة وان ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر
 لا يليق العبودية ولو اشرك لله تعالى في العبادة فهو موجب لحبط
 الاعمال فعلى هذا ان الآية مربوطة به آيات السابقة التي تدل على ان
 الكفر بحبط للعمل.

واما بناءً على ما قاله الطبرسي «ره» في تفسير الآية (و ليس في
 هذا ما يدل على صحة القول بالاحباط على ما يذهب اليه اهل الوعيد
 لان المعنى فيه ان من اشرك في عبادة الله غيره من الاصنام وغيرها
 وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به ولذلك وصفها
 بانها محبطة اذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها
 الثواب، انتهى) فان كان الغرض من اشراك الاصنام وغيرها في
 عبادة الله تعالى على وجه الاستحقاق واللائق للعبودية فيؤل الى ما
 ذكرناه وان كان لا على وجه الاستحقاق بل كالعبادة المراتي فالآية

→ سورة محمد، آيه ٩ و ٢٨ - وفي سورة التوبة، آيه ٦٩

١ - الزمر، ٦٥

٢ - وهي قوله تعالى: ﴿قل افغير الله تأمروني اعبداً بها الجاهلون﴾.

٣ - وهي قوله تعالى: ﴿بل الله فاعبد وكن مع الشاكرين﴾

مربوطة بالعمل الذي خالياً من قصد القربة و لذلك أنه محببٌ ولكنه
هذا خلاف الظاهر خصوصاً بقرينة آيات السابقة لها كما عرفت، و
الله العالم.

المبحث العاشر في اقسام توبة العباد

اقول: ان التوبة تنقسم على قسمين:

القسم الاول هو توبة عموم الناس عدا المعصومين - صلوات الله عليهم اجمعين - اعني الرجوع عن المعاصي مطلقاً و الندم عنها و قد عرفت حقيقتها و حكمها و سائر الامور المربوطة بها في الابحاث المتقدمة.

القسم الثاني هو توبة الانبياء خص خاتمهم النبيينا محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - و اولاده المعصومين - صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين - و لاشبهة في صدورها عنهم بل انها من اهم^(١) عباداتهم و خيرها بل

١- كما ورد في ذلك روايات،

منها في الكافي بسنده عن حسين بن زيد عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله: الاستغفار، و قول لا اله الا الله خير العبادة قال الله العزيز الجبار: ﴿فاعلم انه لا اله الا الله و استغفر لذنبك﴾. (خ ٦، ج ٢، باب الاستغفار،

يظهر من بعض الأخبار أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يستغفر في كل يوم سبعين^(١) مرة ومن بعض الادعية المأثورة عن

١ - ورد ذلك في أخبار عديده بل في بعضها أنه قال: في كل يوم و ليلة مائة مرة. بل عن أبي الحسن قال: في كل يوم خمسة آلاف. كما في الكافي بسنده الحسن كالصحيح عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: كان رسول الله يستغفر الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة و يتوب الى الله عز وجل سبعين مرة. قال: قلت: كان يقول: استغفر الله و اتوب اليه قال: كان يقول: استغفر الله استغفر الله سبعين مرة و يقول: و اتوب الى الله و اتوب الى الله. سبعين مرة (ج ٢، باب الاستغفار، ح ٥، ص ٥٤٠)

و فيه بسنده الموثق كالصحيح عن ابن بكير قال: سئلت أبا عبد الله - عليه السلام - في قول الله عز وجل: ﴿و ما اصابكم من مصيبة فها كسبت ايديكم﴾ فقال: هو، ﴿و يعفو عن كثير﴾، قال: قلت: ليس هذا اردت ارايت ما اصاب علياً و اشباهه من اهل بيته من ذلك فقال: ان رسول الله كان يتوب الى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب (ج ٢، ب نادر، ح ١، ص ٤٥٠). و كذا فيه بسنده الصحيح عن ابن رثاب قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿و ما اصابكم من مصيبة فها كسبت ايديكم﴾ (الشورى، ٢٩) ارايت ما اصاب علياً و اهل بيته - عليهم السلام - من بعده هو بما كسبت ايديهم و هم اهل بيت طهارة معصومون فقال: ان رسول الله كان يتوب الى الله و يستغفره في كل يوم و ليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص اوليائه بالمصائب لياجرهم عليها من غير ذنب (ج ٢، ح ٢، ب نادر، ص ٤٥٠) و كما في الوسائل

الائمة - صلوات الله عليهم - أنهم المقرّون والمعتزّون بالمعاصي باشدّ الاقرار والاعتراف، كما في دعاء كميل^(١) و دعاء الصباح^(٢) ونحوه المنسوبة الى مولانا امير المؤمنين - صلوات الله عليه - وفي دعاء العرفة^(٣) ونحوها المنسوبة الى مولانا حسين بن علي - عليها السلام - و

→ عن كتاب الزهد عن ابراهيم بن ابي البلاد قال: قال ابو الحسن : انّي استغفر الله في كلّ يوم خمسة آلاف ثمّ قال لي: خمسة آلاف كثير (ج ١١، باب ٩٢، ح ٨، ص ٣٦٩) وما هو مكمل للروايات كانت هذه الرواية - فيه، على بن ابراهيم، رفعه، قال: لما حمل عليّ بن الحسين الى يزيد بن معاوية فاقف بين يديه قال يزيد لعنه الله: ﴿وما اصابكم من مصيبة فيها كسبت ايديكم﴾ فقال عليّ بن الحسين: ليست هذه الآية فينا، انّ فينا قول الله عزّ وجلّ ﴿وما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها انّ ذلك على الله يسير﴾ (الحديد، ٢٢) (ج ٢، ح ٣، ب نادر، ص ٤٥٠).

١ - مثل هذه الفقرات، اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم ونحوها.

٢ - مثل هذه الفقرات الهي اتراني ما اتيتك الا من حيث الامال ام علقت باطراف حبالك الاحين باعدتني ذنوبي عن دار الوصال فبئس المطيّة التي امتطت نفسي من هواها فوهاها لما سولت لها ظنونها ومناها وتبأ لها لجرأتها على سيدها وموليا (الى ان قال)، وهذه اعباد ذنوبي دراءتها بعفوك ورحمتك وهذه اهواني المضلّة وكلتها الى جناب لطفك ورافتك، ونحوها.

٣ - مثل هذه الفقرات، ثمّ انا يا الهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي انا الذي اسأت انا الذي اخطأت انا الذي هممت انا الذي جهلت. ونحوها.

في دعاء ابوهمزة الثمالي^(١) واغلب دعوات صحيفة^(٢) السَّجَّادِيَّة ونحوها المنسوبة الى مولانا علي بن الحسين - عليها السَّلام - ونحوها الى باقي الائمة بل في بعضها اعتراف بالمعاصي بواسطة جميع الاعضاء^(٣) و الجوارح على حدّ لم يمكن عادة صدورها عن بعض العوام مع أنّه لاشبهة في عصمتهم^(٤) كما ثبت في محله بالبراهين القاطعة فكيف يمكن الجمع بين

١ - مثل هذه الفقرات سيّدي من لي و من يرحمني ان لم ترحمني و فضل من أوّمل ان عدمت فضلك يوم فاقتي و الى من الفرار من الذنوب اذا انقضى اجلي، و نحوها.

٢ - نحو هذه الفقرات : اللَّهُمَّ اِنِّي اتوب اليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي و صفائرها و بواطن سيّاتي و ظواهرها و سوائف زلّاتي و حوادثها توبة من لا يحدث نفسه بمعصية (في دعائه في ذكر التوبة، ٣١ ص ١١٥)

٣ - كما في دعاء العرفة المنسوبة الى مولانا حسين بن علي - عليها السَّلام - في هذه الفقرة: الهي امرتني فعصيتك و نهيتني فارتكبت نهيك فاصبحت لا ذا برائة لي فاعتذرو لا ذا قوة فاتصر فبائي شينني استقبلك يا مولاي أسمعني أم يبصري ام بلساني ام بيدي ام برجلي اليس كلّها نعمك و بكلّها عصيتك.

٤ - قد فرّق بعض علمائنا بين عصمة الانبياء - صلوات الله عليهم - و عصمة نبيّنا محمّد (ص) قال المفيد «ره» (اوائل المقالات، ص ٦٦).

اقول: انّ جميع انبياء الله معصومون من الكبائر قبل النبوّة و بعدها و ممّا يستخفّ فاعله من الصّغائر كلّها و اماما كان من صغير لا يستخفّ فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوّة و على غير تعمد و ممتنع منهم بعدها على كلّ

→ حال و هذا مذهب جمهور الامامية و المعتزلة باسرها تخالف فيه و قال «ره» في عصمة نبيينا محمد (ص) خاصة. (اوائل المقالات ص ٦٨)
 اقول: ان نبيينا محمد (ص) ممن لم يعص الله عز وجل منذ خلقه الله عز وجل الى ان قبضه و لا تعتمد له خلافاً و لا اذنب ذنباً على التعمد و لا النسيان و بذلك نطق القرآن و تواتر الخبر عن ال محمد و هو مذهب جمهور الامامية، الى ان قال: و قد نطق الفرقان بما قد وصفناه فقال جل اسمه: «و النجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى» (و النجم، ١) فني بذلك عنه كل معصية و نسيان. انتهى كلامه.

و قال في عصمة الائمة - عليهم السلام - مثل قال في عصمة الانبياء (اوائل المقالات، ص ٧٢).

اقول: هذا التفصيل الذي نسب المفيد «ره» الى جمهور الامامية في عصمة الانبياء قد تنافي في الجملة ما ينسب العلامة المجلسي «ره» الى مذهب اصحابنا فانه «ره» بعد ارجاع الاختلاف الواقع بين الفريقين في هذا الباب الى اربعة اقسام:

احدها ما يقع في العقائد،

و ثانيها في التبليغ،

و ثالثها في الاحكام و الفتيا،

و رابعها في افعالهم، و بعد نقل اتفاق الامة على عدم جواز الكفر عليهم مطلقاً و على عدم جواز الكذب و التحريف فيما يتعلق بالتبليغ مطلقاً الا القاضي فانه

→ جَوَزَ نسياناً و على عدم جواز الخطاء عليهم في ما يتعلق بالفتيا الآ شرذمة قليلة من العامة، قال: و اما النوع الرابع، و هو الذي يقع في أفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال:

الاول مذهب اصحابنا الامامية و هو أنه لا يصدر عنهم الذنب لاصغيرة و لا كبيرة و لاعمداً و لانسياناً و لالخطاء في التأويل و لا لالسهاء من الله سبحانه و لم يخالف فيه، إلا الصدوق و شيخه محمد بن الحسن بن الوليد رحمهما الله فأنهما جازا الاسهاء الآ السهو الذي يكون من الشيطان، و كذا القول في الاثمة الطاهرين عليهم السلام، الى ان قال: ثم اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقوال،

الاول انه من وقت ولادتهم الى ان يلقوا الله سبحانه، و هو مذهب الامامية، الى ان قال: اذا عرفت هذا فاعلم ان العدة فيما اختاره اصحابنا من تنزيه الانبياء و الاثمة - صلوات الله عليهم - من كل ذنب و دناءة و منقصة قبل النبوة و بعدها قول اثنتا - سلام الله عليهم - بذلك المعلوم لنا قطعاً باجماع اصحابنا رضوان الله عليهم مع تأييده بالتصوص المتظافرة حتى صار ذلك من قبيل الضروريات في مذهب الامامية انتهى كلامه (البحار، ج ١١، ص ٨٩)

و تيلو «ره» بعض المطالب المربوطة بالمقام الى (ص، ٩٦) فراجع و لا يخفى عليك التنافي بين ما نسبها الى الامامية و يمكن ان يكون نظر المفيد «ره» في تلك النسبة الى ما في البحار (جزء ١١، باب ٤، ح ٨، ص ٧٨)

عن العيون بسنده عن علي بن محمد بن الجهم قال حضرت مجلس المأمون و

صدور التوبة و الاعتراف بالذنوب عنهم و عصمتهم - صلوات الله عليهم اجمعين - اذ لا يمكن طرد احدهما لان ادلة كليهما قطعية فلا بد من الجمع بينهما والخروج عن هذا الاشكال العويص.

فنقول: قد اجيب عن ذلك او يمكن ان يجاب عنه بوجه:

الاول ما اجاب عنه المحقق الحكيم السبزواري - قدس سره - في المنظومة و شرحها بقوله و توبة عم و خص و اخص، فالعم بالذنوب و خصها بخص، بترك الاولى و الاخص التوب من، توجه بغير حق قد زكن، كتوبة نبينا خاتم الانبياء - صلى الله عليه و آله و سلم - قال: «انه ليغان^(١) على قلبي و اتى لاستغفر الله في كل

→ عنده الرضا على بن موسى - صلوات الله عليها - فقال له المأمون: يا بن رسول الله اليس من قولك ان الانبياء معصومون قال: بلى قال: فما معنى قول الله عز وجل، و عصى آدم ربه فغوى، فقال - عليه السلام - ان الله تبارك و تعالى، الى ان قال: و كان ذلك من آدم قبل التوبة و لم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار و انما كان من الصفات الموهوبة التي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحي عليهم، الخبر، فتأمل و يحتمل ايراده الكلام على هذا النحو لنوع من التفتة لموافقة ذلك لبعض اقوالهم او على سبيل التزك و الاستظهار رداً على من جوز الذنب مطلقا عليهم صلوات الله عليهم و الله العالم.

١ - في المجمع عن شرح المصاييح الغين لغة في الغيم و غان على قلبي كذا اي اغطاه

قال ابو عبيدة في معنى الحديث اي يتغشي قلبي ما يلبسه، ص ٥١٣

يوم سبعين مرة» انتهى^(١) كلامه.

و توضيح كلامه أن التوبة على ثلاثة أقسام:

الاول توبة العوام وهي مختصة بالتوبة عن الذنب

الثاني توبة الانبياء وهي الخاص وأنها مختصة بترك الاولى اعني ترك المندوب و ترك عدم ارتكاب المكروه كما فسّر ترك الاولى بذلك في هامشها،

الثالث توبة نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - خاتم الانبياء وهي مختصة بالتوجه بغير الله تبارك وتعالى، فالعوام يتوبون عن مخالفة ما يجب اطاعته، والخواص يتوبون عن مخالفة ما يرجح اطاعته، و نبينا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - يتوب عما لا يكون متقرباً الى الله تعالى، من المباحات كالاكل والشرب ونحوه،

الثاني ما اجاب عنه المحقق السيد^(٢) الشبر «ره» في حق اليقين، قريباً من

١ - ص ٢٤٩

٢ - و اوضح من هذا ما نقل الشيخ الطريحي في الجمع في لغة (بكا) عن بهاء الدين في كشف الغمة، قال: ان الانبياء والائمة عليهم السلام تكون اوقاتهم مستغرقة بذكر الله تعالى، و قلوبهم مشغولة و خاطرهم متعلقة بالملاء الاعلى، و هم ابدأ بالمراقبة، كما قال - عليه السلام - أعبد الله كأنك تراه فان لم تراه فإنه يراك، فهم ابدأ متوجهون اليه و مقبلون بكليتهم عليه، فتى انحطوا عن تلك المرتبة العلية و المنزل الرفيعة الى الاشتغال بالماكل و المشرب و التفرغ للنكاح و غيره من

الجواب الاول لكن لا بالتفصيل المذكور، وقال ما لفظه: وكل انسان لا يخلو عن معصية الا ان الانبياء والاوصياء ذنوبهم ليست كذنوبنا وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات ولذا ورد ان حسنات الابرار سيئات المقرّبين وقال الصادق - عليه السلام -: «ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم و ليلة مائة مرة» وفي حديث سبعين مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياؤه بالمصائب ليؤجرهم عليها من غير ذنب اي كذنوبنا فان ذنب كل واحد انما هو بحسب قدره ومزلته عند الله وهذا باب شريف يفتح عنه معنى اعتراف الانبياء والائمة - صلوات الله عليهم - بذنوبهم وبكائهم وتضرعهم فان قلوبهم نهاية صفائها ونورانيّتها يؤثر فيها الاشتغال بالمباحات والغفلة عن الذكر والفكر بالتوجه الى هذا العالم فيعدّون ذلك معصية بالنسبة اليهم يستغفرون الله منها انتهى^(١) كلامه رفع مقامه.

اقول: قد ظهر لك بما ذكره الحكيم السبزواري والمحقّق السيّد الشبر و

→ المباحات، عدوه ذنباً واعتقدوه خطيئة فاستغفروا منه، الا ترى الى بعض عبيد ابناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم انه يبرأى من سيّده ومالكه، يعدّه ذنباً فما ظنك بسيّد السادات ومالك الملاك، والى هذا اشار بقوله انه ليغان على قلبي واني استغفر بالنهار سبعين مرة، وقوله حسنات الابرار سيئات المقرّبين انتهى، ص ١٢.

غيره أن صدور التوبة و الاقرار بالمعاصي عنهم كان لاجل الاشتغال بالمباحات و انصراف عن دوام الذكر و التوجه الى الله تعالى فان صفاء قلوبهم و نورانيتها صارت بمرتبة رفيعة حتى تعد تلك الافعال معصية هذا وان كان في حد نفسه صحيح و لكن من المقطوع أنهم لا يأتون بها الا بعنوان المقدمة اعني يقصدون بفعل الاكل و الشرب و النوم و التمتع و نحوه التمكن و الاستعانة لاتيان العبادات، فصارت المباحات ايضاً عبادة بمعنى أنها راجحة عقلاً بناءً على عدم وجوب مقدمة الواجب شرعاً كما حققنا في مبحثها و لكن من جهة ان من عمل المباحات للتمكن و الاستعانة الى اتيان اعمال الخير صدر عنه نية العبادة بل اعلى مراتبها بل به نفس اتيان بعض اعمال المباحة قد تحقق تلك النية اذا قصد مقدميتها و لاشبهة في عبادية النية و ترتب الثواب عليها شرعاً و سيظهر لك ان شاء الله تعالى في آخر بحث الثاني عشر في نية الخير أنها قد تكون لها حسنة واحدة و قد تكون مثل عمله و قد تكون خيراً من عمله، فانظر. و كيف كان، ان تلك القصد قد يصدر لكثير من الافراد بل كثيراً ما في الموارد فضلاً عنهم - صلوات الله عليهم - فعلى هذا لم يصح لاتيان امثال هذه المباحات اظهار الندم بل لا بد لهم ان يتشكروا بفعلها حتى يستعين بها على الامور العبادي لا ان يندم و يستغفر عنها، و لذا، ورد في بعض^(١)

الايخبار عن مولانا الباقر - عليه السلام - ان علياً لم يرد عليه امران و كلاهما رضى لله تعالى الا اخذ باشدّها على بدنه و هذا يدلّ على أنّه لم يتهياً عليه امران الا اقدم على افضلها (اذا فضل الاعمال احمرها) و بالجملة أنّه - عليه السلام - لم يفعل الراجح مع وجود الارجح فضلاً ان يفعل المباحات مع ان تمكنه - عليه السلام - ان يصيرها الراجحة فتصير عبادة فمن المحتوم لا يصدر المباحات عنهم الا بعنوان المقدميّة فعلى هذا ان هذا الجواب لا يخلو عن الاشكال و لا يخفى ان السيّد قد قسم التوبة على قسمين توبة العوام و توبة غيرهم و لكن الاولى تقسيمها الى ثلاثة اقسام كما ذهب اليه الحكيم السبزواري «ره» و ان الانبياء لما جوزوا عليهم ترك الاولى اعني ترك المندوب و فعل المكروه فيتوبون عنها و صدور الاستغفار عنهم في غير ما ذكر كان كصدوره عن نبينا محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - و جوابه هو الجواب.

الثالث ما قد سمعت عن بعض الاساتيد ان الاستغفار و الاعتراف ليس لاجل ذنوب انفسهم بل كان لذنوب امّتهم و متابعيهم و انهم يجعلون عصيانهم ذنوب انفسهم و لذا يعترفون به جميع المعاصي، و يستغفرون عنها، وفيه ان هذا الحمل لا يناسب اغلب مضامين الادعيّة الماثورة منهم،

→ - عليه السلام - أنّه قال: و الله ان كان على لياكل اكل العبد و يجلس جلسة العبد (الى ان قال) و ما ورد عليه امران كلاهما لله رضى الا اخذ باشدّها على بدنه، و لقد اعتق الف مملوك من كدّ يده تربت فيه يداه، الخبر (جزء ٤١، باب ١٠٧، ح

خصوصاً بعضها على ما وقفت عليها، في ذيل الصحيفة، أنفاً، وكقول مولانا علي بن أبي طالب - عليه السلام - في دعاء الصباح (فهذه اعباء ذنوبي) حيث اسند الذنوب به نفسه المقدس، وهكذا غيره، و توهم أنهم ينسبون المعاصي الى انفسهم لاجل احتمال تقصيرهم في الارشاد و اداء الوظيفة في التبليغ، فاسدٌ جداً، حيث أنهم مع عصمتهم - صلوات الله عليهم - لا يقصرون في ارشادهم، حتى يصح لاجله استناد معاصيهم الى انفسهم المقدسة، وكيف كان ان هذا الجواب ايضاً لا يخلو عن مناقشة واضحة، و ما هو الصحيح في المقام، هو الجواب الرابع، و هو من جملة تحقیقاتنا في الاصول العقائد، و لا بد له اولاً من تقديم مقدمة.

و هي ان العصيان كان عبارة عن ترك الطاعة و عدم الانقياد كما عليه اهل اللغة^(١) و الاصطلاح و كان ذلك المعنى جامع و يلائم جميع الموارد المخالفة سواء كانت في الاوامر او في النواهي و سواء كانت الاوامر للزومية ام لا و كذا النواهي و لذا يحمل قوله تعالى في قصه آدم - عليه السلام - : ﴿و عصى آدم ربه فغوى﴾ على ذلك من غير تجويز اعني خالف نهى الله تعالى و هو تنزيهي و لم يناف عصمته و اما قوله ﴿فغوى﴾ فعناه خاب كما عليه بعض اهل^(٢) اللغة اعني ان هذه

١ - في المنجد، عصى، عصياً و معصيةً، خرج عن طاعته و عانده، العصيان ترك الطاعة، عدم الانقياد.

٢ - المنجد غوى، غيأً، و غوى، غواية، ضلّ، خاب، هلك، و عن الجوهرى الغى،

المخالفة صار سبباً لحرمان آدم - عليه السّلام - عن ما يستحقه من الثواب على فرض عدم المخالفة ولم ينل به و من اللطائف ما قال السيّد المرتضى «رد» على ما حكى^(١) عنه في المقام.

فان قالوا ما المانع من ان يريد ﴿وعصى﴾ اي لم يفعل الواجب من الكفّ عن الشجرة و الواجب يستحقّ بالاخلاق به حرمان الثواب كالفعل المندوب اليه فكيف رجّحتم ما ذهبتم اليه على ما ذهبنا، نحن قلنا الترجيح لقولنا ظاهراً اذا الظاهر من قوله تعالى: ﴿عصى فغوى﴾ انّ الذي دخلته الفاء جزاءً على المعصية و أنّه كل^(٢) الجزاء المستحق بالمعصية و من لم

→ الضلال و الحية و قال: خاب الرجل يخيب خيبةً اذا لم ينل ما طلب، و عن الجزري في حديث موسى و آدم على نبيّنا و آله و عليهما السلام (لاغويت الناس) اي خبيتهم يقال: غوى الرجل اذا خاب و اغواه غيره.

١ - ملخص ما في البحار عنه، جزء ١١، ص ٢٠٠

٢ - و لذا ورد في بعض الاخبار في بيان ذلك و لم يترتب على ذلك العصيان سوى المحروميّة عن بعض النعم التي كانا في الجنة و يتنمّان و وقوعها في المشاقّ الدنيويّة كما في البحار عن تفسير العياشي، في خبر طويل، عن عطاء عن ابي جعفر عليه السّلام عن ابيه عن آبائه عن عليّ عليه السّلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال انما كان لبث آدم و حواء في الجنة حتّى خرج منها سبع ساعات من ايام الدنيا حتّى اكلا من الشجرة فاهبطها الله من يومها ذلك (الى ان قال) فلما القيا قاما على ارجلهما و رفعوا رؤسهما الى السماء و ضجّا بصواتهما بالبكاء الى الله تعالى و خضعا باعناقهما قال فهتف الله بهما ما يكيكما بعد

يفعل الواجب استحقّ الذّم والعقاب و حرمان الثّواب و من لم يفعل المندوب فهو غير مستحقّ لشيء الا حرمان الثّواب فقط. انتهى.

اقول: هذا بناءً على كون النهي مولويّاً و اّما بناءً على كونه ارشادياً كما اشرنا اليه في ذيل الصحيفة مع تأييده بالرواية فلم يكن على مخالفته العقوبة كالتّواهي و اوامر الطيب و كيف كان فالعصيان يتحقّق به ترك الاطاعة مطلقاً و ذلك الترك قد يكون مستندة الى تمرد العبد مع كونه متمكّناً من الاطاعة و قد يكون مستندة الى قصور العبد مع كون مولاه لائقاً للاطاعة مطلقاً و لذا يصحّ للعبد الاعتذار و طلب العفو عن المولى حين قصوره عن الاطاعة و لذا لودعي العبد مولاه للضيافة ليلةً في داره و تهيوّ له كلما يقدر لضيافته في تلك اللّيلة من المأكولات و المشروبات و سائر ما يتعلق بها على فوق وسعه و اجابه المولى و بات المولى في داره اللّيلة و لكن العبد لما لم يكمل الضيافة على ما يليق به شئونات مولاه فكان في كمال الخجالة و التأسف و لذا لو قال العبد عند خروج المولى عن داره ايّها المولى غاية املى عفوك و رجوت منك العفو و رجاء العفو عن

→ رضاي عنكما، قال، فقالا، ربّنا ابكتنا خطيئتنا و هي اخرجتنا عن جوار ربّنا، و قد خفي عنّا تقدّيس ملائكتك لك ربّنا و بدت لنا عوراتنا و اضطرّنا ذنبنا الى حرث الدنيا و مطعمها و مشربها و دخلتنا وحشة شديدة لتفريقك بيننا، الخبر (ج ١١، باب ٣، ح ٣٦، ص ١٨٢) فعلى هذا انّ النهي في الآية ارشادي و لم يترتب عليه العقوبة حتّى ينافي العصمة نعم يترتب على مخالفته المضارّ و المشقّة الدنيويّة.

العظيم ممدوح فالعفو من العظيم فيعدّ هذا العبد من العارفين بمقام المولى و
 بوظيفة نفسه بالنسبة الى شؤناته بل لو لم يتكلّم بهذه الكلمات يعدّ من
 المغرورين و المهتكن بالنسبة الى الوظيفة العبوديّة و لذا كلّما ازداد به
 مثل هذه المقالة يعرف نفسه بأنّه عبدٌ مطيع غايتها و من المعلوم صدور
 امثال هذه المقالات من العبد ليس لاجل تقصيره في الضيافة اذا
 المفروض أنّه اتّمها على فوق وسعه و ليس على نحو المجاز و على رأس
 اللسان بل يكون لاجل معرفته بشئون مولاه و عدم تهيوّه لخدمة مولاه
 على ما يليق بمقامه و لو قصوراً بل كلّما ازيد شؤنات المولى في علو المرتبة
 و العبد عارف بها كان اللازم عند العقل من اعتذار العبد اشدّ حتّى يمكن
 ان يصير حاله قريباً من الاغماء و لانه فكّر في نفسه انّ المولى كان في
 غاية العظمة و مورداً لزائد على ما فعلت في حقّه، و كنت قاصراً في
 الاداء، لا يكون سبباً لرفع حقّه، و لم ينزله عما هو شأنه، فعدم الاقدام على
 اداء حقّه منتهية الى قصور عملي لما هو يليق به، فواسوأتا على نفسي بل
 لا يبعد ان يحكم العقل بوجوب الاعتذار و التكلّم بامثال ما ذكرنا، من
 المقالات السابقة للعبد العارف تداركاً عما لم يتمكنّ عن فعله فانّ في ابراز
 القصور و الاعتذار، كان مرتبة من العبوديّة بل تحقّق حاق العبودية بمثل
 هذه البروزات و القصورات لمن لم يتمكنّ من اداء الوظيفة حقّها، بل
 يمكن ان يقال للعبد العارف التّارك عن مثل هذه التّداركات أنّه مضيعاً
 لاداء الوظيفة و مقصراً في العبوديّة، و لذا يصحّ عند العقل ان يقال للعبد
 العارف أنّك لما كنت غير متمكّن من العمل على طبق شؤنات المولى فلم

لم يقرّ بلسانك. فافهم و تبصّر.

اذ اتمّده هذه فنقول: اما الجواب عن توبة الانبياء - صلى الله عليه وآله وسلم - عما هو تركه اولى مثل توبة آدم - عليه السلام - ونحوها فظهر جوابه من المقدمة، اذ ترك الاولى كان نوعاً من الخروج عن الطاعة وقد مرّ ان العصيان قد تحقق بها، ويصح التوبة عنها، مع أنّه لم يناف عصمتهم - صلوات الله عليهم - .

وامّا الجواب عن توبة نبيّنا محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - والائمة - عليهم السلام - واعترافاتهم بالمعاصي فان النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - والائمة - صلوات الله عليهم - لما ارتقى في معرفة الله تبارك و تعالى فوق الارتقاء، فيعرفون انفسهم في غاية القصور للخروج عن عهدة الاطاعة حقّها، ولذا يرون جميع جوارهم في نهاية خلاف الاطاعة والخطاء، كما ترى ذلك من كلمات حسين بن علي - عليها السلام - في دعاء العرفة «اليس كلها نعمك و بكلها عصيتك» اي و بكلها كنت خارجاً عن الاطاعة والاتيان بالوظيفة بالنسبة الى ما يليق بحضرتك و من كلمات سيّد الساجدين - عليه السلام - في دعاء ابو حمزة الثمالي «اذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت» اي اذا رأيت مولاي ما كانت موجبة للخروج عن الاطاعة والانتقياد بالنسبة الى مقامك الرفيعة فزعت، و بالجملة بعد معرفتهم و التفاتهم بهذا المعنى أنّهم يستغرقون انفسهم في غاية خلاف الاطاعة والانتقياد و لو قصوراً فيعتذرون عن الله تعالى غاية الاعتذار و يصدر عنهم الاستغفار على نحو ما عرفت و لا يبعد ان

يقال: ان مفاد هذه التعابير كان مساوقا لما هو المروي عن نبيِّنا محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم -، ما عبدتك حقَّ عبادتك، وبالجمله ان التوبة بهذا المعنى كانت من قبيل التسبيح التكويني الذي يأتي بيانه في محل المناسب اعني يشابهه فانظر، فافهم، واغتنم، ولئن شئت التوضيح زائداً على ما عرفت فليراجع الى ما في ذيل الصحيفة^(١).

١ - توضيح المقام يحتاج الى بيان مقدّمتين.

الاولى ان الله تبارك و تعالى لما كان ذاته مستجعماً للصفات الكالّية ومبرّياً عن النقائص و أنّه مبتدعاً لما سواه فالكأ لها فيكون بالانحصار لا نقاً بالعبودية و متفرداً بها كما أنّه تعالى متفرد بالوحدانية فالعقل يحكم بلزوم الاطاعة له مطلقاً.

الثانية أنّه قد تقرر في مباحث الاصول في شرائط العامة للتكليف ان القدرة كانت شرطاً لحسن الخطاب بخلاف العلم فأنّه شرط للتّجز كما ان البلوغ و العقل كانا شرطين لاصل التّكليف فعلى هذا ان التكليف في مورد عدم القدرة من حيث الملاك كان تاماً للمصلحة اعني لم يحدث في هذه الصورة مانع لبعثه لامن طرف المولى و لامن طرف نفس التكليف مطلقاً و أنّا المانع كان حادثاً من قبل المكلف و هو عدم القدرة.

اذا تمّهذ هذين المقدّمتين فاقول: ان الله تعالى من حيث أنّه كذلك لكان مقتضى للعبودية و أنّه غير محدود فبحكم العقل لتناسب المقتضي بالكسر للمقتضي بالفتح لابد و ان تكون عبوديته ايضاً غير محدودة، و عدم تنال القدرة اليها لم ينزل الافتضاء عمّا هو عليه فيجوز بل يلزم على العبد المعارف الاقرار

تتمة

بقى الكلام في معنى الآيات التي أمر الله تعالى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بالاستغفار فيها منها قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾، واستغفر الله أن الله كان غفوراً رحيماً^(١)، قد اشتهر كما صرح في البحار محكياً عن الرازي^(٢) بأن الآية قد وردت في طعمة سرق درعاً فلما طلبت الدرع منه رمي واحداً من اليهود بتلك السرقة ولما اشتدت الخصومة بين قومه و قوم اليهود جاؤوا إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وطلبوا منه أن يعينهم على هذا المقصود وأن يلحق الخيانة باليهودي فهم الرسول - صلى

→ بالعصيان والخروج عن الطاعة وعدم الانقياد ولو قصوراً على حدّ الامكان، فافهم و اغتم، ولذا قلنا في مطاوي أبحاثنا أن الدعاء بالتعابير الواردة، مثل ما ذكرنا بعضها واجب بحكم العقل لمن عرف المعارف غايتها حيث أن العبد لما لم يتمكن من خروج الطاعة والانقياد عملاً لكن تمكن منه بحسب الاعتراف والاقرار فلم يجز عليه ترك ما يتمكن لأن الامر دائر بين الطاعة العملي والاقراري بمعنى أن الامر دائر بين مرتبتين من الانقياد والطاعة، العملي، والاقراري، فحيث أنه قاصر عاجز عن المرتبة الاولى لم يجز عليه ترك مرتبة الثانية ايضاً و قلنا أن السر في كثرة الدعاء والمناجات منهم هو ذلك وهذا معنى أمر الله تعالى نبيه بقوله استغفر لذنبك وهو أمر ارشادي والله العالم.

١- النساء، ١٠٥-١٠٦

الله عليه وآله وسلم - بذلك فنزلت الآية، هذا، قد اشكل الطاعنون في عصمة الانبياء بان الآية قد دلت على صدور الذنب عن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فانه لولا ان الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - قد ارتكب الذنب لكانت الآية قد دلت على عصمة الانبياء بعدهم.

والجواب ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي فاعلاً للمنهى عنه [انه (ص) كان لم يفعل ذلك والآلم يرد النهي عنه] بل ثبت في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا من الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ان يذنب عن طعمه وان يلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي فنزلت الآية وكان الغرض عن هذا النهي تنبيه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على ان يذنب كذآب وان اليهودي يرى، عن ذلك الجرم فان قيل، الدليل، على ان الذنب قد صدر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، قوله تعالى، في الآية التالية: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، فلما امره الله تعالى بالاستغفار دلّ على سبق الذنب فالجواب من وجوه:

منها ان الاستغفار يحتمل ان يكون للذين يذنبون عن طعمة ويبرؤونه عن السرقة فيه انه خلاف الظاهر ولا يرتكبه الا بالدليل وهو غير موجود.

ومنها، انه - صلى الله عليه وآله وسلم - لعلّ مال طبعه الى نصره طعمة لانه ظاهراً من المسلمين فامر بالاستغفار لهذا القدر، لان حسنات الابرار سيئات المقرّبين فيه، انه ينافي العدالة فضلاً عن العصمة اذ الواجب هو الحكم بالحق ولو كان الحق غير اهل الحق.

ومنها ان القوم لما شهدوا على سرقة اليهودي وعلى براءة الطعمة عنها ولم

يظهر للرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ما يوجب القدرح في شهادتهم هم أن يقضي بالسَّرقَة على اليهودي ثم لما أطلع الله تعالى على كذب هؤلاء الشهود عرف أن ذلك القضاء لو وقع لكان خطأً فكان استغفاره بسبب أنه هم بذلك الحكم الذي لو وقع لكان خطأً في نفسه و أن كان معذوراً عند الله فيه، فيه، أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - إذا كان معذوراً عند الله تعالى في ذلك الحكم و لو قضي على خلاف الواقع فلا يصح محلاً للامر بالاستغفار اللهم الآبناء على ما ذكرناه اعني لعل في الآية إشارة بذلك الاستغفار إلى أنك يا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قاصر عن الحكم بما أراك الله تعالى و تنبيهه على التفاته و اقراره بذلك و لذا امره بنحو الارشاد و بالاستغفار عنه و لو قصوراً^(١) و الله العالم.

ومنها قوله تعالى: ﴿فاصبر﴾ أن وعد الله حق و استغفر لذنبك و سبِّح بحمد ربك بالعشي و الاكبار^(٢)، يمكن أن يستدل من جَوْز الصَّغائر على الانبياء بهذه الآية لأنه قد امر فيها بالاستغفار عن الصَّغيرة الصادرة عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - و تكليفه بالتوبة مع أنها مغفورة بشرط الاجتناب عن الكبائر و المفروض أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -

١ - و لا يخفى أن هذه الآية من الايات التي توهّم خلاف عصمته - صلوات الله عليهم - و جمعها العلامة المجلسي - قدس سره - ، بالفأ قريب خمسين آية

فراجع البحار المجلد السابع عشر، باب ١٥، ص ٣٤

بجتنب عنها قطعاً لعظيم نعمته عليه وقد مرّ ان هذا القول غير صحيح، و
عن البيضاوي في معنى ﴿و استغفر لذنبك﴾ اي و اقبل على امر دينك و
تدارك فرطاتك بترك الاولى و الاهتمام بامر العدي بالاستغفار، و لكن
احسن ما يحتمل في مفاد الآية انه تبارك و تعالى، لما وعد النصر لرسله في
آية السابقة بقوله: ﴿انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا
.....﴾ ففي هذه الآية امره بالصبر و الاستقامة للوعد بالنصر ثم امره
بالانقطاع عن الخلق و التوجه الى الحق باشتغال الاستغفار و التسييح و
التحميد اعني ان الاستغفار كان من جملة العبادات^(١) و كان مورثاً
للثواب و ترفيع الدرجة كالتيسيح و التحميد بل هو خيرها كما دلّ عليه
الرواية السابقة^(٢) و نحوها.

-
- ١ - و يدلّ على ذلك ما تقدّم من الكافي بسنده الصحيح عن علي بن رثاب قال:
سئلت ابا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿و ما اصابكم من
مصيبة فما كسبت ايديكم﴾، ارايت ما اصاب عليّاً و اهل بيته - صلوات الله
عليهم - من بعده هو بما كسبت ايديهم و هم اهل بيت طهارة معصومون فقال:
ان رسول الله كان يتوب الى الله و يستغفره في كلّ يوم و ليلة مائة مرّة من غير
ذنب ان الله يخصّ اولياؤه بالمصابب ليأجرهم عليها من غير ذنب (ج ٢، باب
نادر، ايضاً، ح ٢، ص ٤٥٠) و نحوها، رواية اخرى، فان مفاد الصحيحة و نحوها
ان صدور الاستغفار عنه من غير ذنب كان لاجل الاجر كما ان المصابب
الواردة عليهم لاتكون عقاباً لمعاصيهم بل تخصّهم بها لاجل الاجر.
٢ - اعني الرواية التي نذكرها ايضاً تالية.

ان قلت: ان هذه العبادة لاموضوع لها في هذا المورد بخصوصه قلت: ان مفاده كان هو ما مرّ في استغفاره - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - اعني تنبيه على الاعتراف بأنّه قاصرٌ على خروجه عن عهدة التكليف.

ومنها قوله تعالى ﴿فاعلم أنّه لا اله الاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾^(١)، ومفادها^(٢) أنّه تعالى لما يبيّن في آيات السابقة^(٣) لها شقاوة من طبع على قلوبهم وسعادة من زادهم هدى امر النبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بالتثبّت على ما انت عليه من الاعتقاد بالوحدانيّة وتكميل النفس باصلاح احوالها و افعالها و هضمها بالاستغفار لنفسه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -

١ - محمّد، ١٩

٢ - ولا يخفى انّ الرواية السابقة وردت في تفسير هذه الآية اعني قوله - عليه السّلام - في رواية حسين بن زيد عن ابي عبد الله - عليه السّلام - قال: قال رسول الله: الاستغفار وقول لا اله الاّ الله خير العبادة قال الله العزيز الجبار: ﴿فاعلم أنّه لا اله الاّ الله واستغفر لذنبك﴾ (كافي، ج ٢، باب الاستغفار، ح ٦، ص ٥٠٤)

٣ - آيات السابقة قوله تعالى و منهم من يستمع اليك حتّى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال: آنفاً اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اتبعوا اهواءهم، ١٦، و الذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقواهم، ١٧، فهل ينظرون الاّ الساعة ان يأتهم بغتة فقد جاء اشراطها فاني لهم اذا جاءتهم ذكريهم، ١٨، فاعلم أنّه

بالاعتراف عن قصوراته و للمؤمنين و المؤمنات لتقصيراتهم و بالجملة
الكلام فيه هو الكلام في آية السابقة.

المبحث الحادي عشر

فيما يورث الأقبال على التوبة

وهي أمور

الأول: التدبر والنظر في الآيات والأكبار التي قد بين فيها ما يترتب على التوبة من الفوائد والبركات وشرنا إلى بعضها في ذيل الصحيفة^(١).

١ - منها ما في الكافي بسنده عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا رفعه قال: إن الله عز وجل أعطي الثائبين ثلاث خصال لو أعطي خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة، ٢٢٢)) فمن أحبة الله لم يعدّبه وقوله ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المؤمن، ٧-٩).

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ الْآبَاحُ وَالْحَقُّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً﴾ (الفرقان، ٦٨) (ج ٢، باب التوبة، ح ٥، ص ٤٣٢)

ومنها ما فيه أيضاً بسنده الحسن كالصحيح عن أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت

الثاني: الرجوع الى الآيات والاحبار التي قد بين فيها آثار الذنوب حتى يتوجه بمضارّها وما يترتب عليها مثل ما في الكافي بسنده عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: كان ابي - عليه السلام - يقول: ما من شيء افسد للقلب من خطيئة ان القلب ليوافق الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه^(١) اسفله^(٢) و اشرنا الى جملة منها في ذيل الصحيفة^(٣) ولا يخفى ان بعض ما ذكرناه ههنا قد تقدّم ايضاً ذكرها.

→ ابا جعفر - عليه السلام - يقول: انّ الله تعالى اشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل اضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها (ج ٢، باب التوبة، ح ٨، ص ٤٣٥)

ومنها ما في البحار عن العيون بالاسانيد الثلاثة عن الرضا - عليه السلام - عن آبائه - عليهم السلام - قال: قال رسول الله: مثل المؤمن عند الله عز وجل كمثل ملك مقرب و انّ المؤمن عند الله عز وجل اعظم من ذلك و ليس شيء احبّ الى الله من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة (جزء السادس، باب ٢٠، ح ١٥)

ومنها ما فيه ايضاً، عن الخصال الاربعمئة قال امير المؤمنين - عليه السلام -: توبوا الى الله عز وجل و ادخلوا في محبته، فان الله يحبّ التوابين و يحبّ المتطهرين، و المؤمن تواب (جزء السادس، باب ٢٠، ح ١٤، ص ٢١).

١- ج ٢، باب الذنوب، ح ١، ص ٢٦٨

٢- يعني ما تزال تفعل تلك الخطيئة بالقلب و تؤثر فيه بحلاوتها حتى تجعل وجهه الذي الى جانب الحق و الآخرة الى جانب الباطل و الدنيا

٣- اما الايات، فنها، قوله تعالى: ﴿فان تولّوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم

الثالث: النظر والتدبر في الآيات والاعمال التي قد تخوف المذنبين مطلقاً و
بين فيها أحوالهم و سوء عاقبتهم و أوعد فيها العقاب الشديد و العذاب
الاليم على ذنوبهم و قد اشرنا الى بعضها في ذيل الصحيفة فراجع. (١)

→ يعض ذنوبهم و ان كثيراً من الناس لفاسقون ﴿(المائدة، ٤٩)﴾ ومنها قوله تعالى :
﴿بلى من كسب سيئة و احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون﴾ (البقرة، ٨٠)

و اما الاخبار: فمنها ما في الكافي بسنده عن الفضيل بن يسار عن ابي جعفر
- عليه السلام - قال: ان العبد ليدنب الذنب فيزوي عنه الرزق (ج ٢ باب
الذنوب، ح ٨، ص ٢٧٠) اي يقبض او يصرف و ينحى عنه. و منها ما فيه ايضاً
بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: ان العبد
يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى اجل قريب او الى وقت بطيء
فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك و تعالى للملك لا تنقض حاجته و احرمه
اياها فانه تعرض لسخطي و استوجب الحرمان متى (ج ٣، باب الذنوب، ح ٤،
ص ٢٧١) و منها ما فيه ايضاً بسنده الموثق كالصحيح عن ابن بكير عن ابي
عبد الله - عليه السلام - قال: ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلوة الليل و ان
العمل السيئ اسرع في صاحبه من السكين في اللحم (ج ٢، باب الذنوب، ح ١٦،
ص ٢٧٢)

١ - اما الآيات فمنها قوله تعالى : كذاب آل فرعون و الذين من قبلهم كفروا
بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب، ذلك بان الله لم
يك منيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم و ان الله سميع عليم

→ (الانفال ، ٥٢-٥٣).

اقول: قد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لاعلى وجه العقاب امتحانا لمصلحة يعلمها في ذلك و قد يسلبها على وجه الجزاء عقاباً ولكن لا يسلبها على وجه العقاب الا عمن استحق عليه العقاب والآية و ان كانت مطلقة و لكن لما وقعت في مقام تعليل آية السابقة فيمكن ان يكون المراد منه هو القسم الثاني فاطلاقها غير مراد و يشهد لذلك التفصيل بل يدل عليه الرواية السابقة التي نقلناها في آواخر بحث العاشر (في ذيل الصحيفة اعني صحيحة على بن رناب) و لا يخفى ان الآية مخصوصة بالنعمة اعني ان تغيير النعمة لا يكون من عند نفسه تعالى بل لاجل تغيير القوم، ما بانفسهم و الذي تدل على ما هو اعم منها قوله تعالى في سورة الرعد الآية ١١: ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ و هذه الآية على اطلاقها اعم من النعمة و النعمة و لكن يمكن حملها على خصوص ما لو كانت التغيير عقاباً لامتحاناً على أنه فيها احتمالات اخر قد تعرض لها المفسرون، فعليك المراجعة بها فتأمل جيداً.

و اما الاخبار

فمنها ما في الكافي بسنده الموثق كالصحيح عن ابي بصير قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام - يقول: اذا اذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فان تاب انمحت و ان زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها ابداً (ج ٢، باب

الرابع: التنبيه على استدراج الله تعالى (اعني تجديد النعمة عند تجديد الخطيئة لانساء الاستغفار) على العبد حتى ينصرف عن الاستغفار من المعصية وقد اشرنا الى بعض ما ورد في ذلك في ذيل الصحيفة^(١).

→ الذنوب، ح ١٣، ص (٢٧١).

و منها ما فيه ايضاً بسنده عن مسمع بن عبد الملك عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: قال رسول الله: ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام و انه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن (ج ٢، باب الذنوب، ح ١٩، ص (٢٧٢).

١ - منها ما في الكافي بسنده عن سفيان بن السمط قال: قال ابو عبد الله عليه السلام -: ان الله اذا اراد بعد خيراً فاذنب ذنباً اتبعه بنقمة و يذكره الاستغفار و اذا اراد بعد شراً فاذنب ذنباً اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار و يتادي بها و هو قول الله عز و جل: ﴿ستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ (الاعراف، ١٨٢) بالتعم عند المعاصي (ج ٢، باب الاستدراج، ح ١، ص (٤٥٢).

و منها ما فيه ايضاً بسنده عن سماعة بن مهران قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام - عن قول الله عز و جل: ﴿ستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾، قال: هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب (ج ٢، باب الاستدراج، ح ٣، ص (٤٥٢).

و منها ما فيه ايضاً بسنده عن ابن رثاب عن بعض اصحابه قال: سئل ابو عبد الله عليه السلام - عن الاستدراج؟ فقال: هو العبد يذنب الذنب فيملئ (الاملاء: الامهال) له و يجدد له عندها التعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم (ج ٢، باب الاستدراج، ح ٢، ص (٤٥٢).

المبحث الثاني عشر في الإشارة إلى أنواع المعاصي واصنافها والى بعض المطالب المناسبة لها

فنقول: ان المعصية قد تكون من الجوارح و القلوب و مربوطة بها و قد تكون بالنفس و صفاتها و قد تكون مربوطة بالجوارح و الاعضاء.
اما الاول كالكفر بالله تعالى و الشرك به و ما يورث الكفر مطلقاً اعني سواء كان في ذلك بين ان يكون الكفر مستنداً بانكار الربوبي جلّ و علا او بانكار توحيده و بين ان يكون مستنداً بعدم الاعتقاد بالرسالة و ما جاء به و انكارها فهو من اعظم المعاصي كما ورد في بعض الاخبار^(١) و

١ - واما ما ورد في الشرك:

فنها ما في الكافي في الصحيح بسنده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: حدثني ابو جعفر - صلوات الله عليه - قال: سمعت ابي يقول: سمعت ابي موسى بن جعفر - عليها السلام - يقول: دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله

هو من افعال القلب و من المعلوم ان اتصاف القلب و النفس بهذه الصفة مورثة للعقاب الدائم لصريح الأدلة و ذلك بخلاف اتصاف النفس بالصفات الآتية لعدم وجود الدليل على العقاب بصرف الاتصاف فلا تغفل.

واقا الثاني كالحسد و الغضب و الكبر و سائر صفات الرذيلة التي قد تكون النفس متصفة بها فأنها من افعال النفس و الاخبار على مذمتها و قبحها كثيرة^(١).

→ - عليه السلام - فلما سلم و جلس تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرِ الاثم و الفواحش﴾ (النجم، ٣٢) ثم امسك فقال له ابو عبد الله - عليه السلام -: ما اسكتك؟ قال: احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل فقال: نعم يا عمرو اكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله: ﴿و من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ (المائدة، ٧٢)، و الآية في المصاحف هكذا ﴿انه من يشرك بالله - ...﴾، الخبر، (ج ٢٧ باب الكبائر، ح ٢٤ ص ٢٨٥)

و منها ما فيه ايضاً بسنده عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله - عليه السلام - ان رجلاً من خثعم جاء الى النبي فقال: اي الاعمال ابغض الى الله عز وجل؟ فقال: الشرك بالله، قال: ثم ما ذا قال: قطيعة الرحم قال ثم ما ذا قال: الامر بالمنكر و النهي عن المعروف (ج ٢، ب اصول الكفر و اركانه، ح ٤، ص ٢٨٩).

١ - منها ما في الكافي بسنده الصحيح عن معاوية بن وهب قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام -: آفة الدين الحسد و العجب و الفخر (ج ٢، باب الحسد، ح ٥، ص ٣٠٧).

والتحقيق أنّ هذه الصفات وان كانت بعضها في غاية القبح والشناعة كما ورد^(١) لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولكن أنّها من

→ و منها ما فيه ايضاً بسنده عن الفضيل ابن عباس، عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: أنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط. (ج ٢، ح ٧، باب الحسد، ص ٣٠٧، يغبط اي يطلب من الله تعالى مثل نعمة الغير).
١ - في الكافي بسنده عن زرارة عن ابي جعفر و ابي عبد الله - عليه السلام - قالوا: لا يدخل (ج ٢، باب الكبير، ح ٦، ص ٣١٠).

و منها ما فيه ايضاً بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن احدهما - عليهما السلام - قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر قال: فاسترجعت فقال: مالك تسترجع؟ قلت: لما سمعت منك فقال: ليس حيث تذهب أنّما اعني المجهود أنّما هو المجهود (ج ٢، باب الكبير، ح ٧، ص ٣١٠).

و منها ما فيه ايضاً بسنده عن ليث المرادي عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: الكبير رداء الله فمن نازع الله شيئاً من ذلك اكبه الله في النار (ج ٢، باب الكبير، ح ٥، ص ٣٠٩). و الظاهر أنّ الاخبار المذكورة ونحوها ناظرة الى مرتبة العلوية من الكبر و مقتضاها هو الانكار و المجدد عن الاعتقاد بالله تعالى و مربوطة بالقسم الاول و لذا اوعدها فيها بأنّه لا يدخل الجنة بل اكبه الله في النار. و منها ما فيه ايضاً بسنده عن محمد بن عمر بن يزيد عن ابيه قال: قلت لابي عبد الله - عليه السلام -: أنّي آكل الطعام الطيب و اشمّ الريح الطيبة و اركب الدابة الفارحة و يتبعني الغلام فترى في هذا شيئاً من التجبر فلا افعله فاطرق ابو

حيث هي لم تكن معصية بل و اتّصاف النّفس بها من دون ترتيب اثر خارجي عليها ايضاً لم تكن محرّمة لعدم الدّليل عليه وان كان المتّصف بها ذاتاً في مرتبة الدّنيّة وكذا من احدث في نفسه هذه الصّفات فقد اوقعها في الهلاكة و الفساد و لكن مادام لم يعمل على وفق الحسد و الغضب و الكبر مثلاً في الخارج لم يعدّ عاصياً.

فبالجملة هذا القسم خارج عن اقسام المعاصي و ان كان اللاّزم رفع هذه الصّفات بما بيّن علماء الاخلاق علاجها لانّ رفعها في حدّ نفسه ممدوحة و النّفس المزكّى عنها مأمون من الخطر كما انّ المتّصف بها مرعوب بالخطر و الاخبار الواردة فيها كثيرة و نقلها الكليني رضوان الله تعالى عليه، و غيره في ابواب كثيرة، و قد اوردنا بعضها في ذيل الصحيفة^(١) و اشرنا الى

→ عبد الله - عليه السّلام - ثمّ قال : أنّما الجبّار الملعون من غمص النّاس و جهل الحقّ. قال عمر فقلت: أمّا الحقّ فلا تجهله و الغمص لا ادري ما هو؟ قال: من حقّر النّاس و تجبرّ عليهم فذلك الجبّار (ج ٢، باب الكبير، ح ١٣، ص ٣١١).

و منها في الغضب مثل ما فيه بسنده الصّحيح عن داود بن فرق قال: قال ابو عبد الله - عليه السّلام - : الغضب مفتاح كلّ شرّ (ج ٢، باب الغضب، ح ٣، ص ٣٠٣).

و من امثال هذه الرواية الصّحيحة يظهر بادني تأمل أنّ هذه الصّفات و ان كانت منشأ الشّرور و أنّما المحرّم منها ما ترتّب عليها العمل في الخارج فتدبرّ جيّداً.

١ - منها في الغضب و الحسد مثل ما في الكافي بسنده الصّحيح عن محمّد بن مسلم

→ قال: قال ابو جعفر - عليه السلام - : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِأَيِّ بَادِرَةٍ فَيَكْفُرُ وَانَ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ (ج ٢، باب الحسد، ح ١، ص ٣٠٦).

عن القاموس البادرة ما ييدر من حدثك في الغضب من قول او فعل، و عن النهاية الحسد ان يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمني زوالها عنه و تكون له دونه، و الغبطة ان يتمني ان يكون له مثلها و لا يتمني زوالها عنه، و لقد اجاد العلامة المجلسي رضوان الله عليه، في شرح هذه الرواية، و لا بأس بايراد ملخص كلامه في المقام، مع التصرف منّا فيه، قال «ره»: و اعلم أنّه لا حدّ الآ على نعمة فاذا انعم الله على اخيك نعمة فلك فيها حالتان احدهما ان تكره تلك النعمة و تحبّ زوالها سواء اردت وصولها اليك ام لا فهذه الحالة تسمى حداً. و الثانية ان لا تحبّ زوالها و لا تكره وجودها و دوامها و لكنك تستهي لنفسك مثلها و هذه تسمى غبطة، و قد يخصّ باسم المنافسة، فاما الاول فهو حرام مطلقاً كما هو المشهور او اظهارها كما يظهر من بعض الاخبار و اما الحسد المذموم فع قطع النظر عن الادلة كتاباً و سنة صريح العقل يحكم بقبحها، فانه سخط لقضاء الله، في تفضيل بعض العباد على بعض، و ايّ معصية تبلغ بهذه المضرة و اما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة او مندوبة او مباحة كما قال تعالى: ﴿و فِي ذَلِكَ فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين، ٢٦).

فاما الواجبة فهي ما اذا كانت في نعمة دينية واجبة كالايمان و الصلوة و الزكاة فانه ان لم يجب ان يكون له مثل ذلك يكون راضياً بالمعصية و هو حرام، و المندوبة فيما اذا كانت النعمة من الفضائل كاتفاق الاموال في المكارم و

→ الصدقات، و المباحة فيما اذا كانت لغيره نعمة مباحة فيتمنى ان يكون له مثلها ينتعم بها من غير ان يريد زوالها عنه في الجميع.

واقول: يمكن ان يفرض فيها فرد حرام كأن يتمنى منصباً حراماً او مالاً ليصرفها في الحرام و هكذا في المكروه (الى ان قال) و اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب و لا تداويها الا بالعلم والعمل والعلم المنافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقاً ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين و انه لا ضرر به على المحسود في الدين و الدنيا بل ينتفع بها في الدنيا والدين و مهما عرفت هذا عن بصيرة و لم تكن عدو نفسك و صديق عدوك فارقت الحسد لا محالة.

اما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى و كرهت نعمته التي قسمها لعباده و عد له الذي اقامه في ملكه و هذه جناية على حدة التوحيد و قذى في عين الايمان و بالجملة تولد في النفس صفاتاً مذمومة كلها توجب نقص الايمان و لذا قال - عليه السلام - يأكل الايمان كما يأكل النار الحطب و اما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو انه تتألم بحسبك و تعذب به و لا تزال في كد و غم اذ اعدوك لا يخلصهم الله عن نعم يفيضها عليهم و بالجملة فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتجنزت في الحال محتك و غمك نقداً و اما انه لا ضرر على المحسود في دينه و دنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسبك بل ما قدره الله من اقبال و نعمة فلا بد من ان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه و اما ان المحسود ينتفع به في الدين و الدنيا فواضح اما منفعة في الدين فهو انه

→ مظلوم من جهتك لاسيما اذا اخرجك الحسد الى القول و الفعل بالغيبة و هتك ستره فهذه هدايا تهديها اليه و اما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء و غمهم و كونهم معذيين و لاعذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد و غاية امانى اعدائك ان يكونوا في نعمة و ان تكون في غم و حسرة بسببهم و قد فعلت بنفسك ما هو مرادهم (الى ان قال:) و الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل محب لمساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل فهو في محل النظر و الاشكال انتهى كلامه ما هو محل الحاجة. (مرآت العقول، ج ١٠ باب الحسد، ص ١٥٨ - ١٦٣).

اقول: : كلامه كان في غاية الدقة و الجودة و لكن لا يخلو من شيء من النظر منها قوله في المنافسة فاما الواجبة فهي ما اذا كانت في نعمة دينية واجبة و استدل لوجوبها بأنه ان لم يجب ان يكون مثل ذلك يكون راضيا بالمعصية و هو حرام، و فيه، ان حرمة الرضاية بالمعصية في مثل ذلك المورد غير معلوم بل معلوم العدم، اذ لودل دليل على ان الرضاية بظلم ظالم لكانت معصية فان ذلك راجع الى الفاعل للظلم بالرضاية لا يشمل المقام اذ هذا المورد كان من باب رضاية معصية نفسه و هي عبارة اخرى عن القصد على المعصية و هو غير محرم كما سيأتى.

و منها، فرضه المنافسة المحرمة، ففيه، ان التمتي للحرام و لو كان بمرتبة القوة لا يكون الا العزم على الحرام و هو غير محرّم هذا و قد ظهر لك من شرح العلامة المجلسي «ره» في هذه الرواية ما كتنا بصده اعني عدم كون الصفات من حيث

عدم كونها معصية من حيث هي و بما ذكرناه يرد الاشكال على من عدّ هذه الصفات من معصية القلوب و يقسمها الى كبيرة و صغيرة كالسيد المحقق الشير - قدس سره - على ما صرح في حقّ اليقين ما لفظه: اعلم انّ المعصية تنقسم الى ما هو معصية باصل الشرع كشرب الخمر و الزنا و الى ما يصير معصية بالنية و الغرم كالاكل للتقوى على المعصية مثلاً و تنقسم تارة الى معصية الجوارح كما ذكر و الى معصية القلوب كالحسد و حبّ الجاه و الرياسة و نحوها و ينقسم كلّ منها الى الكبائر و الصغائر، انتهى.

و كلامه ظاهر فيما قلناه، نعم لو كان الغرض من معصية القلوب هي الصفة الرذيلة لها فهو، ولكن ذلك بعيدٌ و لا يخلو كلامه من بعض اشكالات اخرى و سيأتي الاشارة اليها ان شاء الله تعالى.

وامّا الثالث اعني ما كان مربوطاً بالجوارح و هي كثيرة و يمكن ان يقسمها الى اقسام مختلفة و لكنه يورث الاطالة و نحن نكتفي بذكر جملة منها في ذيل الصحيفة^(١) فعليك بالمراجعة.

→ هي معصية نعم اذا حصل من التوغل فيها ايجاد الاعتقاد بما يخالف في الدين من عدم الرضاية بما قدر الله تعالى و السخط عليه تعالى جلّ شأنه فلا شبهة في الحرمة لانّها راجعة الى القسم الاول اعني المسئلة الاعتقاديّة فلا تغفل.

١ - منها في التيممة مثل ما في الكافي بسنده الصحيح عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله: الا انبشكم بشراركم قالوا بلى يا

→ رسول الله قال: المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء المعايب،

(البراء ككرام جمع البريء) (ج ٢، باب التسمية، ح ١، ص ٣٦٩).

ومنها في اخافة المؤمن مثل ما فيه ايضاً بسنده عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: قال رسول الله: من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها اخافه الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله، (اي لاملجأ ولا مفرع الا اليه)، (ج

٢، باب من اخاف مؤمناً، ح ١، ص ٣٦٨)

ومنها في التهمة وسوء الظن مثل ما فيه ايضاً بسنده الحسن كالصحيح عن ابراهيم بن عمر اليماني عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: اذا اتهم المؤمن اخاء اثمات الايمان من قلبه كما ينثاء الملح في الماء (اثمات اي اختلط و ذاب)

(ج ٢، باب التهمة وسوء الظن، ح ١، ص ٣٦١)

ومنها في حرمة التبعية على عورات المسلمين مثل ما فيه ايضاً بسنده الحسن كالصحيح عن محمد بن مسلم او الحلبي عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: قال رسول الله: لا تطلبوا عثرات المؤمنين فان من تتبع عثرات اخيه تتبع الله عثراته و من تتبع الله عثراته يفضحه و لو في جوف بيته (ج ٢، باب من طلب

عثرات المؤمنين و عوراتهم، ح ٥، ص ٣٥٥)

ومنها في حرمة الغيبة والبهت مثل ما فيه بسنده الحسن كالصحيح عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابه عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: من قال في مؤمن ما رآته عيناه و سمعت اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم﴾ (النور، ١٩) (ج ٢، ب الغيبة و

بقي هنا شيء وهو أن النية بما هي هي هل تترتب عليها أضرار لا؟
 فنقول: أما نية الخير فستعرف حكمها عند نقل الاخبار وفي أواخر
 المبحث وأما نية السوء هل تكون معصية وإن العمل بواسطة النية يصير
 معصية كما عرفت من كلام المحقق الشيرازي «ره» قولان والتحقيق، أن صرف
 النية لم تكن معصية ولم يصير العمل بواسطتها معصية، أما أولاً فلعدم
 صدق العرفي فإن من قصد الكذب مثلاً ولم يأت به في الخارج، لا يصح
 اسناد الكذب اليه، أعني فكما أن هذا الشخص لم يصح اسناد الغيبة و
 الفحش مثلاً بهذه النية، اليه كذلك لا يصح اسناد الكذب بواسطتها اليه،
 فلا يصدق عليه أنه كان كاذباً حتى يشمل أدلة حرمة الكذب، فعلى هذا
 لو قصد بواسطة الاكل تقويته على الظلم ونحوه أن هذا الاكل لم يصير ظمناً
 ولم يصدق على فاعله حينئذ اشتغاله بالظلم ولم يكن معيناً على الاثم فلم
 يصير الاكل حينئذ حراماً وبالجملة أن النية السوء على حسب عدم شمول
 الأدلة واطلاقاتها عليها لم تكن محرمة.

واقفاً ثانياً فبحسب الدليل فإن عدة من الروايات تدل على عدم كونها
 معصية.

→ البهت، ح ٢، ص ٣٥٧) ومثل ما فيه بسنده الصحيح عن ابن أبي يعفور عن
 أبي عبد الله - عليه السلام - قال: من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعته الله
 في طينة خبال حتى يخرج مما قال: قلت: وما طينة الخبال قال: صديد يخرج من
 فروج المومسات، (عن النهاية، الخبال)، في الحديث عصارة أهل النار (-
 المومسات، الفاجرات، (ج ٢، باب الغيبة والبهت، ح ٥، ص ٣٥٧).

منها في الكافي بسنده الموثق عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام - قال: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَهْمَ بِالْحَسَنَةِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا فَتَكْتَبَ لَهُ حَسَنَةٌ وَإِنْ هُوَ عَمَلُهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَهْمَ بِالسَّيِّئَةِ إِنْ يَعْمَلُهَا فَلَا يَعْمَلُهَا فَلَا تَكْتَبُ عَلَيْهِ^(١).

ومنها ما فيه أيضاً بسنده الصحيح عن فضل بن عثمان المرادي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - يقول قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَهْلِكْ عَلَى اللهِ بَعْدَهُنَّ إِلَّا هَالِكٌ يَهْمُ الْعَبْدُ بِالْحَسَنَةِ فَيَعْمَلُهَا فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً بِحَسَنِ نِيَّتِهِ وَإِنْ هُوَ عَمَلُهَا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرًا وَيَهْمُ بِالسَّيِّئَةِ إِنْ يَعْمَلُهَا فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يَكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْئٌ وَإِنْ هُوَ عَمَلُهَا أَجَلَ سَبْعِ سَاعَاتٍ^(٢). الخبر^(٣). وغير ذلك من الأخبار التي نقلها في الوسائل في باب الخامس والسادس في أبواب مقدمة العبادات زائداً على ثلثين رواية في المجلد الأول فراجع.

١ - ج ٢، باب من يهتم بالحسنة أو السيئة، ص ٤٢٨، ح ٢

٢ - ج ٢، باب من يهتم بالحسنة أو السيئة، ح ٤، ص ٤٢٩

٣ - تمام الخبر و قال: صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال لا تعجل عسى ان يتبعها بحسنة تمحوها فان الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ او الاستغفار فان هو قال: استغفر الله الذي لا اله الا هو، عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، الغفور الرحيم ذو الجلال والاكرام، و اتوب اليه، لم يكتب عليه شيء وان مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة و استغفار قال: صاحب الحسنات لصاحب السيئات، اكتب على الشقي المحروم.

ان قلت: أنه يظهر من بعض الاخبار التي قد علل فيها خلود اهل الجنة في الجنة به نياتهم وهكذا خلود اهل النار في النار ان نية المعصية معصية مثل ما في الكافي بسنده عن ابي هاشم قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - :
 أما خلّد اهل النار في النار لأنّ نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلّدوا فيها ان يعصوا الله ابدًا وأما خلّد اهل الجنة في الجنة لأنّ نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدًا فبالنيات خلّد هؤلاء و هؤلاء ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾^(١)، قال: على نيّته^(٢).

قلت: اما اولاً ان هذا الخبر ضعيف^(٣) ولا يصحّ الاخذ به مضافاً الى ما عرفت في المقام من الاخبار الكثيرة التي بعضها صحيح وبعضها موثّق ودلت على عدم كونها معصية

وثانياً على فرض صحّة الرواية وسلامتها عن ما هو أقوى منها أنه يمكن ان تكون الرواية ناظرة الى مرتبة التوغل والانهماك في الصفات الرديّة فارادة السوء منهم مكتوبة وموجبة للعقاب ولذا استشهد فيها بالآية و اما غير البالغين الى هذه المرتبة فلا وهو مفاد الروايات المتقدمة توضيح ذلك أنه لاشبهة في ان صدور الاعمال القبيحة تابعة لخبث الباطن وسوء السريرة كما ان صدور الاعمال الصالحة تابعة لطهارة الباطن وحسن

٢- ج ٢، باب النية، ح ٥، ص ٨٥

١- الاسراء، ٨٤

٣- لوقوع احمد بن يونس في طريقه ولم يرد فيه مدح ولا توثيق كما في المعجم الخوني - قدّس سرّه - (ج ٢، ص ٢٨٠) وايضاً لا يخلو من الاشكال في وثاقة بعض روايته الاخر فراجع.

السريرة وعبارة اخرى ان الاعمال مظاهرٌ للبواطن مطلقاً ومن المعلوم ان الانبعاث تابع لبعث الباعث فلا يجوز لمن اكمل سريره بالصفات الحميدة وازكى نفسها عن الصفات الخبيثة ان يخطر بباله ارادة ما يخالف كمالاته النفسانية الثابتة له لعدم ما يوجب البعث لها لان هذه الصفات لا تكون مقتضية الا لما يوافقها طبعاً و ارادة السوء مناقضة لهذا الاقتضاء، وكذا الكلام في من اخبث سريره، ولاشبهة في ان اتّصاف النفس بها لها مراتب شتى، ولا يحصل مرتبتها الاعلى في كلا الطرفين لاحد، الا مع التوغل فيها، فعلى هذا ان من تحصل من الصفات الخبيثة به غير مرتبتها العلية قد يصدر عنه ارادة السوء ولكن انه لم يصدر ارادة السوء تأييداً الا بمن حصل له الصفات الردية بدرجة الكمال والتوغل فيها فالعذاب الابدى يمكن ان يكون طارياً عليه لتحصيل تلك المرتبة الخبيثة ولم تكن تلك المرتبة صرف النية بل تحصيل منشأ ايجاد المفساد وكسب رأس المفساد، وكذلك المؤمن فان تحصيل تلك المرتبة من الاعمال الشاقة التي لم ينلها بمؤونة معمولة بل لابد من تحصيل استقامة حقيقية فعلى هذا ان الثواب الدائم كان لاجل تحصيل تلك الصفة الحميدة التي هي رأس المحامد، ونظير ذلك من استولى على قلبه حب المال والجاه لا يذهب فكره وحمته وقواء جوارحه الا اليه ولا يعمل عملاً الا ومقصوده الحقيقي هو تحصيله فاذا ادعى غير ذلك كان كاذباً.

وبالجملة ان المؤمن حيث لا ينتظر منه الا الخيرات وكذا الكافر لا يتوقع منه غير الشرور لتوغله في الصفات الردية والرواية واردة في نية الكافر

بخصوصه لا مطلق العاصي فالحكم مخصوصة به فلا تكون منافية للأخبار المتقدمة وبما ذكرناه اندفع أشكال الجمع التبرعي مع الغض عن سند الرواية وإمانية المؤمن فسيأتي الكلام فيه للتالي. فتدبر جيداً، والله العالم. والعلامة المجلسي «ره» قد قوى هذا الاحتمال في شرح تلك الرواية ببيان يشبه لما ذكرناه فراجع^(١).

تذنيب

لا ينافي ما ذكرناه من عدم حرمة نية السوء وعدم كونها معصية لما تدل بعض الأخبار على عبادة نية الخير وكونها حسنة كما عرفت من بعض الأخبار التي قدمناها آنفاً ذلك في جانب الخيرات وكان تفضلاً من الله ورحمة منه.
هذا.

أشكال ودفع

قد ظهر من الأخبار المتقدمة أن نية العبادة حسنة وإذا عملها كتبت له عشرة حسنات ويظهر من بعض الأخبار الآخر أن نية العبادة ولو لم يعمل بها كتب له من الأجر مثل ما يكتب لو عملها مثل ما في الكافي بسنده الصحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: إنَّ

العبد المؤمن الفقير ليقول يا ربّ ارزقني حتّى افعل كذا وكذا من البرّ و
 وجوه الخير فاذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من
 الاجر مثل ما يكتب له لو عمله، والله واسع كريم^(١) و مثل ذلك ما روي
 في الوسائل بسنده عن علي بن ابي حمزة عن ابي الحسن موسى
 - عليه السّلام - في حديث أنّه قال: رحم الله فلانا يا علي، لم تشهد
 جنازته قلت: لا قد كنت احبّ ان اشهد جنازة مثله فقال: قد كتب لك
 ثواب ذلك بما نويت^(٢) فوق التّنافي بينها وبين هذه الصّحيحة ونحوها و
 لكن من المظنون ان الاخبار المتقدّمة ناظرة الى ان صرف صدور النيّة
 من المؤمن كان حسنة بل موثقة ابي بصير و صحيحة مرادي المتقدمتين
 في ص ٢٣٧ صريحتان في ذلك و ان هذه الصّحيحة ناظرة الى مرتبة
 التّمتّي^(٣) و كون المؤمن في مقام الحسرة و ان اطلق النيّة على هذين المعنيين
 و لكن ان الصّحيحة لم تكن في مقام بيان ان النيّة مساوقة للعمل نفسه
 حتّى تنافي الاخبار المتقدّمة بل كانت في مقام تلافي حسرة المؤمن لما لم
 يتمكّن عليه و بالجملة ان مورد هذه الصّحيحة خارج عن مورد
 الروايات السابقة و لعلّ هذا ظاهر فلم يكن الجمع تبرّعياً و لا احتاج الى
 شاهده.

١ - ج ٢، باب النيّة، ح ٣، ص ٨٥ ٢ - ح ٩، ج ١، ص ٢٧

٣ - و قد عقد المجلسي «ره» لذلك باباً في البحار و فيه روايات فراجع (ج ٧).

وبعبارة اخرى أنه لاشبهة في من صدر عنه قصد العبادة سواء بعد ذلك لم يتمكن من العمل او ينصرف عنه فيكتب له حسنة لاطلاق الروايات و ذلك غير مربوطة بمن كان في مقام الحسرة و التمني من الله للتمكن من فعل البر فانه وان كان ناوياً للخير ولكن اوقع نفسه لشدة العلاقة بوجوه البر في مشقة الم الحسرة و تحمله صعب عليه و ذلك من افعال النفس و لا يكون ذلك ادون من افعال الجوارح فلا بد و ان يكون التمني للخير مساوق في الاجر للعمل بل كان في بعض الموارد انها اشق من افعال الجوارح مثل ما اذا طال عليه الحسرة لان من كان متمكناً عن فعل البر و اقدم عليه فقد فارغ نفسه عن خوف فوته و لكن غير المتمكن التمني لم يفرغ عن الم الحسرة و هو خائف ان يموت مع الحسرة فيتأذى بذلك شديداً و لذا ورد ان نية المؤمن خير من عمله^(١) و يمكن ان هذه الرواية ناظرة الى تلك المرتبة من النية و فوقها و لا بأس به نقل الكلام في هذه الرواية و الاشكال الوارد عليها و الجواب عنه.

اقول: ان الرواية ضعيفة و لكن كانت مشهورة عند الخاصة و العامة كما اعترف بها بعض الاعلام و الاشكال الوارد عليها ان النية كانت من جملة اجزاء جميع الاعمال و لا يجوز جزء العمل يكون افضل من كله هذا اذا

١ - تمام الرواية في الكافي بسنده عن السكوني عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله: نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله و كل عامل يعمل على نيته (ج ٢، باب النية، ح ٢، ص ٨٤).

كان المراد من (عمله) جميع اجزائه و شرائطه التي منها النية كما انها ظاهرة في ذلك وان كان الغرض من (عمله) هو ما خلا النية فانه باطل و لا خير فيه اصلاً كما ورد انه لا عمل^(١) الا بنية، فعلى الاول يلزم اشكال تقدم الجزء على الكل وعلى الثاني يلزم عدم صحة مفاد الرواية و لم تكن الرواية منحصرة بما نقلها الكليني «ره» بل نقل في الوسائل بهذا المضمون روايات أخرى تشير الى بعضها في طي الكلام و كيف كان و قد اجاب الاعلام عن الاشكال في مثل تلك الرواية بوجوه عديدة و قد جمعها العلامة المجلسي رضوان الله عليه في مرآة^(٢) العقول و انها اثني عشر جواباً و نحن نذكرها اجمالاً ثم الخدشة فيها منّا.

الاول ان المراد من النية هو اعتقاد المؤمن و لاشك في انه خير من افعالها و كذا الكلام في نية الكافر و فيه، انه خلاف الظاهر و لا يصار اليه الا بالقرينة في الكلام و هي مفقودة.

الثاني ان المراد ان النية بدون العمل خير من العمل بدون النية. و فيه: اولاً ان العمل بدون النية لا خير فيه اصلاً كما عرفت. و ثانياً لا يناسب ذلك شرعية نية الكافر من عمله

الثالث ان المراد ان المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الزمان على

١ - في الكافي بسنده الحسن كالصحيح عن ابن حمزة عن علي بن الحسين

- عليه السلام - قال: لا عمل الا بنية (ج ٢، باب النية، ح ١، ص ٨٤)

عملها فكان الثواب المترتب على نيّاته أكثر من الثواب على أعماله وفيه أنّه خلاف الظاهر ايضاً لأن الظاهر من المفضل ومفضل عليه هو خيريّة النية التي كانت جزءاً من ذلك العمل نفسه لا التفاضل بين النيات المستقلة والاعمال المستقلة ولكن يشهد لذلك الجواب، ما ورد عن أبي جعفر - عليه السلام - أنّه كان يقول نية المؤمن افضل من عمله، وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه، ونية الكافر شرّ من عمله، وذلك لأن الكافر ينوي الشرّ، ويأمل من الشرّ ما لا يدركه^(١) وفي رواية الثاني والعشرون من ذلك الباب، كان بهذا التعبير: نية المؤمن ابلغ من عمله ... الحديث.

الرابع انّ المراد هو انّ المؤمن لحسن سريره، ينوي ان يوقع عباداته على احسن الوجود، ثم بعد الاشتغال بها لا يتيسر له، فالذي ينوي دائماً خيراً، من الذي لا يعمل، في جميع عباداته وفيه ان هذا الجواب مناسبة، اذا كانت الرواية في مقام الاخبار عن نية المؤمن، ولا يناسب اذا كانت في مقام بيان ترتب ثواب المضاعف على نيّته، وكذا ما يقابله على الكافر، كما لعله ظاهرة في ذلك.

الخامس انّ المراد ان طبيعة النية خير من طبيعة العمل لانّها لا يترتب عليها عقاب، بل ان كانت خيراً أتيب عليها وان كانت شراً كان وجودها كعدها بخلاف العمل، فان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، وكذا في الشرّ وفيه الكلام ما هو في سابقه.

السادس أن النية من أعمال القلب و هي افضل من اعمال الجوارح فعمله افضل من عملها. وفيه الكلام ما هو في سابقه و اما ما في الجواب عن الثالث و اما ما في الجواب عن الاول ان كان المراد منه هو احدهما. السابع أن المراد ان نية بعض الاعمال الشاقة كالحجّ و الجهاد خيرٌ من بعض الاعمال الخفيفة كقراءة آية و الصدقة بدرهم وفيه الكلام ما هو في جواب الثالث.

الثامن ما ذكره السيد المرتضي «ره» ان لفظة خير، ليست اسم تفضيل، بل المراد ان نية المؤمن، عمل خير، من جملة اعماله (و من تبعيضية) وفيه أنه خلاف الظاهر و لا يصار اليه إلا بالقرنية و أنها، مفقودة في الكلام. التاسع أن المراد بالنية تأثير القلب عند العمل، و انقياده الى الطاعة و اقباله على الآخرة، و ذلك يشتدّ به شغل الجوارح في الطاعات، و كان بينها علاقة شديدة، يتأثر كلّ منها بالآخر، بحيث لو حصل للاعضاء آفة، يرى اثرها الى القلب، فاضطرب، و اذا تألم القلب بخوف مثلاً، سرى اثره الى الجوارح فار تعدت، و القلب هو الامير، و الجوارح كالرعايا، و المقصود من اعمالها حصول ثمرة للقلب، فلا تظنّ ان في وضع الجبهة على الارض، غرضاً من حيث أنه جمع بين الجبهة و الارض، بل من حيث أنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب، و بالجملة ان النية روح العمل، و ثمرته و المقصد الاصلى من التكليف فكانت افضل. و الظاهر من هذا الجواب، ان النية عبارة عما يوجد للنفس، من مراتب حسن التريرة، بمعنى الايمان الراسخ و هو مولود من الاعمال فهو مطلوب، و لذلك أنها

أفضل.

وفيه أنه وإن كان محتملاً ولكن لعلّه خلاف الظاهر فإنّ الظاهر من النية هو ما كان داعياً وباعثاً نحو الفعل، وهو إما قريباً أو غيره.

العاشرون المراد أن نية المؤمن هي الباعثة على عمل الخير فهي أصل العمل وعلته والعمل فرعها فهذه الجهة هي أشرف.

وفيه أن هذا الجواب صحيح بناءً على أن الرواية كانت في مقام الإخبار عن ركنية النية بالنسبة إلى العمل ولكنه خلاف الظاهر بل الظاهر هو ما عرفت آنفاً.

الحادي عشر أن النية روح العمل والعمل بمثابة البدن لها فخيريته وشريته تابعتان لخيرية النية وشريتها، فهذا الاعتبار نية المؤمن خيراً من عمله، وكذا نية الكافر.

وفيه أنه لا يستفاد من هذا الجواب، إلا أن العمل تابع للنية خيراً كان أو شراً، ولا شبهة في ذلك ولكن إن ذلك لا يكون منتجاً بأن النية أفضل من العمل، كما هو واضح.

الثاني عشر أن المراد أن نية المؤمن وقصده أولاً هو الله تعالى، وثانياً العمل لأنّه يوصل إليه ونية الكافر وقصده غيره تعالى، وعمله يوصله إليه وهذا الاعتبار صح ما ذكر انتهى تلخيصاً وقد ذكر «ره» هذه الأجوبة بعينها في البحار^(١) في المجلد السبعين فراجع.

وفيه أن نية المؤمن وإن كانت كذلك، ولكن لا يكون مفاد الجواب أزيد من أنه لابد من تحقق النية أولاً ثم العمل على وفقها، ولكن لا يوجب ذلك، افضلية النية من العمل، ثم العلامة المجلسي «ره» بعد نقل هذه الاجوبة عن الاعلام اختار جواب آخر الذي هو اقوى عنده منها و تلخيص كلامه أنه قال فيه.

فاعلم أن الاشكالات الناشئة من هذا الخبر إنما هو لعدم التحقيق في معنى النية وتوهم أنها تصور الغرض والغاية و اخطارها بالبال ولكن حقيقتها ان تصحيح النية من اشق الاعمال و احمزها، و أنها تابعة لكمال النفس و عدمها، و كمال الاعمال و قبولها و فضلها منوط بها و لا يتيسر تصحيحها الا باخراج حب الدنيا و فخرها من القلب و رياضات شاقة فان القلب سلطان البدن و كل ما استولى عليه يتبعه سائر الجوارح فن استولى على قلبه حب المال لا يذهب فكره و خياله و قوله و جوارحه الآليه و لا يعمل عملاً الا و مقصوده التحقيق فيه تحصيله فلا يخلص العمل لله سبحانه و للاخرة الا باخراج حب هذه الامور من القلب و تصفيته عما يوجب البعد عن الحق، فللناس في نياتهم مراتب شتى، بل غير متناهية، بحسب حالاتهم، ثم اطنب الكلام في مراتب النية، ان شئت راجع^(١).

اقول: ان المستفاد من هذا الجواب ان المراد من النية لا تكون عبارة عما كان لازماً عند العمل و لابد في العمل العبادي أنها كانت قريباً بحيث لو

كان العمل خالياً عنها لزم بطلانه بل المراد منها هو ما ينشأ عنه الدواعي الصحيحة للخيرات اعني النفس الزكية الموصوفة بالصفات الحميدة وهي وان كانت أصعب عن العمل لتوقفه على تزكية النفس عن الرذائل و توصيفها بالاخلاق الحسنة، ولكن ان ذلك الجواب، مناسب لو كانت الرواية في مقام الاخبار ولكن الظاهر أنها كانت في مقام الانشاء و بيان ازدياد الثواب على النية مضاعفةً، من العمل، كما عرفت في رد بعض الأجوبة السابقة، ولئن سلمنا، وقلت: ان ذلك لا ينافي، مع كون الرواية في مقام بيان كثرة الثواب على النية فالرواية صارت راجعة الى ان تحصيل الايمان و مراتبه افضل من الاعمال، و يترتب عليها الثواب، مضاعفة عنها، قلنا لاشبهة في ذلك، ولكن حمل النية على ذلك المعنى كان خلاف الظاهر، ولعل الجواب السليم، هو ما عرفت سابقاً، وهو موافق لظاهر الرواية، اعني ان التمتي على فعل الخير، يعد من المرتبة الشديدة للنية، و هو قد يبلغ بمرتبة تكون مساوقة في الاجر للعمل، كما هو مفاد الصحيحة^(١) السابقة و قد يبلغ بمرتبة اشد منها فتكون اجرها زائداً على العمل، و يمكن ان تكون تلك المرتبة هي المراد من هذه الرواية. ويمكن ان يكون نظر الرواية الى ما اهتمنا اليه اخيراً و هو ان النية الخير لما كانت

١ - اعني الصحيحة ابي بصير عن أبي عبدالله - عليه السلام - قال: ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر و وجوه الخير فان علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله، الخبر.

بنفسها حسنة وقابلة للتكرار بمراتبها بان قصد الخير ثم نسي عنه او عقل عنه او انصرف منه ثم قصدها ايضاً بعد احد هذه الامور او انضى مقتضيه ثم حصل له الاقتضاء وقصدها ايضاً وهكذا فقد وقع ثواب النية حيثئذ افضل من عمله بتكرار النية بمراتبها فيحتمل ان تكون الرواية ناظرة الى هذا النيات بمراتبها قلنا: ان هذا الاحتمال وان كان قوياً ولا يرد عليه الخدشة الا انه لا يلائم مع جملتها الثانية - اعني نية الكافر شر من عمله - مع انه يمكن ان يكون هذا الاحتمال مساوياً للجواب الثالث الذي ذكره المجلسي «ره» في ضمن الاجوبة. فلا تغفل.

واما الجملة الاخيرة من الرواية اعني قوله (نية الكافر شر من عمله) فلا بد من ايراد الكلام فيها من جهتين.

الاولى ان الظاهر منها ان النية من حيث هي معصية وهو مناف للاخبار السابقة.

والثانية كونها شر من عمله.

اما الجهة الاولى فقد بان الكلام فيها عما عرفت عما في الجمع بين الاخبار السابقة وبين ما دل من الروايات على ان خلود الكفار في النار كان لاجل نياتهم على الكفر تأييداً اعني ان النية لو تبلغ بمرتبة شديدة في الشر يمكن ان تصير معصية ولا يصدر النية بهذه المرتبة الا عن من يشس عنه الخير مطلقاً وهو الكافر.

واما الجهة الثانية فقد ظهرت مفادها من الجهة السابقة اذ من المعلوم ان النية بهذه المرتبة كانت شر من العمل كما لعلّه واضح وعلى هذا يمكن ان

يقال: ان مفاد هذه الرواية كان مفاد الرواية السابقة اعني، ما دلّت على ان خلود اهل الجنة في الجنة، و خلود اهل النار في النار، كان لاجل نيّاتهم، و بيان ذلك ان المراد من هذه النية (نيّة المؤمن خير من عمله) هو نيّته ان لو بقى في الدنيا ان يطيع الله ابدًا وكذا الكافر نيّته ان لو خلّد في الدنيا ان يعص الله ابدًا، و من المعلوم ان النية الدائمة لاطاعة الله تعالى من المؤمن خيرٌ من اعمال الخيرات الصادرة عنه، في المدة المحدودة، وكذا النية الدائمة بالعصيان من الكافر شرٌّ من اعمال الشرور الصادرة عنه، في المدة المحدودة و لذا يجازي المؤمن بهذه النية خلود الجنة، و يجازي الكافر بها خلود النار، و يمكن ان يؤول الى هذا المعنى قريباً، ما علّل في الرواية التي تقدّم آنفاً لتأييد جواب الثالث، و لكن في الرواية الخامس عشر من ذلك الباب في الوسائل علّل بطريق آخر فراجع و يمكن قوياً ان خيريّة النية كانت من جهات كما هو كذلك، و لم تنحصر في جهة من الجهات، فبعض الروايات كانت في مقام بيان مطلق خيريّتها، و بعضها في مقام جهة من الجهات كما ترى فيها فلا اختلاف في الروايات من جانب بيان الجهة اصلاً فتأمّل و اغتنم.

ترغيب و تطمئ

قد ظهر من مفاد أخبار الباب سعة رحمة الله تعالى، التي تورث ترغيب العباد الى الطاعات، اذا وعد فيها.
اولاً لصرف نيّة الخير بالحسنة،

و ثانياً لو شدد نيته حتى وصلت الى مرتبة التقي، اوعد فيها بعشر الحسنة لها، مثل ما لوجاء به نفس الحسنة،

و ثالثاً لو ارتقى العبد في تشديد النية الى غاية مراتبها اوعد فيها بخيرية النية من عمله،

ورابعاً ان عمومية الحسنات تشمل المقام، بمعنى ان النية بمراتبها الثلاث، و ادلة التنزيل، صارت حسنة، فانها ماحية للسيئات أيضاً اذ آية ﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾ و بعض اخبار الباب عامة، و شاملة لجميع الحسنات فلا تغفل بل عمومية الحسنات شاملة لنفس ترك المعاصي اعني ان نفس ترك المعاصي لما كان حسنة ايضاً مورثة لذهاب السيئات و صريح الموثقة واردة فيما نحن بصدده و هي ما رواه بسنده الموثق في الكافي عن اسحاق بن عمار قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام -: من اصبح لا ينوي ظلم احد غفر الله له ما اذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دماً او يأكل مال يتيم حراماً^(١) و هذه الموثقة كما تعرف ايضاً تالياً توضيحاً في الحسنات ترشدنا الى ان ترك المعاصي بالنسبة الى غفرانيتها ايضاً متفاوتة فتأمل جيداً.

١ - ج ٢، ح ٧، ب الظلم، ص ٣٣١. وكذا روايته التالية كانت بهذه المثابة - وكذا رواية التي نقلها المجلسي «ره» في البحار ج ٧٥، ح ٣٢، ص ٣١٤ بهذه المقالة بسنده عن السكوني عن ابي عبد الله - عليه السلام - عن آبائه - عليهم السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: افضل الجهاد من اصبح لايهم بظلم احد.

توضيح

لا يخفى أنه يمكن ان يعرف مراتب النية من التعابير المختلفة في اخبار الباب فمن الموثقة ابي بصير و الصحيحة المرادي المتقدمتين اللتين قد عبرَ فيهما، بان المؤمن ليهنّ بالحسنة فتكتب له حسنة يستفاد ان صرف الهنّ و النية مورث للحسنة، و من التعبير في الصحيحة ابي بصير المتقدمة، بأنه فاذا علم الله ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، اعني عشر حسنات، يستفاد انّ التمني بالحسنة كان مورثاً لمثل ما عمله و لا يكفي لذلك صرف النية و من اختلاف هذه التعابير نلهم بأنه لو صار مرتبة النية اشدّ عمّا ذكر يمكن ان تكون خير من عمله كما عرفت ذلك من اطراف كلماتنا و كيف كان فلا اشكال في ترتب الثواب على النية الحسنة على حسب مراتبها و اما نية السوء فلا تكتب على ما عرفت فلا عقاب لها مطلقاً، نعم بناء على صحة الرواية المشهورة تختص شرّيتها بمورد النص اعني الكافر فلا تغفل.

تنبيه

انّ العلامة الانصاري - قدّس سرّه - في مبحث التجري قد تعرّض لكون نية السوء معصية بعض الاخبار و الايات استظهاراً او فحواً او تأييداً، ما لفظه فالمصرح به في الاخبار الكثيرة العفو عنه، و ان كان يظهر من اخبار اخر العقاب على التقصد أيضاً. مثل قوله - صلوات الله عليه - : نية الكافر

شرّ من عمله، وقوله أنّما يحشر الناس على نيّاتهم.

وما ورد من تعليل خلود اهل النّار في النّار، و خلود اهل الجنّة في الجنّة، بعزم كلّ من الطائفتين على الثّبات على ما كان عليه من المعصية والطاعة لو خلّدوا في الدنيا.

وما ورد من أنّه اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل يا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا القاتل فما بال المقتول، قال - صلى الله عليه وآله وسلم - لآته اراد قتل صاحبه، وما ورد في العقاب على فعل بعض المقدمات بقصد ترتب الحرام «كفارس» الخمر والماشي لسعاية مؤمن وفحوى ما دلّ على أنّ الرضا بفعل كالفعل، مثل ما عن امير المؤمنين - عليه السّلام - : انّ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، و على الدّاخل اثنان اثم الرّضا و اثم الدخول ويؤيده قوله تعالى: ﴿ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله﴾^(١) وما ورد من ان من رضي بفعل فقد لزمه، و ان لم يفعل وما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فلم تقتلتموهم ان كنتم صادقين﴾^(٢)، من ان نسبة القتل الى المخاطبين مع تأخّرهم عن القاتلين بكثير لرضاهم بفعلهم و يؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض و لا فساداً﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿ان الذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في

الذين امنوا لهم عذاب اليم ﴿١﴾ انتهى (٢) محل الحاجة.

اقول: قد مرّ مفصلاً معنى قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - نية الكافر شرٌّ من عمله وما ورد من تعليل خلود اهل النار، وقس على ذلك المعنى قوله انما يحشر الناس على نياتهم واما رواية التقاء المسلمين، فان الظاهر من الرواية ان كل واحد من القاتل والمقتول كان في مقام قتل صاحبه، فيمكن ان يكون عذاب المقتول لاجل ارعاب صاحبه و اخافته بالقتل حيث انه لما اراد قتل صاحبه فلاجرم كان في مقام التماس مقصوده فلا بد من جولان سيفه ونحوه لصاحبه، وهو ملازم للارعاب والاخافة، بل الشتم والمجرح، وقد ورد في اخافة المؤمن اخباراً.

منها في الكافي بسنده عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها اخافه الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله (٣). ومنها فيه بسنده عن بعض الكوفيين عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فاصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار (٤) واقام ماورد العقاب على بعض المقدمات يمكن ان يكون

لاجل ترتب ذي المقدمة عليه فيصدق الاعانة على الاثم.
 واما الرواية الدالة على ان الرضا بفعل كالفعل فكان لاجل توصيف
 النفس بمرتبة من المراتب الخبيثة كما قدمنا بعض نظائرها و غير مربوطة
 بمسئلة التية، ولذا قال: على الداخل اثنان اثم الرضا و اثم الدخول، ولم
 يرد نظير هذا التعبير في شيء من الآيات والاخبار، لفاعل التية بل انها
 صريح في عكس ذلك وكذا الكلام فيما ورد من رضي بفعل فقد لزمه، و
 من ذلك البيان يظهر الكلام في قوله تعالى: ﴿فلم تقتلهم﴾ ونحوه بان
 نسب القتل اليهم مع انهم متأخرة زماناً عنهم، بكثير كما عن الكافي عن
 الصادق - عليه السلام - قال: كان بين القاتلين والقاتلين خمسائة عام
 فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا^(١).

واما آية ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه، فقد اختلف في تفسيره قيل ان
 تبدوا ما في انفسكم من الطاعة والمعصية، او تخفوه يحاسبكم به الله، اي
 يعلم الله ذلك فيجازيكم به، وقيل معناه ان تظهروا الشهادة او تكتموها،
 فان الله يعلم ذلك و يجازيكم وهذا المعنى مناسب و مرتبط لبعض
 الآيات السابقة لها و لغيرها فالاية غير مربوطة بما نحن بصدده.

واما آية لا يريدون خلوا في الارض، قد يفسرها بالتجبر والتكبر على
 عباد الله والاستكبار عن عبادة الله، وقد يفسرها بابرار التكبر لاعلى
 صرف الارادة، بل يمكن ان يكون الغرض من الآية اعمال العلو فعلى هذا

أيضاً أنها غير مربوطة بمسئلة النية.

واقفاً آية يحبون ان تشيع الفاحشة، صرح بعض المفسرين في تفسيره، اي يفسحوا ويظهروا و لما كانت الآيات السابقة لها مربوطة بافك العصبه على عايشه، ففي هذه الآية هدد القاذفين، و بالجملة ان ما اوردها الشيخ - قدس سره -، للعقاب على نية السوء غير مثمرة و لكن المجلسي «ره» قد نقل اجوبة في مرآة^(١) العقول لآية ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه و انها سبعة و ضعف جواب السادس منها و هو ما قلنا آنفاً في جوابها، بلا بيان مضعف، و اعتمد على الجواب الاول و هو المؤاخذه على الشيء الذي توطن الانسان نفسه عليه و يعزم إدخاله في الوجود بلا بيان معتمد، و سيأتي الكلام فيه في اواخر البحث ان شاء الله تعالى فتأمل جيداً، هذا تمام الكلام في ما اورده الشيخ «ره» في المقام و جوابه.

اقول: ان بعض الروايات دالة على ان الراضي للآثم هو شريك له منها في الكافي بسنده كالموثق عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: العامل بالظلم و المعين له و الراضي به شركاء ثلاثهم^(٢)

و منها في العيون بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لابي الحسن الرضا - عليه السلام -: يا بن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق - عليه السلام - انه قال: اذا خرج القائم - عليه السلام - قتل ذراري قتلة الحسين - عليه السلام - بفعال آبائهم، فقال - عليه السلام -

هو كذلك فقلت! وقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١) ما معناه قال: صدق الله في جميع اقواله ولكن ذراري قتلة الحسين - عليه السلام - يرضون بافعال (بفعال) آبائهم ويفتخرون بها ومن رضي شيئاً كان كمن اتاه وان رجلاً قتل بالمشرك ف رضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي، عند الله عز وجل شريك القاتل، وانما يقتلهم القائم - عليه السلام - اذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم، قال: فقلت له: باي شيء يبدء القائم - عليه السلام - منكم اذا قام قال: يبدء ببني شيعة فيقاطع ايديهم لانهم سراق بيت الله عز وجل^(٢) وفي بعضها اوعد بالعقوبة، مثل ما في عقاب الاعمال بسنده عن ابي حمزة عن احدهما - عليهما السلام - قال: اتى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ف قيل له يا رسول الله قتيل في مسجد جهينة فقام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يمشي حتى انتهى الى مسجدهم قال: وتسامع الناس فأتوه - عليه السلام - فقال: من قتل ذا فقالوا يا رسول الله ما ندري من قتله فقال: قتيل من المسلمين بين ظهري المسلمين لا يدري من قتله والله الذي بعثني بالحق لو ان اهل السماوات والارض شركوا في دم امرء مسلم او رضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار، او قال: على وجوههم^(٣) و جوابه هو الجواب المتقدم.

تنبيه آخر

لا يخفى أنه يمكن ان يستفاد من الأدلة أن الفاعل كان على ثلاثة اقسام:

الفاعل بالمباشرة و الفاعل بالتسبيب و الفاعل بالترضية.

ومفاد الاخبار المزبورة كان دليلاً على القسم الثالث فتدبر جيداً لاشبهة عقلاً و شرعاً في ان وزر المعاصي، لا يصح وصوله الا الى وازره ولا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى اقا عقلاً فعلى مشرب مذهب العدلية فواضح لا يحتاج الى اقامة برهان و توضيح و اقا شرعاً كتاباً فالايات الكثيرة دالة عليه.

منها قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء و لو كان ذا قربى، الى قوله تعالى: ﴿و من تركى فانما يتركى لنفسه، و الى الله لمصير﴾^(١) قال الطبرسي «ره»: اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى اى لا يؤاخذ احد بذنب غيره و انما يؤاخذ كل بما يقتضيه من الآثام، و ان تدع مثقلة الى حملها، اى و ان تدع نفس مثقلة بالاثام غيرها التي ان يتحمل عنها شيئاً من اثمها، لا يحمل منه شيء، اى لا يحمل غيرها شيئاً من ذلك العمل، و لو كان ذا قربى، اى و لو كان المدعو الى التحمل ذا قرابة منها و اقرب الناس اليها، ما حمل عنها شيئاً، فكل

نفس بما كسبت رهينة، قال ابن عباس: يقول الاب و الامّ يا بني احمل عني فيقول حسبي ما علىّ، انتهى موضع الحاجة^(١).

و منها قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢)

و منها قوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْسِبْ ثَمَنًا فَأَنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٣)
و منها قوله تعالى: ﴿وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَامُولُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^(٤) و غير ذلك من الايات.

واقاسنة فنّها في العيون بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت ابا الحسن عليّ بن موسى بن جعفر - عليها السلام - يقول: من قال: بالجر فلا تعطوه من الزكاة شيئا، و لا تقبلوا له شهادة ابداً، انّ الله تبارك و تعالى ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، و لا يحملها فوق طاقتها ﴿وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، ﴿وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٥)

و فيه بسنده عن الفضل بن شاذان قال: سأل المأمون عليّ بن موسى الرضا - عليها السلام - ان يكتب له محض الاسلام على سبيل الایجاز و الاختصار، فكتب - عليه السلام - له ان محض الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له (و الخبر طويل جداً الى ان كتب) ان الله تبارك

و تعالى ﴿لَا يَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ و إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى خلق تقدير، لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء، ولا نقول: بالجبر و التفويض، و لا يأخذ الله للبرئ بالسقيم، و لا يعذب الله تعالى الاطفال بذنوب الالباء، و لا تزر وازرة وزر اخرى، و إن ليس للانسان الا ما سعى، الخبر^(١) بل لا يبعد اجماع الفرقة الحقّة على ذلك، فعلى هذا ان الأدلة الاربعة قائمة على ذلك، و بناءً على ذلك ان الاخبار التي دلت على ان الظلم الصادر عن الاب مثلاً واصل اثره على ولده، او على عقبه، و نحوه فلا بد اما من طرحها لانها مخالفة للكتاب و السنة، او حملها جمعاً على ما سردناه عليك، آفقا، اعني الحمل على ما اذا رضي الولد او عقبه بفعال ابيه، مثل ما في عقاب الاعمال بسنده عن محمد بن عبد الله الارقط عن جعفر بن محمد - عليها السلام - قال: من ارتكب احداً بظلم بعث الله عزّ وجلّ عليه من يظلمه بمثله او على ولده او على عقبه من بعده^(٢).

و ما في الكافي بسنده الحسن كالصحيح عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: من ظلم مظلماً اخذ بها في نفسه او في ماله او في ولده^(٣) و فيه بسنده عن عبد الاعلى مولى آل سام قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : مبتدئاً من ظلم سلط الله عليه من يظلمه او على عقب عقبه قلت: هو يظلم فيسلط الله على عقبه او على عقب عقبه

٢ - باب عقاب من ظلم، ح ٧، ص ٣٢٢

١ - ج ٢، ب ٣٥، ح ١، ص ١٢٥

٢ - ج ٢، ب الظلم، ح ٩، ص ٣٣٢

فقال: ان الله عز وجل يقول: ﴿و ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله و ليقولوا قولاً سديداً﴾^(١) و الاخبار بهذا المفاد كثيرة و ليس بعزيزة خصوصاً شائع في الالسنه و كيف كان، فلا بدّ اما من طرحها مع سلامة السند لبعضها، او تقييدها بالاخبار التي عرفت على ان الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، او كان شريكاً لهم، فصارت النتيجة ان ما دلّ على ان ظلم الاب يلحق على ولده او على عقبه اذا كان الولد راضياً بفعل آبائهم لا مطلقاً فالراضي حينئذ صار آثماً بالرضاية فلحقه ظلم ابيه لذلك، و بعبارة اخرى، انه بواسطة الرضاية صار وازراً حقيقة، فلا يقع من مصاديق، قوله تعالى: ﴿و لا تزر وازرة وزر اخرى﴾، بل يكون من مصاديق من وازر نفسه فلحق عليه ظلم نفسه، و لا يخفى ان هذا الحمل بالنسبة الى ما عدا الرواية الاخيرة غير بعيد، و لكن بالنسبة اليها غير ملائم لان المعصوم - عليه السلام - في جواب السائل قال: هو يظلم فيسلط الله على عقبه او على عقب عقبه، قد قرّر سؤاله، و استمسك لبعده عن ذهنه، بقوله تعالى: ﴿و ليخش الذين لو تركوا.....﴾، فكانه قد أثبت الايراد استدلالاً بقول الله عز وجل، و لم يجز حمل الرواية على ما ذكرناه لاجل ذلك فلا بدّ حينئذ من جواب مستقل لها فانظر.

فنعول: مستعيناً بالله تعالى قال الطبرسي «ره» في تفسير الآية: فيه اقوال

أحدها أنه كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالوا انظر لنفسك فان ولدك لا يغنون عنك من الله شيئاً فيقدم جلّ ماله فقالوا ﴿و ليخش الذين لو تركوا من بعدهم اولاداً صغاراً﴾ (خافوا عليهم) الفقر وهذا نهى عن الوصية بما يحجب بالورثة و امر لمن حضر الميت عند الوصية ان يأمره بان يبقى لورثته و لا يزيد وصيته على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو الموصي لأحب ان يحته من حضره على حفظ ماله لورثته و لا يدعهم عالة اي كما تحبون و رثتكم فاحبوا ورثة غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وغيره، و ثانيها، ان الامر في الآية لولي مال اليتيم يأمره باداء الامانة و القيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه اذا كانوا ضعافاً واجب ان يفعل بهم، عن ابن عباس أيضاً فيكون معناه من كان في حجره يتيم فليفعل به ما يجب ان يفعل بذريته من بعده، و الى هذا المعنى، يؤل ما روي عن موسى بن جعفر - عليهما السلام - قال: ان الله اوعد في اليتيم عقوبتين اثنتين، اما احدهما، فعقوبة الدنيا قوله، ﴿و ليخش الذين لو تركوا﴾، الآية، قال: يعني بذلك ليخش في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى و ثانيها أنها وردت في حرمان ذوي القربى ان يوصى لهم بان يقول الحاضر لا توص لأقاربك و قر على و رثتك، وقوله خافوا عليهم، معناه، خافوا من جفاء يلحقهم، او ظلم يصيبهم او غضاظة او صنعة^(١) انتهى موضع الحاجة.

وقال العلامة الطباطبائي - قدس سرّه - : فظاهر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾، أنّه تمثيل للرحمة و الرأفة على الذرية الضعاف الذين لا وليّ لهم يتكفّل امرهم، و يذود عنهم الذلّ و الهوان، و ليس التخويف و التهديد المستفاد من الآية مخصوصاً بمن له ذرية ضعفاء بالفعل، لمكان لو في قوله ﴿لو تركوا....﴾، و لم يقل لو تركوا ذريّتهم الضّعاف بل هو تمثيل، يقصد به بيان الحال، و المراد الذين من صفتهم أنّهم كذا، اي ان في قلوبهم رحمة انسانية و رأفة و شفقة على ضعفاء الذرية الذين مات عنهم آبائهم، و هم الايتام و الذين من صفتهم كذا، هم الناس و خاصّة المسلمون المتأدّبون بادب الله المتخلّقون باخلاقه فيعود المعنى الى مثل قولنا و ليخش الناس و ليتقوا الله في امر اليتامى فإنّهم كايّتام انفسهم في أنّهم ذرية ضعاف يجب ان يخاف عليهم و يعتني بشأنهم و لا يضطهدوا و لا يهضم حقوقهم، فالكلام في مساق قولنا من خالف الذلّ و الامتهان فليشتغل بالكسب و كلّ يخاف ذلك، انتهى لفظه. (١)

اقول: و قد تفتّن الاشكال المزبور بعض شارحي الكافي عند تعرّض الروايات، و قال المجلسي «ره» عند شرحها لجوابه في مرآة العقول ما لفظه: و لما كان استبعاد السائل عن امكان وقوع مثل هذا لاعتنه أنّه ينافي العدل فاجاب - عليه السّلام - بوقوع مثله في قصّة اليتامي او أنّه لما لم

يكن له قابلية فهم ذلك و أنه لا ينافي العدل اجاب بما يؤكد الوقوع او يقال رفع - عليه السلام - الاستبعاد بالدليل الآتي و ترك الدليل اللّمي و الكل متقاربة، و اقول: اما دفع توهم الظلم في ذلك فهو أنه يجوز ان يكون فعل الالم بالغير لطفاً لآخرين مع تعويض اضعاف ذلك الالم بالنسبة الى من وقع عليه الالم، بحيث اذا شاهد ذلك العوض رضي بذلك الالم، كامراض الاطفال، فيمكن ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان من ظلم احداً او اكل مال يتيم ظلماً بان يبتلي اولاده بمنزل ذلك فهذا لطف بالنسبة الى كل من شاهد ذلك او سمع من مخبر علم صدقه، فيرتدع عن الظلم على اليتيم، وغيره و يعوّض الله الاولاد باضعاف ما وقع عليهم، او اخذ منهم في الآخرة، مع أنه يمكن ان يكون ذلك لطفاً بالنسبة اليهم ايضاً فيصير سبباً لصلاحهم و ارتداعهم عن المعاصي فانا نعلم ان اولاد الظلمة لو بقوا في نعمة آبائهم لطفوا و بغوا و هلكوا، كما كان آباؤهم فصلاحهم ايضاً في ذلك و ليس في شيء من ذلك ظلم على احد و قد تقدّم بعض القول متاً في ذلك سابقاً انتهى^(١).

و قال الفيض الكاشاني «ره» في جوابه عند تعرّضها، ما لفظه: بيان، الوجه في ذلك ان الدنيا دار مكافاة و انتقام، و ان كان بعض ذلك مما يؤخّر

١ - ج ١٠، ب الظلم، ص ٣٠١، و أنه رحمه الله قد شرحها و اجاب عن الاشكال فيها بعين ما ذكرنا عنه في البحار ايضاً عند نقل الرواية ج ٧٥، ب ٧٩، الظلم و انواعه ذيل ح ٥٦، ص ٣٢٥ فراجع.

الى الاخرة، و فائدة ذلك اما بالنسبة الى الظالم فانه يردعه عن الظلم اذا سمع به و اما بالنسبة الى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام في الدنيا مع نيله ثواب الظلم الواقع عليه في الاخرة فانه ما ظفر احد بخيره مما ظفر به المظلوم لانه يأخذ من دين الظالم اكثر مما أخذ الظالم من ماله، كما يأتي في حديث آخر الباب، و هذا مما يصح الانتقام من عقب الظالم، او عقب عقبه، فانه، و ان كان في صورة الظلم لانه انتقام من غيراهله، مع انه لا تزر وازرة وزر اخرى، الا انه نعمة من الله عليه في المعنى من جهة ثوابه في الدارين فان ثواب المظلوم في الاخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا^(١).

اقول: اما ما افاده المجلسي «ره» في الجواب عن الاشكال، ففيه ان الجزاء الوافر و العوض الجميل عن الظلم الوارد على العقب لاجل ظلم الاب لا يغير الظلم فعلاً حسناً و جائراً و لا يغير ماهيته اذ لو صح ذلك لجاز عند العقلاء ان يعدّ السلطان الظالم اذا اظلم رعيته بانواع الظلم ثم أنعم عليهم بانواع النعم زائدة على ظلمه عادلاً و محسناً لاجل ظلمه حيث ان ظلمه صار سبباً لوفور النعم عليهم بل كلّ متجاوز بعد اداء حق الغير مضاعفاً صار غير متجاوز و محسناً و ذلك باطل قطعاً^(٢).

١- الوافي، الجزء الثالث، ب الظلم، ص ١٦٢

٢- و لذا قال الشاعر الفارسي :

نه بده آن نوش را

نه بزبن نیش را

هذا أولاً فاداء الحقّ ولو باضعاف مضاعفة لا يغيّر الظلم عن حقيقته كما عرفت و ذلك معلوم عند العقلاء و مسألة الابتلائات غير مربوطة بالظلم ولا تعدّها ظلماً مع أنّ المفروض أنّها لم تكن من اثر ظلم الغير و لذا لم تقم على بطلانها أدلة الأربعة بل وردت اخبار كثيرة معتبرة على أنّها واقعة خصوصاً على المؤمنين.

منها في الكافي بسنده عن محمد بن ابن بهلول العبدي قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول لم يؤمن الله المؤمن من هزاهز الدنيا و لكنه آمنه من العمى فيها و الشقاء في الآخرة (١)

١- ج ٢، ب شدة ابتلاء المؤمن، ح ١٨ ص ٢٥٥.

و منها فيه بسنده الحسن كالصحيح عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: إنّ أشدّ الناس بلاءً الانبياء ثمّ الذين يلونهم ثمّ الأمثل فالأمثل (ج ٢، ب شدة ابتلاء المؤمن، ح ١، ص ٢٥٢).

و منها في ذلك الباب بسنده الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: ذكر عند ابي عبد الله - عليه السلام - البلاء و ما يخصّ الله عزو جل به المؤمن؟ فقال: سئل رسول الله من أشدّ الناس بلاء في الدنيا فقال: التّبيّن ثمّ الأمثل فالأمثل و يبني المؤمن بعد على قدر ايمانه، و حسن اعماله، فمن صحّ ايمانه و حسن عمله اشتدّ بلاؤه، و من سخط ايمانه، و ضعف عمله قلّ بلاؤه (ج ٢، ح ٢، ص ٢٥٢).

و منها فيه منه بسنده عن عبد الله بن ابي يعفور قال: شكوت الى ابي عبد الله - عليه السلام - ما لقي من الاوجاع، و كان مسقوماً فقال: لى يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الاجر في المصائب لتّمّى أنّه قرّض بالمقاريض (ج ٢ ح ١٥،

→ ص (٢٥٥).

و منها فيه بسنده الموثق عن ابن مسكان عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ما اقلت المؤمن من واحدة من ثلاث و لربما اجتمعت الثلاث عليه اما بغض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه او جار يؤذيه او من في طريقه الى حوائجه يؤذيه و لو ان مؤمناً على قلة جبل لبعث الله عز وجل اليه شيطاناً يؤذيه و يجعل الله له من ايمانه أنساً لا يستوحش الى احد (ج ٢ ب ما اخذه الله على المؤمن من الصبر، ح ٣، ص ٢٤٩).

و منها فيه بسنده الموثق عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: سمعته يقول ما كان و لا يكون الى ان تقوم الساعة مؤمن الا و له جار يؤذيه. (ب ما اخذ الله على المؤمن من الصبر، ج ٢، ح ١٣، ص ٢٥٢).

و منها فيه بسنده الصحيح عن ابن ابي يعفور عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: عجبت للمرأة المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء الا كان خيراً له و ان قرض بالمقاريض كان خيراً له و ان ملك مشارق الارض و مغاريها كان خيراً له (ج ٢، ب الرضا بالقضاء، ح ٨، ص ٦٢).

و منها فيه منه بسنده الصحيح عن داود بن فرقد عن ابي عبد الله - عليه السلام - ان فيما اوحى الله عز وجل الى موسى بن عمران - عليه السلام - ما خلقت خلقاً أحب الى من عبدي المؤمن فاني انما ابتليه لما هو خير له و اعافيه لما هو خير له و ازوي عنه ما هو شر له لما هو خير له و انا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلاني و ليشكر نعماني و ليرض بقضائي

وكيف كان أنها اما ان تكون من باب عدم النعمة أو من باب وصول النعمة على الشخص لتخفيف عذابه الاخرى اذا كان مذنباً أو لترفع مقامه اذا كان محسناً، وباقي الكلام في محله، وثانياً ان ذلك صار سبباً لترويح الظلم وهو ايضاً باطل.

واما ما افاد الفيض «ره» في الجواب عنه ففيه زائداً عما ورد على الجواب المجلسي «ره» لان قوله «ره» ان الدنيا دار مكافاة، صحيح بالنسبة الى مكافاة الظالم لظلم نفسه واما بالنسبة الى مكافاة ظلم الغير فغير صحيح، وباطل بالادلة الاربعة، واما قوله «ره» ما ظفر احد بخيره مما ظفر به المظلوم لانه يأخذ من دين الظالم اكثر ...، راجع الى المخلوقات، و الظاهر من الرواية والآية ان الظالم العياذ بالله هو من سلط الظالم على ان يظلم العقب او عقب عقبه وكان هو الله المتعالي عن ذلك علواً كبيراً وهذا المعنى غير صادق عليه تعالى وهو الواضح.

وبالجملة هذا الجواب مربوط الى مكافاة الظالم ظلم نفسه وتوفير الخير لمظلوم من الناس كما هو صريح كلامه وذلك غير مربوط بمفاد الرواية و مصداقها فعلى هذا مثل هذه الاجوبة غير صحيحة في المقام فلا بد حينئذٍ اولاً من بيان مفاد الآية ورفع الاشكال عنها، ثم عن اصل الرواية ولا

→ اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي و اطاع امرى. (ج ٢، ب الرضا بالنضاء. ح ٧، ص ٦١).

ولا يخفى انه يليق على المحقق البصير ان يرجع جميع اخبار هذه الابوة حتى يجد ما نحن بصدده والله المستعان.

يخفى أنها من معضلات الروايات.

فنقول: مستعيناً بالله تعالى أن المحتمل قوياً بل من المحتوم أن مفاد الآية، هو أول الأقوال التي ذكرها الطبرسي «ره» فيها و ما افاده الطباطبائي - قدس سره - في تفسيرها و جعلها من باب التمثيل يقصد به بيان الحال، فعلى هذا، أن الآية لم تكن بصدد أن وصول تضييع حق الصغار الضعاف على صغار ضعاف الموصي، أو الوصي، أو الحاضرين و نحوه بل أنها كانت في مقام تأسيس العدالة الاجتماعية و عدّ صغار الناس صغار نفسه و العمل في حقهم هو العمل في حق صغار نفسه و الانصاف، أن هذا المعنى بحسب سياقها و الآية السابقة لها في غاية الجودة، و من هذا البيان عرفت رفع الاشكال عن الآية، و أمّا عن أصل هذه الرواية أمّا أولاً مضافاً إلى أنها غير معتبرة و لم يجز الأخذ بها قطعاً، بل و لو كانت في أعلى مرتبة الصحة كما أن الرواية السابقة لها حسنة، فلا بدّ طرحها و ضربها على الجدار لتعاندها بظاهرها للدلالة الأربعة كما عرفت و ثانياً بناء على الأخذ و الجمع بينها و بين الأدلة فيحتمل قوياً، أن استمسك الإمام - عليه السلام - بالآية كان لرفع تعجّب السائل و تسكينه لاخبار الإمام مبتدئاً به تسليط الله الظالم عليه أو لعقبه فقط و لم يكن - عليه السلام - في مقام بيان تسجيل إطلاق كلامه في صدر الرواية (اعني أنه تعالى مسلط الظالم على عقبه و لو لم يكن راضياً بفعل إبيه) و بعبارة أخرى، أن تقييد إطلاق صدر الرواية بالأخبار المتقدمة و أن التقييد لم يناف تأييد الإمام - عليه السلام - بالآية حيث أن التأييد ينصرف إلى تسكين السائل و

رفع تعجبه فقط كان بلا أشكال ولعلّ هذا الجواب في غاية الجودة.
 وثالثاً بناءً على الغضّ عن جميع ما ذكرناه في هذه الرواية و سائر الروايات هو ما خطر ببالي من الجواب في صبيحة يوم الخميس، الثاني من الصفر المظفر في سنة أربعة عشر بعد أربعمائة و الألف عن الهجرة النبوية على مهاجرها الصلوة والسلام و على آله الكرام، عن التهافت بين الأخبار المزبورة و الأدلة الأربعة في مقابلتها بأنه نظر الأدلة التي دلت على عدم جواز حمل النفس لوزر الغير و لا يجوز وصول وزر شخص الآ لوازره موردها هو الوزر و العقاب الآخروي كما هو صريح بعض^(١) آياتها و أخبارها بل أغلبها و ما كان منها مطلقة قد تقيد بها، و لا بد من حملها عليها، و ذلك واضح لمن تدبّر فيها، ممّا نقلناه، و ممّا لم نذكره (فعليك المراجعة و التأمل فيها) فالأخبار المقابلة للأدلة الأربعة و ان كانت مطلقة لكن هدفها و نظرها الى خصوص المضرات و المفسدات الدنيوية و آثارها الوضعية^(٢) المترتبة على الظلم لا العذاب الآخروي كما لعلّه منسبق عنها بل صريحة فيها مثل ما اذا كان الأب زانيا و لاجل استمرار هذا العمل

١ - خصوصاً مثل قوله تعالى : ﴿وكلّ انسان الزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيمة كتاباً يلقيه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيّاً، من احدى فانما يهتدي لنفسه و من ضلّ فانما يضلّ عليها و لا تزر وازرة وزر اخرى و ما كنّا معذبين حتّى نبعث رسولاً﴾ (الاسراء، ٥١).

٢ - و يمكن استفادة هذا المعنى من ح ١٠ من باب ١، ص ٢٨٧ و ح ٤، من باب ٢، ص ٢٩١ من البحار ج ١١ فراجع.

الشييع قد يبتلي بمرض يسمى به (السفليس) وذلك المرض يصل اثره الى ولده في صغره و اثره في الولد انه صار ذا مرض صعوبة التنفس في طفوليته بحيث يصير وجهه احمر مائل بالسواد في بعض الاوقات كما شاهدناه في بعض الاطفال.

وبعبارة واضحة ان المال الذي جمعه الاب من التعدي و الظلم فلو وصل بالارث الى عقبه لم يورث للعقب البركة و السعة و الراحة بل يورث الخذلان و الوبال للعقب و لذا صار المعروف في الالسنه ان المال الذي جمع من دماء الناس لا وفاء و لا بقاء له بل ان ذلك من السيرة الجارية الدائمة خلفاً و سلفاً فصار مفاد الاخبار المقابل في مقام تهديد الاباء عن التجنب عن مثل هذا الظلم و ارشادهم بأنه ظلم على انفسهم او على اولادهم او على عقبهم كما ان الآية التي استمسك بها الامام في ذيل الرواية مفادها كانت كذلك حيث انها كانت في مقام تأليف قلوب الناس، بالنسبة الى الصغار، و ضعافهم، كما احب ذلك لصغار انفسهم، كما عرفت فقتضي الجمع بين كلا الاطلاقين هو ما ذكرناه و ذلك يلائم مع الدليل العقلي ايضاً و الانصاف ان هذا ايضاً وجيه و ليس ببعيد و من المعلوم ان الاب عوقب في الآخرة لظلمه و الابن لما كان مبتلياً بهذا الابتلاء قد ثبت له الاجر و وقع في مورد الامتحان، و اجمال الكلام في هذا الجمع^(١) و مناسبة ذيل

١ - اقول: و لا تتوهم ان هذا الجمع كان تبرعياً و لا عبرة به و الجمع الصحيح لا بد

→ له من شاهد و هو مفقود في المقام لان الغرض مما ذكرناه من الجمع ههنا كان لاجل اختلاف المورد بين الايات و الاخبار حيث ان مورد اغلب الآيات الدالة على عدم حمل الوزر الآخر هو الوزر الاخروي، و ما كان منها مطلقة فتحمل على الوزر الاخروي، و مورد الروايات، و ظاهر هذه الآية، هو الوزر الدنيوي، فالآيات السابقة بحسب المورد، مغايرة للاخبار و هذه الآية، و بذلك ارتفع التنافي كما مر في ان الجمع بين الاخبار التي دلت على نية الخير حسنة و بعض الاخبار التي دلت على ان نية الخير كانت مثل ما يكتب له لو عمله كان عبارة عن اختلاف المورد، حيث ان مورد اخبار الأول هو الهم على الخير و مورد اخبار الثانية هو التمني، فباختلاف المورد يرتفع التوهم التنافي بينهما، فلا يكون من الجمع التبرعي، و يؤيد على ذلك الجمع تعبيره - عليه السلام - في الاخبار الاولى بكلمة «حسنة» و في الثانية بمثل ما لو عمله، و مضافاً الى ذلك ان هذا التعبير كما ادخل المتمني للخير في سلك العامل به، ادخل في عموم قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها، حيث ان التمني لما صار العامل بالحسنة تنزيلاً صار لاجل ذلك فرداً من افراد الجائي بنفس الحسنة فيشملة عموم، قوله تعالى «فله عشر امثالها». فالنتيجة ان المتمني بالحسنة كان له من الاجر عشر امثالها، فلا تغفل، عن التعبير في الآية، و عن سموها للمقام، نعم يمكن ان يتوهم الجمع التبرعي مما تقدمنا في مسألة نية السوء في حمل الرواية المشهورة (اعني قوله - عليه السلام - نية الكافر شر من عمله) و ما دل على خلود الكفار على ان نية المعصية معصية اذا كانت برتبة شديدة (اعني «التأبيد» و حمل

→ الاخبار التي دلت على عدمها على دون تلك المرتبة اعني ان نية السوء لا تكتب في غير مرتبة الشديدة، وفيها تكتب، وبذلك قد جمعنا بين الخبر المشهور و ما دلّ على خلود الكفار و بين الاخبار الصحيحة و لكن فيه، اما اولاً، فلا بد ههنا من التعبير، بعبارة آخر كما اشرنا اليه في اثناء البحث و هو ان نية المعصية معصية اذا كان ناوياً هو الكافر كما هو مورد الاخبار، فبذلك ارتفع التنافي من جهة اختلاف المورد، فكون النية معصية مخصوص بمن صرح في نفس اخبار الباب و هو الكفار لا مطلقاً و ثانياً، ان الحكم بالتفاوت و تغاير الحكم في مراتبها الذي يمكن ان يؤخذ من الجمع بين اخبار نية الخير كما عرفت و يرشدنا الى ان للنية مراتب و بالجملة يمكن ان يقع ذلك الجمع شاهداً لهذا الجمع و لا ضرر فتأمل جيداً. تذييل، يمكن الجمع بين ما دلّ على ان نية الخير حسنة و بين ما دلّ على ان نية الخير مثل ما عمله، بطريق آخر، و هي ان طائفة الاولى ناظرة الى ان صرف نية الحسنة حسنة، و لو لم يعملها من دون رادع و مانع و الطائفة الثانية، ناظرة الى ان عدم عمله بنفس الحسنة كان اما لاجل عدم القدرة عليه، او لاجل عدم مقتضي له، او لاجل عروض المانع، كما يستفيد هذا الجمع من بعض التعابير الواقعة في روايات الباب مثل قوله - عليه السلام - في صحيحة ابي بصير، فاذا علم الله ذلك عنه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله (الوسائل ج ١، ب ٦، ح ١) و قوله - عليه السلام - في رواية ابي حمزة رحم الله فلانا يا علي لم تشهد جنازته قلت: لا، قد كنت احب ان اشهد جنازة مثله، فقال: قد كتب لك ثواب ذلك بما

الرواية لصدرها، ان مفاد الآية أنه «و ليخش الخائفين على صغارهم لو تركوها ضعافاً» عن صغار غيرهم، اي يعاملون على صغار الناس، كما يعاملون على صغار انفسهم، فالاية كانت في مقام التأديب، و أنه لابد من الانسان الكامل ما يحب لورثة نفسه، ان يحب لورثة غيره و اما مناسبة ذلك المعنى للآية مع وقوعها في الرواية مورداً لاستمسك الامام - عليه السلام - لصدر الرواية فهي أنه كما ان من خاف

→ نوبت (الوسائل ج ١، ب ٦، ح ٩) و قوله - عليه السلام - ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته (الوسائل، ج ١، ب ٦، ح ١٦) و قوله - عليه السلام - في رواية جابر قال: لى يا جابر يكتب للمؤمن في سقمه من العمل الصالح ما كان يكتب في صحته و يكتب للكافر في سقمه من العمل السيئ ما كان يكتب في صحته (الوسائل، ج ١، ب ٧، ح ٥، ص ٤٢). فان من الواضح ان عدم اتيان العمل كما هو مورد صحيحة كان لاجل عدم القدرة عليه، و في الرواية الثانية كان لاجل عدم المقتضي، و في الثالثة كان لاجل عروض المانع، و كذا في الرابعة بعد حملها على فرض صدور النية منه، بل يمكن ان يقال: ان هذا الجمع مساوق للجمع المتقدم حيث ان التمني للعمل الخير لا يلائم الانصراف عن العمل من غير عروض علة و لذا قال: في الصحيحة فاذا علم الله ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله و بالجملة ان التية الثابت اثرها غير مربوطة بالتية الغير الثابت و يشهد لذلك ايضاً قوله - عليه السلام - في رواية ابي هاشم و انما خلّد اهل الجنة في الجنة لان تياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابداً (الوسائل، ج ١، ب ٦، ح ٤، ص ٣٦) و كيف كان، ان هذا الجمع كان في غاية الجودة. والله العالم.

على ورثته فلا بد أن يخاف على ورثة غيره من ظلم الناس خوفاً من أن يصل ظلمه على عقبه لو لم يصل الى نفسه بمعنى اثاره الوضعية لا العذاب الاخروي و من ذلك البيان ظهر الكلام في سائر اخبار الباب فتأمل و اغتنم.

فان ذلك الجواب من جملة عنايات التي فوض الله تعالى علينا نحمده و نشكره عليه و على جميع نعمائه، تذكرة، لا بأس بالاشارة الى مسألة التجري، و انها و ان كانت مربوطة بالمقام ولكن قد قرر في محله ان المتجري غير مستحق للعقاب و فعله غير مذموم لانه لم يكن منهيأ واقعاً ففعله غير قبيح و ان ثبت له قبح الفاعلي و انه مذموم. لان اقدامه كاشف عن سوء سريرته و خارج عن مصير الاطاعة و الانقياد، و داخل في المتمردين و لكن مع ذلك كله لم يدل دليل على عقابه.

و بمن تصدى لاضاءات البحث فيها غايتها، هو العلامة الشيخ محمد على الكاظمي «ره» في تقريرات بحث استاده النائي رضوان الله عليه، و انه «ره» استند استحقاق المتجري للعقاب الى احدى جهات اربع و تضيف جميعها مفصلاً، و نحن نذكر بعض رؤوس الجهات فعليك المراجعة لها و ما فيها، فان فيها بحوث كثيرة طويلة خارجة عن مقصدنا فقال: ما لفظه، الجهة الاولى دعوى ان الخطابات الاولى تعم صورتي مصادقة القطع للواقع و مخالفته و يندرج المتجري في عموم الخطابات الشرعية حقيقة بيان ان التكليف لا بد و ان يتعلق بما يكون مقدوراً للمكلف و التكليف الذي له تعلق بموضوع خارجي كقوله لا تشرب الخمر وصل في

الوقت وان كان وجوده الواقعي مشروطاً بوجود ذلك الموضوع من غير دخل للعلم والجهل في ذلك الآن مجرد الوجود الواقعي لا يكفي في انبعاث المكلف وحركة ارادته نحوه فان الحركة والانبعاث إنما يكون بالوجود العلمي ولا اثر للوجود الواقعي (الى ان قال) ومتعلق التكليف إنما يكون هو الاختيار بالانبعاث الناشئ عن العلم بالموضوع والتكليف وهذا المعنى موجود في كلتي صورتني مصادفة العلم للواقع ومخالفته (الى ان قال) وحاصل هذا الدعوى تتركب عن مقدمتين:

الاولى دعوى ان متعلق التكليف هو الانبعاث وحركة الارادة والاختيار نحو، ما احرز، أنه من مصاديق الموضوع الذي تعلق به التكليف الواقعي، الثانية، دعوى ان الاحراز والعلم يكون موضوعاً على وجه الصفتية في الاختيار والارادة وان كان طريقاً بالنسبة الى الموضوع، ولا يخفى عليك، ما في كلتي المقدمتين من المنع، أما في الاولى، فلان المتعلق هو الفعل الصادر عن ارادة واختيار، لا نفس الارادة والاختيار وأما في الثانية، فلان الارادة وان كانت تتبع عن العلم، لكن لا بما أنه علم وصورة حاصلة في النفس بل بما أنه محرز للمعلوم، فالعلم يكون بالنسبة الى كل من الارادة والخمر طريقاً، بل العلم يكون في باب الارادة من مقدمات وجود الداعي (الى ان قال) فان متعلق التكليف يكون حينئذ هو حرمة ارادة شرب الخمر الذي علم خمرته على وجه يكون العلم طريقاً الى الخمر الواقعي، والمتجرى وان اراد شرب الخمر الذي احرز خمرته الا ان احرازه لم يقع طريقاً الى الخمر الواقعي، لأنه لم يؤد الى الخمر

الواقعي

الجهة الثانية دعوى ان صفة تعلق العلم بشيء تكون من الصفات و
العناوين الطارئة على ذلك الشيء المغيرة لجهة حسنه و قبحه فيكون
القطع بخمرية ماء موجباً لحدوث مفسدة في شربه تقتضي قبحه و
الانصاف انه ليس كذلك فان احراز الشيء لا يكون مغيراً لما عليه ذلك
الشيء من المصلحة و المفسدة و ليس من قبيل الضرر و النفع العارض
على الصدق و الكذب المغير لجهة حسنه و قبحه

الجهة الثالثة دعوى استحقاق المتجري للعقاب لامن باب مخالفة لخطاب
شرعي كما في الجهتين الاوليين بل من باب استقلال العقل باستحقاق
العاصي و التجري للعقاب (الى ان قال) ببيان ان العلم و الالتفات في باب
الاحكام العقلية له جهة موضوعية، بل هو تمام الموضوع في المستقلات
العقلية من غير فرق بين الاحكام العقلية في سلسلة علل الاحكام (الى
ان قال) و ان شئت قلت، ان المناط في حكم العقل باستحقاق العقاب هو
جهة بغض الفاعلي، فالدعوى في المقام تتركب من امرين، الاول كون
العلم تمام الموضوع في المستقلات العقلية، الثاني كون المناط في استحقاق
العقاب عند العقل، هو القبح الفاعلي، و يمكن المنع عن كل من الامرين،
اما الاول، فلان العلم و ان كان له دخل في المستقلات العقلية، الا انه لا
العلم الاعم من المصادف و غير المصادف، فان غير المصادف لا يكون
علماً بل هو جهل، فان العلم هو الكاشف عن الواقع، و غير المصادف، لا
يكون كاشفاً، عن الواقع، و اما الثاني، فلان المناط في استحقاق العقاب

عند العقل و ان كان هو القبح الفاعلي الا ان القبح الفاعلي المتولد من القبح الفعلي الذي يكون احرازه موجبا للقبح الفاعلي لا القبح الفاعلي المتولد من سوء السريرة و كم بين هذا و ذلك من الفرق

الجهة الرابعة دعوى حرمة التجري من جهة قيام الاجماع و دلالة الاخبار عليه فيكون البحث من هذه الجهة فقهياً و لا يخفى ان البحث عن الجهة الرابعة انما يستقيم بعد تصوير ما يمكن ان يتعلق به خطاب شرعي بحيث يكون فعلاً اختيارياً ملتفتاً اليه حتى يكون حراماً شرعاً و لا يمكن ان يكون عنوان التجري معروض الحرمة لما تقدم من ان الالتفات الى هذا العنوان لا يمكن، كما لا يمكن ان يكون الفعل التجري به، معروض الحرمة لما تقدم ايضاً من ان العلم لا يحدث عنواناً يكون ملاكاً للحرمة، فيقع الكلام، فيما هو معروض الحرمة، و ما انعقد عليه الاجماع، و ما دل عليه الاخبار و انه اي عنوان، يكون ذلك و لا بد ايضاً ان يكون ذلك العنوان الذي يعرض عليه الحرمة يعم كلا قسمي التجري، و هما ما اذا قصد الحرام و اتى ببعض مقدماته، ثم عدل عن قصده بنفسه او بصارف بناءً على ان يكون ذلك من التجري ايضاً، و ما اذا قصد الحرام و جرى على طبق مقصده ثم تبين له الخلاف فعروض الحرمة لا بد و ان يكون جامعاً بين هذين القسمين و لا يمكن ان يكون الجامع هو قصد المعصية لدلالة جملة من الاخبار على عدم المؤاخذه على القصد.

نعم يمكن ان يكون الجامع هو القصد مع الجري على طبقه فان هذا المعنى موجود في قسمي التجري و بذلك يجمع بين الاخبار الدالة على عدم

المؤاخذة على قصد سوء و الاخبار الدالة على المؤاخذة بحمل الاولى على القصد المجرد، و الثانية على القصد الذي له مظهر، و لكن الكلام حينئذ في الشاهد على هذا الجمع و ليس في الاخبار ما يمكن ان يكون شاهداً على ذلك و مما ذكرنا يظهر ما في الاجماع في المقام لا من جهة كون المسئلة عقلية و لا عبرة بالاجماع في المسائل العقلية بل لعدم الاجماع في المسئلة و لا ادعاه احد.

نعم ادعى الاجماع في الموردين:

احدهما فيمن ظن ضيق الوقت و آخر الصلوة ثم تبين الخلاف حيث ادعى الاجماع على عصيانه بتأخير الصلوة و ذلك لا يكون الا بناءً على حرمة التجري.

ثانيهما فيمن سلك طريقاً مظنون الضرر حيث ادعى الاجماع على عصيانه، و لو انكشف عدم الضرر، و هذا ايضاً لا يتم الا بناءً على حرمة التجري و لكن يمكن ان يقال: ان كلاً من الموردين خارج عما نحن فيه. افا في الاول فلأن خوف الضيق يكون تمام الموضوع لوجوب المبادرة بالصلاة شرعاً.

و اما في الثاني فلان العقل في باب الضرر الديني حكم واحد و هو قبح الاقدام على ما لا يؤمن معه من الوقوع في الضرر، و على هذا يخرج من موضوع التجري، و ليس فيه انكشاف الخلاف فتحصل أنه لم يتم الاجماع على حرمة التجري بالقسم المبحوث عنه في المقام.

نعم يمكن القول بحرمة القسم الآخر من التجري وهو ما إذا قصد المعصية و تلبس بمقدماتها و منعه مانع و على ذلك تحمل الأخبار الواردة على المؤاخذه على القصد كما هو مورد بعضها و عليه تكون حرمة التجري في المقام خالياً عن الدليل فالأقوى عدم حرمة، انتهى مورد الحاجة تلخيصاً رفع مقامه.^(١)

أقول: لا يخفى أنه «ره» قد اتعب نفسه الشريف في تحقيق هذه المسئلة و لم ارفمن تعرّض لهذه المسئلة و الدقة في شعوباتها فيما رأيناه أدقّ منه رحمه الله و لكن لم نعثر على تلك الأخبار التي ذكرها و أنّها دلّت على المؤاخذه على القصد بعد التفحص التام حتّى يصح حملها على ما إذا تلبس بمقدماته و منعه مانع كما قال «ره» كما هو مورد بعضها، الآ الأخبار التي نقلناها عن رسائل الشيخ «ره» و غيره و اجبنا عنها، و كيف كان، على فرض وجود الأخبار المذكورة سوى ما قدمناها، فبالاطمينان أنّها ضعاف و حملها على المنع المانع مع أنّه لا شاهد له، لا تقوى للمعارضة مع الأخبار المعتبرة التي، اسلفناها فإنّها دالّة باطلاقها على عدم ثبوت المعصية ما لم يعملها، و لو منعه مانع، و ايضاً على فرض وجودها و صحتها فإنّها لما كانت مطلقة و لا شاهد للجمع المزبور كما عرفت لاجل تعارضها بما يعتبر فيما يقابلها صارت ساقطة و بعد التعارض لا بدّ من الرجوع الى الاصول اللفظية التي تتكفل لبيان نفس المعاصي و من المعلوم أنّها صريحة في ان المعصية تحقق

بالعمل، لا بالنية، و بعبارة اخرى لم يقم علينا دليل تنزيلى على ان نية المعصية، معصية، كما صدر ذلك عن الشارع في ان نية العبادة عبادة فالاقوى ان نية المعصية مطلقاً ليست بمحرمة و قد اشرنا في صدر البحث الى بعض ما ذكرناه في المقام فلا تغفل.

تتمة

اقول: لا بد في هذا البحث من ذكر كلمات بعض الاصحاب في المقام و النظر فيها حتى يتم المقصود.

قال بعض المحققين في المحكى^(١) عنه في بيان ما يؤخذ العبد به من الوسوس و ما يعنى عنه، و اجمال مقالته: ان الحق في هذه المسئلة عندنا انه لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدء ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول:

الاول ما يرد على القلب (الخاطر) و هو يسمى حديث النفس.

و الثاني هيجان الرغبة و هو حركة الشهوة و تسمى بميل الطبع و الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها و يسمى هذا اعتقاداً و هو يتبع الخاطر.

و الميل الرابع تصميم العزم على الالتفات و جزم النية فيه و هذا نسميه هماً و نية و قصداً، و هيها احوال للقلب قبل العمل بالجراحة الخاطر و هو

حديث النفس، ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم ثم ترتب «ره» عدم المؤاخذه على الثلاث الأول فيما إذا كان الثالث اضطرارياً واما إذا كان اختيارياً يؤاخذ على الثالث، واما الرابع وهو الهم فإنه مورد المؤاخذه، وقال: الدليل على هذا التفصيل، ما ورد في الصحيح قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: قالت الملائكة: ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو ابصر، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوه عليه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، أما تركها لاجلي، (وحيث قال: لم يعملها أراد به تركها لله) فاما إذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف يكتب له حسنة.

أقول: إن الرواية التي تلقى «ره» بالصحة بعد الغض عن سنده فإنها متكفلة لجهات ثلاثة.

الاولى كتابة السيئة بمثلها إذا عملها

الثانية ان لم يفعلها كتبها الحسنة.

الثالثة بيان علة كتب ترك السيئة حسنة وهي تركها لامر القربى ففاد الرواية موافق للقواعد والخبار من هذه الجهات ولكن لم يتعرض فيها حكم ما إذا أراد المعصية ولم يفعلها فالرواية من هذه الجهة ساكتة، ونحن لم نقل بان تركها، ولو في موضع التعذر كان حسنة، حتى تعجّب عنه المحقق المزبور «ره» وقال بعد ذلك، والدليل القاطع فيه، ما روي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار إلى آخرها وقد مرّ الجواب عنها ثم اطنب

الكلام في خواطر النفس و اقسام الوسواس و ما يترتب على القلب من الآثار، و بالجملة اورد الكلام في مطالبات نفيسة جميلة و من الاسف لا تكون دليلاً و مقاومة للاخبار المعتبرة الدالة على عدم ترتب الحكم من العصيان على صرف الهمّ على المعصية و باطلاقها دالة على عدم الحكم له، اذا كان متعذراً عن فعلها ايضاً و المجلسي «ره» بعد ذكر كلامه و مطالبه قد تضيّفها و اخدش فيما نقلناه عنه بما يشابه ما ذكرنا فيها و العجب من المجلسي «ره»، حيث قال ههنا، ما لفظه، ^(١) فهي مخالفان للاخبار المعتبرة فانها تدلّ على عدم المؤاخذه مع ترك الفعل مطلقاً، و ما قال في باب ^(٢) من يهّم بالحسنة او السيئة في هذا المجلد، ما لفظه و يدلّ على أنّه لا مؤاخذه على قصد المعاصي اذا لم يعمل بها و هو يحتمل وجهين؛

الاول ان تكون سيئة ضعيفة يكفرها تركها.

الثاني ان لا يكون القصد متصفاً بالحسن و القبح اصلاً كما ذهب اليه جماعة و الاول اظهر، و قال في آخر كلامه بعد ذكر كلمات الاصحاب من الشهيد «ره» و الشيخ البهائي «ره» و غيرهم و كلمات صاحب الكشف، قلت، لا دلالة في تلك الاحاديث على ما ظننت من انّ العزم على المعصية ليس معصية و انما دلّت على ان من عزم على معصية كسرب الخمر او الزنا مثلاً و لم يعملها لم يكتب عليه تلك المعصية التي عزم عليها، و اين هذا عن المعنى الذي ظننته انتهى كلامه.

واعجب من هذا ما ذكره «ره» في موضع آخر من مرآة العقول^(١) في ضمن نقل الاجوبة عن العلماء عن، آية، ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الآية، ما لفظه، ان الخواطر الحاصلة، في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه و يعزم على ادخاله في الوجود.

ومنها ما لا يكون كذلك بل تكون اموراً خاطرة بالبال مع الانسان يكرهها، ولكنه لا يمكنه دفعها عن نفسه فالتقسيم الاول يكون، مؤاخذاً به. والثاني لا يكون مؤاخذاً به (الى ان قال) هذا هو الجواب المعتمد، انتهى. وقد اشرنا الى ذلك، في صدر البحث و كأنه «ره» قد اعرض عما قال سابقا، او خطر في قلبه شيء، وكيف كان فالأخبار و اطلاقاتها محكمة بلاريب نعم لو كان غرضه من هذا الكلام قبح الفاعلي و ردالة السريرة فهو مسلم، والله العالم.

واما كلام الشهيد «ره» في المقام قال «ره» في القواعد، (الفائدة العشرون) لا تؤثر نية المعصية عقاباً و لازماً ما لم يتلبس بها و هو مما ثبت في الاخبار العفو عنه و لونوى المعصية و تلبس بما يراه معصية فظهر بخلافها، ففي تأثير هذه النية نظر، من انها لما لم تصادف المعصية فيه، صارت كنية مجردة، و هو غير مؤاخذاً بها، و من دلالتها على انتهاك الحرمه و جرأته على المعاصي، و قد ذكر بعض الاصحاب انه لو شرب المباح متشبهاً بشارب المسكر فعل حراماً، و لعله ليس بمجرد النية، بل بانضمام فعل

الجوارح اليها، و يتصور محل النظر في صور.
منها ما لو وجد امرأة في منزل غيره فظنّها اجنبية فاصابها فظهرت أنّها زوجته او امته.

ومنها ما لو وطئ، زوجته لظنّها حائضاً فبانّت طاهراً.
ومنها لو هجم على طعام بيد غيره و اكل منه فتبيّن أنّه ملك الآكل.
ومنها لو ذبح شاة بظنّها للغير بقصد العدوان فظهرت ملكه.
ومنها ما اذا قتل نفساً بظنّها معصومة فبانّت مهدّرة و قد قال بعض العامة يحكم بفسق متعاطي ذلك لدلالته على عدم المبالاة بالمعاصي و يعاقب في الآخرة ما لم يتب عقاباً متوسطاً بين عقاب الكبيرة والصغيرة و كلاهما تحكّم و تخرّص على الغيب انتهى^(١).

اقول: لاشبهة في كون النايي للمعصية مذموماً عقلاً كما عرفت و اما ذمّه عقلاً و شرعاً من حيث الفعل ما لم يفعلها به فلم يدلّ عليه دليل بل صدر من ناحية الشرع الاخبار الصحيحة على عدم عقابه كما تقدم.
وقال الشيخ البهائي «ره» في المحكى^(٢) عنه في بعض تعليقاته على الكتاب المذكور: قوله «ره» لا تؤثر نية المعصية عقاباً و لا ذمّاً الى آخره، غرضه طاب ثراه، ان نية المعصية و ان كانت معصية الاّ أنّه لما وردت الاخبار بالعفو عنها لم يترتب على فعلها عقاب و لا ذمّ و ان ترتب استحقاقها و لم

١ - قاعدة ٢٨، في مدارك الاحكام، ص ٤٤

٢ - امرأة العقول، ج ١١، ص ٢٩٠ والبحار، ج ٧١، ب ٧١، ص ٢٥١

يرد أن قصد المعصية والعزم على فعلها غير محرم كما يتبادر إلى بعض
الأوهام حتى لو قصد الإفطار مثلاً في شهر رمضان ولم يفطر لم يكن آثماً
كيف والمصنف مصرح في كتب الفروع بتأثيره.

والحاصل أن تحريم العزم على المعصية مما لا ريب فيه عندنا وكذا عند
العامة وكتب الفريقين من التفاسير وغيرها مشحونة بذلك بل هو من
ضروريات الدين ولا بأس بنقل شيء من كلام الخاصة والعامة في هذا
الباب ليرتفع به جلباب الارتياب، في الجوامع، عند تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^(١) يقال
للإنسان لم سمعت ما لا يحلّ لك سماعه ولم نظرت إلى ما لا يحلّ لك النظر
إليه ولم عزمت على ما لا يحلّ لك العزم عليه انتهى كلامه «ره» ولا يخفى في
كلامه مواضع من النظر.

أقول أولاً فإن الأخبار المعتبرة صريحة في عدم كتابة نية السيئة ومن المعلوم
أن أثر الملازم على المعصية هو ثبوت العقاب عليها ونستكشف حرمة
الشيء من ثبوت العقاب عليه فإذا اتقى الشارع الأثر الملازم عن شيء
صريحاً لا مجال للحكم به ثبوت الملزوم عليه، وبعبارة أخرى، أن ثبوت
الحرمة للأشياء ناشئة عن نهى الشارع عنها، ونهى الشارع ملازمة
للعقوبة عليها، فبانتفاء اللازم أعني العقوبة نستفيد عدم نهى الشارع
عنها. وقد ثبت أن نهى الشارع ملزوم للعصيان، فبانتفاءه اتقى العصيان،

و بالجملة فبانتهاء اللازم ندرك انتفاء الملزوم، و لو بالواسطة فبالنتيجة نحكم بعدم كون النية معصية.

و ثانياً قياسه «ره» المقام بمسألة قصد الافطار في شهر رمضان فإنه كان مع الفارق حيث أنّ المكلف في شهر رمضان مأمور به نفس الامساك بين الحدين اعني النية المستمرة عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع القربة و قصد الافطار مَحْلٌ بما هو مأمور به في شهر رمضان على ما تحقق في محله فالعصيان فيه كان لاجل الاخلال بالواجب اذ الصوم ليس عبارة عن صرف عدم الاتيان بالمفطرات في اليوم قطعاً بل الصوم عبارة عن العزم على الامساك عن المفطرات مستمرة بين الحدين مع القربة نعم تترتب الكفارة على نفس ارتكاب المفطرات و لذا لا يجوز للفقهاء بل المتفقه ان يفتي بان المكلف لو لم يعزم على الامساك مع أنه لم يأت بالمفطرات اصلاً كان صائماً و لم يكن عليه قضاء و تمام الكلام في محله و لعلّ الشيخ «ره» فسر مراد الشهيد «ره» بما لا يرضاه.

و ثالثاً فن الاختلافات الوسيعة في مسألة التجري التي تقدمت شرذمة منها تعلم أنه لا مجال لقوله «ره» الحاصل ان تحريم العزم على المعصية بما ريب فيه عندنا، خصوصاً تقيده بقوله، عندنا.

و رابعاً ما في كلامه «ره» في تفسير الآية فان نفس المسموعات و المبصرات لما كانت بعضها محرمة لذا صارت مسؤولة و اما المخطورات و ان وقعت في الآية مسؤولة و لكن غاية دلالتها أنها مطلقة، اعني سواء كان ما خطر بالبال هو صرف المخطور و العزم او مع ترتب الاثر عليه

اعني العمل على طبقه، ولكن اطلاقها مقيدة بالآخبار السالفة المعتبرة، و
تقيد بما اذا ترتب عليه العمل و يمكن ان يكون كلمة الفؤاد فيها كانت
اشارة الى قوله تعالى: ﴿أَنْ بَعْضَ الظَّنِّ أَتَمُّ﴾ مضافاً الى ان، قوله تعالى:
﴿أَنْ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ﴾ تعليل لما في صدر الآية، وهو قوله تعالى:
﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، اي لا تتبع الاثر على غير ما تعلم، و
لا تحرك السمع و البصر و الفؤاد الى غير ما تعلم، فانها مسؤولة فالآية
بقريه صدرها مربوطة بالعمل على وفق ما عزم اذا كان عن غير علم،
لامطلقاً و يمكن ان يكون النظر في الآية الى الاعتقادات الغير الصحيحة،
فبالنتيجة ان الآية اجنبية عما هو بصده، و لم تكن مربوط بمسئلة العزم
على المعصية اصلاً، و لم يكن علينا ما في التفاسير حجة، فلزم اتباعها
خصوصاً مع صحة الحمل لها كما في المقام.

وقال السيد المرتضى علم الهدى انار الله برهانه في المحكى^(١) عنه في
كتاب تنزيه الانبياء عند ذكر قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ اَنْ
تَفْشَلَا وَ اللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾^(٢) انما اراد تعالى ان الفشل خطر ببالهم و لو كان
الهم في هذا المكان عزمًا لما كان وليهما، ثم قال: و ارادة المعصية و
العزم عليها معصية و قد تجاوز قوم حتى قالوا العزم على الكبيرة كبيرة
و على الكفر كفرًا، انتهى كلامه نور الله مرقد.

١- مرآة العقول، ج ١١، ص ٢٩١ و البحار، ج ٧١، ب ٧١، ص ٢٥٢

٢- آل عمران، ١٢٢

اقول: لا يخفى ان الظاهر من الهم هو الهم العزيمه لاهم خطرة اعني صرف
 خطور كما عليه بعض المحققين^(١) ففاد الآية ﴿ان طائفتان منكم﴾ عزم ان
 يظهر الضعف مع الجبن و الحال ان الله تعالى ناصرهما ولا بد للمؤمن ان
 ﴿يتوكل على الله و هو حسبه﴾ فالآية وان كانت في مقام العتاب و لكن
 اما اولاً ان العتاب على صرف الهم و العزم صحيح اذ لا ينبغي للمؤمن ان
 يفشل و هو يرى ان الله و ليه و لكن لم يترتب العقاب على الفشل فيها بل
 كانت الآية في مقام الموعظة و وقعت في بيان ذم الفاعل عتاباً لا الفعلي و
 ذلك مستقيم لما نحن بصدده.

و ثانياً ان بعض الروايات الواردة في سبب نزول الآية ظاهرة في ان
 الطائفتان لم يكتفا بصرف الفشل بل ترتب عليه اثر العمل كما نص عليه
 القمي «ره» في تفسيره ما لفظه^(٢)، و قول - اذ همّت طائفتان - منكم ان
 تفشلا، نزلت في عبدالله بن ابي وقوم من اصحابه اتبعوا رأيه، في ترك
 الخروج، و القعود، عن نصرة رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم -،
 و في ضمن الرواية التي نقلها عن ابي عبدالله - عليه السلام -، الى ان
 قال: اذ همّت طائفتان منكم ان تفشلا يعني عبدالله بن ابي و اصحابه
 فضرب رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - معسكره مما يلي من
 طريق العراق و قعد عبدالله بن ابي وقومه من الخزرج اتبعوا رأيه، و
 وافت قريش الى احد، الحديث، وكيف كان لم ينفع الآية للسيد «ره» لما

هو بصدده و الله العالم.

المطلب الثالث

في الاجال

المطلب الثالث من المطالب التي لابد من تنقيحها هو ايراد البحث في الآجال فنقول: مستعيناً بالله تعالى يظهر من بعض الآيات والاخبار أنها على نوعين.

الاول الاجل المسمى ويسمى بالمحتوم الذي هو غير قابل للتقديم والتأخير ولا يقع فيه المحو والاثبات.

الثاني الاجل الغير المحتوم ويسمى بالمعلق الذي كان قابلاً للتقديم والتأخير ويقع فيه المحو والاثبات والآيات فيها كثيرة منها قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من طين، ثم قضى اجلاً، واجلّ مسمى عنده ثم انتم تموتون﴾^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿و لكلّ امةً اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿قال يا قوم أني لكم نذير مبين، ان اعبدوا الله و اتقوه و اطيعون يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾^(١) قال الطبرسي^(٢)، في قوله تعالى: ﴿و يؤخركم الى اجل مسمى﴾، و في هذا دلالة على ثبوت الاجلين لانه شرط في الوعد بالاجل المسمى عبادة الله و التقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الاجل الاقصى بالاجل الادنى ثم قال (ان اجل الله) يعني الاقصى الى آخر كلامه.

اقول: جعل تأخير اجالهم الى اجل مسمى جزاءً للوعد المستفاد من قوله (ان اعبدوا الله) دليل صريح على ان الاجل كان على نوعين و الآية الاولى و ان كانت ظاهرة في ذلك ايضاً و لكن بناء على صرف النظر عن بعض احتمالات المفسرين ان هذه الآية صارت قرينة لقوله (و اجل مسمى) الذي في تلك الآية فكان المراد منه هو الاجل المحتوم و المراد من قوله (ثم قضى اجلاً) هو الاجل المعلق مضافاً الى ذلك ان الاخبار الواردة^(٣) في تفسير الآية صريحة فيما ذكرناه و اما الآية الثانية ظاهرة في

١- نوح، ٢-٤

٢- مجمع البيان، ج ٢

٣- منها ما في البحار عن تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿ثم قضى اجلاً و اجل مسمى عنده﴾، قال: الاجل الذي غير مسمى موقوف يتقدم منه ما شاء و يؤخر منه ما شاء و اما الاجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد ان يكون من ليله القدر الى مثلها من

الاجل المحتوم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْتَرُ مِنْ مَعْتَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ

→ قابل فذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

(ج ٥، باب الاجال، ح ٣، ص ١٣٦).

ومنها ما فيه عن تفسير العياشي عن حمران قال: سألت ابا عبدالله عن قول الله: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: هما اجلان اجل موقوف يصنع الله ما يشاء و اجل محتوم (ج ٥، باب الاجال، ح ٩، ص ١٤٠).

ومنها ما فيه عن امالي الشيخ و عن حمران عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: المسمى ما سمي لملك الموت في تلك الليلة وهو الذي قال الله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ والآخر له فيه المشية ان شاء قدمه وان شاء اخره (جزء ٥، باب الاجال، ح ٤، ص ١٣٩).

ومنها ما في الكافي بسنده الحسن او الموثق عن حمران عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: سأله عن قول الله عز وجل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال: هما اجلان محتوم و اجل موقوف (ج ١، باب البداء، ح ٤، ص ١٤٧). الظاهر من هذه الموثقة بطريق اللف والنشر المرتب انها مساوقة كما سيأتي بعيد هذا عن تفسير عن ابن سنان بان المقتضى هو المحتوم والمسمى هو الذي فيه البداء و اما على طريق الغير المرتب تدل على ما نحن بصدده ومع ذلك كله تدل على ما كان له الكلام فيه اعني ان الآجال كانت على قسمين فتأمل جيداً.

ذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب»^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ لَوْ لَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِهِمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢)، قال الطبرسي «ره»^(٣) في الآية الاولى معناه وما يمد في عمر معمر اي ولا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر ذلك المعمر بانقضاء الاوقات عليه عن ابي مالك يعني ولا يذهب بعض عمره بمضى الليل والنهار وقيل معناه لا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله تعالى ان فلاناً لو اطاع لبقى الى وقت كذا واذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلاثة اوجه اما ان يكون من عمر المعمر او من عمر معمر آخر او يكون بشرط (الا في كتاب) اي الا وذلك مثبت في الكتاب، وهو الكتاب المحفوظ اثبتته الله تعالى قبل كونه، الى آخر كلامه.

اقول: مفاد الآية ان تمديد العمر من المعمر، او تنقيصه عنه او عن آخر، مضبوط فلازم ذلك ان الاجل لم يكن مطلقاً حتماً بل قابلاً للتأخير والتقديم، ومن المعلوم ان التأخير والتقديم كانا لاجل مصلحة، قد توجد في بعض افعال ذلك المعمر او غيره فلعل الآية صريحة في ان الاجل كان

على نوعين، وقال الطبرسي «ره»^(١) في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، ذكر فيه وجوه

أحدها أن معناه لكل أجل مقدر كتاب اثبت فيه ولا تكون آية إلا باجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجبه التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت اجله الله لا على شهواتهم واقتراحاتهم عن البلخي. والثاني لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كاجل الحياة والموت وغير ذلك عن ابي على الجبائي.

والثالث أنه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء اجل ينزل فيه سن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فالتوراة وقت وللانجيل وقت وكذا القرآن ثم ذكر في المحو والاثبات اقوالاً ثمانية. اقول: ان الله تعالى بعد اخباره في صدر الآية عن ارسال الرسل وعن بعض احوالاتهم وبعد بيانه ان الرسول لا يأتي بآية ولا ينزلها إلا باذن الله اعني انحصر قدرة الرسل في تنزيل الآيات باذن الله ولا يجوز عليهم التنزيل من عند انفسهم تأييداً للآية السابقة في نهى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن اتباع اهوائهم اذ انهم يقترحون على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - آية غير القرآن ويطمعون ان يتبعهم في احكامهم، قد تصدي لبيان توقيت المصالح، وقال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ اعني لكل وقت حكم مقضي، مكتوب يخصه، ولا يصلح كل حكم في

جميع الاوقات قال: ﴿يَمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾ اي يضمحل ويبطل ما يشاء، ويستقر في هذه الآية بين اختياره في المحو والاثبات وانه تعالى، لا يلجأ بل يختار وعنده اصل الكتاب اعني الذي هو ثابت وغير قابل للمحو والاثبات وهو اللوح المحفوظ اذ الكتب المنزلة استنسخت عنه والمحو والاثبات يقع في الكتب المستنسخة لا في اصل الكتاب كما هو المحكي عن اكثر المفسرين والمستفاد من كلمات بعض^(١) الاعلام في المقام ان اصل الكتاب والامر الثابت الذي ترجع اليه هذه الكتب التي تمحو وتثبت بحسب الاوقات عند الله تعالى اعني مآل الاقضية بنحو الاثبات كان عنده.

وبعبارة اخرى ان ما يؤول اليه الامور بعد تعلق المحو والاثبات بها كان عنده ولكن يمكن ان يقال: ان المراد من اصل الكتاب هو الذي جامع للامور محتوماً كان او غيره كان عنده كما هو مضمون عدة من الاخبار وسيأتي نقل بعضها في ذيل الصحيفة عند بيان مضمون اخبار البداء في الطائفة الخامسة من الاخبار فراجع، وكيف كان، فعلى بعض الاحتمالات يستفاد من الآية ان لله تعالى كتابين المحو والاثبات واللوح المحفوظ هذا، وقد وقع الكلام في ان المحو والاثبات هل يكونان مخصوصان بالاحكام كما هو مورد الآية او اعم منه ومن الاحتمالات الأخر التي نقلها المفسرون وانها بالغة الى العشرة^(٢) ولكن الظاهر كما قال: بعض الاعلام ان المورد

لا يكون مخصصاً ولا دليل على تخصيصها ببعض الاحتمالات الاخر و
الآية مطلقة على ان ما في كتاب آية وكل شيء آية فالحو والاثبات
يتعلق بالآيات كلها ومنها الآجال واما الاخبار الواردة في تفسير الآية
المخصوصة ببعض الامور من الرزق^(١) والزيادة فيه ومن الاجل^(٢) هكذا
فاتها من باب تعيين بعض المصاديق وبالجملة ان الآية من حيث المورد
مخصوصة بالنسخ وبواسطة اطلاقها مربوط بما نحن فيه^(٣) واما الآية

١ - مثل ما عن الدر المنثور في ذيله، و يحدث الله في كل رمضان فيمحو الله ما
يشاء و يثبت من ارزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم (الميزان،
ج ١١، ص ٤١٩)

٢ - مثل ما في البحار عن تفسير العياشي عن الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد
عن ابيه قال: قال رسول الله: ان المرء ليصل رحمه و ما بقي من عمره الا ثلاث
سنين فيمدها الله الى ثلاث و ثلاثين سنة و ان المرء ليقطع رحمه و قد بقى من
عمره ثلاث و ثلاثون سنة فيقصرها الله الى ثلاث سنين او ادنى قال الحسين و
كان جعفر - عليه السلام - يتلو هذه الآية ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ
أَمُّ الْكِتَابِ﴾ (ج ٥، باب الاجال، ح ١٢، ص ٧٤١).

٣ - و يدل على ما ذكرناه رواية عمار بن موسى كما في البحار عن تفسير العياشي
عنه عن ابي عبد الله - عليه السلام - سئل عن قول الله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ
يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: ان ذلك الكتاب كتاب ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ
يَثْبُتُ﴾ فن ذلك الذي يرد الدعاء القضاء و ذلك الدعاء مكتوب عليه الذي
يرد به القضاء حتى اذا صار الى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً (ج ٤، ح ٦٥،
باب البدء، ص ١٢١)

الآخرة يحتمل فيه وجوه:

أحدها أن المراد من الاجل المسمى هو الذي قضاءه لبني آدم حين اهبط آدم إلى الأرض.

وثانيها أنه الاجل الذي قدره أن يقيهم إليه لضرب من المصلحة.

وثالثها أن المراد منه الوقت الذي قدره الله تعالى أن يعاقبهم وهو يوم القيامة، والاحتمال الأخير أقرب بالنسبة إلى صدر الآية وذيلها، والحاصل أن هذه الآية بناءً على بعض الاحتمالات مربوطة بالاجل المحتوم، والآية الثانية على إطلاقها مربوطة بالاجل الغير المحتوم وأما الآية الأولى كما عرفت صريحة في أن الاجل على نوعين فلا تغفل.

وأما الأخبار فمنها ما في تفسير القمي بسنده عن عبد الله ابن مسكان عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: الاجل المقضي هو المحتوم الذي قضاءه الله وحتمه والمسمى هو الذي فيه البدء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير^(١).

ومنها ما في البحار عن دعوات الراوندي قال الصادق - عليه السلام -: يعيش الناس بأحسنهم أكثر مما يعيشون بأعمارهم ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بأجلهم^(٢).

ومنها ما في تفسير القمي بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر - عليه السلام - في قول الله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ﴾

اجلها﴾، قال: ان عند الله كتباً مرقومة يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء فاذا كان ليلة القدر انزل الله فيها كل شيء يكون الى ليلة مثلها فذلك قوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها﴾، اذا انزله وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخره^(١)، وغير ذلك من الآيات و الاخبار.

تنبيه

في تحقيق معنى البداء

قد ظهر عن بعض ما تقدمنا من الأخبار في ذيل الصحيفة الاجل المسمى هو الاجل المحتوم والمقضى هو المعلق وغير المحتوم، ومن الخبر الذي ذكرناه آنفاً عن تفسير القمي «ره» عكس ذلك وجمع بين الطائفتين من الأخبار المحقق الشبر «ره» في حق اليقين وقال: بان المعنى أنه تعالى قضى اجلاً أخبر به أنبياءه وحججه وأخبر بأنه محتوم فلا يتطرق إليه التغير وعنده اجل مسمى أخبر بخلافه، غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمى يحصل منه البداء فلذا قال تعالى عنده أي لم يطلع عليه أحد بعد، وأما اطلق عليه المسمى لأنه بعد الأخبار يكون مسمى، فالمرسوم فهو موقوف، ومنه يكون البداء فيما أخبر لاعلى وجه المحتوم انتهى^(١) موضع الحاجة.

وكيف كان سيأتي ان شاء الله تعالى شبه هذا البحث وتوضيحه في آخر مسألة البداء وكيف كان فقد ثبت ما نحن بصدد من الايات والأخبار وهو كون الاجال على نوعين، الاجل المحتوم والجل المعلق أعني غير

المحتوم ولا يخفى أن هذا البحث كان من صغريات مسألة البدء ولو نقلنا البحث في أصل المسألة ولو اجمالاً لأعاننا في إيضاح هذا البحث واكتفينا عن إطالة الكلام فيه مع أنه ليس المبحث من محلّ بيانهِ ولكن لا بأس به لاجل جرى الكلام إلى تحقيقه.

ف نقول: مستعيناً بالله تعالى وتوكل اليه، لا إشكال في ثبوت البدء عندنا ولعلّه لا شبهة في أن هذه المسألة مما تفرّدت به الإماميّة وقد وردت عن اثنتا - صلوات الله عليهم أجمعين - الأخبار الكثيرة المستفيضة على ذلك، ومعناه في اللغة كما في الجمع بداله في الأمر إذا ظهر له استصواب شيء غير الأوّل والاسم منه البدء كسلام، وعن الجوهري وغيره بداله في هذا الأمر بداء أي نشأ له فيه رأي، وبذلك المعنى بل بالمعنى الأوّل امتنع البدء في حقّ الله تعالى، لأنّه يلزم سبق الجهل عليه تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وعلى ذلك المعنى شنّع علينا بعض من المخالفين كما حكى عن الناصبي^(١) الفخر الرازي أنّه ذكر في خاتمة كتاب المحصل حاكياً من سليمان بن جريران أئمة^(٢) الرافضة وصفوا القول بالبدء

١ - في مرآة العقول، ج ٢، ص ١٢٣

٢ - والعجب عنه حيث أنكر البدء من ناحية اثنتا - عليهم السّلام - مع ما ورد في أخبارهم بذلك فيما هو أسدّ مستندهم أعني صحيح البخاري فقد روي فيه بسنده الواصل إلى أبي هريره أنّه سمع رسول الله - صلى الله عليه وآله - و سلم - يقول أن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدأ لله عز وجل أن

لشيعتهم فاذا قالوا أنه سيكون لهم امرٌ وشوكة ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا بدا الله تعالى فيه و عنه^(١) ايضاً أنه قال: قالت الرافضة البداء جائزٌ على الله تعالى وهو ان يعتقد شيئاً ثم يظهر له ان الامر بخلاف ما اعتقده وتمسكوا فيه بقوله تعالى: ﴿يحو الله ما يشاء ويثبت﴾ - انتهى كلامه.

وكيف كان سبحانه^(٢) الله ما هذا الا افتراء على ائمتنا المعصومين من الخطاء والزلل والمطهرين عن ارجاس الجهل وغيره، وليت ان الناصبي

→ يتلهم فبعث الله اليهم ملكاً فأتى الابرص فقال: اي شيء احب اليك قال: لون حسن و جلد حسن قد قدرني الناس قال: فسحه فذهب عنه فاعطني لونا حسناً و جلدأ حسناً الحديث طويل جداً، (ج ٤، ص ١٤٦)

١ - مرات العقول محكيا عن تفسيره، ج ٢، ص ١٢٦

٢ - اقول: العجب من المحقق الطوسي «ره» قد اجاب في نقد المحصل عن كلام الرازي بأنهم لا يقولون بالبداء و أما القول به ما كان الا في رواية روهها عن جعفر الصادق - عليه السلام - أنه جعل اسماعيل القائم مقام بعده فظهر من اسماعيل ما لم يرتضه منه فجعل القائم مقامه موسى - عليه السلام - فسنل عن ذلك فقال: بدا لله في اسماعيل وهذه رواية و عندهم ان خبر الواحد لا يوجب علماً ولا عملاً انتهى.

نقل هذا الكلام عنه المجلسي «ره» في مرآة العقول (ج ٢، ص ١٢٣) و ذلك لأنه بعد وجود الاخبار الكثيرة المعتبرة وغيرها لا يليق به هذا الكلام و أما الرواية فردودة قطعاً أما أولاً: فلأن جعل الامامة مربوط بالله تعالى و ثانياً: ان الائمة بعد رسول الله منصوبة بنصّه، فعلى هذا ان كلامه من سهو القلم.

يرجع الى كلمات بعض اصحابنا رضوان الله تعالى عليهم حول هذا البحث مع أنه خلاف دأبه حتى يقرّ بخطائه، من القدماء والمتأخرين أما من القدماء مثل كلام نابغة العراق نادرة الافاق الشيخ المفيد - قدس سرّه - في شرح عقائد^(١) الصدوق: قال ابو جعفر «ره» اعتقادنا في البداء، قال ابو عبد الله قول الامامية في البداء طريقه السمع دون العقل وقد جاءت الاخبار به عن ائمة الهدى - عليهم السلام - والاصل في البداء هو الظهور قال الله تعالى: ﴿وَبَدَأْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(٢)، يعني به ظهر لهم من افعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسابهم و تقديرهم، وقال: وبدا لهم سيئات ما كسبوا و حاق بهم^(٣) يعني ظهر لهم جزاء كسبهم و بان لهم ذلك، و تقول العرب قد بدا لفلان عمل حسن و بدا له كلام فصيح كما يقولون بدا من فلان كذا فيجعلون اللام قائمة مقامه فالمعنى في قول الامامية بدا لله في كذا اي ظهر له فيه و معنى ظهر فيه اي ظهر منه و ليس المراد منه تعقّب الرأى و وضوح امر كان قد خفى عنه و جميع افعاله تعالى الظاهرة في خلقه بعد ان لم تكن فهي معلومة فيما لم يزل و انما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره و لافي غالب الظن وقوعه فاما ما علم كونه و غلب في الظن حصوله فلا يستعمل فيه لفظ البداء.

وقول أبي عبد الله - عليه السلام - ما بدا الله في شيء كما بدا له في اسمعيل فانما اراد به ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه وقد كان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به فلطف له في دفعه عنه وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق - عليه السلام - فروي عنه - عليه السلام - أنه قال: كان القتل قد كتب على اسمعيل مرتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(١)، فتبين أن الآجال على ضربين ضرب منها مشروط يصح فيه الزيادة والنقصان الا ترى الى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مَعْتَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) فبين أن آجالهم كانت مشروطة في الامتداد بالبرّ والانقطاع بالفسوق وقال تعالى فيما خبر به عن نوح - عليه السلام - في خطابه لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ الى آخر الآيات^(٤) فاشترط لهم في مدّ الاجل و سبوغ النعم الاستغفار فلما لم يفعلوه قطع آجالهم وبتر اعمارهم واستأصلهم بالعذاب فالبداء من الله تعالى يختص بما كان مشروطاً في التقدير وليس هو الانتقال من عزيمة الى عزيمة ولا من تعقّب الرأى تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً وقد

قال بعض اصحابنا: انّ لفظ البدء اطلق في اصل اللغة على تعقّب الرأى و الانتقال من عزيمة الى عزيمة و انما اطلق على الله تعالى على وجه الاستعارة كما يطلق عليه الغضب و الرضا مجازاً غير حقيقة و ان هذا القول لم يضرّ بالمذهب اذ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد به السمع و قد ورد السمع بالبدء على ما بينا و الذي اعتمدناه في معنى البدء أنّه الظهور على ما قدّمت القول في معناه فهو خاصّ فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه يبعد في النظر [الظن] دون المعتاد اذ لو كان في كلّ واقع من افعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفاً بالبدء في كلّ افعاله و ذلك باطلٌ بالاتفاق ... انتهى كلامه رفع مقامه .

و اما من المتأخّرين مثل كلام بعض المحقّقين^(١) كما نقل عنه حيث قال: تحقيق القول في البدء، انّ الامور كلّها عامّتها وخاصّتها و مطلقها ومقيدها و ناسخها و منسوخها و مفرداتها و مركباتها و اخباراتها و انشاءاتها بحيث لا يشذّ عنها شيءٌ منتقشة في اللوح و الفائض منه على الملائكة و النفوس العلوية و النفوس السفلية قد يكون الامر العامّ المطلق او المنسوخ حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت و يتأخّر المبيّن الى وقت تقتضي الحكمة فيضانه فيه، و هذه النفوس العلوية و ما

١ - نقل ذلك عنه العلامة المجلسي «ره» في مرآة العقول، (ج ٢، ص ١٣٠) و ايضاً نقل ذلك بعينه في البحار (ج ٤، ص ١٢٩) و المراد منه الميرزا رفيعاً قال: ذلك في شرحه على الكافي.

يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو والاثبات، و البدء عبارة عن هذا التغيير في ذلك الكتاب انتهى كلامه.

ونحن نكتفي من نقل كلماتهم بما ذكرناه خوفاً من الاطالة مع أنه فيه غنى و كفاية و لو شئت الظفر على الزائد ما نقلناه ترجع الى مرآة العقول و البحار قد نقل بعضها العلامة المجلسي «ره» فيها في شرح اخبار البدء و نقل صاحب هاشم البحار بعضها الآخر في ذيل الصحيفة و المجلسي «ره» قد بالغ عليهم في الرد، و قال: ان الوجوه التي اوردناها بعضها بمعزل عن معنى البدء وبينها كما بين الارض و السماء، ثم قال: و لنذكر ما ظهر لنا من الآيات و الاخبار بحيث تدل عليه النصوص الصريحة و لا تأبى عنه العقول الصحيحة، فنقول: و بالله التوفيق، و اطال الكلام في المقام من غير ايصال حق المرام، و عدم مطابقتها لعدة من اخبار الباب و سنشير الى بعض ما في كلامه عند تقسيم الاخبار.

اقول: لابد لتحقيق المرام من تقديم خمس مقدمات، المقدمة الاولى، في الاشارة الى مضامين بعض اخبار الباب، و هي العدة، فنقول، و من الله الاستعانة أنها مختلفة و كانت على طوائف سبعة.

الطائفة الاولى في عظمة البدء و عد فيها الاعتقاد به مقارنة للاعتقاد بالوحدانية و خلع الانداد اعني عده من جملة الاعتقاديّات في التوحيد. منها ما في الكافي بسنده الحسن عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال الاقرار له بالعبودية و خلع الانداد و ان الله يقدم ما يشاء و يؤخر ما

يشاء^(١) ومنها (ح ١) بسنده الصحيح من هذا الباب ومنها فيه (ح ١٣) و في البحار بسند آخر نقل الحديث الاخير في هذا الباب^(٢) و في بعض الاخبار عد البداء مقارناً لضروريات الدين مثل ما في الكافي بسنده الحسن عن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا - عليه السلام - يقول ما بعث الله نبياً قط الا بتحریم الخمر وان يقرّ لله بالبداء^(٣)

الطائفة الثانية ما دلّت على ان لله تعالى علمين احدهما موقوفٌ وهو ممّا لا يمضيه والاخر نبذه الى الملائكة والرسل والمعصومين وهو ممّا يمضيه. منها ما في الكافي بسنده عن الفضيل بن يسار قال: سمعت ابا جعفر - عليه السلام - يقول العلم علّمان فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه احداً من خلقه و علم علّمه ملائكته و رسله فاعلمه ملائكته و رسله فانه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله و علم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء و يؤخر منه ما يشاء و يثبت ما يشاء^(٤).

ومنها (ح ٨) من هذا الباب.

ومنها ما في البحار ب ٣، ح ٢ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ من هذا الباب، ج ٤.

ومنها عدة من أخبار الباب السابق عليه بتعابير مختلفة فراجع.

ومنها في الكافي هو بعض اخبار باب ان الائمة - عليهم السلام - يعلمون جميع العلوم التي خرجت الى الملائكة والانبياء والرسل - صلوات الله

١- ج ١، باب البداء، ح ٣، ص ١٤٧ ٢- البحار ج ٤، ح ٢٣، ص ١٠٨

٣- ج ١، ح ١٥، ب البداء، ص ١٤٨ ٤- ج ١، ح ٦، باب البداء، ص ١٤٧

عليهم - (ص ٢٥٥)،

الطائفة الثالثة ما دلت على أن ما هو الموقوف مخزون عنده ولا يطلع عليه أحداً.

منها ما في البحار عن تفسير العياشي عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر - عليه السلام - يقول من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء لم يطلع على ذلك أحداً، يعني الموقوفة، فأمّا ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه ولا نبيّه ولا ملائكته^(١).

ومنها، ح ٥٦ و ١٤ و ٥٧ من هذا الباب ومنها ما في الكافي، ح ٧، من هذا الباب، ص ١٤٧، ولعلّ هذه الطائفة مساوقة للسابقة من جهة كما لا يخفى.

الطائفة الرابعة ما دلت على أن بعض ما نبذه إلى الأنبياء والرسل قد حصل فيه البداء فعلى هذا أن هذه الطائفة من الأخبار بحسب الظاهر تعاندت لسابقتها لأنها قد دلت على أنهم مطلعون على الأمور الموقوفة أيضاً.

منها ما في البحار عن قصص الأنبياء بسنده عن هشام بن سالم قال: سأل عبد الأعلى مولى بني سام الصادق - عليه السلام - وأنا عنده حديث يرويه الناس فقال: وما هو قال: يروون أن الله عز وجل أوحى إلى

حزقيل النبي - صلوات الله عليه - ان اخبر فلان الملك اني متوفيك يوم كذا فاتي حزقيل الملك فاخبره بذلك قال: فدعا الله وهو على سريره حتى سقط ما بين الحائط والسرير فقال: يا رب اخرجني حتى يشب طفلي واقتضى امري فاوحى الله الى ذلك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ان ائت فلاناً وقل اني انسأت في عمره خمسة عشرة سنة فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : يا رب وعزتك انك تعلم اني لم اكدب كذبة قط فاوحى الله اليه انما انت عبدٌ مأمورٌ فابلغه^(١) وقد روي فيه هذه الرواية بادي اختلاف بسند آخر عن الرضا - عليه السلام - في ذيل الرواية الثانية من هذا الباب ومنها (ح ٦٧ و ٣١ و ٣٩ و ٤٠ و ٣٨ و ٦١ و ٦٩ و ٧٠ من هذا الباب) وكذا يمكن ان يستدل لما ذكرناه بالاخبار التي تكون مفادها انه لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون الى يوم القيمة. منها ما فيه عن تفسير العياشي عن زرارة عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: كان على بن الحسين - عليهما السلام - يقول: لولا آية في كتاب الله لحدثكم بما يكون الى يوم القيمة فقلت: آية آية قال: قول الله ﴿يُمِحوُ الله﴾ ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب^(٢) وذلك لانه لو لم يكن يخبرون عن الامور الموقوفة لما يجوز صدور هذا التعبير عنهم اعني (لولا آية). وكذا يمكن الاستدلال لما ذكرناه بالاخبار التي تكون مفادها ان لو حدثناكم اليوم بحديث وحدثناكم غداً بخلافه تقولوا صدق الله ورسوله.

منها ما فيه عن تفسير العياشي عن ابي حمزة الثمالي قال: قال ابو جعفر و
 ابو عبد الله - عليهما السلام - : يا ابا حمزة ان حدثناك بأمر أنه يجيء من
 هاهنا فجاء من هاهنا فان الله يصنع ما يشاء وان حدثناك اليوم بحديث
 وحدثناك غداً بخلافه ﴿فان الله يمحو ما يشاء ويثبت﴾^(١) ومنها ما في
 الكافي بسنده الصحيح عن ابي حمزة الثمالي، قال: سمعت ابا جعفر
 - عليه السلام - يقول يا ثابت ان الله تبارك وتعالى، قد كان وقت هذا
 الامر في السبعين فلما ان قتل الحسين - صلوات الله عليه - اشتد غضب
 الله تعالى على اهل الارض فاخره الى اربعين و مائة فحدثناكم فاذعتم
 الحديث فكشفتم قناع السّر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا و يمحو
 الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.^(٢)

الطائفة الخامسة ما دلت على ان الله تعالى كتاباً واحداً ولم يدع شيئاً كان
 او يكون الا كتبه فيه فاذا اراد الله ان يقدم شيئاً او يؤخره او ينقص عنه
 او يزيد امر الملك فحى ما شاء منه ثم اثبت الذي اراد منها في الكافي
 بسنده الحسن عن هشام بن سالم و حفص بن البختري وغيرهما عن ابي
 عبد الله - عليه السلام - قال: في هذه الآية ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾
 قال: فقال: و هل يمحي الا ما كان ثابتاً و هل يثبت الا ما لم يكن.^(٣)

١ - ج ٤، ح ٥٩، ص ١١٩ و منها ح ٨ من هذا الباب.

٢ - ج ١، ب كراهية التوقيت، ح ١، ص ٣٦٨، و ح ٥ من هذا الباب.

٣ - ب البداء، ح ٣، ج ١، ص ١٤٧

ومنها ما في البحار عن تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ان الله كتب كتاباً فيه ما كان وما هو كائن فوضعه بين يديه فما شاء منه قدّم وما شاء منه اخر وما شاء منه بما شاء منه اثبت وما شاء منه كان وما لم يشأ منه لم يكن^(١) ولكن يستفاد من رواية ابي بصير ان عند الله كتباً موقوفة يقدم منها ما يشاء ويؤخر غير ما أثبت فيه وهو غير قابل للتغيير وهي ما في البحار عن تفسير القمي بسنده عن ابي بصير عن ابي جعفر - عليه السلام - في قول الله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ قال: ان عند الله كتباً موقوتة (موقوفة) يقدم منها ما يشاء ويؤخر فاذا كان ليلة القدر انزل الله فيها كل شيء يكون الى ليلة مثلها وذلك قوله: ﴿لَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾، اذا انزل وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخره^(٢) ولكن لا يخفى ان ذلك كان بالنظر البدوي وبعد التأمل يظهر لك ان هذه الرواية مطلقة ومقتضي الجمع بينها وبين الروايات المتقدمة هو ثبوت اللوحين لله تعالى اللوح المحفوظ واللوح المحو والاثبات.

الطائفة السادسة ما دلت على ان الله تعالى علم قبلا بما يبدو له بعده منها في الكافي بسنده الصحيح عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ما بدا لله في شيء الا كان في علمه قبل ان يبدو

١ - ج ٤، باب البدء، ح ٥٧، ص ١١٩ ومنها، ح ٥٤ و ٥٥ و ٩، من هذا الباب.

٢ - ج ٤، باب البدء، ح ١٣، ص ١٠٢

له (١).

ومنها ما فيه بسنده الصحيح عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام - هل يكون اليوم شيئاً لم يكن في علم الله بالأمس قال: لا من قال: هذا فآخزاه الله قلت: رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة اليس في علم الله قال: بلى قبل أن يخلق الخلق (٢) ويستفاد مفاد ما ذكرنا من رواية ٦٥ من هذا الباب أيضاً وكذا من أخبار كثيرة من الباب السابق عليه أعني باب العلم وكيفيته وكذا من بعض أخبار الباب الأول من أبواب الصفات فراجع.

الطائفة السابعة ما وردت في عدم فراغ الله تعالى عن الأمر والتدبير منها ما في البحار عن أمالي الشيخ بسنده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام - في قول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾، فقال: كانوا يقولون قد فرغ من الأمر (٣)

ومنها ما فيه عن التوحيد بسنده عن إسحاق عمن سمعه عن أبي عبد الله عليه السلام - أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾، لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا قد فرغ من الأمر، فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم: ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما

١ - ج ١، باب البدء، ح ٩، ص ١٤٨.

٢ - ج ١، باب البدء، ح ١١، ص ١٤٨ و منها ح ١١، من هذا الباب و منها في البحار ح

٣٥ و ٦٣، ج ٤، من هذا الباب ٣ - ج ٤، ح ٣٥، باب البدء، ص ١١٣.

قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴿١﴾، ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

المقدمة الثانية في معنى البداء وقد مضى معناه اللغوي وهو غير مراد قطعاً للزوم الجهل على الله تعالى كما عرفت قال في المجمع: فأمّا اذا اضيفت هذه اللفظة الى الله تعالى فنه ما يجوز اطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز فاما ما يجوز من ذلك فهو ما افاد النسخ بعينه اعني الظهور بعد الخفاء، وعن ابن الاثير في النهاية في حديث الاقرع ونحوه بدأ للسهل ان يستلهم اي قضى بذلك وهو معنى البداء هي هنا لان القضاء سابق والبداء استصواب شيء، علم بعد ان لم يعلم، وذلك على الله عز وجل محال غير جائز انتهى، هذا.

اقول: قد تقدّم عن المفيد «ره» ان البداء معناه هو الظهور حقيقة استظهاراً عن بعض الآيات وغيره وموافقاً لبعض كلام اللغويين كما عرفت، وعلى فرض عدم التسليم، قد تقرر في محله ان الشرط في حمل الالفاظ على ما يتبادر منها المعاني هو خلوّ اللفظ عما يمنع عن الحمل اعني القرينة الداخلية او الخارجية والقرينة الخارجية اعني القرينة العقلية موجودة في المقام وهي لزوم سبق الجهل على الله تعالى فاللازم هو صرفه عما يتبادر فيه كما عرفت من كلمات الاصحاب رضوان الله عليهم واللغويين ولا يكون ذلك اقلّ من سائر الكلمات الواردة في لسان الآيات وغيرها

مثل الاستهزاء و المكر و نحوه فأنها تحمل على غير ما ظهر فيها للزوم اللهو و الخدعة و نحوها على الله المتعالى عنها فعلى هذا ان البدء بهذا المعنى كان خالياً عن الاشكال و لا يكون مورداً لافتراء المخالفين الذين تركوا اثمة الحق و اتبعوا الباطل بل له مصالح ملزمة التي لاجلها اثبت في الشرع و سيأتي الكلام فيها ان شاء الله تعالى.

المقدمة الثالثة في بيان حقيقة^(١) معنى العلم و هو من الكيفيات

١ - لا يخفى انّ الغرض ههنا من بيان حقيقة معنى العلم كان من جهة تعلقه بالمعلوم لان جهة بيان حقيقة ذاته اذ حقيقته من هذه الجهة عبارة عن وجود الصورة في النفس على طبق ذي الصورة و ذلك هل يكون من مقولة الكيف او من مقولة الفعل او من مقولة الانفعال او من مقولة الاضافة، ففيه اقوال، و لا يخفى ان هذا التعريف غير مطرد لعلم الباري تعالى و هذه الاقوال لاتلائم اغلبها له و كيف كان انّ الغرض في المقام هو بيان طريق تحقيقه بالنسبة الى المعلوم لان الجهات الاخرى الثابتة له، فعلى هذا، من المعلوم ليس الغرض من التعلق هو الاضافة اعني أنه عبارة عن كيفية ذات اضافة، حتى يرد اشكالات صدر المتألهين «ره» على هذا المذهب، كما في الاسفار (ج ٣، ص ٢٩) مع ان اشكالاته في علم الباري تعالى بناء على هذا المذهب ايضاً غير واردة، و بمن ظفرنا على موافقته لنا في بيان تلك الجهة، في اطراف بحث العلم، هو المحقق الطوسي «ره» في تجريد (المسئلة الثانية عشر، ص ١٣٨) و قال: و لا يعقل الا مضافاً و اوضحه العلامة الحلي «ره» في شرحه و قال: ما لفظه، اعلم ان العلم و ان كان من الكيفيات الحقيقة القائمة بالنفس، فإنه لا يعقل الا مضافاً الى الغير،

→ فان العلم علم بالشيء، و لا يعقل تجرده عن الاضافة حتى ان بعضهم توهم أنه نفس الاضافة المحاصلة بين العالم و المعلوم، و لم يثبت امراً حقيقياً مغايراً للضافة، انتهى موضع الحاجة.

و قال الفاضل القوشجي في شرحه (ص ٢٥٢) ما لفظه: يعني لا يتحقق العلم الا ان يكون هناك اضافة فتوهم بعضهم ان العلم نفس تلك الاضافة فورد عليهم الاشكال في علم الشيء بنفسه اذ لا يتصور هناك اضافة و ذهب آخرون الى أنه امر حقيقي يستلزم تلك الاضافة، انتهى موضع الحاجة.

و من الواضح ان له مباحث كثيرة طويلة ان شئت تطلب من مطائنها، و من الحرى ان نذكر ما اورد المحقق ميرداماد - قدس سره -، في قبساته على مقالة المحقق الطوسي «ره» في بيان حقيقة العلم التي مساوقة لما بيناه في المقام في حقيقة العلم ثم نعقبه بدفعه قال «ره» ما لفظه، و ميض، من ذايغات الشكوك ان فعل العبد ان علم الله تعالى وجوده و تعلق به القضاء الالهى فهو واجب و ان علم عدمه و لم يكن وجوده مقضياً فهو ممتنع فكيف يكون مقدوراً للعبد و كيف يكون العبد متمكناً من فعله، بالفتح، و تركه، قال امام المتشككين في المحصل: اشكال و ارد على الكل، و ان الجواب هو ان الله تعالى لا يسئل عما يفعل، فقال الناقد البارع خاتم المحصلين في نقده، لو كان ذلك مبطلاً لقدرة العبد و اختياره في فعله لكان ايضا مبطلاً لقدرة الرب، و اختياره، تعالى، في فعله، فانه كان في الازل عالماً بما سيفعله فيما لايزال ففعله فيما لايزال اما واجب و اما ممتنع و الجواب عنه ما قاله فيما مضى من ان العلم تابع للمعلوم و حيثن لا يكون

→ مقتضياً للوجوب و الامتناع في المعلوم، انتهى كلامه.

و نحن نقول، هذا الجواب سخيّف جداً و أنّما كان يكون له سبيل الى الصّحة لو كان علم الله سبحانه بما عدا ذاته علماً انفعالياً تعالى عن ذلك علواً كبيراً فمن المعلوم المستبين أنّه سبحانه يعلم كلّ شيءٍ علماً تامّاً فعليّاً من سبيل الاحاطة التامة بعلمه و اسبابه المضمّنة في علمه التام بنفس ذاته الاحدية الحقّة من كلّ جهة و ايضاً علمه سبحانه بكلّ شيءٍ هو عين ذاته الحقّة الواجبة و ذاته الواجبة علّة فاعلة لكلّ شيءٍ فكيف لا يكون علمه علّة و العلم تابع للمعلوم في وزان هيئة التطابق اذ المعلوم هو الاصل في باب وزان المطابقة لافي الوجود الآ في العلم الانفعالي كما قد حصله في شرح رسالة مسألة العلم، فاذن الجواب الحقّ، هو ان علمه تعالى و ان كان علّة مقتضية لوجوب الفعل لكنّه أنّما يقتضي وجوب فعل العبد المسبوق بقدرة العبد و اختياره لكونها من جملة علل الفعل و اسبابه و الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار بل يحقّقه فكما ذاته الحقّة سبحانه علّة فاعلة لوجود كلّ موجود و وجوبه و ليس ذلك يبطل توسط العلل و الشرايط و ربط الاسباب بالمسببات فكذلك الامر في علمه التامّ بكلّ شيءٍ الذي هو بعينه ذاته الفعّالة الواجبة، انتهى (القبس العاشر، ص ٤٧١) موضع الحاجة.

لا يخفى من أنّه لا بدّ من اطالة الكلام حتّى يتّضح الحقّ في الجواب، و رفع الاشكال بلا اشكال، فنقول: أنّك بصرت بان المحقّق «ره» قد اعترف اولاً بأن علم الانفعالي (اعني علم المستفاد من الامر الخارجى) له سبيل الى صحة هذا

→ القول و اما بالنسبة الى العلم الفعلي التام (اعني علم الباري تعالى) عدّ هذا الجواب سخيّاً، و بين سخافته بان علمه تعالى بما عدا ذاته غير انفعالي، اذ من الواضح أنّه يعلم كلّ شيء علماً تاماً فعليّاً من سبيل الاحاطة بعلمه و اسبابه بنفس ذاته مع كون ذلك العلم عين ذاته و ان ذاته علّة فاعلة لكلّ شيء فكيف لا يكون علمه علّة و اقرّر في آخر كلامه بان العلم تابع للمعلوم كان في وزان هيئة التطابق لا في الوجود، هذا ملخص مفاد كلامه، اقول: من المعلوم يظهر من جمع كليّاته بل من تصريحه أنّه «ره» معترف بان العلم الانفعالي لم يكن علّة في ايجاد المعلوم و لكن لما كان علم الباري تعالى فعليّاً ذاتياً، و ذاته فاعلة لكلّ، فعلمه كان علّة للايجاد، و مقتضية لوجوب الفعل، و لكن أنّه «ره» لم يبين وجه نظره في القسم الاول، و لعلّ محطّ نظره الى أنّه لما كان سبب حصول العلم الانفعالي هو ثبوت امر الخارج فبعد ثبوته قد تعلّق العلم به و من البديهي انّ العلم لم يؤثر في ذلك، بل ثبوته في الخارج صار سبباً لتعلّق العلم به، و ذلك بخلاف العلم الفعلي السابق، على الثبوت الامر في الخارج، و كيف كان، فبناءً على صحة مجموع مقالته لزم عليها محاذير التي لا يمكن دفعها.

اما اولاً انّ العلم لو كان علّة تامة لزم علمه تعالى بافعال نفسه و غيره كان علّة ازلاً فلا بدّ من ان يكون معلولاته كان ثابتاً في الازل، و هو خلاف البديهة. و ثانياً أنّه «ره» فرق بين العلم الانفعالي و العلم الذاتي و من الضروري لاتفرقة بين افراد العلم من هذه الجهة التي نحن بصدها كما أنّه مبرهن في المتن و سيأتي الاشارة اليه آنفاً ان شاء الله تعالى.

→ و ثالثاً أنّ العلم اذا كان علّة تامة لا يحتاج في افعال العباد الى اختيار العبد فيها و هو واضح.

و رابعاً اذا كان العلم علّة تامة لابدّ من صيرورة جميع الافعال سواء كان افعال الله او افعال عباد به مجبورة لاجل تمامية العلّة و واسطية اختيار العبد لا توجب اختياره كما ستعرف و من الواضح أنّه تعالى علّة تامة لايجاد افعاله اذا اراد و لكن لم يكن صرف علمه بل و قدرته علّة تامة بل ارادته الصادرة عن علمه و قدرته — (بمعنى افعال القدرة عن علم) هي علّة تامة لايجاد الاشياء نعم أنّه تعالى لو كان موجباً لكان علمه و قدرته صاراً سبباً للإيجاد و تعالى الله عن ذلك و لا تتوهم من هذا البيان أنّه تعالى ذات اجزاء و ان عليّته مركبة عنها بل أنّه بوحدته الحقّة الحقيقية كانت علّة لايجاد الممكنات في ظرف الارادة و الاختيار، و بالجملة ان صفات الذات كانت منشأ لصفات الافعال، و الايجاد كان من جملة صفات الافعال، و العلم و القدرة و نحوها كانت من الصفات الذاتية و صفات الافعال كانت آثاراً لصفات الذات، و أنّها حادثة كما هو مبرهن في محلّه، و من الضروري ان هذه المحاذير طارية على مقالته، مع أنّه «ره» لا يرضى بها قطعاً، و أمّا قوله «ره» و الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، قلنا أنّه تعالى اذا كان فاعلة لكلّ وجود الاشياء و وجوبها فالوجوب بالاختيار هو عين الاجبار لا الاختيار اذ لا منجاً للعبد الا الاختيار لفعله اذا علمه الله كذلك، و لا مفرّ من تركه، اذا علمه الله كذلك، نعم اذا كان العلم عبارة عن التعلّق كما قلنا لا العلّة التامة، صحّ ان يقال: ان علمه تعالى قد

→ تعلق بمختاراته و غير مضرّ باختياره.

ان قلت: فعلى هذا التقدير ايضا انّ العبد لا منجأ له الا العمل على طبق ما علمه الله تعالى، فعلاً أو تركاً، فظهر سلب الاختيار عنه على كلّ حال.

قلت: لما كان العبد في الواقع و نفس الامر يصدر عنه ذلك الفعل اختياراً أو يتركه كذلك و ذلك الواقع عند الله معلوم ازلاً فتعلق علمه تعالى بما هو محتوم الصدور أو الترك بالاختيار، لا يضّرّ باختياره و هو واضح حيث انّ المفروض كان فاعله الحقيقي للفعل هو العبد، غاية ذلك انّ العالم بجميع العوالم علمه و وقع متعلق لعلمه، و علمه غير مؤثّر في فعل العبد، و العالم به لم يكن فاعلاً له، فعلمه لا يضّرّ باختياره، و لذا على فرض المحال، لو لم يعلم الله تعالى بما يصدر عنه ليصدر منه قطعاً فتعلق العلم بما يصدر عنه او يتركه غير مغير لهويته الواقعيّة فعلاً أو تركاً بشهادة الوجدان، و لذا لو علم جميع اهل العالم بطلوع الشمس في يوم الغد من المشرق لم يؤثّر علمهم في طلوعه كذلك في الغد بالبداهة و كذا لو علم جميعهم بان الشمس فيه لم يطلع من المغرب لم يؤثّر علمهم في عدم طلوعها منه و ليت شعري ما اراد بقوله «ره» أنّه تعالى علّة تامّة و فاعلة للكلّ و العبد قد صدر عنه الفعل اختياراً و كيف جمع من هذين الجملتين، اذ كونه علّة تامّة كذلك مناف لكون صدور الفعل عن العبد اختياراً، و نحن نقول: ان جواب المحقّق الطوسي - قدّس سرّه - صحيح جداً بل الجواب منحصر به، كما تقدّم منا في المتن و بضميمة ما ذكرناه فيه و هي هنا فقد تبين حقيقة المحال و عليك بالمراجعة و الدقّة في مطلق ما ذكرناه حتّى يثبت لك بداهة صحة الجواب و في

→ خاتمة الكلام فلا بدّ لازدياد ايضاح ما سبق من بيان تفسير بعض المواضع من كلماتنا او التنبيه على بعض المطالب الاخرى منها، ان علمنا بحدوث بعض الامور قطعاً في الآتية مع أنّه غير مستفاد من الامر الخارج و أنّه فعلى كعلمنا بوقوع الساعة و علمنا بظهور المهدي الموعود - صلوات الله عليه - ونحوها - فانه ليس علّة لحدوث احد هذه الامور الآتية كما هو واضح، و منها أنّه ليس الغرض من أنّ العلم كان من الامور التعلقية أنّه صرف اضافة، اما اضافة خارجية، و اما اضافة وهمية، او فرضية، حتّى يرد عليه بعض الاشكالات كما اشرنا اليه في المتن؛ و بعبارة واضحة أنّه لا يعقل تصور حقيقة العلم الآ في وعاء التعلق اعني ان العلم عبارة عن التعلق بالمعلوم ليس الآ بل الغرض أنّ العلم حقيقة يحتاج الى الطرف و ذلك اما امر قديم او امر حادث او امر سيحدث او امر ممتنع و ذلك المعنى قد كان ثابتاً في حاقّ نفسه و ذلك بخلافه في القدرة فانه لم يلحظ في مفهومه طرف اصلاً بل القدرة في حدّ نفسه متحقّق للشيء و لو لم يكن له فرض مقدور اصلاً و لكن العلم لم يتحقّق مفهومه في نفس الامر الا اذا فرض له وجود المتعلق و ذلك الامر لا يحتاج الى اقامة برهان بل نفس تصور القدرة و العلم يلجأنا الى ذلك المعنى.

و منها انّ العلم لم يكن له قدرة فعل و لم يمكن منه صدور الفعل و لم يقع منشأ للافعال اصلاً بل منشأ صدور الفعل هو القدرة لا غير و دليله بالدقّة العقلية هو الوجدان -

و منها انّ العلم لو كان علّة لزم اجتماع علل متعددة على معلول واحد شخصي

→ لو علم هذا المعلوم افراد متعددة بالعلم الفعلي و هو محال.
و منها أنه مادة الاشكال في المقام ناشئة من أنه تعالى لما كان علمه مطابقا
للواقع في جميع الموارد و تعلق علمه بافعال العباد فالافعال المتعلقة لعلمه، لابد
من وقوعه في الخارج، خيراً كان او شراً، و يحسم هذه المادة بان صدور افعال
العباد صارت مورداً لتعلق علمه بها لان علمه بها صار سبباً لصدور الافعال
منها بالبدهة و لذا لو لم يكن الافعال صادرة عنهم في طيلة الازمنة مطلقاً فلم
يتعلق علمه بها لاجل السالبة بانتفاء الموضوع و ذلك آية ان علمه تعالى لم
يكن علّة فاعلة لافعال العباد و لو عن اختيار بل أنها متعلّقة لعلمه و الا لو كان
علمه علّة و مقتضية لوجوب الفعل كما قال المحقق «ره»: فصدور الافعال لازمة
منها سواء كان بواسطة اختيارهم او عدمها اعني توسط الاختيار منهم غير
مفيد للزوم صدور الافعال عنهم و بعبارة اخرى أنهم مجبورون في افعالهم و
يحمل الكلام ان علمه تعالى غير مؤثر في افعال العباد بل قدرته مستقلة ايضا
غير مؤثرة فيها بل صدور الافعال من العباد منوطة باختيارهم الحقيقي الثابت
لهم و هو الحق في الجواب كما قررنا ذلك مراراً في مباحثنا و بعبارة موجز و
مفيد ان علمه تعالى بالمختارات سواء كان مختاراته تعالى في ملكه و سواء كان
مختارات الناس في افعالهم لا يصير المختارات عن الاختيار الى الاجبار بل لو
كان بعض افعال الصادرة عنهم بنحو الاجبار لا يخرج تعلق العلم بها عن
هويتها و ذلك واضح اذ لو تغيرها عن هويتها يخرج العلم عن حقيقته اذ وزانها
هو التطابق و لو صار الافعال من ناحية التعلق مغيرة عما هو عليها صار

النفسانية وقيل أنه لا يحدّ لظهورها، ولأن غير العلم يعلم بالعلم، فلو علم العلم بغيره، لزم الدور وقد يقال يحدّ وقيل في حدّه أنه اعتقاد يقتضي السكون وكيف كان أن الصحيح في تعريفه باللازم عبارة عن عدم الحجاب والسترة بين المعلوم والعالم، وأنه كان من الامور التعلّقيّة الصّرفة، ولذا لم يعقل منه التأثير في المعلوم، بيان ذلك أن التعلّق كان فرع وجود المتعلّق فإدام لم يفرض المعلوم بنحو من الانحاء لم يعقل تعلّق العلم به فوجود العلم متفرّع للمعلوم فلا يعقل تأثير الفرع على الاصل فلو تعلّق العلم مثلاً بحجر في مكان كذا و صار معلوماً لدي العالم لم يؤثّر العلم

→ خلاف الفرض ان قلت ان القضية معكوسة حيث ان تعلق العلم بافعال العباد يصير العباد مجبورين في افعالهم قلت: صرف النظر عما قدمناه في معنى العلم و أنّه هو من الامور التعلّقيّة و غير مؤثّرة في كيفية المعلوم مطلقاً. اما أولاً فعلمه تعالى بمختارات افعاله في ملكه لا يخرججه عن الاختيار اذ لو صار كذلك لحصل له العجز و هو باطل قطعاً.

و ثانياً ان ادّلة القطعيّة من العقلية و السمعيّة قائمة على انّ العباد كانوا مختارين في افعالهم فالقضيّة لم تكن معكوسة فبالنتيجة انّ العلم لم يكن علّة حتّى يحتاج الى ان يقال كما قال المحقّق «ره»: (أنما يقتضى وجوب فعل العبد المسبوق بقدرة العبد و اختياره لكونها من جملة علل الفعل و اسبابه) او يرجع المطلب الى ان يقال (ان الله تعالى و العبد كلاهما مشاركان في اتيان الافعال) بل العبد صرفاً مستقلّة في افعاله و لكن تعلّق علم الباري تعالى بها و لاضير و الله المستعان في جميع الاحوال.

في ذلك الحجر بنحو من الانحاء نعم بعد تعلّق العلم لو اعمل قدرته الى جانبه و حرّكه مثلاً صار متحركاً من جانب القدرة و ان كانت حركته متوقفةً على العلم بكونه في مكان كذا و بيان واضح من الضروري انّ العلم لا يكون مؤثراً في ايجاد الشيء بنحو العلة التامة و ان كان مؤثراً في ايجاد المعلوم بنحو جزء العلة هذا بالنسبة الى العلم بمعلومات افعال نفسه و اما بالنسبة الى معلومات غيره و ايجادها فبالبداهة أنّه غير مؤثر فيها لابنحو العلية التامة و لابنحو جزء العلة حيث ان حقيقته ليس الا الانكشاف و التعلّق و لم يكن في صميم ذاته و هويته الايجاد و التأثير في عمل الغير حتّى يصحّ ان يسند ايجاد فعل الغير الى العالم بها و هو واضح بل لا يعقل تعلقه بالحوادث الآتية مثل طلوع الشمس في الغد و مسئلة المعاد و نحو ذلك لو كان العلم علة تامة مطلقاً و ذلك لانّ الحوادث الآتية في حاقّ ذاتها متأخرة و المفروض انّ العلم علة تامة لها و لا يلزم العلية التامة مع تأخر معلولها و ذلك في حدّ نفسه محال حيث ما فرضته علة تامة فليست كذلك و لافرق بين اقسام العلم بالضرورة و ما ذكرناه كان آية اخرى لعدم تعقل العلم ان يصير علة تامة لافعال نفسه او غيره و بيان آخر ان العلم تابع^(١) للمعلوم و التابع متفرع على المتبوع و لا يعقل

١ - و ممن ظفرنا اخيراً على هذا التعبير في بحث العلم هو العلامة الحلي (ره) في نهج الحقّ و كشف الصدق على ما اضبطه العلامة الشيخ المظفر (ره) في دلائل الصدق، المجلد الاول في بحث الجبر في ابطال الكسب (ص ٥٢٢، فراجع).

تأثير الفرع على الأصل كما عرفت و من المعلوم أن التابع يطلق كثيراً ما على ما يكون متأخراً زماناً و مستفاداً من المتبوع و ليس هذا مراد قطعاً و الألف لم علم الباري تعالى بعلم نفسه أو بذاته أو بالمعلومات الحادثة متأخرة عنها و مستفاداً منها و أيضاً لا يجوز لنا العلم بالحوادث الآتية القطعية كالموت و أحوال المعاد و نحوها، و هو بديهي البطلان، و كذا لا يكون تقدم المعلوم، من قبيل تقدم الرتبة، كتقدم العلة على المعلول إذ تقدم الرتبة و كذا التأخر و ان لم يكن أمراً خارجياً، و لكن كان وجوده من جهة ان ملاكه كامناً في ذات المتقدم و ذات المتأخر، كالعلة و المعلول، اعني ترشح وجود المعلول من وجود العلة ثابتاً في الخارج من هذه الجهة و لذا لو لم يكن ملاكه في البين كعدم العلة و عدم المعلول لم يحكم به تقدم عدمها عليه و كذا تأخره عنها و ان كانا متساويين في المرتبة و ذلك لأن ملاكه لم يكن موجوداً في المقام بل المراد من التبعية أن الأصل في الموازنة هو المعلوم و أن العلم و المعلوم متطابقين بحيث لو تصوّرهما العقل لحكم باصالة المعلوم في ماهية التطابق فيجوز تقدم العلم زماناً على المعلوم أو تقارنهما و التبعية بهذا المعنى كافٍ للمانعية اعني منع تأثير العلم في المعلوم كما لا يخفى، و بما ذكرنا قد سهل الجواب عن بعض الاشكالات الواردة في مسألة الجبر، و تمام الكلام في محله و ممن اطنب الكلام في مسألة الجبر و الرد على من استهل لجبر العباد بأن الله تعالى عالم بافعال العباد بكافة خصوصياتها و من الطبيعي أنه لابد من وقوعها منهم كذلك و إلا لكان علمه تعالى جهلاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً هو السيد المحقق الخوني

- قدّس سرّه - في تقريرات^(١) بحثه ما لفظه ولكن كلا التفسيرين خاطئ جداً.

أما الأول فلا يعقل كون العلم من حيث هو علّة تامّة لوجود معلومه بداهة ان واقع العلم وحقيقته هو انكشاف الاشياء على ما هي عليه لدى العالم و من الطبيعي ان الانكشاف لا يعقل ان يكون مؤثراً في المنكشف على ضوء مبدأ السنخية و المناسبة ضرورة انتفاء هذا المبدأ بينهما و اصف الى ذلك ان العلم الازلي لو كان علّة تامّة لافعال العباد فبطبيعة الحال ترتبط تلك الافعال به ذاتاً و تعاصره زماناً و هذا غير معقول انتهى موضع الحاجة.

المقدمة الرابعة في معنى القضاء و القدر و الفرق بينهما و الاشارة الى كون القدر على قسمين:

أما معنى القضاء أنّه قد يستعمل بمعنى الامر كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ اَنْ لَا تَعْبُدُوا اِلَّا اِيَّاهُ﴾^(٢) و بمعنى الخلق كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْتُمْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٣) و بمعنى الارادة كما في قوله تعالى: ﴿اِذَا قَضَىٰ امْرَأٌ فَاَمَّا يَقُولُ لَهٗ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، و قد يستعمل بمعنى آخر و يمكن ان ترجع الى معنى واحد كما قيل و هو الفصل او الحسم او الانجاز اما القدر فعناه تحديد الامور على وزن المصالح كما في قوله تعالى: ﴿اَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ

١ - محاضرات في اصول الفقه، ج ٢، ص ٧٣.

٢ - فصلت، ١٢

٢ - بني اسرائيل، ٢٣

٤ - آل عمران، ٤٧

بقدر^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾^(٢) وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾^(٣)، وفي قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ﴾^(٤) ودلّ على ما ذكرناه ما ورد في الكافي بسنده عن علي بن إبراهيم الهاشمي قال سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر - عليها السلام - يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى قلت: ما معنى شاء قال: ابتداء الفعل قلت: ما معنى قدر قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه قلت: ما معنى قضى قال: إذا قضى أمضاء فذلك الذي لا مردّ لها^(٥) أما الفرق بينهما أنّ القدر أعمّ والقضاء أخصّ كما قيل لأن تدبير الأوليات قدرٌ وسوق تلك الأقدار بمقاديرها وهيئاتها إلى مقتضياتها هو القضاء فعلى هذا أنّ التقدير واقع على القضاء والقضاء واقع على مقتضاه بل بمعنى إيقاع مقتضاه في الخارج وبعبارة أخرى أنّ القدر عبارة عن التدبير والتصميم والقضاء عبارة عن الحكم والتنفيذ بمعنى الخلق فالنسبة بينهما هو المباينة بل مرتبة القضاء متأخرة عن القدر كما هو مفاد بعض أخبار الباب وكيف كان أنّ التقدير يمكن أن يتصور على قسمين

أحدهما المعلّي وهو الذي يرى وزان المصلحة فيه على شرط أو قيد.

٢- المرسلات، ٢٣

١- القمر، ٤٩

٤- القدر، ١

٣- فصلت، ١٠

٥- ج ١، ح ١، ص ١٥٠، ب المشيئة

ثانيهما الحتمي وهو الذي لم ير وزان المصلحة فيه على شرط او قيد مطلقاً وعبارة واضحة قد يرى المصلحة في طول عمر شخص بصدور فعل من الافعال من الدعاء او الصدقة او صلة الرحم كما يستفاد ذلك من اخبارها^(١) ونحوها عن ذلك الشخص نفسه او عن الغير لذلك الشخص

١ - اما الاخبار في الدعاء فنما في الكافي بسنده الصحيح عن عمر بن يزيد قال: سمعت ابا الحسن - عليه السلام - يقول ان الدعاء يرد ما قد قدر وما لم يقدر قلت، وما قد قدر عرفته فالم يقدر، قال: حتى لا يكون (ح ٢)

ومنها فيه بسنده الصحيح عن ابي همام اسماعيل بن همام عن الرضا - عليه السلام - قال: قال علي بن الحسين - عليها السلام - : ان الدعاء والبلاء ليرافقان الى يوم القيامة ان الدعاء ليرد البلاء وقد ابرأ ابراماً (ح ٤)

ومنها فيه بسنده الحسن عن زرارة عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: قال لي: الا ادلك على شيئي لم يستثن (اي لم يقل ان شاء الله) فيه رسول الله قلت: بلى، قال: الدعاء يرد القضاء وقد ابرم ابراماً، وضم اصابعه، (ح ٦)

ومنها فيه بسنده الصحيح عن ابي ولاد قال: قال ابو الحسن موسى - عليه السلام - : عليكم بالدعاء فان الدعاء لله والطلب الى الله يرد البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق الا امضاؤه فاذا دعى الله عز وجل وسئل صرف البلاء

صرفه (ح ٨، باب ان الدعاء يرد البلاء والقضاء، ج ٢، ص ٤٧٠ وغير ذلك) واما الاخبار في الصدقة فنما فيه بسنده الحسن عن مسمع ابن عبد الملك عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: من تصدق بصدقة حين يصبح اذهب الله عنه

نحو ذلك اليوم (ح ٨)

→ و منها فيه بسنده عن سليمان بن عمرو النخعي قال: سمعت أبا عبد الله - عليه السلام - يقول: قال رسول الله: بَكَّرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا (ح ٥، ب أن الصدقة تدفع البلاء، ج ٤، ص ٦).

و منها فيه بسنده الموثق عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: أن الصدقة تقضي الدين وتخلف البركة (ح ١)

و منها فيه بسنده عن السكوني عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله: تصدَّقُوا فإن الصدقة تزيد في المال كثرة و تصدَّقُوا رحكم الله (ح ٢، ب في أن الصدقة تزيد في المال، ج ٤، ص ٩ وغير ذلك)

و أمَّا الأخبار في صلة الرحم فمنها فيه بسنده الصحيح عن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا - عليه السلام - قال: قال أبو عبد الله - عليه السلام -: صل رحمك و لو بشرية من ماء و أفضل ما توصل به الرحم كفَّ الَّذِي عنها و صلة الرحم منسأة في الأجل محبة في الأهل (ح ٩)

و منها فيه بسنده المعتبر عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله - عليه السلام -: ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلَّا صلة الرحم حتَّى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً و ثلاثين سنة و يكون أجله ثلاثاً و ثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة و يجعل أجله إلى ثلاث سنين (ح ١٧)

و منها فيه بسنده الصحيح عن عبد الصمد بن بشر قال: قال أبو عبد الله - عليه السلام -: صلة الرَّحِمِ تهون الحساب يوم القيامة و هي منسأة في العمر و

الغير لذلك الشخص او عن كليهما وهكذا في نقص عمره قد يكون مشروطاً به صدور بعض الشرور عنه او عن غيره او عن كليهما وبالجملة ان حسن العمل مطلقاً^(١) و سوءه كذلك قد يكون دخيلة اثباتاً و نفيّاً في المقدرات و قد لا يرى المصلحة في ذلك بل يقدر من غير شرط و قيد مطلقاً فالتقدير اذا كان بمعنى الثاني فيقع مورداً للقضاء المبرم الممضي فلا يتغير و اذا كان بمعنى الاول فيكون موقوفة و منتظرة الى اتمام شرائطها و قيودها و متى حصلت و تمت صار مبرماً و ممضي اعني محتوماً و لا يتغير و الا باق على صرف التقدير و يستفاد هذا التقسيم في التقديرات عن

→ تقي مسارح السؤ و صدقة الليل تطفى غضب الرب (ح ٣٢، ب صلة الرحم، ج ٢، ص ١٥٠)

و اما الاخبار في البرّ بالوالدين فمنها فيه بسنده عن محمد بن مروان قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : ما يمنع الرجل منكم ان يبرّ والديه حيّين و ميّتين يصليّ عنها و يتصدّق عنها و يحجّ عنها و يصوم عنها فيكون الذي صنع لها و له مثل ذلك فيزيده الله عزّ وجلّ ببرّه و صلته خيراً كثيراً (ج ٢، ب البر بالوالدين، ح ٧، ص ١٥٩ و غير ذلك)

١ - كما دلّ على ذلك صريحاً ما رواه في الكافي بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: انّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى اجل قريب او الى وقت بطئ فيذنّب العبد ذنباً فيقول الله تبارك و تعالي للملك لا تنقض حاجته و احرمه ايّاه فانّه تعرّض لسخطي و استوجب الحرمان منّي (ب الذنوب، ج ٢، ح ١٤، ص ٢٧١).

بمجموع الأخبار السالفة في الآجال ومن أخبار هذا الباب مما تقدّم منها و
مما سيأتي فتدبر فيها.

ان قلت: فعلى هذا ما الفرق بين العلم والتقدير وإن العلم كان أزلياً فلا بدّ
من ان يكون التقدير ايضاً أزلياً فما معنى بعض الآيات و الاخبار من ان
في ليلة القدر قد قدر كلّها يحدث في السنة من الآجال و البلايا و الارزاق
ونحوها الى قابل.

قلت: إن العلم قد عرفت معناه في المقدّمة السابقة و أنّه من الصفات
الذاتية و التقدير عبارة عمّا وقع عليه قلم التقدير بما علم ازلاً به ضبطه في
اللوح المحفوظ او المحو و الاثبات كما عرفت من الطائفة الخامسة من اخبار
الباب فالتقدير كان من صفات الافعال و أمّا التقدير في ليلة القدر عبارة
عمّا كتبه الملائكة اذا تنزّل فيها الى السماء الدنيا ما كانت مربوطة بهذه
السنة كما هو مفاد بعض اخبار ليلة^(١) القدر كالحديث الأوّل و الثالث و
الثامن من باب احدى و ثلاثين من المجلد السابع من الوسائل كما هو مفاد
الحديث الثالث منه في باب تاليه فالتقدير في هذه الليلة كانت بالنسبة الى
السنة هو عبارة عن ابرازها لكتبه السماء و الامر باجرائها اذا كان ممّا
يمضي و الآ موقوفٌ عنده و فيه المشيئة فيقدّم ما يشاء و يؤخّر ما يشاء و
لا يخفى ان الله تعالى قد رأى المصلحة في التقدير بهذه المرتبة غايتها ازلاً

١ - و ان شئت الظفر بجميع اخبار الباب فراجع الباب الثالث من المجلد التاسع من
جامع الاحاديث في تعيين ليلة القدر و فضلها.

في هذه الليلة اعني من الشروط و القيود المعلقة عليها هو وصول هذه الليلة بل الدعاء و انواع الخيرات فيها يمكن ان يقع دخيلاً في تغيير التقديرات و موجبة لتجاوزها عن مرتبة الالتقاء ﴿يلتقى الجمعان﴾ الى مرتبة التفريق ﴿يفرق من كل امر حكيم﴾ و عنها الى مرتبة (الامضاء و الحتم) كما هو مفاد بعض اخبار الباب و بالجملة ان العلم عبارة عن الكشف التام و التطابق للمعلوم و هو وصف من الاوصاف و عين ذاته تعالى و التقدير عبارة عن ابراز هذا العلم بنحو الضبط في احد اللوحين او لكتبة السماء و هو من صفات الافعال، و القضاء عبارة عن تنفيذ القدر و تثبيته في الخارج.

اذا عرفت هذا كله.

فنقول: ان البداء عبارة عن تغيير التقدير عند عدم تحقق ما علق عليه او حدوث مانع عتياً قدر اذ البداء لا يقع في المقدرات المحتومة بل هو واقع في غير المحتومة و كما ان وقوع المقدرات المحتومة مرهونة لاقواتها و لم تكن المصلحة في وقوعها قبل وقتها و بعدها كذلك ان المقدرات المعلقة مرهونة لما علق عليها من القيود و الشرائط و عدم الموانع و لا تكون لها مصلحة الا بعد تمامية شروطها و قيودها مطلقاً و حصولها مورثة للانتقال الى مرتبة القضاء (و اذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء) كما صرح بذلك في الحديث السادس عشر في الكافي من باب البداء و لانعني بالبداء الآ ذلك. المقدمة الخامسة في بيان مصالح البداء بعد ما عرفت معناه انه مساوق للنسخ اعني كما ان النسخ في التشريعات عبارة عن بيان امد الحكم و هو

ظهور ما ليس بظاهر فالبدء في التكوينيات أيضاً عبارة عن ظهور ما ليس بظاهر للخلق لارجوع عما عليه ثابتاً سابقاً.

فنقول: أنه لا يبعد أن يكون له مصالح من جهات الأولى أن الناس لو اعتقدوا بأن ما يصل إليهم من المقدرات كانت ازليّة ولا يتغيّر أصلاً ولا يصير بحسب أفعالهم متبدّله قطّ لم يتقرّبوا إلى الله تعالى بوسيلة بعض الأعمال الصالحة بل توغّلوا في الظلم وما يوجب البعد عن الحقّ جلّ شأنه وذلك لأن قليلاً من الناس كانوا من أهل الآخرة صرفاً ولم يصدر عنهم حركة إلا لأجل الثواب والوصول إلى الدرجات العليا وكثيراً منهم كانوا عبيد الدنيا والعاملون لشراقة الدنيا وعزّتها والطالبون لصحّة أبدانهم وأهل بيتهم ونحوها ولو ظنّوا بأن بعض الأعمال الصالحة مضافاً إلى ثوابها مورثة لبعض ما ذكر لاستحكم دواعيهم لاتباعها مثلاً أن الغني إذا ظنّ بأن ترحم المساكين خصوصاً الأيتام كان ذلك سبباً لبقاء غنائه وهذا الترحم يصل أثره إلى أطفاله بعد موته لكان مسرعاً بهذا العمل وهكذا في صلة الرحم الموجبة لزيادة العمر والصدقة الباعثة لرفع البلاء والدعاء الذي يرد القضاء كما تدلّ عليه أخبار كثيرة^(١) وكذا في المقابل لو ظنّ بأن الظلم وقطع الرحم والجنايات مضافاً إلى عقابها مورثة لوصول النقم إليه وتغيّر النعم عنه لكان ذلك باعثاً لانتهائه عنها وبالجملة لو ظنّوا بأن مقدراتهم متغيّرة بواسطة أعمالهم لصاروا متقرّبين و

مطيعين لله تعالى ومنتبين عما يوجب غضبه و ذلك من اقوى مصالحه الثانية أنه يعلن ان الله تعالى، لا يفرغ عن الامر، و لا يكون عن ملكه منصرفاً بل كل يوم هو في شأن و يعلن أنه تعالى كان ثابتاً في الاختيارات في ملكه و باقياً على سلطنته في مختاراته.

الثالثة حصول التوجه و التوكل الى الله تعالى لعموم الناس في مجموع الامور من حيث المجموع و لم يكن احد تاركاً للدعاء اتكلاً على القضاء كما تدل عليه اخبار كثيرة^(١) و لذا من فوض اليهم علم ما كان و ما يكون الى يوم القيمة لم يخبروا عما يكون منها و قالوا لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون الى يوم القيمة كما عرفت عن الاخبار السابقة في ذيل الطائفة الرابعة.

الرابعة أنه قد يكون وسيلةً للامتحان بالنسبة الى بعض العباد كما في قصة ذبح اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلوة و السلام و نحوها و صرف النظر عن جميع ذلك لا ملجأ لنا الا الاعتراف بالبدء و الاعتقاد به لاجل بعض الآيات كما يستشهد بها اثمتنا - صلوات الله عليهم - و الاخبار المستفيضة منهم اذا عرفت هذا كله.

اقول: ان الله تبارك و تعالى قد يقدر بعض الامور بحسب الظاهر مطلقاً و اخبر عنها كذلك اعني غير مقيدة بشيئ و لكن قد يكون حصولها في الخارج بحسب الواقع مقيدة بشرط او قيد و قد تكون عدم حصولها

كذلك مقيدة بشرط او قيد و عند حصول الشرط او القيد في تلك
 صورتين قد تغير التقدير اعني ان ما كان مطلقاً بحسب الظاهر ظهر أنه
 كان مشروطاً ومقيداً في الواقع كما ظاهر من الاوامر المطلقة هو لزوم
 امتثال الأمور به والاتباع به في الخارج ولكن قد تحصل الغرض به تهيو
 العبد و صرف تحصيل مقدماته كما في الاوامر الامتحانية بل يمكن ان
 يقدر بعض الامور اثباتاً ونفيّاً بنحو الاطلاق بمعنى عدم كونها مقرونة
 بالحم و عدمه و لم يقيد حصولها في الخارج مطلقاً بحسب الواقع بقيد
 وجودى او عدمي ولكن قد يرى المصلحة ايضاً في عدم العمل على طبق
 ما قدر بل المصلحة في تقديرها هي اظهار عدم كونه تعالى فارغاً عن
 الامر و التدبير بل كل يوم هو في شأن و بعبارة اخرى عدم كونه فارغاً
 عن الامر و التدبير صار مصلحة للتغيير و بناءً على تقوية هذا الفرض
 ظهر ان مثل هذه الامور ايضاً كانت من غير الامور المحتومة و لم يصلح
 العمل على طبق ما قدر نفيّاً او اثباتاً في الخارج و لا يعني بالبداء الا ما
 ذكرناه و لم يلزم منه الجهل لله تعالى لانه قد عرفت من صريح اخبار
 الطائفة السادسة ان الله تعالى لم يبدوا عن جهل و لا مجال للتأمل مع
 صحة فرض الاخير كما هو كذلك ولكن لما كان خالياً عن الدليل لا يخلو
 عن تأمل و لكن لما كان صرف الاحتمال كافياً في المقام لم يحتاج لصحة
 فرض الاجر الى وجود الدليل وكيف كان فتلخص مما ذكرناه ان البداء
 كان ذات مصلحة و خالياً عن المفسدة فالاعتراف به كان بلا مانع بل
 يجب الاعتقاد به للدلة القطعية كما اسلفناها و لانه كان من تنمة اركان

التوحيد اعني الاعتقاد به من جملة توحيد الافعال لأنه لما استند الخلقة الاولى الى الله تعالى منحصرًا كذلك يستند اليه الحوادث و تغيرها و لذا قارنه في بعض اخبار الطائفة الاولى لمسئلة الاعتقادية كما عرفت و عظم الاعتقاد به في بعضها الآخر بل يمكن ان يقال لو لم يعتقد بالبدء بمعنى ما ذكرناه لزم تعطيل جل الامور و سدّ حلّ معنى عدّة كثيرة من طوائف الاخبار.

منها لغوية كثير من اخبار ابواب الدّعاء التي يتبيّن فيها الخصوصيات الدخيلة في الاجابة.

ومنها عدم صحة مفاد كثير من اخبار صلة الرحم والانفاق.
ومنها سدّ باب التوسل الى اهل البيت المعصومين - صلوات الله عليهم - .
ومنها سدّ باب النذورات ونحوها و لذا ورد في بعض اخبار^(١) الباب لو علم الناس ما في القول بالبدء من الاجر ما فقرأوا عن الكلام فيه.
ونختم الكلام حول البدء بما هو مستفاد من مضامين اخبار الباب زائداً على ما تقدّم و هو أنّه قد يعلّق المقدّرات في اخبار ليلة القدر بقوله: «و لله عزّ وجلّ»^(٢) فيه المشيّة و قد يعلّق بقوله - عليه السّلام - «و قد يكون له

١ - صدر الخبر في الكافي بسنده عن مالك الجهني قال سمعت ابا عبد الله (ص)

يقول لو علم الناس الى آخره. (ج ١، باب البدء، ح ١٢، ص ١٤٨)

٢ - في الكافي بسنده الحسن عن حمران أنّه سأله ابا جعفر - عليه السّلام - عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿انا انزلناه في ليلة مباركة﴾ قال: نعم - ليلة القدر - وهي في كلّ

→ سنة في شهر رمضان في العشر الاواخر فلم ينزل القرآن الآ في ليلة القدر قال الله عز وجل: ﴿فيها يفرق كل امر حكيم﴾، قال: يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة الى مثلها من قابل خير و شر و طاعة و معصية و مولود و اجل او رزق فما قدر في تلك السنة و قضى فهو المحتوم و لله عز وجل في المشية قال: قلت: ﴿ليلة القدر خير من الف شهر﴾ اي شيء عنى بذلك فقال: العمل الصالح فيها من الصلوة و الزكاة و انواع الخير خيراً من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر و لولا ما يضاعف الله تبارك و تعالى للمؤمنين ما بلغوا و لكن الله يضاعف لهم الحسنات [عَبَّأ] (ج ٤، ح ٦، ب في ليلة القدر، ص ١٥٧) و لا يخفى ان الحسنة ظاهرة في ان المحتوم يمكن ان يقع فيه البداء و ذلك ينافي ما في بعض الاخبار من ان البداء لا يكون في المحتوم كما سيأتي للتالي و يمكن الجواب عنه، بأنه يمكن البداء فيه ايضاً و لكن لم ينبذ مثل ذلك الى الملثكة و الرسل حتى يكذب نفسه و رسله و لابد من ان يعبر عن هذا المحتوم بأنه لم يكن من الامور التي علقت على شرط او قيد بل تقديره كان بنحو الارسال و لكن له المشية فيه كما مر الاشارة اليه في اثناء البحث و المجلسي «ره» قد نقل عن الاسترآبادي في مرآت العقول بأنه قال: و الظاهر، أنه سقط هنا شيء، و الاصل، و امر موقوف و لله عز وجل في المثبثة، انتهى.

و الله العالم، و منها فيه، بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم عن احدهما - عليه السلام - قال: سأله عن علامة ليلة القدر فقال: علامتها ان تطيب ريحها و ان كانت في برد دفت و ان كانت في حر بردت فطابت قال: و سئل عن ليلة

فيه البدء»^(١) وقد يعبر فيها بالابرام والامضاء ونحوها^(٢) ويستفيد من التعليق بالمشية ونحوها، ان المقدرات لا تكون حتمية، كما يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾، بل

→ القدر فقال: تنزل فيها الملائكة والكتب الى السماء الدنيا فتكتبون ما يكون في امر السنة وما يصيب العباد و امره عنده موقوف له وفيه المشية فيقدم منه ما يشاء و يؤخر منه ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده ام الكتاب (ج ٤، ح ٣، ب في ليلة القدر، ص ١٥٧)

١ - منها فيه بسنده عن اسحاق بن عمار قال: سمعته يقول وناس يسألونه يقولون الارزاق تنقسم ليلة النصف من شعبان قال: فقال: لا والله ما ذلك الا في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان واحدى وعشرين وثلث وعشرين فان في ليلة تسع عشرة يلتقي الجمعان وفي ليلة احدى وعشرين يفرق كل امر حكيم وفي ليلة ثلاث وعشرين يمضي ما اراد الله عز وجل من ذلك وهي ليلة القدر التي قال الله عز وجل: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال: قلت: ما معنى قوله: ﴿يلتقي الجمعان﴾ قال يجمع الله فيها ما اراد [من] تقديمه وتأخيريه و ارادته وقضائه قال: قلت: فما معنى يمضيه في ثلاث وعشرين قال: أنه يفرقه في ليلة احدى وعشرين [امضاؤه] و يكون له فيه البدء فاذا كانت ليلة ثلاث وعشرين امضاء فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه تبارك وتعالى (ج ٤، ح ٨، ص ١٥٨)

٢ - منها فيه بسنده الموثق عن زرارة قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : التقدير في ليلة تسع عشر والابرام في ليلة احدى وعشرين والامضاء في ليلة ثلاث وعشرين. (ج ٤، ح ٩، ب في ليلة القدر، ص ١٥٩).

تكون العالم باجمعه تحت سلطانه، وقدرته حدوثا وبقاءً، وان مشيئة تعالى نافذة في جميع الاشياء، وانها بشتى اركانها وهيئاتها والوانها باعمال قدرته المطلقة، واختياره التامة، وان ذلك هو مفاد المشيئة و البداء، والمحو والاثبات، ولما عرفت سابقاً مصلحة البداء، ظهر لك، ان البداء بهذا المعنى، وأنه لا يكون في القضاء المحتوم، مضافاً الى أنه لا محذور فيه، لزم الاعتقاد به، لاجل وجود الأدلة ومع الغض عنه لزم اختلال النظام حيث ان الناس، حينئذٍ يكتفون في مطلق الامورات بالمقدرات، ويتكثون بانها، حتمية فلا تكون لهم حركة ولا سعى، في شئ من الامورات الدنيوية، فحصل اختلال النظام، بل في الامور الاخروية، فلا بد من القول بالبداء، وان بعض الامورات قد يكون معلقاً بالمشيئة، وان تحققها قد تكون منوطة بالجذية، او باقدام بعض الامور البرية، او بترك بعض اعمال المنهية، ونحو ذلك ولما لم يتضح للناس الامور المعلقة، عن غيرها، ولم يعرف ان ايها محتومة او معلقة، فوجب العقل بان يجذ الانسان في سعى جميع الامور، والاقدام بالامور البرية بل ترك الامورات المنهية حتى يصل الى مقاصده، ومن اجاد الكلام في المقام هو المحقق الخوئي - قدس سره - في تقريرات بحثه في اصول الفقه^(١) وفي البيان^(٢) في تفسير القرآن وهو مؤلفه «ره»، فراجعهما،

فذلك، لا بأس من بيان تطبيق ما يستفاد اجمالاً من مضامين طوائف السبعة من الاخبار المذكورة في صدر الكلام لما تحققناه آنفاً في مسألة البداء وهو ان العلم بالامورات كان على نوعين احدهما محتوم و جائية. و ثانيهما موقوف و لا ينبذ الموقوف منها الى المثلثة و الانبياء من حيث الحتم و عدمه و لم يدع شيئاً مما كان و ما يكون، الا انه مكتوباً، و لو اراد ان يقدم منها او يؤخر، يحى عنه او اثبت فيه، و ان الله تعالى، علم بما يبدو

→ كلامه مجال، و هي أنه «ره» قد قسم نصوص الباب على ثلاثة انواع و لكن لا يخفى أنها لاتزيد، على طائفتين، و ذلك لان اخبار طائفة الاولى هي نفس اخبار طائفة الثانية، لان قوله - عليه السلام - (في الطائفة الاولى) (علماً مخزوناً مكتوناً لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء) هو عبارة اخرى، عن قوله - عليه السلام - (في الطائفة الثانية) (و علم عنده مخزون لم يطلع عليه احداً من خلقه يقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء.....) و عن قوله - عليه السلام - (و من الامور، امور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء و يحوم ما يشاء و يثبت ما يشاء لم يطلع على ذلك احداً يعنى الموقوفة) اعني ما كان فيه البداء، لم يطلع عليه احداً، و لذا قال في الطائفة الاولى (من ذلك يكون البداء) كما قال في الطائفة الثانية (لم يطلع عليه احداً من خلقه يقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء) نعم قد وقع التنافي بين هذه الاخبار و ما دلّت على انباز علم ما كان فيه البداء الى غيره، و وسيأتي دفعه في المتن فانتظر.

و قد تعرض ايضاً لهذه المسئلة السيد الحكيم فيما الحق بدلائل الصدق تحت عنوان (عقيدة البداء، ج ١، ص ٧٤٥).

قبل ان يبدو، ولم يكن فارغاً من الامر، و التدبير، بل يداه مبسوطتان،
 ينفق كيف يشاء و يحو الله ما يشاء، و يثبت، و عنده ام الكتاب، و عدّ
 فيها التقديم و التأخير اعني البداء من جملة العقائد، و الاعتقاد به، مقارناً
 للتوحيد الذاتي و العبادي، بل هو كان من جملة اركان توحيد الافعال،
 هذا اجمال مفاد الاخبار و مع ضم باقي المقدمات، صارت النتيجة، ما
 ذكرناه فتأمل، فان المقام من مزالّ الاقدام.

في رفع التنافي بين الاخبار

بقي الكلام في الجمع بين الاخبار ورفع التنافي من بينها، ولا بدّ أولاً من تقديم مقدّمة، وهي أنّه لا يخفى، أنّ الطائفة الثانية والثالثة اللتان تدلّان، على ان لله تعالى علمين احدهما موقوف، وهو لا ينبذه الى المشككة والرّسل والمعصومين، وثانيهما مخزون عند الله ولا يطلّع عليه احد، ناظرتان الى الاخبار التي تدلّ على أنّ التقديرات كانت على قسمين، محتوم ومعلّق، كما عرفت عمّا ذكرناه في المقدّمة الرابعة، فالعلم الموقوف، عبارة عمّا تعلّق بالمقدّرات المعلّقة، وغير الموقوف عبارة عمّا تعلّق بالمقدّرات الحتميّة، ومن المعلوم أنّ العلم من حيث التعلّق كان على قسمين، ومن حيث الماهيّة كان قسماً واحداً، فعلى هذا لم يكن بين اللوحين اختلاف بل ما كان من المعلّقات التي تصير بواسطة بعض الاسباب مورداً للتغيير، مضبوطة، كما يرشدنا الى ذلك ما في البحار، عن تفسير العياشي عن عمار بن موسى عن ابي عبد الله - عليه السّلام - سئل، عن قوله الله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾، قال: ان ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يرد الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه الذي يرد به القضاء، حتّى اذا

صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً^(١).

إذا تمهد هذه فنقول: أن التنافي واقع في المقامين لأنه تارة يتصور وقوعه بين بعض طوائف أخبار هذا الباب وبعض الأخبار الأخر وتارة يتصور وقوعه بين بعض طوائف أخبار نفس الباب مع بعض الآخر منه.

أما المقام الأول فإن الأخبار التي قد وردت^(٢) في علم النبي - صلى الله

١ - باب البدء، ح ٦٥، ج ٤، ص ١٢١

٢ - أما أخبار ما كان وما يكون، منها في الكافي بسنده عن سيف التمار قال: كُتِبَ مع أبي عبد الله - عليه السلام - جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين فالتفتا يمينه ويسرة فلم نرا أحداً فقلنا ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب البنية ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتكما في أعلم منها ولا نبئتكما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر - عليهما السلام - أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقدور تناء من رسول الله ورائته، (ج ١، ح ١، ص ٢٦٠)

ومنها فيه بسنده عن الحارث بن المغيرة و عدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى و أبو عبيدة و عبد الله ابن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله - عليه السلام - يقول أني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض و أعلم ما في الجنة و أعلم ما في النار و أعلم ما كان و ما يكون قال: ثم مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عز وجل أن الله عز وجل يقول: ﴿فيه نبيان كل شيء﴾ (ج ١، ح ٢، ص ٢٦٢)

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر

عليه وآله وسلم - والائمة - عليهم السلام - على أنهم يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، منافية لطائفة الثانية والثالثة، من طوائف اخبار الباب اللتان تدلان على ان جميع العلوم لم ينبذها اليهم، و ايضا أنها منافية لسبعة طوائف أخرى من الاخبار.

الاولى ما دلت^(١) على أنهم يزادون في علمهم ليلة الجمعة؛

→ - عليه السلام - قال: سئل على - عليه السلام - عن علم النبي فقال: علم النبي علم جميع النبيين وعلم ما كان وعلم ما هو كائن الى قيام الساعة ثم قال: والذي نفسي بيده اني لاعلم علم النبي وعلم ما كان وعلم ما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة (ج ٢٦، ح ٦، ص ١١٠) وأما ما كان مفادها أنه لا يخفى عنهم شيء منها في الكافي بسنده الصحيح عن ضريس الكناسي قال: سمعت ابا جعفر يقول، و عنده اناس من اصحابه (الى ان قال) اترون ان الله تبارك وتعالى افترض طاعة اوليائه على عباده ثم يخفى عنهم اخبار السموات والارض و يقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم، الحديث (ح ٤، ص ٢٦١) و هو طويل فراجع

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن الفضل بن عمر عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال الله احكم و اكرم من ان يفرض طاعة عبد يحجب عنه خبر السماء صباحاً و مساءً (ج ٢٦، ح ٣، ص ١١٠) و غير ذلك من الاخبار الكثيرة نقلتها في الكافي والبحار.

١ - منها في الكافي بسنده عن ابي يحيى الصفاني عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال لي: يا ابا يحيى ان لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن، قال: قلت:

الثانية ما دلت^(١) على أنهم لولا يزداد لعلمهم - عليهم السّلام - لنفد ما

→ جعلت فداك و ما ذلك الشأن، قال: يؤذن لارواح الانبياء الموقى - عليه السّلام - و ارواح الاوصياء الموقى، و روح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يمرج بها الى السماء، حتّى توافي عرش ربّها، فتطوف اسبوعاً و تصلّى عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ الى الابدان التي كانت فيها، فتصبح الانبياء و الاوصياء قد ملؤوا سروراً، و يصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم و قد زيد في علمه مثل جمّ الغفير، (ج ١، ب انّ الاثمة عليهم السّلام يزدادون في ليلة الجمعة، ح ١، ص ٢٥٣).

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن الحسن بن عباس بن جريش عن ابي جعفر - عليه السّلام - قال: قال رسول الله: ان ارواحنا و ارواح النبيين توافي العرش كلّ ليلة جمعة، فتصبح الاوصياء و قد زيد في علمهم مثل جمّ الغفير من العلم، (ج ٢٦، ح ١١، ص ٩٠) و غير ذلك من الاخبار الكثيرة نقلها في الكافي و البحار.

١ - منها في الكافي بسنده الصحيح عن ذريح المحاربي قال: قال لي ابو عبد الله - عليه السّلام - : يا ذريح لولا انا نزداد لانفدنا، (ج ١، ح ٢، ص ٢٥٤) و قد روي في البحار هذه الرواية عن بصائر الدرجات به خمسة اسانيد مختلفة الا ان فيه (لولا انا نزداد لانفدنا) (ج ٢٦، ح ١٢، ص ٩٠)

و منها فيه بسنده الصحيح عن زرارة قال: سمعت ابا جعفر - عليه السّلام - يقول لولا انا نزداد لانفدنا قال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله، قال: اما أنّه اذا كان ذلك، عرض على رسول الله ثمّ الاثمة ثمّ انتهى الامر اليها (ج ١، ح ٣، ص

عندهم؛

الثالثة ما دلّت^(١) على أنهم يزددون يوماً فيوماً و ساعة بعد ساعة؛

→ (٢٥٥)

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا - عليه السلام - قال: قال ابو جعفر - عليه السلام - : لولا انا نزاد لنفد ما عندنا (ج ٢٦، ح ١٧، ص ٩١) و غير ذلك من الاخبار نقلها في الكافي و البحار.

١ - منها في الكافي بسنده عن المفضل بن عمر قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : ان سليمان ورث داود و ان محمداً ورث سليمان و انا ورثنا محمداً و ان عندنا علم التوراة و الانجيل و الزبور و تبيان ما في الالواح قال: قلت: ان هذا هو العلم قال: ليس هذا هو العلم ان العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم و ساعة بعد ساعة (ج ١، ح ٣، ص ٢٢٤)

و منها فيه بسنده الصحيح على الظاهر عن ضريس الكناسي قال: كنت عند ابي عبد الله - عليه السلام - و عنده ابو بصير قال ابو عبد الله - عليه السلام - : ان داود ورث علم الانبياء و ان سليمان ورث داود و ان محمداً ورث سليمان و انا ورثنا محمداً و ان عندنا صحف ابراهيم و الواح موسى فقال ابو بصير: ان هذا هو العلم فقال: يا ابا محمد ليس هذا هو العلم انما العلم ما يحدث بالليل و النهار يوماً بيوم و ساعة بساعة، (ج ١، ح ٤، ص ٢٢٥)

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن ابي بصير قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول انا لتزاد في الليل و النهار و لو لم نزد لنفد ما

الرابعة ما دلت^(١) على ازدياد علمهم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في

→ عندنا (ج ٢٦، ح ١٥، ص ٩١)

و منها فيه عنه بسنده عن بشر بن إبراهيم عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله - عليه السلام - إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فقال: ما عندي فيها شيء فقال الرجل: أنا لله و أنا إليه راجعون. هذا الإمام المفترض الطاعة، سألته مسألة فزعم أنه ليس عنده فيها شيء، فاصفي أبو عبد الله - عليه السلام - أذنه إلى الحائط كأن إنساناً يكلمه، فقال: أين السائل عن مسألة كذا وكذا، وكان الرجل قد جاوز أسكفة الباب، قال: ها أنا ذا، فقال: القول فيها هكذا، ثم التفت إلى فقال: لولا نزاد لنفدما عندنا (ج ٢٦، ح ١٦، ص ٩١) و قد ورد في بيان مفاد قوله، (فاصفي - عليه السلام - أذنه إلى الحائط)، أخبار كثيرة في باب جهات علومهم، ص ١٨ و ١٩ من تلك المجلد. و منها فيه عنه بسنده عن عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام -: إذا مضى الإمام يفضي من علمه في الليلة التي يفضي فيها إلى الإمام القائم من بعده مثل ما كان يعلم الماضي قال: و ما شاء الله من ذلك يورث كتاباً و لا يوكل إلى نفسه و يزاد في ليله و نهاره (ج ٢٦، ح ٢٨، ص ٩٤) و غير ذلك نقلها في الكافي و البحار.

١ - منها في جامع الأحاديث عن بصائر الدرجات بسنده عن ابن بكير عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: إن ليلة القدر يكتب ما يكون فيها في السنة إلى مثلها، من شر أو خير أو موت أو حياة أو مطر، و يكتب فيها وفد الحاج ثم يفضي ذلك إلى أهل الأرض، فقلت: إلى من من أهل الأرض فقال: إلى من

ليلة القدر: الخامسة، ما دلّت على عرض الاعمال؛^(١)

→ ترى (ج ٩، ب ٣، ح ١١٣، ص ٥٢).

و منها في البحار عن كنز الفوائد بسنده عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: سمعته يقول قال لي ابي محمد بن عليّ - عليهما السلام -: قرأ عليّ بن ابي طالب - عليه السلام -، انا انزلناه في ليلة القدر، و عنده الحسن و الحسين - عليهما السلام - فقال له الحسين - عليه السلام -: يا ابتاه كانّ بها من فيك حلاوة فقال له: يا بن رسول الله و ابني انّي اعلم فيها ما لم تعلم أنّها لما نزلت بعث الىّ جدك رسول الله فقرأها عليّ ثمّ ضرب على كتفي الايمن و قال: يا اخي و وصيّتي و والي امتي بعدي و حرب اعدائي الى يوم يبعثون هذه السورة لك من بعدي ولولدك من بعدك ان جبرئيل اخي من الملائكة حدّث الىّ احداث امتي في سنتها و أنّه ليحدّث ذلك اليك كاحداث النبوة و لها نور ساطع في قلبك و قلوب اوصيائك الى مطلع فجر القائم - عليه السلام - (ج ٢٥، ح ٦٥، ص ٧٠) و غير ذلك اخبار الكثيرة في جامع الاحاديث و البحار و في غيرها.

١ - منها في الكافي بسنده الحسن عن سماعة عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: سمعته يقول مالكم تسوون رسول الله فقال رجل: كيف نسوؤه فقال: امّا تعلمون انّ اعمالكم تعرّض عليه فاذا رأى فيها معصية ساء ذلك فلاتسووا رسول الله و سروه (ج ١، ب عرض الاعمال، ح ٣، ص ٢١٩)

و منها فيه بسنده الصحيح عن الوشاء، قال: سمعت الرضا - عليه السلام - يقول ان الاعمال تعرّض على رسول الله ابرارها و فجارها (ب عرض الاعمال، ج ١، ح ٦، ص ٢٢٠)

السادسة، ما دلّت على أنّ الأئمة^(١) ورثة العلم؛

→ و منها فيه بسنده عن عبد الله بن ابان الزيات و كان مكيّنا عند الرضا - عليه السلام - قال: قلت للرّضا - عليه السلام - : ادع الله لي و لاهل بيتي فقال: او لست افعل و الله ان اعمالكم لتمرّض علىّ في كلّ يوم و ليلة قال: فاستعظمت ذلك فقال لي: اما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون﴾ (التوبة، ١٠٦) قال: هو و الله على بن ابي طالب - عليه السلام - (ب عرض الاعمال، ج ١، ح ٤، ص ٢١٩) و غير ذلك فان هذه الاخبار، تدلّ على ان بعد عرض الاعمال عليهم صاروا عالمين بها.

١ - منها في الكافي بسنده الصحيح عن محمّد بن مسلم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ان عليّاً - عليه السلام - كان عالماً و العلم يتوارث و لن يهلك عالم الاّ بقي من بعده من يعلم علمه او ما شاء الله.

و منها فيه بسنده الحسن عن زرارة و الفضيل عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: ان العلم الذي نزل مع آدم - عليه السلام - لم يرفع و العلم يتوارث و كان على - عليه السلام - عالم هذه الامة و أنّه لم يهلك منّا قطّ الاّ خلفه من اهله من علم مثل علمه او ما شاء الله.

و منها فيه بسنده الصحيح عن محمّد بن مسلم قال: قال ابو جعفر - عليه السلام - : ان العلم يتوارث فلا يموت عالم الاّ ترك من يعلم مثل علمه او ما شاء الله.

و منها فيه بسنده الصحيح عن عمر بن ابان قال: سمعت ابا جعفر - عليه السلام - يقول انّ العلم الذي نزل مع آدم - عليه السلام - لم يرفع و ما

السابعة، ما دلّت على انّ الائمة ورثوا علم^(١) النبي - صلى الله عليه وآله و

→ مات عالم فذهب علمه (ج ١، ب انّ الائمة عليهم السلام ورثة العلم، ح ١، ح ٢، ح ٥ و ح ٧، ص ٢٢١) وغير ذلك فانّ هذه الاخبار تدلّ على ان بعد موت العالم السابق صار العالم اللاحق العالم بعلمه فظاهرة في أنّه لم يكن كذلك في زمان حيوته.

١ - منها فيه بسنده الصحيح عن عمر بن ابان قال: سئلت ابا عبد الله عليه السلام - عما يتحدث الناس أنّه دفع الى ام سلمة صحيفة مختومة فقال: ان رسول الله لما قبض ورث عليّ - عليه السلام - علمه وسلاحه وما هناك ثمّ صار الى الحسن - عليه السلام - ثمّ صار الى الحسين - عليه السلام - قال: قلت: ثمّ صار الى علي بن الحسين - عليهما السلام - ثمّ صار الى ابنه - عليه السلام - ثمّ انتهى اليك فقال: نعم (ج ١، ب ما عند الائمة من سلاح، ح ٨، ص ٢٣٥) وكذا بهذا المضمون الحديث السابع من هذا الباب فان هذه الطائفة من الاخبار دالة على أنّهم بعد الوراثه صاروا عالما بعلم المورث الظاهرة في أنّهم ليست كذلك قبل وراثتهم وبالجملة هاتين الطائفتين من الاخبار دلّتا على ازدياد علمهم في تلك المرحلة و اصرح منها هو روايات باب الروح التي يسدّد الله بها الائمة عليهم السلام منها في الكافي بسنده الصحيح عن ابي بصير قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿و كذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ (الشورى، ٥٢) قال: خلق من خلق الله عزّ وجلّ اعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله يخبره ويسدّده وهو مع الائمة - عليهم السلام - من بعده (ج ١، ح ١،

سَلَّمَ - ، اذ الظاهر من كثير هذه الطوائف السبعة ان علوم النبي و الائمة المعصومين - صلوات الله عليهم اجمعين - كانت في التزايد و ذلك مناف لاعطاء جميع العلوم اليهم .

و اما المقام الثاني: فان الظاهر من الطائفة الرابعة من اخبار الباب التي تدلّ على ان ما يقع فيه البداء أنه قد اعطى علمه اليهم و ذلك مناف للطائفة الثانية و الثالثة، منها اللّتين تدلّتين على عدم انباده اليهم و اما رفع التنافي عن المقامين: اما عن ثانيهما، فنقول: مستعيناً بالله تعالى ان الاخبار التي قد دلت على ان لله تعالى علما احدهما موقوف و مخزون عنده مطلقة من حيث الحتم و عدمه و اطلاقها مقيدة بالطائفة الرابعة من اخبار الباب التي تدلّ على انباده الموقوف اليهم فتصير مفاد كلتا الطائفتين ان العلم الموقوف ينبذه اليهم و لكن لامن جهة المحتوم و عدمه بل من حيث الاصل فانهم (يعرفون جميع العلوم و يعرفون المحتوم منها اعني ما

→ ص ٢٧٣).

و منها فيه بسنده، عن اسباط بن سالم قال: سأله رجل من اهل هيت (بلد بالعراق) و انا حاضر، عن قول الله عزّوجلّ: ﴿و كذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا﴾ فقال: منذ انزل الله عزّوجلّ ذلك الروح على محمّد ما صعد الى السماء و أنّه لفينا (ج ١، ح ٢، ص ٢٧٣) و كذا سائر اخباره ففيها اخبار معتبرة و من المعلوم ان هذه الاخبار ظاهرة في أنّهم - عليهم السّلام - قبل اخباره تسديده لم تكن مخبرين بما اخبر بهم و هذا صريح في تزايد علمهم و عليك بالتفحص حتّى تقف على اكثر مما نجد من الاخبار بما نحن بصده و الله العالم.

كان غير المعلقة على امر من الامور و لكن لا يعرفون المحتومة^(١) من الموقوفة و غيرها منها اعني لا يعرفون ما يقع فيه البدء ام لا و مفاد كلتا الطائفتين مورث لتقييد اطلاق اخبار التي دلت على أنهم عالمون بما كان و ما يكون (اذ أنها ايضاً مطلقة من هذه الجهة) فصارت مفاد تلك الاخبار أنهم عالمون بما كان و ما يكون لان حيث الحتم و عدمه في العلوم الموقوفة و من ذلك البيان فقد رفع التنافي عن مقام الاول ايضاً فتدبر جيداً^(٢).

١ - كما تزايد بل تدلّ على ذلك ما في الكافي بسنده عن جهم ابن ابي جهم عن حدّثه عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: انّ الله عزّ وجلّ اخبر محمّداً بما كان منذ كانت الدنيا و بما يكون الى انقضاء الدنيا و اخبره بالمتحوم من ذلك و استثنى عليه فيما سواه (باب البدء، ح ١٤، ج ١، ص ١٤٨) و يمكن استفادة هذا المعنى من رواية التي نقلها في البحار باربعة اسانيد مختلفة فراجع (ج ٢٦، ب ٣) أنهم - عليهم السلام - يزدادون و لولا ذلك لنفدما عندهم (ح ٢٣، ص ٩٣).

٢ - فتلخص من الجمع بين طوائف الثلاث من الاخبار أنهم عالمون بما كان و ما يكون، سواء كان ممّا فيه البدء ام لا، و لكن لا يعرفون المحتوم منها من غيره فصارت اخبار ما كان مخصّصة بغيرها و لا يخفى صحة هذا الجمع بحسب القواعد الاصولية خصوصاً مع تأييده به بعض الاخبار كما عرفت و لكن قد اجاب المجلسي - قدّس سرّه - عن اشكال المقام الثاني في البحار بوجوه التي غير منطبقة على القواعد، بل كانت صرف احتمال للجواب، منها، انّ المراد بالاخبار التي دلت على عدم وصول البدء فيما وصل اليهم على سبيل التبليغ

→ لا على حسب صرف اطلاعهم.

و منها ان يكون المراد بها الوحى و يكون ما يخبرون به من جهة الالهام و اطلاع نفوسهم على الصحف السماوية.

و منها أنها محمولة على الغالب.

و منها ان المراد منها عدم وصول الخبر اليهم و اخبارهم على سبيل المحتم فبعض الاخبار التي وصلت اليهم من الامور المحتومة و بعضها لا على هذا الوجه كما اشعر في بعضها بقوله - عليه السلام - و يحو الله ما يشاء، و لا يخفى ان هذا الجواب، مناف للجواب الاول و الثاني و لكن يمكن ارجاعه بما ذكرنا من الجواب بعد تسميه بما ذكر في المتن.

و منها ان المراد منها أنهم لا يخبرون بشيئ لا يظهر وجه الحكمة فيه على الخلق، بل لو اخبروا بشيئ من ذلك يظهر وجه الصدق فيما اخبروا به، كخبر عيسى - عليه السلام - و النبي حيث ظهرت الحية دالة على صدق مقالتهما، انتهى مخلص كلامه (ج ٤، ص ١٣٣) في المقام.

و لا يخفى ان هذا الجواب لا يلائم مضامين كثير من اخبار الباب و قد اجاب «ره» فيه عن اشكال التنافي الاخير اعني التنافي بين اخبار ما كان و اخبار التي دلت على تزايد علمهم بوجوه منها، ما قيل ان العلم ليس يحصل بالسماع و قراءة الكتب و حفظها فان ذلك تقليد، و انما العلم ما يفيض من عند الله تعالى على قلب المؤمن يوماً فيوماً و ساعة فساعة، و لا يخفى ما فيه، حيث ان كثير طريق افاضة علومهم كان بغير السماع و القراءة كما نستفيد من

→ اخبار بابها.

و منها ان يفيض عليهم - عليهم السلام - تفاصيل مجملاتها، وفيه، أنه مغايرة لمضامين اخبارها حيث أنهم يعدّون تزايد علمهم ساعة فساعة من المقام المرتفعة من العلم و هو لا يناسب تفصيل المجملات إلا ان يكون راجعاً الى ما سيذكر في المتن.

و منها ما هو الموافق في المتن مفاداً.

و منها (و عدّه اقوى من غيره) و هو أنهم - عليهم السلام - في الناشئين سابقاً على الحياة البدني و لاحقاً بعد وفاتهم يرجعون في المعارف الربانية الغير المتناهية و ظاهر أنهم اذا تعلّموا في بدو امامتهم علماً لا يقفون في تلك المرتبة و يحصل لهم بسبب مزيد القرب زوائد العلم و الحكم في معرفة الرب تعالى و كيف لا يحصل لهم، و يحصل ذلك لسائر الخلق فهم - عليهم السلام - اولى بذلك و اخرى، و لعلّ هذا احد وجوه استغفارهم و توبتهم في كلّ يوم سبعين مرة و اكثر، اذ عند عروجهم الى كلّ درجة رفيعة من درجات العرفان، يرون أنهم كانوا في المرتبة السابقة في النقصان فيستغفرون منها، انتهى مخلص اجوبته (ج ٢٦، ص ٢٠).

و الوجه الاخير و ان كان في حدّ نفسه وجه صحيح و لكن لا يكون جواباً عن التنافي بين ما دلّ على علمهم بما كان و ما يكون و ما دلّ على تزايد علمهم حيث انّ الظاهر من الاخبار الاولى هو علمهم بجميع المعلومات بناءً على استفادة العمومية منها كما هو مبني الاشكال عنده «ره» و الظاهر من الثانية

ويمكن ان يجاب بنحو آخر وهو ان اخبار ما كان وما يكون واخبار لا يخفى عنهم شيء كانت مربوطة بما فيه قوام دينهم لامطلق العلم اعني الاعم من الموضوعات وغيره كما هو صريح صحيحة الكناسي المتقدمة في ذيل الصحيفة في باب أنه لا يخفى عنهم شيء وان كان اغلب اخبار الباب مطلقة وعبارة اخرى ان المطلقات قد تقيد بمثل الصحيحة فبا النتيجة يرفع الاشكال من اصله اعني ان تلك الطائفتين من الاخبار لم تكن عامة حتى يحتاج الى رفع الاشكال بما قدمناه عليك والله العالم.

ولكن بقي رفع التنافي عما بينها وبين ما تدلّ من الطوائف الاربعة على تزايد علمهم، ويمكن رفعه بان تلك الطوائف كانت مربوطة بمسئلة البداء، اعني يزدون علمهم في ليلة الجمعة او الليلة القدر، او في ساعة بعد ساعة ونحوها بالنسبة الى المحتومة من الموقوفة عند حصول شرائطها وقيودها، وعبارة اخرى ان الحوادث الموقوفة المعلومة عندهم المجهولة لهم

→ بخلافها وعروج العرفان والمعارف غير مربوطة به مفاد اخبار الباب، نعم بقي هنا شيئين، وهو أنه صرح في بعض اخبار تزايد العلم فيهم بقوله - عليه السلام - (و لولا ذلك لنفدنا عندنا) كما في اخبار ليالى الجمعة وفي بعضها الاخر بقوله - عليه السلام - (لولا انا نزداد لا نفدنا) ويحتمل المراد من جملة الاولى ان يكون بقاء علمهم مشروط به تلك الحالة التي صرح فيها والمراد من جملة الثانية ان التقرب بالطاعات يورث ازدياد مرتبة الكمالات والمعارف ولو لم تزد صُغف الكمالات وضعفها مورث لنفاد علمهم في غير الحلال والحرام كما صرح به في بعض اخبار الباب.

من حيث المحتوم، وغيره، وعند تمامية شرائطها ورفع موانعها يخبرونهم بالمحتوم منها، ولا يخفى، ان ما ذكرناه من الجمع هو على حسب الصناعة لولا وجود المخصص فلو وجد فلا بد من تخصيص عموم ما كان وما يكون كما يمكن ان يدعى وجوده قطعاً في كثير من الموضوعات، كما يظهر من بعض الآيات و من كثير سؤالاتهم عن الموضوعات في المعاشرات و الغزوات و نحوها، عن غيرهم، الحاكية عن عدم اطلاعهم غالباً عنها، و تمام الكلام في محلّه، والله العالم

اشكال ودفع

قد نسب الى الرازي الناصبي من ان الامامية قد عدّوا من جملة الشرافات لعلّي بن ابي طالب - صلوات الله عليه - ليلة المبيت مع انهم مدّعية بانه - صلوات الله عليه - عالماً بما كان وما يكون وبناءً عليه أنّه علم بحفظه من شرّ الكفار في تلك الليلة كما وقع حفظه فلم يثبت له بواسطة البيتوته شرافة و مزية اذا لشرافة ثابتة في موضع الخطر و بناءً على كون البيتوته شرافة و مزية فلا بدّ من الحكم بعدم كونه عالماً بما كان وما يكون و بالجملة عدّ البيتوته من الشرافات مع هذا الادّعاء لا يجتمعان. ودفعه اما اولاً أنّ القدر المتقين من الاخبار التي قد دلّت على انهم عالمون بما كان وما يكون، هو ثبوت هذه المرتبة لهم في زمان كونهم حجة، لأنّه يعبرون في كثير منها، بانه اترون انّ الله تعالى افترض طاعة اوليائه على عباده، ثمّ يخفى عنهم اخبار السماوات و الارض، و ما شابه ذلك، كما صرح بذلك في صحيحة الكناسي المتقدمة، و أنّه - صلوات الله عليه - لم يكن في تلك الليلة حجة على العباد، نعم كان حجة من الله يوم اقامه للناس و نصبه علماً و دعاهم الى ولايته و امرهم بطاعته كما هو مضمون بعض الروايات^(١) و اما سائر المراتب من الفضيلة ثابتة لهم قبل خلقهم

١ - كما هو مفاد الرواية التي نقلها في الكافي في باب حالات الائمة - عليهم السلام -

في هذا العالم اذ وردت منهم في اخبار كثيرة^(١) في عالم النورانية أنه، فسبحنا فسبحت الملائكة، فهللنا فهللوا، وكبرنا فكبروا، الى غير ذلك من التعابير.

وثانياً على فرض صرف النظر عن هذا الجواب ظهر جوابه عما تقدمناه آنفاً و توضيحه ان بيتوته في تلك الليلة كانت من اجل شرافاته و العلم به حفظه في تلك الليلة يمكن ان يكون من الامور الموقوفة المجهولة من حيث الحتم و عدمه و لذا يعدّ من شرافاته - صلوات الله عليه -^(٢).

و ثالثاً على فرض عدم العلم بذلك اعني غير معلوم لنا من أنه عالم به او لم يعلم بأنه من الامور الموقوفة فاقدامه بذلك كان من اجل شرافاته و يكون من باب فداء المهم للامهم و حفظه به فتأمل جيداً.

ان قلت: ان جملة من الاخبار قد دلت على ان الائمة - عليهم السلام - يعلمون متى يموتون و أنهم لا يموتون الا باختيارهم، كما عنون بذلك، باباً في الكافي^(٣) و البحار^(٤) و بناء على هذا أنه - صلوات الله عليه - يعلم

→ في السنن (ح ١، جلد ١، ص ٣٨٢). ١- راجع البحار، ج ٢٥، باب ١، من ص ١

٢- و لا يخفى ان الاشكال المزبور لا ينحصر به ليلة المبيت بخصوصها بل أنه وارد على جميع الغزوات التي أنه - عليه السلام - حاضر فيها مع ان حضوره فيها تعدّ من شرافاته قطعاً بل الاشكال وارد على نفس رسول الله ايضاً مع أنه كان حجة الله من اول بعثه الى آخر عمره و حضوره فيها تعدّ من شرافاته قطعاً فتدبر في جوابه من جميع ما اوردناه في هذا الباب.

٣- ج ١، باب ان الائمة يعلمون متى يموتون و أنهم لا يموتون الا باختيار منهم، ص

بعد موتة في تلك الليلة كما كان كذلك فلا يكون ليلة المييت من جملة شرافاته و مزيتته.

قلت: لا يستفاد من تلك الاخبار أنهم عالمون بوقت موتهم مطلقاً بل مفادها أنهم يخبرون عن وقت موتهم ولا ضير بان الله تعالى قد أخبرهم بوقت موتهم عند قربها وما شابهه تنجيهاً كما هو صريح كثير منها^(٥) او خيرهم في ذلك^(٦) الوقت

٤- ج ٢٧، باب ١، ص ٢٨٥

→ ٢٥٨

٥ - منها في الكافي بسنده الحسن عن الرضا عن مسافر ان ابا الحسن الرضا - عليه السلام - قال: له يا مسافر هذا القناة فيها حيتان قال: نعم جعلت فداك فقال: اني رايت رسول الله البارحة وهو يقول يا على ما عندنا خير لك، قال العلامة المجلسي «ره» في المرات العقول في هذا المقام: وجوه الاول، ما افيد ان المعنى علمي بحقيقة ما اقول: كعلمي بكون اللحيتان في هذا الماء ثم نقل «ره» باقي الوجوه، فراجع (ج ١، ص ٢٦٥).

و منها فيه بسنده عن ابي خديجة عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: كنت عند ابي في اليوم الذي قبض فيه فاوصاني باشيء في غسله وكفنه وفي دخول قبره فقلت: يا اباي والله ما رايتك منذ اشتكت احسن منك اليوم، ما رايت عليك اثر الموت، فقال: يا بني اما سمعت علي بن الحسين - عليهما السلام - ينادي من وراء الجدار يا محمد تعال، عجل، (ح ٧، ج ١، ص ٢٦٥).

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن سدير قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول ان ابي مرض مرضاً شديداً حتى خفنا عليه فبكى بعض

→ اهله عند رأسه فنظر اليه فقال: اني لست بميت من وجعي هذا انه اتاني اثنان، فاخبر اني اني لست بميت، من وجعي هذا قال: فبرأ و مكث ما شاء الله ان يمكث فينا، هو صحيح ليس به بأس، قال: يا بني ان اللذين اتيا في من وجعي ذلك اتيا في فاخبر اني، اني ميت يوم كذا و كذا، قال: فأت في ذلك اليوم (ج ٢٧، ح ٦، ب ١، ص ٢٨٧)

و منها فيه (ح ٢٥، ب ١٢٧، ج ٤٢)
و منها رواية الاخير من ذلك الباب في الموضعين منه.
و منها فيه (ح ٦، ب ١، ج ٤٦، ص ٢١٣).

٦ - منها في الكافي بسنده عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا - عليه السلام - : ان امير المؤمنين - عليه السلام - قد عرف قاتله و الليلة التي يقتل فيها و الموضع الذي يقتل فيه و قوله لما سمع صباح الاوز (الاوز، البط) في الدار صوائح تتبعها نوائح و قول ام كلثوم لو صليت الليلة داخل الدار و امرت غيرك يصلي بالناس، فاجب عليها و كثر دخوله و خروجه تلك الليلة بلا سلاح، و قد عرف - عليه السلام - ان ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف، كان هذا مما لم يجز تعرضه، فقال: ذلك كان و لكنه خير (في بعض النسخ [حير]) في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عز وجل (ج ١، ح ٤، ص ٢٥٩).

و منها فيه بسنده الحسن عن عبد الملك بن اعين عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: انزل الله تعالى النصر على الحسين - عليه السلام - حتى كان [ما] بين السماء و الارض، ثم خير النصر او لقاء الله فاختر لقاء الله تعالى (ج ١، ح ٨،

→ ص ٢٦٠.

تنبيه

يمكن، أن يستفيد من هذه الاخبار التي دلت على أنهم لا يموتون إلا باختيارهم أن موتهم غير معلوم لهم لأنه لو عين وقته و علموا به لامعنى لاختيارهم الموت في ذلك الوقت، فعلى هذا يمكن أن يقع التنافي بين تلك الطائفتين من الاخبار، اعني الاخبار التي دلت على اخبارهم بوقت موتهم عند قربها و الاخبار التي خيرهم في ذلك الوقت؛ و لكن يدفعه، بأنه يمكن أن يخبرهم بوقت موتهم عند قربها و ما شابهه كما هو مفاد الاخبار المتقدمة و خيرهم في ذلك الوقت بالموت و أنهم اختاره فيه فتجنز عليهم الموت في ذلك الوقت فعلموا به فلا تناف بينها أصلاً، و لا يخفى، أن ما تعرضنا في المقام في علمهم - صلوات الله عليهم - كان لاجل رفع الشبهة عن مثل الناصبي من الاعداء، تنبيه آخر، لاشبهة في عدم ايراد الاشكال فيما اذا اختاروا الموت و لقاء الله في غير مورد القتل و الهلكة و اما اذا كان في ذلك المورد فلا يجوز اختياره كما ترى ذلك في رواية الحسن بن الجهم و حسنة عبد الملك لأنه كان ذلك من قبيل الالتقاء الى التهلكة و لا يجوز ذلك للبشر العادي فضلاً عن المعصومين لقوله تعالى ﴿و لا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ (البقرة، ١٩٢) و يمكن دفعه بان الاختيار في الموردين كان لاجل نضج الدين و ترويجه فيها، و الله العالم، و لكن لا ينبغي اطالة الكلام في مثل هذا المقام فإنه من مزال الاقدام و من الله الحفظ من الزلل و الخطاء في جميع الحالات و المقامات، و قد سئل عن الشيخ المفيد قدس الله روحه في المسائل

فلايكون مفاد، الاخبار أنهم عالمون بموتهم في
اوائل عمرهم منجزاً من غير قابل للبداء و اما الاخبار التي وردت في
قصص آدم^(١) و داود^(٢) - عليهما السلام - بان عرض على آدم
- عليه السلام - اسماء الانبياء و اعمارهم فأنها و ان دلت على علم آدم
- عليه السلام - على اعمار الانبياء عليهم صلوات الله في بدو الخلق و
لكن.

اقا اولاً أنها دلت على علم آدم - عليه السلام - بخصوصه.
و ثانياً ان الروايات دلت على علم آدم - عليه السلام - بخصوص اعمار
الانبياء فقط دون الاوصياء.

و ثالثاً يمكن ان يكون عرض اعمارهم - عليه السلام - عليه
- عليه السلام - من حيث الاصل لا من حيث الحتم و عدمه اعني عرض
اعمارهم كان من قبيل امورات الموقوفة قابلة للبداء كما دلت نفس
الروايات على ازدياد عمر داود - عليه السلام - باستدعاء آدم
- عليه السلام - و بعضها صريح فيما اشرنا اليه مثل قوله - عليه السلام -

→ العكبرية عن بعض ما شابه لما سردناه عليك و اجابه «ره» بما كان مشابهاً
لما ذكرناه و كذلك سئل عن العلامة الحلي «ره» بمثل ذلك كذا اجاب عنه و
عليك المراجعة (و قد نقلهما العلامة المجلسي «ره» في البحار، ج ٤٢، ب ١٢٧، ص
٢٥٧ و كذا نقلهما بعينه في مرات العقول، ج ٣، ص ١٢٥)

في أثناء الرواية^(١) (وإني قد كتبت الآجال وقسمت الارزاق وأنا انحوما
أشياء وأثبت وعندي أم الكتاب).

وربما أن هذه الروايات موهونة حيث تشتمل على نسيان آدم
- عليه السلام - مع أنه معصوم عليه وعلى ذريته - صلوات الله و
سلامه - .

إيقاظ

لا شك ولا شبهة بعد ما ذكرناه في المتن والحاشية في أنهم - صلوات الله
عليهم أجمعين - عالمون به جميع الأحكام والمعارف بمراتبها العلية التي
لا يتصور لعلومهم^(٢) فيها فوق كما هو مبرهن في محله، وإيضاً، لا شبهة في
أنه لو سئل عنهم عن الموضوعات في الموارد المختلفة المتكثرة لأجابوا
السائلين خصوصاً إذا كان مورد السؤال كان اتقماً للحجة على السائل
أعني في موارد لزوم أعمال الإعجاز بل في أغلب الموارد صدر عنه ابتداءً
الأخبار عن الموضوعات وعن أحوالات أمم الماضين ولذا في الروايات
الصادرة عن النبي والائمة الطاهرين مملوءة عن - عليهم السلام - الأخبار
في الموضوعات سواء كان جواباً للأسئلة أو كان ابتداءً منهم فوق

١ - البحار، ج ١١، ح ١، ص ٢٥٨

٢ - ويشهد لتلك المرتبة من العلم ولغيرها ما روي عن العسكري - سلام الله
عليه - روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، (شرح

النيراس، ص ٤)

الاحصاء من احوالات الانبياء وقصصهم و احوال ائمتهم السالفة و من حالات سلاطينهم و احوال اهل زمانهم و الاخبار عن الافلاك و العوالم الفلكي و غيرها و عن الامورات الآتية المربوطة بمن خلف بعدهم من الائمة - عليهم السلام - سيما احوالات ولينا الموعود المنتظر القائم المهدي - صلوات الله عليه و على آباءه الطاهرين - و اهل زمانه و من احوال الرجعة، و نحوها، و عن احوال البرزخ، و عالم الارواح و الحشر، و القيامة و الصراط و الميزان و الجنة و النار و نحوها.

و بالجملة ان من سير في الكتب المؤلفة فيما ذكرناه سيراً وافياً يجد انهم في الاخبار عن الموضوعات يقعون في البحر الواسع الذي لانهاية لها و لم يعهد منهم انه يظهر منهم عدم الاطلاع عن شيئي منها و من السير في الكتب المدونة ظهر سعة علمهم بما كان و ما يكون اظهر من الشمس بطريق دليل اللّمي، صرف النظر عن الادلة المخصوصة، و يكفينا في المقام ما ذكرناه، و كيف كان، و لنختم البحث بما هو في نفسي في قديم الايام، الذي هو من اتقن الاجوبة لدفع الشبهات و الاوهام الواردة في المقام و به يحسم مادة جميع الاشكالات و كان ذلك بمنزلة المتتم لهذا البحث، و من الله الاستعانة، و هو انهم - صلوات الله عليهم اجمعين - مع علمهم بما كان و ما يكون لم يجز لهم العمل على طبق علمهم في الموضوعات على ما هو واقعها و لم تكن مأمورين بان يعمل بعلمهم في جميع الموارد و الاحوال بمعنى الذي ستقف عليه و في المعاشرة مع الناس و المكالمة معهم بمعنى انهم مأمورون في المعاشرة على حسب الظواهر و ذلك معلوم من دأبهم و

ديدنهم ولا شبهة في ذلك فإنه لولا ذلك وان النبي والائمة
- عليهم السلام - كانوا مأمورين بالعمل على طبق علمهم في جميع
الموضوعات على ما هو واقعها لاختل النظام لهم قطعاً ولاهل بيتهم من
حيث الطهارة والنجاسة في الاكل والشرب ولباس الصلوة ومكانها و
في طهارة المسجد ونحوه من المحترقات ومن حيث الحلية والحرمة ومن
حيث المرادة مع اهل زمانهم من مواليتهم وغيرها بل في سائر شئون
حيوتهم من الغزوات والتشاجرات ولم نجد طريق لدفع محذور الاختلال
لهم الا التثبت باحد امور ثلاثة.

احدها التخصيص في الادلة لهم بمعنى أنهم لم يكن مأمورين به تحصيل
الطهارة والحلية فيما تشترط فيها الطهارة والحلية ونحوها ولاشك في ان
ذلك ضروري البطلان.

ثانيها جواز العمل على طبق الظواهر لهم مع علمهم بخلافها واقعاً وذلك
ايضا ضروري البطلان ولا تحتاج لبطلان كلا الامرين الى اقامة البرهان.
ثالثها الانكار لعلمهم به جميع الموضوعات المربوطة بالاعاشة والمرادة
في زمانهم مطلقاً وذلك ايضاً ضروري البطلان ولم يجز التفوّه بذلك لمن
تأمل وسير في الروايات المربوطة ولم يجز ان يقال: أنهم لم يعلموا به شيء
من هذه الموضوعات ويلزم تخصيص الاكثر في العمومات الواردة
لعلمهم و لسان الاخبار الدالة على مراتب علومهم من أنهم لا يجب

عنهم شيء، آية^(١) عن ذلك وبعد بطلان التثبت بالامور الثلاثة بالبداهة. فنقول: أنه يمكن ان يكون معنى أنهم - عليهم السلام - عالمون بما كان وما يكون ولا يحجب عنهم شيء عنهم - عليهم السلام - أنهم متمكنون من العلم بها كما ان ذلك يستفاد من كثير الاخبار الواردة على تعابير مختلفة، منها، على تعبير اذا شاء^(٢) ان يعلم علم.

١ - منها في البحار عن العيون بالاسانيد الثلاثة الى الرضا - عليه السلام - عن آبائه - عليهم السلام - قال: قال رسول الله: ما ينقلب جناح طائر في الهواء الا و عندنا فيه علم (ج ٢٦، ح ٤، ص ١٩).

و منها فيه عن مناقب عن بكير بن اعين قال: قبض ابو عبد الله - عليه السلام - على ذراع نفسه وقال: يا بكير هذا والله جلد رسول الله وهذه والله عروق رسول الله وهذا والله لحمه وهذا والله عظمه والله اني لاعلم ما في السموات واعلم ما في الارض واعلم ما في الدنيا واعلم ما في الآخرة فرأى تغير جماعة فقال: يا بكير اني لاعلم ذلك من كتاب الله تعالى اذ يقول و نزلنا اليك الكتاب تبياناً لكل شيء (التحل، ٨٩) (ج ٢٦، ح ٢٩، ص ٢٨) و يدل على ذلك (ح ٨، و ١٤٥ و ١٤٦) من ذلك الباب ونحوها في ابوبة الآخر.

٢ - منها في الكافي بسنده عن ابي الربيع الشامي عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ان الامام اذا شاء ان يعلم علم (ج ١، ح ١، ص ٢٥٨).
و منها فيه بسنده عن ابي الربيع عن ابي عبد الله - عليه السلام - ان الامام اذا شاء ان يعلم اعلم (ج ١، ح ٢، ص ٢٥٨).

و منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن يزيد بن فرقد النهدي عن

ومنها على تعبير لو أراد^(١) أن يعلم شيئاً أعلمه الله.
ومنها على تعبير إذا أراد^(٢) علم شيءٍ نظر في ذلك النور فعرفه

→ أبي عبد الله - عليه السلام - قال: أن الامام اذا شاء ان يعلم علم (ج ٢٦، ح ١١٧، ص ٥٦).

١ - منها فيه بسنده عن أبي عبيدة المدائني عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: اذا اراد الامام ان يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك (ج ١، ح ٣، ص ٢٥٨).
ومنها في الكافي بسنده الموثق عن عمار الساباطي قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن الامام يعلم الغيب قال: لا ولكن اذا اراد ان يعلم الشيء أعلمه الله ذلك (ج ١، ب نادر، ح ٤، ص ٢٥٧) ومنها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن عمرو بن سعيد عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: اذا اراد الامام ان يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك. (ج ٢٦، ح ١٢٠، ص ٥٧)
ومنها (ح ٢٨) من ذلك الباب لكن فيه بهذا التعبير، والله لو اردت ان احصي لكم كلّ حصة عليها لاخبرتكم.

٢ - منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: كنت جالساً عنده فقال لي: ابتداءً منه يا صالح بن سهل أن الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً، ولم يجعل بينه وبين الامام رسولاً قال: قلت: وكيف ذاك قال: جعل بينه وبين الامام عموداً من نور ينظر الله به الى الامام، وينظر الامام به اليه، فاذا اراد علم شيءٍ نظر في ذلك النور فعرفه (ج ٢٦، ح ١، ص ١٣٤) وقريب من ذلك (ح ٩ و ح ١٢) من ذلك الباب، ولا يخفى أن الاخبار في ذلك الباب متظافرة ولكن أغلبها مطلقة ومن الروايات التي تدلّ

→ على أنهم إذا أراد أن يعلموا اعلمهم الله ما رواه في الكافي بسنده الصحيح عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن - عليه السلام - رجل من أهل فارس فقال له: أتعلمون الغيب فقال: قال أبو جعفر - عليه السلام -: يبسط لنا العلم فنعلم و يقبض عنا فلا نعلم وقال: سرّ الله عزّ وجلّ أسرّه إلى جبرئيل - عليه السلام - و أسرّه جبرئيل إلى محمد و أسرّه محمد إلى من شاء الله (ج ١، ب نادر فيه ذكر الغيب ح ١، ص ٢٥٦)

و يمكن أن يؤل مفاد الصحيحة إلى ما ذكرناه (لأنّه لو أرادوا أن يعلموا في كلّ مورد كانت مأمورين للعمل على وفق علمهم فيبسط لهم العلم و الآ فيقبض عنهم) و كذا الموثقة عمار الساباطي التي تقدمت فلانه لما لم تكن مأمورين أن يعمل على طبق علمهم في جميع الموارد لم ترد فيها أن يعلموا - و لكن لو وقعوا في مقام إبراز شئوناتهم و اتمام الحجّة يمكن أن يصيروا مأمورين بالارجاع و الاطلاع، كما يدلّ على ذلك اخبار على عليه الصلوة و السلام عن صنوف علوم مختلفة، لمهرتها من المهندسين و المنجمين و اهل الحساب و الكيمياء و الاطباء و غيرهم، فراجع لذلك مناقب على بن شهر آشوب (المجلد الثاني من رقم الخمسين إلى اربعة و خمسين) و لذا قد عبّر في بعض الاخبار في كلمات مولانا على بن أبي طالب - عليه السلام - بهذا اللسان (سلوني عما فوق العرش، سلوني عما تحت العرش) (في البحار في ضمن ح ٢٥، ج ٤٦، ص ١٣٥) و قوله (و اجلسني ثمّ اسألني عما شئت فوالله لا تسألني عن شيءٍ الاّ اجبتك فيه) (في مناقب شهر آشوب في المسابقة بالعلم، ج ٢، ص ٣٧) و قوله - عليه السلام - (فو

→ الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة إلا أنبأتكم (في مناقب، ج ٢، عن نهج البلاغة، ص ٣٩) و نحوها اعني لو اوقعني في مقام الاخبار عنها لاخبرتكم لاتمام الحجة وبالجملة لو خضت في امثال هذه التعابير لوجدت ما نحن بصدده و ان شئت الاطلاع زائداً على ما ذكرناه (فارجع البحار من المجلد ٣٦ الى ٤٠) والله العالم.

ايضاح و تميم

و هو ما انتظن به في حديث الايام ان العلم بالموضوعات لا يكون من حيث هو له شأنيّة و مزية للعالم بها اذ من الضروري انه لو حدث العلم لشخص بما يكون موجوداً في بيت صديقه من كبيره و صغره بعد انه قد جهل بها فانه قد لا يكون سبباً لمزية هذا الشخص و شرافته بل في بعض الموارد كان مورثاً لحزنه و نحوه نعم في بعض الاحيان يورث للشجرة المفيدة و صار متشرفاً اذ من المعلوم ان شرافة العلم تابعة للشمرات المترتبة عليه و هو فيما اذا كان مصدراً لاستكشاف بعض المجهولات و مورثاً للتسلط على بعض الحقائق واضح و هو المترائي في العلم بالاحكام و الصنائع و نحوها غالباً و بعبارة واضحة ان العلم كان على قسمين علم بالموضوعات و علم بما يقابله و القسم الثاني غالباً يقع مورداً لاكثر الانتفاعات في الامورات المادية و المعنوية و اما القسم الاول لا يصير سبباً لاستكشاف امر آخر غالباً نعم لو علم بفائدة معجون من الادوية مثلاً تترتب عليه الآثار الجميلة لكن ذلك داخل من حيث الحكم في القسم

→ الثاني و بالجملة انّ العلم بالموضوعات من حيث هو لا يكون مورثاً للشرافة و المزية اذ بواسطة العلم بالجزئيات الشخصية لا يرث العلم به شيء آخر غالباً (اذ الجزئي لا يكون كاسباً و لامكتسباً على ما هو المشهور و لكن عندى في جملة الثانية نظراً) و هو معلوم في علم عموم الناس و اما علم المعصومين بالموضوعات في اغلب الموارد لا يزيد لهم الشرافة و الشأنية الا فيما اذا اخبر بها في موارد اتمام الحجة و نحوها و قد اثبتنا انهم متمكنون عن ذلك في محالها بأي طرق المتمكنة فتدبر جيداً.

و يدلّ على ذلك ما في البحار عن الفضائل روى أنّه كان ذات يوم على منبر البصرة اذ قال: ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني سلوني عن طرق السماوات فاني اعرف بها من طرق الارض فقام اليه رجل من وسط القوم و قال له اين جبرئيل في هذه الساعة فرمق بطرفه الى السماء ثمّ رمق بطرفه الى المشرق ثمّ رمق بطرفه الى المغرب فلم يجد موطناً فالتفت اليه فقال يا ذا الشيخ انت جبرائيل قال: فصق طائراً من بين الناس فضجّ الحاضرون و قالوا نشهد أنّك خليفة رسول الله حقاً (ج ٣٩، ب ٧٦، ح ١٣، ص ١٠٨) فأنّه لو علم بان هذا الشيخ هو جبرائيل لاحتاج الى لحظة خفيفة الى طرف السماء و نحوه الا أنّه دالّ على أنّه - عليه السّلام - متمكّن من علمه به من ذلك الطريق فافهم و اغتتم.

بل يستفيد مفاد هذه التعابير من الاخبار المتواترة الواردة في ان عندهم كتب^(١) الانبياء يقرؤونها وينظر فيها وعندهم الجفر الاحمر^(٢) ومصحف

→ و هو أنه يمكن ان يكون بذل بعض العلوم مخصوصاً الى بعض الائمة و بعض الآخر علمهم بذلك البعض مستند اليه كما صرح بذلك في رواية البحار و من اجل ذلك يسهل معنى قوله - عليه السلام - سلوني قبل ان تفقدوني (و هذه الجملة قد نقل عنه - عليه السلام - في الموارد الكثيرة في الروايات المختلفة بالغاً الى احدى و خمسين مورداً كما اصبحت عليها في المجلدات البحار) حيث أنه لو لم يخص بعض العلوم به - عليه السلام - مع ان علم خليفة بعده مساوياً له كما هو مضمون بعض الاخبار بفقدان علي - عليه السلام - يمكن ان يسئل من الخليفة التي اقام بعده طابق النعل بالنعل بفقدانه لا يضر عما يسئل عن العلوم لكن لما كان بعض العلوم بذله منحصرأ به لكان الناس كلهم محتاج في ذلك العلوم اليه - صلوات الله عليه - و ان كان الخليفة التي اقيم بعده عالم بها لكن بواسطته - عليه السلام - فتأمل جيداً.

١ - منها في البحار عن توحيد الصدوق بسنده عن هشام بن الحكم في خبر طويل، قال: جاء بريهة جاثليق النصارى فقال لابي الحسن - عليه السلام - : جعلت فداك اني لكم التوراة و الانجيل و كتب الانبياء، قال: هي عندنا ورائة من عندهم تقرأها كما قرأوها و تقولها كما قالوها، ان الله لا يجعل حجة في ارضه يسأل عن شيء فيقول لا ادرى الخبر (ج ٢٦، ح ٧، ص ١٨٢).

و منها فيه عن الاختصاص بسنده عن شيخ من اصحابنا عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: جئنا نريد الدخول عليه فلما صرنا بالدلهيز سمعنا قراءة

→ بالسَّريانيَّة بصوت حسن يقرأ و يبيكى، حتَّى ابكى بعضنا ج ٢٦، ح ١، ص ١٨٥.

و منها فيه عن بصائر الدرجات بسنده عن يونس عن علي الصانع قال: لقي ابا عبد الله - عليه السلام - محمَّد بن عبد الله بن الحسن فدعاه محمَّد الى منزله فابى ان يذهب معه، و ارسل معه اسماعيل، و او ما اليه ان كفَّ و وضع يده على فيه، و امره بالكفَّ فلما انتهى الى منزله اعاد اليه الرسول يسأله اتيانه، فابى ابو عبد الله - عليه السلام - و اتى الرسول محمَّدًا فاخبره بامتناعه فضحك محمَّد، ثم قال: ما منعه من اتيانى الا أنَّه ينظر في الصحف، قال: فرجع اسماعيل فحكى لابي عبد الله - عليه السلام - الكلام، فارسل ابو عبد الله - عليه السلام - رسولاً من قبله و قال: ان اسماعيل اخبرني بما كان منك، و قد صدقت اني انظر في الصحف الاولى صحف ابراهيم و موسى، فسل نفسك و اباك هل ذلك عندك كما قال: فلما ان بلغه الرسول سكت، فلم يجب بشيء فاخبر الرسول ابا عبد الله - عليه السلام - بسكوته فقال ابو عبد الله - عليه السلام -: اذا اصاب [اذا صبت] وجه الجواب قلَّ الكلام (ج ٢٦، ح ٢١، ص ١٨٦) و غير ذلك مما فيها أنَّها الواح.

٢ - منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن فضيل سكره قال: دخلت على ابي عبد الله - عليه السلام - قال: يا فضيل اتدري في اي شيء كنت انظر فيه قبل، قال: قلت: لا، قال: كنت انظر في كتاب فاطمة - سلام الله عليها - فليس ملك يملك الآ و فيه مكتوب اسمه و اسم ابيه، فا وجدت لولد الحسن فيه شيئاً (ج

→ ٢٦، ٣، ص ١٥٥)

و منها فيه عن ارشاد المفيد كان الصادق - عليه السلام - يقول علمنا غابر، و مزبور، و نكت في القلوب، و نقر في الاسماع، و ان عندنا الجعفر الاحمر، و الجعفر الابيض، و مصحف فاطمة عليها السلام، و عندنا الجامعة، فيها جميع ما تحتاج الناس اليه فمثل عن تفسير هذا الكلام، فقال: اما الغابر، فالعلم بما يكون، و اما المزبور، فالعلم بما كان، و اما النكت في القلوب، فهو الالهام، و اما النقر في الاسماع، فحديث الملائكة نسمع كلامهم و لانرى اشخاصهم، و اما الجعفر الاحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله، و لن يخرج حتى يقوم قائما اهل البيت، و اما الجعفر الابيض فوعاء، فيه توراة موسى و انجيل عيسى و زبور داود، و كتب الله الاولى و اما مصحف فاطمة - سلام الله عليها - فيه ما يكون من حادث، و اسماء من يملك الى ان تقوم الساعة، و اما الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً، املاء رسول الله من فلق فيه و خطّ علي بن ابي طالب - عليه السلام - بيده فيه و الله جميع ما تحتاج اليه الناس الى يوم القيمة، حتى ان فيه ارش الحديث و المجلة و نصف المجلة (ج ٢٦، ح ١، ص ١٨) اقول: ان الحديث شريف قد جمع فيها انواع علومهم و طرق التي تصل العلوم بواسطتها اليهم و انها على الظاهر ثمانية و في هذا الحديث قد بين سبعة منها و طرق آخر الذي قد بين في الاخبار السابقة بانه قد جعل بينه و بين الامام عموداً من نور فهذه ثمانية طرق فتدبر جيداً.

و منها فيه عن بصائر الدرجات بسنده عن عبد الله سنان عن ابي عبد الله

فاطمة و الجامعة و نحوها و ينظر فيها و كذا من الاخبار التي دلت على ان عندهم كتب^(١) اسماء الملوك و ينظر فيها، اعني أنهم متمكنون لاطلاعهم في الامورات من نظارة الكتب كما ترى ذلك من بعض الروايات التي

→ - عليه السلام - قال: سمعته يقول ان عندنا جلدًا سبهون ذراعاً أملى رسول الله و خطّه على - عليه السلام - بيده و ان فيه جميع ما يحتاجون اليه حتى ارش الخدش، (ج ٢٦، ح ٥٨، ص ٣٥)

و منها في كمال الدين بسنده عن سدير الصيرفي قال: دخلت انا و المفضل بن عمرو و ابوبصير و ابان بن تغلب على مولانا ابي عبد الله الصادق - عليه السلام - (الى ان قال) و قال: ويلكم نظرت في كتاب الجعفر صيحة هذا اليوم، الخبر طويل، راجع (ج ٢، ح ٥٠، ص ٣٥٢) و لا يخفى ان الاخبار في هذه الموارد مختلفة و عليك الرجوع و الجمع بينها ان امكن و الاتحيل علمها الى اهله.

١ - منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن الوليد بن صبيح قال: قال لي ابو عبد الله - عليه السلام - : يا وليد اني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام فلم اجد لبني فلان فيه الاكغبار النعل (ج ٢٦، ح ٧، ص ١٥٦) و منها فيه عنه بسنده عن ابن خنيس قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : ما من نبي و لا وصي و لا ملك الا في كتاب عندي لا والله ما لمحمد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم (ج ٢٦، ح ٤، ص ١٥٦)

و منها فيه عنه بسنده عن سليمان بن خالد قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول ان عندي لصحيفة فيها اسماء الملوك ما لولد الحسن فيها شبي (ج ٢٦، ح ٥، ص ١٥٦)

نقلتها في ذيل الصحيفة بمعنى انها احدى طرق جهات علومهم فانها عديدة كما يتضح ذلك لمن تفحص في ابواب المتفرقة و كما عرفت انها بالغة الى ثمانية طرق.

ومنها في روضة الكافي بسنده المعتبر عن عبدالرحمن بن الحجاج وحفص بن البختري وسلمة بن عمار السابري عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: كان علي بن الحسين - عليهما السلام - اذا اخذ كتاب علي - عليه السلام - فنظر فيه قال: من يطيق هذا من يطيق ذا قال: ثم يعمل به و كان اذا قام الى الصلوة تغير لونه حتى يعرف ذلك في وجهه و ما اطاق احد عمل علي - عليه السلام - من ولده من بعده الا علي بن الحسين - عليهما السلام - ^(١) فعلى هذا انهم - صلوات الله عليهم اجمعين - قد لا يكونوا مأمورين بالارجاع في بعض الموضوعات و ان كانوا متمكنين من عرفانها بل يمكن ان يقال بل يصح ان يقبض عنهم العلم في بعض الموارد لاجل بعض المصالح، كما دل عليه الرواية الصحيحة المتقدمة، وكيف كان فعلى العارف الخبير المتفطن بهذا البيان و شبهه ان يرفع التنافي المتوهم بين الاخبار و يدفع به جميع الشبهات و الاوهام الواردة في المقام و لعل لم تبق شبهة الارفع به ذلك البيان، و من الله الاستعانة في جميع الاحوال، نعم ينبغي ان يؤل الكلام الى ما يمكن ان تكون نتيجة للابحاث المتقدمة، فنقول مستعيناً بالله تعالى، قد يدعى ان مزية شرافتهم و كونهم في مرتبة الكمالات و

العلوم على حدّ لا يسهه الاضافة و الازدياد بأنهم - صلوات الله عليهم اجمعين - قد اعطى اليهم الكمالات و الفضائل و العلوم على حدّ الامكان^(١) و لا يمكن لهم الازدياد اذ لا فوق بعد امتلاء ظرفهم من الفضيلة على حسب الامكان الا فضيلة الواجب، و من المعلوم ان بذلها غير معقول، و استدللّ له بالبرهان العقلي و قد عنونه بعض الفحول - قدّس سرّه - بهذا التعبير كما في تفسيره لزيارة الجامعة ما لفظه.

و اما البرهان العقلي فلأنهم أوّل المخلوقات و قاعدة امكان الاشرف تقتضي افضليتهم - عليهم السّلام - لان تقديم الافضل في مقام الایجاد اصلح من العكس و قد ثبت بالبرهان العقلي ان الاصلح واجب على الله سبحانه لانه مقتضي الحكمة و الغرض ان الله تعالى بمقتضي الحكمة الربانيّة اوجب على نفسه فعل الاصلح مع ان خلافه مرجوح لا يصدر عن الحكيم تعالى، مع ان تقديم المفضول في مقام الخلق و الایجاد، يستلزم انحطاط رتبة الافضل و مقتضي الفياضية هو اعطاء كلّ ذي حقّ حقه (انتهى)^(٢) موضع الحاجة) و قد عبر بها بعض آخر على ما ذكرى به تعبير آخر في ضمن ثلاث مقدمات و نتيجة،

المقدمة الاولى أنهم - عليهم السّلام - تامّ القابلية

١ - و قد نقل العلامة النجفي «ره» في تفسيره لزيارة الجامعة في كتاب حقائق

الاسرار هذا القول عن المجلسي الأوّل «ره»، ص ٣

٢ - حقائق الاسرار، ص ٨ للتّقي النجفي.

والمقدمة الثانية أنّ الله تعالى تام الفاعلية

والمقدمة الثالثة لا يكون البخل في مبدء الفياض و النتيجة بعد تمامية هذه المقدمات افيضوا عليهم من جهة الفضيلة غايتها ولم تكن فوقها شيء^(١) وفيها أمّا أولاً، ان هذه القاعدة على التعبير الأوّل لا تكون في نفسها تامة، لو كان المراد منها جميع المعصومين حيث أنّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اشرف من غيرهم و مقدّم عليهم قطعاً بالضرورة و على فرض عدم شمولها للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في نفسها غير تامة ايضاً بل غير ممكنة حيث أنّ الائمة لا تكون في الشرافة والمزية سواء بل بعضهم اشرف من بعض كما ان امير المؤمنين - عليه السلام - اعلم من غيرهم كما هو مفاد اخبار ابوة كثيرة^(٢) بل اهل

١ - و لا يخفى ان هذه القاعدة التي عبر بها بامثال هذين التعبيرين غير مربوطة بقاعدة امكان الاشرف التي قد عنونها الحكماء بل أنّها كانت مما ينشعب عن اصل امتناع صدور الكثيرة عن الواحد الحق كما عنونها الحكيم المتألّه الشيرازي في اسفاره بذلك في المجلد السابع في الفصل السابع (ص ٢٤٤) و لهم فيها بحر واسع فراجع.

٢ - منها في البحار، ب ٥٣ اخبار المنزلة التي دلّت على افضليته و أنّها متواترة منها فيه عن امالي الشيخ بسنده عن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب قال: قال رسول الله: لأمّ سلمة يا أمّ سلمة على منّي و انا من على لحمه من لحمي و دمه من دمي و هو منّي بمنزلة هارون من موسى يا أمّ سلمة اسمعي و اشهدي هذا

→ على سيد المسلمين (ج ٣٧، ح ٣، ص ٢٥٤)

و منها فيه (ب ٥٤، في التسليم على على بامرة المسلمين)
منها فيه عن امالي الشيخ بسنده عن علي - عليه السلام - قال: قال رسول الله:
لما اسرى بي الى السماء كنت من ربي كقاب قوسين او ادنى فاوحى الى ربي ما
اوحى ثم قال: يا محمد اقرء على علي بن ابي طالب - عليه السلام -
امير المؤمنين فاستيت به احداً قبله ولا اسمي بها احداً بعده (ج ٣٧، ح ٢، ص
٢٩٠)

و منها فيه (ب ٥٦) في انه الوصي و سيد الاوصياء منها عن الامالي الصدوق با
الامناد الى دارم عن الرضا عن آبائه - عليهم السلام - عن النبي قال: خلق
الله عز وجل مائة الف نبي و اربعة و عشرين الف نبي و انا اكرمهم على الله و
لا فخر و خلق الله عز وجل مائة الف وصي و اربعة و عشرين الف وصي فعلى
اكرمهم على الله و افضلهم (ج ٣٨، ح ٢، ص ٤) و عليك الرجوع بذلك المجلد و
سائر المجلدات المربوطة تجد ابوه كثيرة تكون دليلاً على ما ادعينا و الله هو
المستعان بل يستفيد مساواته - عليه السلام - للنبي في جميع الشؤون سوى
الرسالة مضافاً الى آية انفسنا (آل عمران، ٥٤) التي مستفاد منها عموم المنزلة و
يستفيد من كثير من الاخبار ايضاً.

منها في البحار عن الامالي الصدوق بسنده عن الصادق - عليه السلام - قال:
قال رسول الله (الى ان قال): ثم قال معاشر الناس ان علياً مني و انا من علي
خلق من طينتي و هو امام الخلق بعدي يبين لهم ما اختلفوا فيه من سنتي و هو

الكساء افضل و اشرف^(١) من غيرهم و ان المهدي عجل الله تعالى

→ امير المؤمنين و قائد الغر المحجلين و يعسوب المؤمنين و خير الوصيين و زوج سيّدة نساء العالمين و ابوالائمة المهديين معاشر الناس من احب علياً احبته من ابغض علياً ابغضته و من وصل علياً وصلته و من قطع علياً قطعتة و من جفاً علياً جفوته و من والى علياً و اليته و من عادى علياً عاديته الحديث (ح ٢، ب ٥٢، ج ٣٧، ص ١٠٩)

و منها فيه عن الاحتجاج بسنده عن ابي جعفر محمد بن علي - عليها السلام - (الى ان قال: قال) معاشر الناس انا صراط الله المستقيم الذي امركم باتباعه ثم عليّ من بعدى (الى ان قال) معاشر الناس الا و اتى منذر و عليّ هاد (الى ان قال) معاشر الناس قد يّت لكم و المهتمكم و هذا على يفهمكم بعدى، الحديث طويل، جداً (ح ٨٦، ب ٥٢، ج ٣٧، ص ٢٠١) و الانصاف ان هذه التعابير و امثالها ظاهرة فيما نحن بصدده فراجع الباب و نظائره تجده بالشهود و العيان.

١ - كما دلّ على ذلك اخبار كثيرة و عقد لها باباً في البحار:

منها فيه عن تفسير فرات بن ابراهيم بسنده عن عبدالرحمان بن يزيد عن ابي عبدالله - عليه السلام - (قال: ان الله تبارك و تعالى كان و لاشيئ فخلق خمسة من نور جلاله و اشتق لكل واحد منهم اسماً من اسمائه المنزلة فهو الحميد و سميّ محمداً و هو الاعلى و سميّ امير المؤمنين علياً و له الاسماء الحسنى فاشتق منها حسناً و حسيناً و هو فاطر فاشتق لفاطمة من اسمائه اسماً فلما خلقهم جعلهم في الميثاق عن يمين العرش و خلق الملائكة من نور فلما ان نظروا اليهم عظموا امرهم و شأنهم و لقنوا التسبيح فذلك قوله تعالى: ﴿و انا لنحن

فرجه افضل من تسعة من ولد الحسين - عليهم السلام - كما هو مفاد بعض الروايات^(١) مع أنه لا يعقل تحققها في الآئمة فقط حيث ان فضيلتهم دون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قطعاً فلذا لا يصح تحقق هذه الفضيلة بهذه المرتبة لهم.

وثانياً بناءً على الغض عما ذكرناه وتاميتها لا تستلزم من القاعدة على تعبيرها الاولى الا كونهم - عليهم السلام - افضل الخلائق وهو كذلك

→ الصاقون وانا نحن المسبحون ﴿ فلما خلق الله آدم - عليه السلام - نظر اليهم عن بين العرش فقال: يارب من هؤلاء قال: يا آدم هؤلاء صفوتي و خاصتي خلقتهم من نور جلالي و شفقت لهم اسماً من اسمائي (الحديث، ج ٣٧، ب ٥٥، ح ٣١، ص ٦٢) فراجع اخبار الباب و غيره تجد ما نحن بصدده.

١ - منها في منتخب الاثر عن دلائل الامامة بسنده عن ابي بصير عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: يكون منّا تسعة بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمهم و هو افضلهم (ف ١، ب ٧، ح ٣٣، ص ٩٥)

و منها فيه عن نفس الرحمن بسنده عن سلمان الفارسي قال: كنّا مع رسول الله و الحسين بن عليّ على فخذة اذ تفرّس في وجهه و قال له: يا ابا عبد الله انت سيّد من السادة و انت امام من امام ابوائمة تسعة تاسعهم قائمهم امامهم اعلمهم احكمهم افضلهم (ف ١، ب ٧، ح ٣٥، ص ٩٦)

و منها في غيبة النعماني بسنده عن خلّاد بن مصا قال: سئل ابو عبد الله - عليه السلام - هل ولد القاسم، فقال: لا، و لو ادركته لخدمته ايام حيوتي (الحديث، في علامات الظهور، ص ١٢٩) فتأمل في امثال هذه الروايات تجد ما نحن بصدده.

- صلوات الله عليهم اجمعين - ولكن لا تلازم أنهم في مرتبة الافضلية
صعدوا غايتها بحيث لا يتصور لها فوقاً ولعلّ هذا واضح بل لا يرضى
بذلك معبرها واما القاعدة على تعبيرها الثانية ففيها:

اما أولاً ان مقدمتها الاولى من حيث الصغرى غير ثابتة بالادلة النقلية
اعني أنهم تامّ القابلية بهذه المرتبة لم تثبت لهم.

و ثانياً على فرض الثبوت ان هذه القاعدة صادقة فقط في نفس النبي
- صلى الله عليه وآله وسلم - حيث ان قابليته ارفع واعظم من غيره
بالضرورة من الكتاب والسنة بل الضرورة من الدين.

و ثالثاً بناء على الغرض عن ذلك غير صادقة ايضاً في الائمة
- عليهم السلام - قطعاً حيث ان بعضهم افضل من بعض كما مرّ الكلام في
تعبيرها الاولى.

ورابعاً على التسليم عن جميع ما ذكرناه ان القاعدة على فرض امكان
ثبوتها لا تثبت الا مقام الشأئية لهم بمعنى صرف الاستعداد في بدو خلقهم
و اما بحسب الفعلية فلا تثبت الافضلية بهذه المرتبة قطعاً وذلك لوجوه
من الادلة.

الدليل الاول الطوائف من الاخبار التي دلت على خلاف ذلك وقد نقلت
بعضها آنفاً.

الطائفة الاولى الاخبار التي دلت على ازدياد علومهم في ليالي الجمعة^(١).

الطائفة الثانية الاخبار التي دلت على ازدياد علومهم في ليالي القدر^(١).
 الطائفة الثالثة الاخبار التي دلت على ازدياد علمهم ساعة بعد ساعة^(٢) و
 نحوها وفيها اخبار صحيحة و حسنه و الاخبار التي دلت على أنه لولا أن
 الائمة - عليهم السلام - ، يزدادون لنفد ما عندهم^(٣) و اغلبها صحاح.
 الطائفة الرابعة الاخبار التي دلت على أن الامام يعرف علم من كان قبله
 في آخر دقيقة تبقى من روحه^(٤) فان هذه الطوائف من الاخبار مع كثرتها
 و تواترها اجمالاً بل احاديث صحاحها و حسانها و موثقاتها كانت بحدّ
 التواتر قد دلت على التزايد و التعالي في علمهم الذي كان لهم الشأن
 العظيم في الفضيلة، بمعنى أنهم - عليهم السلام - فاقدة من هذه الفضيلة
 قبل اوقاتها، و فقدانها كذلك، مناف للقول بأنهم ملثوا الفضيلة، في بدو
 الامر، ملأ لافوق له.

١ - راجع الكافي، ج ١، ب في شأن انا انزلناه في ليلة القدر و تفسيرها، ص ٢٤٢ تجد
 بعض اخباره تدلّ على ما ذكرناه.

٢ - راجع الكافي، ج ١، ب أن الائمة ورثوا علم النبي و جميع الانبياء و الاوصياء
 الذين من قبلهم، ص ٢٢٣، و ب فيه ذكر الصحيفة و الجعفر و الجامعة و مصحف
 فاطمة - سلام الله عليها - (ص ٢٣٩)

٣ - راجع الكافي، ج ١، ب لولا أن الائمة يزدادون لنفد ما عندهم، ص ٢٥٤

٤ - راجع الكافي، ج ١، ب وقت ما يعلم الامام جميع علم الامام الذي كان قبله، ص

تتميم

في الارتقاء وعلو الدرجة ومتعلقاته

وقد استدللّ النبي النقي النجفي «ره» في تفسيره لزيارة الجامعة لافضلية الائمة الهدى - عليهم السلام - من جميع الانبياء بالاخبار بالغاً على ثلثين طائفة ومن الواضح ان دلالتها على ما قصده واضحة ولكن لا يلزم ذلك لما نحن بصدده في المقام، ولعله هو واضح، ولكن بعد ذلك استدللّ على ولايتهم على جميع المخلوقات، من ذوي العقول وغيره، بوجوه عديدة، و من الاسف ان ما استدللّ به من الوجوه لا تورث ما هو بصدده ولا بدّ لاثبات هذا الشأن لهم من محلّ مناسب ونحن في سالف الزمان قد اقمنا على اثباتها لمنكرها في البحث عنها به ثمانية برهان وان شاء الله تعالى سنوردها في مورد المناسب لها فانتظر.

الدليل الثاني الاخبار الكثيرة الصريحة التي دلّت على وصيّتهم بالصدقات الجارية^(١) الظاهرة في ايجابهم لها بل صريحة لوصول الثواب اليهم بعد مماتهم.

الدليل الثالث الدعاء الواردة بعد التشهد الظاهر في ارتفاع الدرجة لهم و

١ - راجع الكافي، ج ٧، ب صدقات النبي وفاطمة والائمة - عليهم السلام - و وصاياهم وفيه عشرة احاديث صحيحة وحسنة وموثقة، ص ٤٧.

ازديادها اعني، فتقبل شفاعته و ارفع درجته، و كذا الصلوات الواردة وجوباً على النبي و الائمة - عليهم السّلام - في مثل التشهد^(١) و في

١ - اورد المسلم في صحيحه في باب الصلوة على النبي بعد التشهد روايات خمسة متقاربة المضمون منها بسنده عن ابي مسعود الانصاري قال: اتانا رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - و نحن في مجلس سعد بن عباد فقال له بشير بن سعد: امرنا الله تعالى ان نصلّي عليك يا رسول الله فكيف نصلّي عليك قال: فسكت رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - حتّى تمنّينا أنّه لم يسأله ثمّ قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : قولوا اللّهم صلّ على محمّد و على آل محمّد كما صليت على آل ابراهيم و بارك على محمّد و على آل محمّد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد و السّلام كما قد علمتم (ج ٢، ص ١٦) اقول ليت شعري انّ المسلم لم يعمل بامر رسول الله في موضع واحد من صحيحه عند نقل الاخبار حتّى في نفس اخبار الباب بل في نفس الحديث فلا تغفل، و اورد المحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين روايات في باب صيغ الصلوة بعد التشهد، منها، بسنده عن ابي مسعود عقبة بن عمرو قال: اقبل رجل حتّى جلس بين يدي رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - و نحن عنده فقال: يا رسول الله اما السّلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلّي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلواتنا صلى الله عليك قال: فصمت حتّى احببنا انّ الرجل لم يسأله ثمّ قال: اذا انتم صليتم علىّ فقولوا اللّهم صلّ على محمّد النبي الاميّ و على آل محمّد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم و بارك على محمّد النبي الاميّ و على آل محمّد كما باركت على ابراهيم و على آل ابراهيم انك

الفرائض اليومية وغيرها واستحباً كما في النوافل واستحباً غيرياً كما ورد في بعض الموارد المعهودة وورودها في بعض ما ذكرناه ثابت بالضرورة من المذهب، والأدلة القطعية، وبعضها ثابت بالضرورة من الدين، كما أن ورودها من حيث الاستحباب النفسي ثابت من المذهب، بل السلامة والتحيات الواردة في زيارات النبي والأئمة - عليهم السلام - وغيرها لهم صلوات الله وسلامه وصلوات جميع ملائكته وأنبيائه وجميع خلقه عليه وعلى أهل بيته المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الظاهرة في ارتفاع الدرجة بحيث أن الادعاء من المدعي على خلاف ذلك يعدّ من المخالفة النصوص القطعية، بأن يقول أن هذه الصلوات والسلامات غير مفيدة لهم بل - عليهم السلام - فائدتها راجعة إلى المصلين والمسلمين مع أن ذلك في بعض المصلين غير معقول كما في الصلوات الصادرة عن الأئمة على النبي أو الصادرة عن بعض الأئمة على الآخر لم تصل فائدتها إلى أنفسهم أيضاً إذ المفروض أن المصلي نفسه قد وصل إلى غاية القصوى الفضيلة ولم يفد له مثل هذه الصلوات أصلاً لما استعرف من الدليل الخامس أن شاء الله تعالى، فهذا الادعاء، كأنه يعدّ من المخالفة للضروريات، فافهم واغتنم.

الدليل الرابع هو ما وردت من طلبهم من الله تعالى في الدعوات المأثورة

عنهم، الدرجة العليا و ارتفاعها، و لو كانت الدرجة العليا حاصلة لهم في بدو الخلقة، لما صحّ لهم الطلب لها و كان الطلب لها من باب طلب تحصيل الحاصل، و هو كما ترى منها في الدعاء العرفة عن السيّد الشهداء - عليه السّلام - في مواضع منه،

منها قوله - عليه السّلام - واجعل لي يا الهي الدرجة العليا في الآخرة و الأولى،

و منها قوله - عليه السّلام - واعطني في هذه العشيّة افضل ما اعطيت و انلت احداً من عبادك، و منها قوله - عليه السّلام - و تمّ لنا نعمائك.

و منها في مناجات خمسة عشر عن عليّ - صلوات الله عليه - في سابعتها قوله - عليه السّلام - الهي اجعلني من المصطفين الاخيار، الى قوله - عليه السّلام - الساعين الى رفيع الدرجات.

و منها في الاعمال يوم الجمعة في الدعاء المروي عن صاحب الزمان - صلوات الله عليه - قوله - عليه السّلام -: و اعطه الفضل و المنزلة و الوسيلة و الدرجة الرفيعة.

و منها في دعاء ابي حمزة الثمالي المروي عن سيّد الساجدين - عليه السّلام - قوله: اللهم تقبل مني و اعل ذكري و ارفع درجتي و غير ذلك.

الدليل الخامس و هو ما لا يمكن ان ينكره الخصم و يردعه بوجه و هو انّ الطاعات و العبادات الصادرة عن النبيّ - صلى الله عليه و آله و سلّم - و عن الائمة - عليهم السّلام - تكون مورثاً لارتفاع درجاتهم قطعاً اذ من

الضروري ان صدور الاعمال الحسنة عنهم مورثة للثواب ومن البديهي يصل اليهم و ذلك يوجب الازدياد لارتفاع درجتهم وكلما ازداد الصدور زيد الارتفاع، وهو واضح، ومن الاعاجب ان يقال ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مثلاً كان في بدو خلقته بمرتبة الاعلى من الفضيلة ولم تزد الى آخر عمره اصلاً مع ان طاعاته وامتثال اوامر الله تعالى عنه بالاختصاص والاوامر الخصوصي له - صلى الله عليه وآله وسلم - مثل قوله تعالى: ﴿يا ايها المزمل، قم الليل الا قليلاً، نصفه او انقص منه قليلاً، او زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾^(٢) ونحوها، لا يعقل انفكاكها عن الاجر وازدياد الفضيلة كما ان آية التهجد دالة بالصراحة على ما نحن بصدده وكذا حضوره - صلى الله عليه وآله وسلم - في الغزوات ونحوها بل جميع ما صدر عنه من الافعال لم ينفك عنه الاجر الملازم لازياد الفضيلة لانه لم يصدر عنه ترك الاولى فما صدر عنه مطلقاً كان عبادة كما قرّر في محله فانه - صلى الله عليه وآله وسلم - في جميع آتات عمره وقع في تصاعد الفضيلة، وكذا علي بن ابي طالب - عليه السلام - مع انه - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: في حقه، ما هو المعروف في كتب السير في غزوة الخندق لضربة على خير من عبادة

الثقلين^(١) ولو كان صدور هذه العبادة عنه - عليه السلام - لم يترتب عليه المثوبة الملازمة لازياد الفضيلة لم يصح صدور هذا الكلام عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - وكذا الكلام في عبادات حسن بن علي - عليهما السلام - و صلحه و صبره، و في قيام الحسين - عليه السلام - و شهادته و في الخلفاء الراشدين بعده صالح بعد صالح و صادق بعد صادق بالاخص تاسعهم قائمهم الذي به يملأ الله الارض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً، و الحاصل لم يتفوه ذي مسكة بان يقال ان عباداتهم خصوصاً الملازمة للصعوبات المنقولة^(٢) في احوالاتهم خالية عن الثواب

١ - نقله العلامة في شرح التجريد، (ص ٢٤٠)، وكذا نقله القوشجي فيه، (ص ٣٧٨)، ومثله ما نقل في البحار عن الطبرسي في مجمع البيان في حقه، فقال النبي: ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرحج عملك بعملهم (الحديث، ج ٣٩، ص ٢)، وعن اخطب خوارزم باسناد ان النبي قال لمبارزة على بن ابي طالب لعمر بن عبدود افضل من اعمال امتي الى يوم القيمة (في البحار، ج ٣٩، ب ٧٠، ص ١) راجع الباب فانه «ره» نقل نظيرها بعبارات اخرى.

٢ - منها ما نقل في العيون في احوال النبي، وبهذا الاسناد، عن علي - عليه السلام - قال: كنا مع النبي في حفر الخندق اذ جاءته فاطمة ومعها كسرة من خبز فدفعتها الى النبي فقال النبي عليه الصلوة والسلام: ما هذه الكسرة قالت قرصاً خبزتها للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسرة فقال النبي: اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاث (ج ٢، قصة حفر الخندق، ص ٤٠)

و ارتفاع الفضيلة و المنزلة، فالنتيجة الى الان من جميع ما ذكرناه حمل القاعدة المذكورة على الشأنية بناءً على صحتها يرفع جميع المحاذير و يلائم جميع الاخبار و هو الصواب.

ان قلت: ان قوله تعالى: ﴿و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾^(١) ظاهر في أنه - صلى الله عليه و آله و سلم - كان بمرتبة لا تكون فوقها مرتبة لأنه لن يرسله الا ان تكون رحمة لجميع العوالم و العوالم مع عمومها و اطلاقها تشمل ما بالفعل، و ما بالقوة منها، اعني ما تكون منها موجودة بالفعل و ما تصير منها موجودة في الازمنة المتأخرة او ما صارت منها موجودة في الازمنة المتقدمة و قد انعدمت و ذلك يلزم لمرتبة القصوى التي لا يتصور لها فوق بل يلزم هذا المنصب عدم المحدودية له في الفضيلة بحسب امتداد الزمان مع عدم حصر خلقه الله تعالى العوالم في الازمنة الآتية، و لا يمكن ان يتصور التعبير لاعطاء الفضيلة له - صلى الله عليه و آله و سلم - فوق هذا التعبير و ايضا ما روى عنهم نزلونا عن الربوبية و قولوا في حقنا ما شئتم، ظاهر في ثبوت مرتبة العالية لهم بحيث لا يمكن لها فوق.

قلت: ان الآية لا تدل زائداً على أنه - صلى الله عليه و آله و سلم - كان علة الغائية للممكنات و أنه اشرفهم - صلوات الله عليه - و على فرض التسليم لا تدل الا على قدر الشأنية اعني كل ما خلق الله متدرجاً فهو

مرهون لرحمته بمعنى ان هذا الشأن ثابت له و ذلك لا يلزم ملثو ظرفه من العلم و الفضائل بحسب الامكان في بدو خلقته بحيث لا يعقل بعد امتلاء ظرفه تصور فوق له و لذا نحن سیرنا في الاخبار الواردة في ابواب فضائله، فلم نجد مثل هذا التعبير فيها، نعم سائر التعابير اعني بانه - صلى الله عليه و آله و سلم - افضل الخلق و سيد ولد آدم و نحو ذلك غير عزيز فيها، فالحاصل نحن لم نجد للخصم دليل على ما ذهب اليه و اقا الرواية مع ضعف سندها، و عدم تماميتها في نفسها، كما مر في القاعدة حيث ان منزلتهم.

اولاً دون منزلة النبي - صلى الله عليه و آله و سلم -

و ثانياً ان التفاضل في الائمة ثابت قطعاً كما عرفت فان ذلك صار سبب لايجاد الاجمال الواضح فيها^(١) و مع الغض عن جميع ما ذكرناه حملها على

١ - و مما يلزم ان نتذكر ان الرواية بهذا التعبير و ان كانت هكذا في ذكرى و لكن لم نظفر عليها بهذه الاسلوب في الكتب المربوطة بعد تفحص التام و يمكن ان تكون من الروايات التي نقلت بالمعنى و نقلتها بعض الاساطين لنا نعم ظفرت به بعض الروايات التي تشترك بعض مضامينها معها.

منها في الخصال، الاربعاء، قال امير المؤمنين - عليه السلام - : اياكم و الفلؤ فينا قولوا انا عبيد مربوبون و قولوا في فضلنا (فسره بعض المفسرين، اي قولوا ما شئتم ما يناسب العبيد و المربوبون) ما شئتم (ج ٢، ح ١٠، ص ٦١٤).

و منها في البحار عن الاحتجاج، قال امير المؤمنين - عليه السلام - : و

→ لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا واياكم والغلو كفلو
النصارى فاني برئ من الغالين الحديث (ج ٢٥، ب ٩، ح ١٠، ص ٢٧٣).
ومنها فيه عن بصائر الدرجات بسنده عن الحسين بن بردة عن ابي عبدالله
- عليه السلام - و عن جعفر بن بشير الخزاز عن اسماعيل بن عبدالعزيز قال:
قال ابو عبدالله - عليه السلام -: يا اسماعيل ضع لي في المتوضأ ماء قال: فقممت
فوضعت له قال: فدخل قال: فقلت: في نفسي انا اقول: فيه كذا وكذا (اي انه رب
و رازق و خالق و مثل هذا كما انه المراد بقوله و كنت اقول: انه و اقول و اقول) و
يدخل المتوضأ يتوضأ، قال: فلم يلبث ان خرج، فقال: يا اسماعيل لا ترفع البناء
فوق طاقته فيهدم اجعلونا مخلوقين و قولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا فقال
اسماعيل: و كنت اقول: انه و اقول: و اقول (ج ٢٥، ب ٩، ح ٢٢، ص ٢٧٩).
ومنها فيه عن كشف الغمة من كتاب الدلائل للحميري عن مالك الجهني قال:
كنا بالمدينة حين اجليت الشيعة و صاروا فرقاً ففتحنا عن المدينة ناحية ثم
خلونا فجعلنا نذكر فضائلهم و ما قالت الشيعة الى ان خطر ببالنا الربوبية، فـ
شعرنا شيئاً اذا نحن بابي عبدالله - عليه السلام -، واقف على حمار فلم ندر من
اين جاء، فقال: يا مالك و يا خالد متى احديثنا الكلام في الربوبية، فقلنا ما خطر
ببالنا الا الساعة، فقال: اعلموا ان لنا رباً يكلأنا بالليل و النهار، نعبد، يا مالك و
يا خالد فولوا فينا ما شئتم و اجعلونا مخلوقين فكفرها علينا مراراً، و هو واقف
على حماره (ج ٢٥، ب ٩، ح ٤٥، ص ٢٨٩) و لا يخفى ان هذه الروايات صادرة في
مقام نفي الغلو كما هو صريح مضامينها، و لا اطلاق لها لعدم كونها في مقام بيان

الشأنية مع ما يصادمها من الادلة القطعية كان ملائماً لمدار الجمع بين الادلة و الاخبار

تتميم و تحقيق

و لابد هنا من تقديم مقدمة حتى يستكمل المقصود و يتحقق المرام، و هي هذه، مقدمة، لا اشكال في ان الفضائل بحسب الدقة العقلية كانت على قسمين الاول انها كانت من قبيل الصفات الوجودية كالعلم بالمعلومات و القدرة على المقدورات على نحو الفعلية.

الثاني انها كانت من قبيل الصفات الشأنية الصرفة كاتصاف الشخص بصفة الوساطة و الشفاعة مثلاً و نحوها.

اما القسم الاول فلا يعقل بذل هذه الفضيلة للممكن بالفعل من غير النهاية لها، لا من جهة الفاعل، و لا القابل كليهما، اما من جهة الفاعل

→ ما نحن بصدده، مضافاً الى أنها يمكن ان تكون في مقام بيان اثبات المعارف و الاحكام الشرعية لهم، - صلوات الله عليهم - لا العلم بالموضوعات و قد سبق منا في المتن الاشارة الى ذلك، و اما لو كانت هذه الاخبار في مقام البيان لمطلق الفضائل، و ما هو محطاً للنظر، و ثبت لها الاطلاق، تعاند اطلاقها لجميع ما سلف منا في المتن، و من الواضح ان ما سلف منا كانت من الادلة القطعية و انها وقعت بياناً لاطلاق هذه الاخبار، و صارت قرينة للانصراف عنه، فقدمت الحكمة للاخذ باطلاقها غير حاصلة في المقام، و توضيح الكلام موقوف الى محله و الله العالم.

فلعدم امكان تعلّق القدرة بشيء ما لانهاية له، وبذله، الى الممكن، كما مرّ مراراً في بعض مباحثنا أنّ القدرة لا يعقل ان يتعلّق بغير المقدورات و من المعلوم ان ما لانهاية له لم تكن من المقدورات، و اما من جهة القابل، فلا متنازع قبول المحدود، اعني الممكن، لما لانهاية له اعني غير المحدود، ولعلّ هذا واضح.

أما القسم الثاني فيمكن بذل هذه الفضيلة و هذا المنصب الى الممكن، من جهة الفاعل و القابل، كليهما، أما من جهة الفاعل فلانه يمكن ان يجعل الله تعالى لشخص منصباً تاماً، من حيث صيرورته رحمةً و واسطة لمطلق العوالم، التي لانهاية لها و اما جهة القابل فواضح و مثال ذلك، بما يقرب باذهانتنا، أنّ الله تبارك و تعالى قد اعطى قدرة التكلّم و قدرة الفهم و الدرك للانسان، و يصح له بواسطة القدرة و الدرك ان يقدر على ايجاد التكلّم بما لانهاية له، و كذا دركها اذا كان نفسه باقية دائمة، كالؤمن المخلّد في الجنة فانه قادرٌ على التكلّم و الدرك لما لانهاية لها بحسب امتداد الزمان و عدم انتهائه و لو تقديرًا.

اذا تمّ هذا فنقول، أنّ قوله تعالى: ﴿و ما ارسلناك الا رحمةً للعالمين﴾، كان من القسم الثاني بل كلّما لو ظفرت بها من الأدلّة، من حيث بذل الفضائل اليهم - صلوات الله عليهم اجمعين - و ظاهرها كانت من قبيل القسم الأوّل، لا بدّ من ان يحملها على القسم الثاني و هو صحيح، و لا يخفى أنّ العلم بالموضوعات من حيث عدم النّهاية لها من جهة امتداد الزمان و عدم الغاية له، كان من هذا القسم فما كان من

الادلة التي قد تقدّم، مثل أنّهم عالمة بما كان وما يكون، بناءً على اطلاق، قوله، وما يكون، واطلاقه شامل، لما لانهاية لها، من الامورات المتكوّنة في الازمنة الآتية مطلقاً يؤل الى القسم الثاني، اعني يمكنهم الله تعالى ان يستعلموا كما مرّ الاشارة الى ذلك بطلق ما يكون من الامورات المتكوّنة في الآتية مطلقاً اعني بما تلبس بالكون فيها متدرجة بنحو الفعلية ولا يلزم حينئذٍ محذور اصلاً فافهم واغتنم، فانه لا يسبقنا فيما اعلم بما حقّقنا لك في المقام والله العالم، بقى الكلام، في وجه تفاضل الائمة بعضهم عن البعض بمعنى الاشرفية والاعلمية، مع ان كلّهم نور^(١) واحد.

فتقول مستعيناً بالله تعالى، لاشبهة في أنّهم في الفضل بمعنى العلم سواء كما

١ - اعني كان خلقتهم من نور واحد و تدلّ على ذلك اخبار كثيرة منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن محمّد بن مروان عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: سمعته يقول خلقنا الله من نور عظمت ثمّ صورّ خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً و بشراً نورانيين لم يجعل لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً و خلق ارواح شيعتنا من ابداننا و ابدانهم من طينة مخزونة مكنونة اسفل من ذلك الطينة و لم يجعل الله لاحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً الا الانبياء والمرسلين فلذلك صرنا نحن و هم الناس و (في المصدر و صار سائر الناس) سائر همجاً في النار و الى النار (ج ٢٥، ب ١، ح ٢٦، ص ١٤) الهمج محرّكة ذباب صغير كالبعوض و غير ذلك.

يستفيد ذلك من بعض الأخبار^(١) ولكن يمكن أن يقال أن المنشأ هو بعض الوظائف الصعبة الخطيرة جعلت في عهدة بعضهم بحسب معاندي خلافتهم في زمان امامتهم ونفاق اهل عصرهم ونحوها والصبر والاستقامة عليها مورثة لها كجعل عهدة تبليغ الرسالة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - التي كانت من بعض شئون مراتب فضيلته - صلوات الله عليه وعلى آله - والله العالم بحقايق الامور.

هذا تمام الكلام في المطالب الثالث فيما قصدنا تنقيحه قبل ذهاب الروح مقدمة لمسئلة الموت والمعاد وان جرّ البحث في اثنائها الى مطالبات اخرى مربوطة بها ومتّمة لها ولذا الجئنا الى استيفاء الكلام فيها وشكر الله للسعي على ابتدائها وتكميلها ونستعين منه على اتمام ما نقصدها على حسب رضاه وهو المستعان في جميع الاحوال.

١ - منها في كفاية الاثر بسنده عن مسعدة قال: كنت عند الصادق - عليه السلام - اذ اتاه شيخ كبير قد انحنا (الى ان قال) فقال الشيخ: يا سيدي بعضكم افضل من بعض قال: لانحن في الفضل سواء، ولكن بعضنا اعلم من بعض، الحديث، باب ما جاء عن جعفر بن محمد - عليهما السلام - (ص ٢٦٠)

ومنها في الكافي بسنده الصحيح عن زرارة قال: سمعت ابا جعفر - عليه السلام - يقول لولا انا نزداد لا نقذنا قال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله قال: اما أنّه اذا كان ذلك عرض على رسول الله ثمّ على الائمة ثمّ انتهى الامر اليها (ج ١، ب لولا ان الائمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم، ح ٣، ص ٢٥٥) ومنها (ح ٤) من هذا الباب.

فصل

في مسألة الرجعة

لابأس بايراد البحث في مسألة الرجعة قبل الخوض في بحث الموت و حقيقته فنقول مستعيناً بالله اجمال الكلام في المقام ان مسألة الرجعة طريق اثباتها بعد امكان وقوعها موقوفة بالادلة النقلية ولم يكن للعقل طريق لاثباتها و الادلة النقلية منحصرة بالاخبار و انها متواترة، فلا بد من الالتماس بها، و اما الآيات و ان استدلل بها بعض الاصحاب للمقام، و لكن لما كان دلالتها على المسئلة مستقلة غير واضحة، فلا بد في المقام من عدم الاستناد بها كما صنع بعض الفحول، نعم ان الآيات بمعونة الاخبار الواردة فيها صارت دلالتها على المسئلة واضحة، و كانت دليلاً للمقام، و اما الاجماع، و ان كان في المقام موجود، و لكن لما كان انه محتمل المدرك بل المقطوع فلا يصح انه يكون دليلاً برأسه للمقام، فعلى هذا لابد من الارجاع بالاخبار، و انها كانت على طوائف سبعة،

الطائفة الاولى تدل على ان الرجعة موقوفة لمحضى الايمان و الكفر.

الطائفة الثانية تدل على رجعة بعض المعصومين من النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - و غيره.

و الطائفة الثالثة تدلّ على وقوع مطلق الرجعة من غير تقييد ببعض الافراد دون بعض.

و الطائفة الرابعة تدلّ على أنّه من مات مقتولاً ألا سيرجع حتّى يموت و من مات ألا سيرجع حتّى يقتل.

و الطائفة الخامسة تدلّ على أنّه لم يبعث الله نبياً و لارسولاً إلا ردّ جميعهم الى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدي امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب - عليه السّلام - .

و الطائفة السادسة تثبت الرجعة فيها بواسطة قوله تعالى: ﴿يوم نحشر من كلّ امة فوجاً﴾ اعني أنّها غير عامّة.

و الطائفة السابعة تدلّ على رجعة بعض مصاديق المحضين للايمان و الكفر و من يحذوا حذوها و نحن نكتفي بذكر البعض من هذه الطوائف خوفاً من الاطالة.

اقا الطائفة الاولى فلم نعثر على روايات هذه الطائفة بالتعبير المذكور الا على ما نقل البحار عن الاختصاص بسنده عن محمّد بن مسلم قال: سمعت حمّان بن اعين و ابا الخطاب يحدثان جميعاً قبل ان يحدث ابو الخطاب ما احدث أنّهما سمعا ابا عبد الله - عليه السّلام - يقول: أوّل من تنشق الارض عنه و يرجع الى الدنيا الحسين بن عليّ - عليهما السّلام - و انّ الرجعة ليست بعامة و هي خاصّه لا يرجع الا محض الايمان محضاً أو

محض الشرك محضاً^(١) وما رواه في تفسير القمي بسنده عن المفضل عن ابي عبدالله - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾، قال: ليس احد من المؤمنين قتل الا يرجع حتى يموت ولا يرجع الا من محض الايمان محضاً ومن محض الكفر محضاً الحديث^(٢).

واما الطائفة الثانية فمنها فيه عنه بسنده عن بكير بن اعين قال: قال لي: من لا اشك فيه يعني ابا جعفر - عليه السلام - ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - و عليا سيرجعان^(٣)

ومنها فيه عنه بسنده عن جابر بن يزيد عن ابي جعفر - عليه السلام - في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٤). يعني بذلك محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - و قيامه في الرجعة ينذر فيها وقوله انها لاحدى الكبر نذيراً^(٥) يعني محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم -، نذيراً للبشر، في الرجعة وفي قوله: «أَنَا ارسلناك كافة للناس»^(٦) في الرجعة^(٧).

ومنها فيه عنه بسنده عن المعلی بن خنيس و زيد الشحام عن ابي عبدالله عليه السلام - قالاسمعناه يقول: ان أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي - عليهما السلام - و يمكث في الارض اربعين سنة حتى يسقط

١- ج ٥٣، ب ٢٩، ح ١، ص ٣٩ ٢- ج ٢، ص ١٣١

٣- ج ٥٣، باب ٢٩، ح ٢، ص ٣٩ ٤- المدثر، ١ و ٢

٥- المدثر، ٢٦

٦- يريد معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا ارسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً﴾، سبأ،

٧- ج ٥٣، ب ٢٩، ح ١٠، ص ٤٢

حاجباه على عينيه. (١)

ومنها فيه عنه بسنده عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام -: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: لقد أسرى بي ربي عز وجل فأوحى إلى من وراء حجاب ما أوحى، وكلمني بما كلم به، وكان مما كلمني به، أن قال: يا محمد أتني أنا الله لا اله إلا أنا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، أتني أنا الله لا اله إلا أنا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون، أتني أنا الله لا اله إلا أنا الخالق البارئ المصور لي الأسماء الحسنى، يسبح لي من في السموات والأرض، وأنا العزيز الحكيم، يا محمد أتني أنا الله لا اله إلا أنا الأول فلاشيئ قبلي، وأنا الآخر فلاشيئ بعدي، وأنا الظاهر فلاشيئ فوق، وأنا الباطن فلاشيئ دوني، وأنا الله لا اله إلا أنا بكل شيء عليم، يا محمد على أول ما أخذ ميثاقه من الأئمة يا محمد على آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلمهم يا محمد على أظهره على جميع ما أوحى إليك ليس لك أن تكتم فيه شيئاً يا محمد، أبطنه الذي أسررتك إليك فليس ما بيني وبينك سرّ دونه يا محمد على ما خلقت من حلال وحرام على عليم به (٢).

ومنها في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به

قبل موته و يوم القيمة يكون عليهم شهيداً ﴿^(١)﴾ فإنه روى ان رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - اذا رجع آمن به الناس كلهم قال: و حدثني ابي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن ابي حمزة عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر آية في كتاب الله قد اعيتني فقلت: ايها الامير آية آية هي فقال: قوله: ﴿و ان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته﴾، و الله لاني لآمر باليهودي و النصراني فيضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما اراه يحرك شففيه حتى يحمد فقلت: اصلح الله الامير ليس على ما تأولت قال: كيف هو قلت: ان عيسى ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا فلا يبقى اهل ملّة يهودي و لانصراني الا آمن به قبل موته و يصلي خلف المهدي قال: ويحك اني لك هذا و من اين جئت به فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب - عليه السلام - فقال: جئت بها و الله من عين صافية ^(٢) و نحوها بالغ اربعين حديثاً اخرى في هذه الطائفة فليطلبها من المجلد المزبور من البحار.

واقفا الطائفة الثالثة اعني ما دلت على مطلق وقوع الرجعة من غير تقييد ببعض الافراد دون بعض فنها، في تفسير القمي «ره» في قوله تعالى: ﴿هو حرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون﴾ ^(٣) فإنه حدثني ابي عن ابن

ابي عمير عن ابن سنان عن ابي بصير عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله - عليه السلام - و ابي جعفر - عليه السلام - قالوا: كل قرية اهلك الله اهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة فهذه الآية من اعظم الدلالة في الرجعة لان احداً من اهل الاسلام لا ينكر ان الناس كلهم يرجعون الى القيامة من هلك و من لم يهلك قوله و لا يرجعون أيضاً عني في الرجعة فاما الى القيامة فيرجعون يدخلوا النار^(١).

و منها في البحار عن الاختصاص بسنده عن عبد الله بن عطا عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: كنت مريضاً بمى و ابي - عليه السلام - عندي فجاءه الغلام فقال: ههنا رهط من العراقيين يسألون الاذن عليك فقال ابي - عليه السلام -: ادخلهم القسطاط و قام اليهم فدخل عليهم فما لبث ان سمعت ضحك ابي - عليه السلام - قد ارتفع فانكرت و وجدت في نفسي من ضحكه و انا في تلك الحال ثم عاد الى فقال: يا ابا جعفر عساك وجدت في نفسك من ضحكي فقلت: و ما الذي غلبك منه الضحك جعلت فداك فقال: ان هؤلاء العراقيين سألوني عن امر كان مضى من آبائك و سلفك يؤمنون به و يقرّون فغلبني الضحك سروراً ان في الخلق من يؤمن به و يقرّ فقلت: و ما هو جعلت فداك قال: سألوني عن الاموات متى يبعثون فيقاتلون الاحياء على الدين^(٢).

و منها فيه عنه بسنده عن ابي بصير قال: دخلت على ابي عبد الله

- عليه السّلام - فقلت: أنا نتحدّث ان عمر بن ذر لا يموت حتّى يقاتل قائم آل محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: انّ مثل ابن ذرّ مثل رجل كان في بني اسرائيل يقال له: عبد ربّه وكان يدعو اصحابه الى ضلالة فمات فكانوا يلودون بقبّره ويتحدّثون عنده اذا خرج عليهم من قبّره ينفض التّراب من رأسه ويقول: لهم كيت وكيت.^(١)

ومنها فيه عن الكافي بسنده عن الحسن بن شاذان الواسطي قال: كتبت الى ابي الحسن الرضا - عليه السّلام - اشكو جفاء اهل واسط و حملهم علىّ وكانت عصابة من العثمانيّة تؤذيني فوقّع بخطّه انّ الله جلّ ذكره اخذ ميثاق اوليائنا على الصبر في دولة الباطل فاصبر لحكم ربّك فلو قد قام سيّد الخلق لقالوا، يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.^(٢)

ومنها في كامل الزيارات بسنده عن المفضل بن عمر قال: قال ابو عبد الله - عليه السّلام - : كأني بالملائكة والله قد ازدحموا المؤمنين على قبر الحسين - عليه السّلام - (الى ان قال) قال لي: يا مفضل ازيدك قلت: نعم سيدي قال: كأني بسرير من نور قد وضع وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكلّلة بالجواهر وكأني بالحسين - عليه السّلام - جالس على ذلك السرير و حوله تسعون الف قبة خضراء وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه فيقول الله عزّ وجلّ لهم اوليائي سلوني فطال ما

اوذيتهم و ذللتهم واضطهدتم فهذا يوم لا تسئلوني حاجة من حوائج الدنيا و الاخرة الا قضيتها لكم فيكون اكلهم و شربهم في الجنة فهذه و الله الكرامة التي لا انقضاء لها و لا يدرك منتهاها^(١) قال المجلسي «ره» ذيل هذه الرواية^(٢): بيان، سؤال حوائج الدنيا يدل على ان هذا في الرجعة اذ هي لا تسأل في الآخرة.

وفيه و ان احتمل ذلك و لكن ذلك لا يلائم قوله بعد ذلك فيكون اكلهم و شربهم في الجنة و قوله فهذه و الله الكرامة التي لا انقضاء لها و لا يدرك منتهاها فالاستدلال بها للمقام مشكل و اما سؤال حوائج الدنيا يمكن ان تكون لاهل الدنيا من اقاربه و نحوها للشفاعه، فتدبر جيداً.

ومنها في الكافي بسنده، عن المفضل بن عمر عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ما جاء به عليّ - عليه السلام - آخذ به و ما نهى عنه أُنْتَهِيَ عنه (الى ان قال) و كان امير المؤمنين - صلوات الله عليه - كثيراً ما يقول: انا قسيم الله بين الجنة و النار و انا الفاروق الاكبر و انا صاحب العصا و الميسم^(٣) الحديث طويل جداً، و هكذا قال - عليه السلام - : في الرواية التالية.

ومنها فيه بسنده عن ابي الصامت الحلواني عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: فضل امير المؤمنين - عليه السلام - ما جاء به آخذ به (الى ان قال) و

١ - الباب الخمسون، ح ٣، ص ١٣٥ - ٢ - البحار، ج ٥٣، ح ١٤٠، ص ١١٦

٣ - ج ١، ب ان الائمة هم اركان الارض، ح ١، ص ١٩٦

قال امير المؤمنين - عليه السلام - : انا قسم الله بين الجنة والنار لا يدخلها داخل الا على حد قسمي وانا الفاروق الاكبر وانا الامام لمن بعدي والمؤدي عمن كان قبلي لا يتقدمني احد الا احمد - صلى الله عليه وآله وسلم - واني واتيائه لعل سبيل واحد الا انه هو المدعو باسمه ولقد أعطيت الست: علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب واني لصاحب الكرات ودولة الدول واني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس^(١).

ومنها فيه بسنده الحسن عن يزيد بن معاوية قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - (إلى ان قال) ثم قال: اما والله لا تذهب الايام والليالي حتى يحیی الله الموتى ويميت الاحياء ويرد الله الحق الى اهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونيته فابشروا ثم ابشروا ثم ابشروا فوالله ما الحق الا في ايديكم^(٢)

ومنها في كامل الزيارات بسنده الشايع^(٣) عن ابي حمزة الثمالي قال: قال الصادق - عليه السلام - : اذا اردت المسير الى قبر الحسين - عليه السلام - فصم يوم الاربعاء والخميس والجمعة (والزيارة و مقدماتها طويلة جداً) (الى ان قال) وقل لييك داعي الله لييك سبعاً و

١ - ج ١. ب ان الائمة هم اركان الارض، ح ٣، ص ١٩٧

٢ - ج ٣، ب ادب المصدق، ح ١، ص ٥٣٦

٣ - انظر لذلك ما شرح في ذيل صحيفة الكتاب في حالات رواية الحديث ص ٢٢٣

قل (الى قوله) فقلبي لكم مسلم و رأيي لكم متبع و نصرتي لكم معدة حتى يحكم الله دينه و يبعثكم^(١) الحديث، و نحوها، بالغ خمسة و خمسين حديثاً أخرى في هذه الطائفة فليطلبها من المجلد المزبور من البحار. و اما الطائفة الرابعة اعني ما دلّت على أنّه من مات مقتولاً الا سيرجع حتى يموت و من مات الا سيرجع حتى يقتل.

فمنها في البحار عن الاختصاص بسنده عن جابر بن يزيد عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: ليس من مؤمن إلا وله قتلة و موة، أنّه من قتل نشر حتى يموت و من مات نشر حتى يقتل ثم تلوت على ابي جعفر - عليه السلام - هذه الآية ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) فقال: و منشوره قلت: قولك، و منشوره، ما هو فقال: هكذا انزل بها جبرئيل على محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - كل نفس ذائقة الموت و منشوره ثم قال: ما في هذه الامة احد برّ و لا فاجر الا و ينشر اما المؤمنون فينشرون الى قرّة اعينهم و اما الفجار فينشرون الى خزي الله اياهم الم تسمع ان الله تعالى يقول: ﴿و لنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر﴾^(٣) و قوله: ﴿يا ايها المدثر قم فانذر﴾، يعني بذلك محمداً - صلى الله عليه و آله و سلم - قيامه في الرجعة ينذر فيها و قوله: ﴿انها لاحدى الكبر، نذيراً للبشر﴾، يعني محمداً - صلى الله عليه و آله و سلم - نذير للبشر في

الرجعة و قوله: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون﴾^(١) قال: يظهره الله عز وجل في الرجعة و قوله: ﴿حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾^(٢) هو علي بن ابي طالب - صلوات الله عليه - اذا رجع في الرجعة قال جابر: قال ابو جعفر - عليه السلام -: قال امير المؤمنين - عليه السلام -: في قوله عز وجل: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾^(٣) قال: هو انا اذا خرجت انا و شيعتي و خرج عثمان بن عفان و شيعته و تقتل بني امية فعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين^(٤).

ومنها فيه عنه بسنده عن زرارة قال: كرهت ان اسأل ابا جعفر - عليه السلام - [في الرجعة] فاحتلت مسألة لطيفة لا بلغ بها حاجتي منها فقلت: اخبرني عمّن قتل مات قال: لا الموت موت و القتل قتل فقلت: ما احد [يقتل الا مات قال: فقال: يا زرارة قول الله اصدق من] قولك قد فرق بين القتل و الموت في القرآن فقال - عليه السلام -: ﴿افان مات او قتل﴾^(٥) و قال: ﴿لئن متم او قتلتم لايلى الله تحشرون﴾^(٦) فليس كما قلت: يا زرارة الموت موت و القتل قتل و قد قال الله عز وجل: ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل

٢- المؤمنون، ٧٧

١- البراءة، ٣٤

٤- ج ٥٣، ب ٢٩، ح ٥٥، ص ٦٤

٣- الحجر، ٢

٦- آل عمران، ١٥٧

٥- آل عمران، ١٤٤

اللَّهِ فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً ﴿١﴾ قال: فقلت: انَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ﴿٢﴾ افرأيت من قتل لم يذوق الموت فقال: ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه ان من قتل لا بدَّ ان يرجع الى الدنيا حتَّى يذوق الموت ﴿٣﴾.

ومنها فيه عنه بسنده عن عبدالرحمن القصير عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: قرأ هذه الآية: ﴿انَّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم﴾ ﴿٤﴾ فقال: هل تدري من يعني فقلت: يقاتل المؤمنون فيقتلون و يقتلون فقال: لا ولكن من قتل من المؤمنين ردَّ حتَّى يموت و من مات ردَّ حتَّى يقتل و تلك القدرة فلا تنكرها ﴿٥﴾ و نظيرها خمسة احاديث اخرى فليطلبها في الباب المذكور.

واقفا الطائفة الخامسة اعني ما دلَّت على انه لم يبعث الله نبياً و لا رسولاَّ الا ردَّ جميعهم الى الدنيا حتَّى يقاتلوا بين يدي امير المؤمنين - عليه السلام - فمنها فيه عنه بسنده عن فيض بن ابي شيبه قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: و تلا هذه الآية ﴿و اذا اخذ الله ميثاق النبيين﴾ ﴿٦﴾ الآية قال: ليؤمننَّ برسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - و لينصرنَّ علياً امير المؤمنين - عليه السلام - [قلت و لينصرنَّ

٢- الانبياء، ٣٥

١- البراءة، ١١٢

٤- البراءة، ١١٢

٣- ج ٥٣، ب ٢٩، ح ٥٨، ص ٦٥

٦- آل عمران، ٨١

٥- ج ٥٣، ب ٢٩، ح ٧٣، ص ٧٤

امير المؤمنين] قال - عليه السلام -: نعم والله من لدن آدم فهلّم جرّاً فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً الا ردّ جميعهم الى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن ابي طالب امير المؤمنين - عليه السلام - ^(١).

ومنها فيه عنه من كتاب الواحدة بسنده عن عاصم بن حميد عن ابي جعفر الباقر - عليه السلام - قال: قال امير المؤمنين - عليه السلام -: (الى ان قال) والنصرة لنا وذلك قوله عز وجل: ﴿واذ اخذ الله ميثاق التّبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه﴾ ^(٢) يعني لتؤمننّ بمحمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - و لتنصرنّ وصيّته و سينصرونه جميعاً وانّ الله اخذ ميثاقى مع ميثاق محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - بالنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمداً و جاهدت بين يديه و قتلت عدوّه و وفيت لله بما اخذ على من الميثاق و العهد و النصرة لمحمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم ينصرني احد من انبياء الله و رسله و ذلك لما قبضهم الله اليه و سوف ينصرونني و يكون لي ما بين مشرقها الى مغربها و ليبعثن الله احياء من آدم الى محمّد - صلى الله عليه وآله وسلم - كلّ نبى مرسل يضربون بين يديّ بالسيف هام الاموات و الاحياء و الثقلين جميعاً فيا عجباً و كيف لا اعجب من اموات يبعثهم الله احياء يلّبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك يا داعى الله الى ان قال) و ان لي الكرة بعد الكرة و الرجعة بعد الرجعة و انا صاحب

الرجعات والكرّات^(١) الحديث (طويل شريف وسيع جداً).

ومنها في تفسير القمي «ره» بسنده عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام - قال: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين - عليه السلام - وهو قوله لتؤمنن به، يعني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولتنصرنّه، يعني أمير المؤمنين^(٢) - عليه السلام - ولم نجد من الروايات من هذه الطائفة سواها.

وأما الطائفة السادسة اعني ما دلّت على اثبات الرجعة اتكالا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ بمعنى أنها غير عامّة فمنها في تفسير القمي «ره» فأنّه سئل عن قوله ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾، فقال: ما يقول الناس فيها قلت، يقولون أنها في القيامة فقال أبو عبد الله عليه السلام -: يحشر الله في يوم القيامة من كلّ أمة فوجاً ويذر الباقيين أمّا ذلك في الرجعة فأمّا آية القيامة فهذه، وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً و عرضوا على ربك صفاً^(٣) إلى قوله موعداً^(٤).

ومنها فيه بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام - قال: انتهى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أمير المؤمنين عليه السلام - وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه

١ - ج ٥٣، ب ٢٩، ح ٢٠، ص ٤٦ ٢ - ج ١، ص ١٠٦

٣ - الكهف، ٤٨ ٤ - ج ٢، ص ٣٦

فحرّكه برجله ثم قال له: قم يا دابة الله فقال رجل من اصحابه: يا رسول الله اُيُسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم فقال: لا والله ما هو إلا له خاصه و هو الدابة التي ذكر الله في كتابه: ﴿واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾^(١) ثم قال: يا علي اذا كان آخر الزمان اخرجك الله في احسن صورة و معك ميسم تسم به اعداءك فقال رجل لابي عبد الله - عليه السلام -: ان الناس يقولون هذه الدابة انما تكلمهم فقال ابو عبد الله - عليه السلام -: كلّمهم الله في نار جهنم انما هو يكلمهم من الكلام والدليل على ان هذا في الرجعة قوله: ﴿و يوم نحشر من كلّ امة فوجاً، ممّن يكذب باياتنا فهم يوزعون، حتّى اذا جاؤوا قال: اكذبتم باياتي و لم تحيطوا بها علماً اماذا كنتم تعملون﴾^(٢) قال: الآيات امير المؤمنين و الائمة - عليهم السلام - فقال الرجل لابي عبد الله - عليه السلام -: ان العامة تزعم ان قوله: ﴿و يوم نحشر من كلّ امة فوجاً﴾، عني يوم القيامة، فقال ابو عبد الله - عليه السلام -: أفيحشر الله من كلّ امة فوجاً، و يدع الباقي، لا، و لكنه في الرجعة و اما آية القيامة فهي، و حشرناهم فلم تغادر منهم احداً^(٣).

و منها في البحار عن الاختصاص بسنده عن ابي بصير قال: قال لي ابو جعفر - عليه السلام -: ينكر اهل العراق الرجعة قلت: نعم قال: اما

يقرؤون القرآن، ﴿و يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾^(١) ولم نظفر على احاديث هذه الطائفة سواها.

أما الطائفة السابعة اعني ما دلت على رجعة بعض مصاديق المحضين للإيمان والكفر و من يخذوا حذوها فمنها في البحار عن الاختصاص بسنده عن ابن بكير عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: كأني بجمران بن اعين و ميسر ابن عبدالعزيز يخطبان الناس باسيافهما بين الصفا و المروة^(٢).

و منها فيه عنه بسنده عن جابر بن يزيد عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: ان لعليّ - عليه السلام - في الارض كربة مع الحسين ابنه - صلوات الله عليهما - يقبل برايته حتى ينتقم له من بني اميه و معاوية و آل معاوية و من شهد حربه ثم يبعث الله اليهم بانصاره يومئذ من اهل الكوفة ثلاثين الفا و من سائر الناس سبعين الفا فيلقاهم بصفين مثل المرة الاولى حتى يقتلهم و لا يبقى منهم مخبراً ثم يبعثهم الله عز وجل فيدخلهم اشد عذابه مع فرعون و آل فرعون ثم كربة اخرى مع رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - حتى يكون خليفة في الارض و تكون الائمة - عليهم السلام - عماله و حتى يبعثه الله علانية فتكون عبادته علانية في الارض كما عبد الله سرّاً في الارض ثم قال: اي و الله و اضعاف ذلك، ثم عقد يده اضعافاً يعطي الله نبيه - صلى الله عليه و آله و سلم - ملك جميع

اهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا الى يوم يفنيها حتى ينجز له مواعده في كتابه كما قال: ويظهره على الدين كله ولو كره المشركون^(١).

ومنها فيه عنه بسنده عن خالد بن يحيى قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام -: سمي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ابا بكر صديقا فقال: نعم انه حيث كان معه ابوبكر في الغار قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: اني لاري سفينة بني عبدالمطلب تضطرب في البحر ضالّة فقال له ابوبكر: وانتك لتراها قال: نعم فقال: يا رسول الله تقدر ان ترينها فقال: اذن مني فدنا منه فمسح يده على عينيه ثم قال له: انظر فنظر ابوبكر فرأى السفينة تضطرب في البحر ثم نظر الى قصور اهل المدينة فقال في نفسه: الان صدقت أنك ساحر فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: صديق انت فقلت: لم سمي عمر الفاروق قال: نعم الا ترى انه قد فرق بين الحقّ والباطل واخذ الناس بالباطل فقلت: فلم سمي سالما الامين قال: لما ان كتبوا الكتب ووضعوها على يد سالم فصار الامين قلت: فقال: اتقوا دعوة سعد قال: نعم قلت: وكيف ذلك قال: ان سعداً يكرّ فيقاتل عليّاً - عليه السلام -^(٢) ومنها فيه عن كنز جامع الفوائد بسنده عن سليمان بن خالد قال: قال ابو عبد الله عليه السلام -: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾^(٣)

١- براءة، ٢٤ وج ٥٣، ب ٢٩، ح ٧٥، ص ٧٤

٢- ج ٥٣، ب ٢٩، ح ٧٦، ص ٧٥ ٣- النازعات، ٦

قال: الراجفة الحسين بن علي - عليها السلام - و الزادقة علي بن ابي طالب - عليه السلام - و اول من ينفض عن رأسه التراب الحسين بن علي - عليها السلام - في خمسة وسبعين ألفاً و هو قوله تعالى: ﴿أَنَا لِنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الشَّهَادُ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١).

ومنها في اعلام الوري^(٢) و الارشاد روى المفضل بن عمر عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: يخرج مع القائم - عليه السلام - من ظهر الكوفة سبع و عشرون رجلاً خمسة عشر من قوم موسى - عليه السلام -، الذين كانوا يهدون بالحق و به يعدلون، و سبعة من اهل الكهف و يوشع بن نون و سلمان و ابودجانة الانصاري و المقداد و مالك الاشتر فيكونون بين يديه انصاراً و حكماً^(٣).

اقول: لم نظفر على روايات هذه الطائفة سوى هذه الخمسة المذكورة و الى الآن قد وقفت على جملة من اخبار هذه الطوائف السبعة و هناك روايات اخرى قد نقلها العلامة المجلسي «ره» بالغاً الى سبعة و عشرين حديثاً التي لم تكن على عنوان مضبوط فيلطلبها من هذا الباب في المجلد المزبور و

١ - غافر ٥١ و ٥٢ و ج ٥٣، ب ٢٩، ح ١٣٤، ص ١٠٦

٢ - الفصل الثالث في سيرته عند قيامه، ص ٤٣٣ و فيه (قال يخرج الى القائم - عليه السلام -)

٣ - الارشاد خاتمة الكتاب، ص ٣٣٤ و فيه (و يوشع بن نون و سليمان، و الظاهر الصحيح، هو سلمان، كما في اعلام الوري)

الانصاف ان اخبار الباب كما ترى بالغة حدّ التواتر و ما فوقها و لذا لا بدّ من ان تجعل هذه المسئلة من ضروريات المذهب بلا شكّ و ارتياب اجمالاً بمعنى أنّه من اللازم ان يعتقد بها من دون ان يقيد بها بان تكون للمعصومين خاصّه او للمحضين من الايمان او الكفر فقط او مخصوصة لهذه الامة او كانت مربوطّة لعموم افراد هذه الامة بل لا بدّ من الاعتقاد بها اجمالاً.

و توضيح ذلك على حسب القواعد الاصولي و ان كان القاعدة على ما هو مبرهن فيه هي حمل المطلق على المقيد و أنّه لم تكن بين ستة من هذه الطوائف تهافت حيث ان ما دلّ على رجعة بعض المعصومين و هي الطائفة الثانية و أنّهم من جملة الماحضين للايمان و من اعلى مراتبها و بين ما دلّ على بعث جميع الانبياء و الرسل و هي الطائفة الخامسة و ايضاً أنّها من جملتهم بمرتبتهم و بين ما دلّت على رجعة بعض مصاديق المحضين و هي الطائفة السابعة و أنّها من جملتهم و بين الطائفة الاولى مغايرة حيث أنّها تدلّ على ان الرجعة مربوطّة بمحضّي الايمان و الكفر اذ هذه الطوائف الاربعة كانت مساوقة من حيث الدلالة على كون الراجعين بمراتبها كانت من المحضين للايمان بل لم تكن بين هذه الطوائف الاربعة و بين ما دلّت على أنّه يحشر من كلّ امة فوجاً اعني الطائفة السادسة ايضاً تهافت حيث أنّه يمكن ان تكون المراد من الفوج هي هذه الطائفة من الامة اعني الماحضين للايمان او الكفر فعلى هذا لا بدّ من حمل ما دلّت على وقوع الرجعة مطلقة و هي الطائفة الثالثة على هذه الطوائف المقيدة كما هو

المبرهن في أصول الفقه من حمل المطلق على المقيد فالى الآن ان مفاد جميع الطوائف الستة صارت واحدة كان هو المفاد الطائفة الاولى نعم كان بين هذه الطوائف وبين ما دلّت على ان من مات مقتولاً الآسيرجس حتى يموت اعني الطائفة الرابعة تهافت حيث ان مفادها كانت هي الرجعة للعموم لانه لا يخلو من ان يكون الشخص امّا مقتولاً أم لا، فبحسب الفرض ان المقتول وغيره يرجع فلازم ذلك هي ان الرجعة صارت عامة ولا يلائم مفادها مع الطوائف المتقدمة وقد عرفت ان هذه الطائفة وردت فيها ثمانية احاديث وان كانت انها بمرتبة من التضاعف ولكن الترجيح كان مع الطوائف الستة اعني ما دلّت بمجموعها على ان الرجعة مختصة بالمأحذين للإيمان والكفر لانها مضافاً الى ان فيها اخبار معتبرة انها متواترة كما هو المبرهن في باب التعادل والتراجيح في اصول الفقه، الآن تكون لهذه الطائفة اطلاق من هذه الجهة فيصير اطلاقها مقيدة بواسطة تلك الطوائف الستة بالمورد المزبور اعني المأحذين فصارت مفاد جميع الاخبار متساوية وكيف كان ان هذا بحسب قواعد الصناعة واما بحسب المنساق من جمع هذه الطوائف السبعة مع الاخبار الطائفة المتفرقة وبعض الاخبار الواردة في ظهور المهدي القائم - صلوات الله عليه - على ما في ذكره، هو عدم الجرأة بذلك فالحرى بل اللازم في المقام هو الاعتقاد بالرجعة اجمالاً كما عرفت، والله هو الهادي، ومن تفتن على ذلك هو العلامة المجلسي «ره» في البحار حيث أنه لم يتعرض في المسئلة فيما اعلم خصوصية افراد الراجعين بل ارسلها بنحو الارسال المسلمة بكونها حق

والاعتقاد بها لازم.

وقال «ره»: اعلم يا اخي اني لا اظنك ترتاب بعد ما مهّدت و اوضحت لك في القول بالرجعة التي اجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار و اشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار حتى نظموها في اشعارهم و احتجّوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم و شنع المخالفون عليهم في ذلك و اثبتوه في كتبهم و اسفارهم منهم الرازي و النيسابوري و غيرهما و قد مرّ كلام ابن ابي الحديد حيث اوضح مذهب الامامية في ذلك و لولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيراً من كلماتهم في ذلك و كيف يشكّ مؤمن بحقّة الائمّة الاطهار - عليهم السّلام - فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها تيّف و اربعون من الثقات العظام و العلماء الاعلام في ازيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الاسلام الكليني (وعدّ اسمائهم و بعض كتبهم ثمّ قال) و اذا لم يكن مثل هذا متواتراً في أيّ شيء يمكن دعوى التواتر، مع ما روته كافّة الشيعة خلفا عن سلف (الى ان قال) و لنذكر لمزيد التشييد و التأكيد اسماء بعض من تعرّض لتأسيس هذا المدعي، و صنّف فيه، او احتجّ على المنكرين او خاصم المخالفين سوى ما ظهر ممّا قدّمنا في ضمن الاخبار، و الله الموفق، فمنهم احمد بن داود بن سعيد الجرجاني قال الشيخ في الفهرست له كتاب المتعة و الرجعة و منهم الحسن بن عليّ بن ابي حمزة البطائنيّ و عدّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرجعة و منهم الفضل بن شاذان النيسابوري ذكر الشيخ في الفهرست و النجاشي ان له كتاباً في اثبات الرجعة و منهم الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه فأنه

عَدَّ النجاشي من كتبه كتاب الرجعة و منهم محمد بن مسعود العياشي ذكر
 الشيخ و النجاشي في الفهرست كتابه في الرجعة و منهم الحسن بن سليمان
 على ما روينا عنه الاخبار و اما سائر الاصحاب فانهم ذكروها فيما صنفوا
 في الغيبة و لم يفردوا لها رسالة و اكثر اصحاب الكتب من اصحابنا افردوا
 كتاباً في الغيبة و قد عرفت سابقاً من روي ذلك من عظماء الاصحاب و
 اكابر المحدثين الذي ليس في جلالهم شك و لا رتباب انتهى محل
 الحاجة. (١)

وقال «ره» في آخر الباب، اقول: و روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب
 المحتضر مما رواه من كتاب السيد الجليل حسن بن كبش مما اخذه من
 كتاب المقتضب باسناده عن سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله
 - صلى الله عليه و آله و سلم - يوماً فلما نظر إلىَّ قال: يا سلمان إن الله
 عز وجل لم يبعث نبياً و لا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً قال: قلت: يا
 رسول الله لقد عرفت هذا من اهل الكتابين قال: يا سلمان فهل علمت
 من نقبائي الاثنى عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي فقلت: الله
 و رسوله اعلم قال: يا سلمان خلقتني الله من صفوة نوره و دعاني فأطعته
 و خلق من نوري علياً فدعاه فاطاعه و خلق من نوري و نور علي فاطمة
 فدعاها فاطاعته و خلق مني و من علي و فاطمة الحسن و الحسين
 فدعاها فاطاعا فسمانا الله عز وجل بخمسة اسماء من اسمائه فالله المحمود

وانا محمد والله العلي وهذا علي والله فاطر وهذه فاطمة والله ذو
 الاحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين ثم خلق منا ومن نور
 الحسين تسعة ائمة فدعاهم فاطاعوا قبل ان يخلق الله عز وجل سماء مبنية
 وارضاً مدحية او هواء او ماء او ملكاً او بشراً وكنا بعلمه انواراً نسبته و
 نسمع له ونطيع فقال سلمان: قلت: يا رسول الله باني انت وامي ما لمن
 عرف هؤلاء فقال: يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فوالى
 وليهم وتبرأ من عدوهم فهو والله منا حيث نرد ويسكن حيث
 نسكن قلت: يا رسول الله فهل يكون ايمان بهم بغير معرفة باسمائهم و
 انسابهم فقال: لا يا سلمان قلت: يا رسول الله فأتى لي بهم قال: قد عرفت
 الى الحسين قال: ثم سيد العابدين علي بن الحسين ثم ابنه محمد بن علي باقر
 علم الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم جعفر ابن محمد لسان
 الله الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله ثم علي ابن
 موسى الرضا لامر الله ثم محمد بن علي المختار من خلق الله ثم علي بن
 محمد الهادي الى الله ثم الحسن بن علي الصامت الامين على دين الله ثم [ح
 م د] سماء باسمه ابن الحسن المهدي الناطق القائم بحق الله قال سلمان:
 فبكيت ثم قلت: يا رسول فأتى لسلمان لادراكهم قال: يا سلمان أنك
 مدرّكهم وامثالك ومن تولاهم حقيقة المعرفة قال سلمان: فشكرت الله
 كثيراً ثم قلت: يا رسول الله اني مؤجل الى عهدهم قال: يا سلمان اقرأ،
 فاذا جاء وعد أوليها بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد، فجاسوا
 خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً، ثم ردنا لكم الكرة عليهم وامددناكم

بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً^(١).

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي وقلت: يا رسول الله بعهد منك فقال: اي والذي ارسل محمداً أنه لبعهد مني ولعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة وكل من هو منا ومظلوم فينا اي والله يا سلمان ثم ليحضرن ابليس وجنوده وكل من محض الايمان [محضاً] ومحض الكفر محضاً، حتى يؤخذ بالقصاص والاورث والاثارات ولا يظلم ربك احداً ونحن تاويل هذه الآية: ﴿و نريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾^(٢) قال سلمان: فقامت من بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه^(٣).

اقول: لا يخفى ان الحديث شريف جامع للمطالب النفيسة والالقباب للائمة الطاهرة - عليهم السلام - ولا ينافي ما اخترناه في هذا الباب كما سبق ذكره و سيأتي في آخر الباب مفاده لاجل ذكر من محض الايمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، في الحديث، حيث لا ينحصر الراجعين بها بل يمكن ان يستفيد منه عموم الرجوع منه في الجملة فلا تغفل.

قال الصدوق، الشيخ ابو جعفر «ره»: اعتقادنا في الرجعة انها حق وقد

قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(١) كان هؤلاء سبعين ألف بيت وكان قد يقع فيهم الطاعون كل سنة فيخرج الأغنياء لقوتهم ويبقى الفقراء لضعفهم، فيقل الطاعون في الذين يخرجون ويكثر في الذين يقيمون فيقول الذين يقيمون لو خرجنا لما أصبنا الطاعون ويقول الذين خرجوا لو أقننا لصابنا كما أصابهم فاجمعوا ان يخرجوا جميعاً من ديارهم اذا كان وقت الطاعون فخرجوا جميعهم فزلوا على شط بحر فلما وضعوا رحالهم ناداهم الله موتوا فماتوا جميعاً فكنستهم المارة عن الطريق فبقوا بذلك ما شاء الله فمر بهم نبي من انبياء بني اسرائيل يقال له ارميا فقال: لو شئت يا رب لاحييتهم فيعمروا بلادك ويلدوا عبادك ويعبدونك مع من يعبدك فاوحى الله تعالى اليه، افتحبت ان احسيهم لك قال: نعم يا رب، فاحياهم الله له وبعثهم معه فهؤلاء ماتوا ورجعوا الى الدنيا ثم ماتوا باآجالهم فقال الله تعالى: ﴿وَأَوَّكَأْ لِي مَرْءٌ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَهَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)

فهذا مات مائة عام ثم رجع الى الدنيا وبقى فيها ثم مات باجله وهو عزيز وروى أنه ارميا - عليه السلام - وقال الله تعالى في قصة المختارين من بني اسرائيل من قوم موسى - عليه السلام - ، لميقات ربه: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾^(١) وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لانصدق به، حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة^(٢) بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما اقول: لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم فاحياهم الله فرجعوا الى الدنيا فاكلوا وشربوا ونكحوا النساء وولد لهم الاولاد وبقوا فيها ثم ماتوا باجلهم وقال الله تعالى لعيسى بن مريم: ﴿اذ تحيي الموتى باذنى﴾^(٣). فجميع الموتى الذين احياهم عيسى - عليه السلام - باذن الله تعالى رجعوا الى الدنيا وبقوا فيها ما بقوا ثم ماتوا باجلهم واصحاب الكهف، لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا^(٤) ثم بعثهم الله فرجعوا الى الدنيا ليتسائلوا بينهم وقصتهم معروفة.

فان قال قائل: ان الله تعالى قال: ﴿و تحسبهم ايقاظاً وهم رقود﴾ قيل له فانهم كانوا موتى وقد قال الله عز وجل، ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا

١ - البقرة، ٥٦

٢ - مأخوذة من قوله تعالى في سورة البقرة، ٥٥ والنساء، ١٥٣

٣ - اشارة الى قوله تعالى: ﴿واذ تخرج الموتى باذنى﴾، في المائدة، ١١٠

٤ - الكهف، ٢٥

هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿١﴾ وان قالوا كذلك فإنهم كانوا موتي و مثل هذا كثير فقد صحّ أن الرجعة كانت في الامم السابقة فقد قال النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - : يكون في هذه الامة ما يكون في الامم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فيجب على هذا الاصل ان يكون في هذه الامة رجعة و قد نقل مخالفونا أنه اذا خرج المهدي - عليه السلام - نزل عيسى ^(٢) بن مريم من السماء فصلي خلفه و نزوله الى

١ - يس، ٥٢ و مراده ان لفظ الرقود عام لا يختص بالنوم بل هو عام يشمل الموت كما في هذه الآية.

٢ - قد نقلوا نزول عيسى - عليه السلام - تارة في باب الآيات التي تكون قبل الساعة كما في الصحيح المسلم بسنده عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه و سلم علينا و نحن نتذاكر فقال: ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال: انما لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان و الدجال و الدابة و طلوع الشمس من مغربها و نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه و سلم و يأجوج و مأجوج و ثلاثة خسوف بالشرق و خسف بالمغرب و خسف بجزيرة العرب و آخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (الجزء الثامن، ص ١٧٨) و قد نقل المسلم بعدها ثلاثة روايات اخرى نظير ذلك و تارة نقلوا نزول عيسى - عليه السلام - في باب فتح قسطنطينية كما في صحيح المسلم (الجزء الثامن، ص ١٧٥) و كذا نقل مضمونه في المستدرك (المجلد الرابع، ص ٤٨٢) و تارة نقلوا نزوله في باب خروج الدجال كما فيه بسنده الواصل الى عبد الله بن عمرو (الى ان قال) قال رسول الله صلى

الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته لأن الله عز وجل قال: ﴿إني متوفيك ورافعك إلی﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿وحشرنا هم فلم نغادر منهم أحداً﴾^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وיום نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب باياتنا﴾^(٣) فالיום الذي يحشر فيه الجميع غير اليوم الذي يحشر فيه الفوج وقال الله عز وجل: ﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٤) يعني ذلك في الرجعة وذلك أنه يقول بعد ذلك ليبين لهم الذي اختلفوا فيه، والتبيين يكون في الدنيا لا في الآخرة وسأجرد كتاباً في الرجعة أبين فيه كيفيتها والادلة على صحة كونها إن شاء الله تعالى والقول بالتناسخ باطل ومن دان بالتناسخ فهو كافر لأن في التناسخ إبطال الجنة والنار انتهى كلامه^(٥).

اقول: أنه «ره» قد أقام على اثبات الرجعة في المقام بأدلة أربعة
أولاً قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بأن في هذه الأمة ما يكون

→ الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكت أربعين يوماً لا يرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، (الحديث، الجزء الثامن، ص ٢٠١) وهكذا نقل نزول عيسى - عليه السلام - في خروج الدجال في حديث طويل في المستدرک (ج ٤، ص ٤٧٨).

١ - آل عمران، ٥٥ ٢ - الكهف، ٤٧

٣ - النمل، ٨٢ ٤ - النحل، ٢٨

٥ - رسالة الصدوق في الاعتقادات، ص ٨٩-٩١

في الامم السابقة حذو النعل بالنعل واما الآيات الستة التي ذكرها في اول كلامه كانت مقدمة لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وان كان يستفيد منها امكان الرجعة في هذه الامة ايضاً.
وثانياً ما رواه ^(١) عن العامة نزول عيسى - عليه السلام - بعد موته.

١- وقد نقلوا تارة ان عيسى - عليه السلام - يصلي خلف المهدي - عليه السلام - كما عن ينايع المودة عن كتاب المحجة عن محمد بن مسلم عن محمد الباقر (رض) في قوله تعالى: ﴿وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته، و يوم القيمة يكون عليهم شهيداً﴾، قال: ان عيسى - عليه السلام - ينزل قبل يوم القيمة الى الدنيا فلا يبقى اهل ملّة يهودي ولا غيره الا امنوا به قبل موتهم و يصلي خلف المهدي - عليه السلام -، (منتخب الاثر، ف، ٧، ب، ٨، ح، ١، ص ٤٧٩)
و قد نقلوا تارة أنّه - عليه السلام - قد يؤم الناس كما في صحيح مسلم في الحديث السابق في باب فتح القسطنطينية بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وقال (الى ان قال) يعدّون للقتال يسوّون الصفوف اذا قامت الصلوة فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فأتهم فاذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء الحديث (الجزء الثامن، ص ١٧٥) و تارة نقلوا أنّه - عليه السلام - قد نزل و ان امامكم منكم كما فيه بسنده الواصل الى ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم و امامكم منكم (باب نزول عيسى بن مريم حاكماً، الجزء الاول، ص ٩٣) و تارة نقلوا أنّه - عليه السلام - قد نزل و لكن لم يصل و قال بعضكم على بعض امراء كما فيه بسنده الواصل الى جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه

وثالثاً ظاهر آية الحشر من كل أمة فوجاً.

ورابعاً ظاهر آية النحل و من المعلوم ان هذه الأدلة وان كانت ينبغي للاستدلال بها للمقام ولكن لا بد من عدم الاكتفاء بها في ذلك المقام حيث قد قلنا سابقاً لا بد من التماس الاخبار المتواترة للمقام فتذكر.

قال المفيد «قدس الله روحه» في الرجعة: ان الله تعالى يرد قوماً من الاموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعزّ منهم فريقاً ويذلّ فريقاً و يديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين وذلك عند قيام مهدي آل محمد - عليهم السلام - .

واقول: ان الراجعين الى الدنيا فريقان احدهما من علت درجته في الايمان وكثرت اعماله الصالحات و خرج من الدنيا على اجتناب الكبائر الموبقات فيريه الله عزّ وجلّ دولة الحقّ ويعزّه بها و يعطيه من الدنيا ما كان يتمنّاه و الآخر من بلغ الغاية في الفساد [العناد] و انتهى في خلاف المحقّين الى اقصى الغايات و كثر ظلمه لاولياء الله و اقترافه السيئات فينتصر الله تعالى لمن تعدي عليه قبل الممات و يشفي غيظهم منه بما يحله من النقمات ثم يصير الفريقان بعد ذلك الى الموت و من بعده الى النشور و ما يستحقّونه من دوام الثواب و العقاب و قد جاء القرآن بصحّة ذلك و

→ عليه و سلّم يقول: لا تزال طائفة من امتي يقاثلون على الحقّ ظاهرين الى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه و سلّم فيقول: اميرهم تعال صلّ لنا فيقول: لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمه من الله لهذه الامة. (الجزء

تظاهرت به الاخبار والامامية باجمعها عليه الآشداد منهم تأولوا ما ورد فيه مما ذكرناه على وجه يخالف ما وصفناه^(١).

وقال - قدس سره - في ضمن جواب المسئلة الاولى من المسائل السروية: فصل، و الرجعة عندنا تختص بمن يحض الايمان ويحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين و اذا اراد الله تعالى على من ذكرنا [كذا العبارة، و الظاهر انه، احياء من ذكرنا] او هم الشيطان اعداء الله عزوجل انما ردوا الى الدنيا لطغيانهم على الله تعالى فيزدادون عتواً فينتقم الله تعالى منهم لاوليائه المؤمنين و يجعل لهم الكرة عليهم فلا يبقى منهم احد الا و هو مغموم بالعذاب و النعمة و تصفوا عن الطغاة و يكون الدين لله تعالى و الرجعة انما هي لمحضي الايمان من اهل الملة و محضي النفاق منهم دون من سلف من الامم الخالية.

فصل، و قد قال بعض المخالفين لنا: كيف تعود كفار الملة بعد الموت الى طغيانهم و قد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ و تيقنوا بذلك انهم مبطلون فقلت له: ليس ذلك باعجب من الكفار الذين يشاهدون في البرزخ ما حل بهم من العذاب فيها و يعلمون ضرورة بعد الموافقة لهم و الاحتجاج عليهم بظلالهم في الدنيا فيقولون حينئذ يا ليتنا نرد و لانكذب بآيات ربنا و نكون من المؤمنين^(٢) فقال الله عزوجل: ﴿بل بدا لهم ما

١ - اوائل المقالات، القول في الرجعة، ص ٨٩

كانوا يخفون من قبل و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه و أنّهم لكاذبون ﴿١﴾ فلم يبق للمخالف بعد هذا الاحتجاج شبهة ^(٢) يتعلق بها فيما ذكرناه، و المنة لله ^(٣).

اقول: أنّه رحمه الله قد استدلّ على اثبات الرجعة في كلامه المتقدم، به مجيئها في القرآن، و به تظاهر الاخبار، و اجماع الامامية، و قد عرفت ان الآيات باستقلالها غير مثبتة لها، و اما تظاهر الاخبار فلم تكن فيها على حسب زعمه في كلامه المتأخر، بل الغالب منها اما عام او مطلق او مجمل، و لم تكن صريحة فيما ذهب «ره» اليه اعني ان الرجعة مختصة بالمحضين للايمان و الكفر الا اثنتان منها و هما الرواية الاولى و الثانية اللتان نقلنا هما في صدر الاخبار كما سيأتي منه «ره» ذلك ايضا في باب سؤال القبر و عذاب البرزخ و قال هناك انما يرجع الى الدنيا عند قيام القائم - عليه السلام - من محض الايمان و من محض الكفر محضاً و اما ما سوى هذين فلا رجوع لهم الى يوم الماب و سيأتي منّا ردّ مسلكه بادلة مفصلة فراجع و كيف كان ان تظاهر الاخبار لم تكن واردة فيما ذهب اليه و اما اجماع الامامية فهو غالباً ساكتة عما ذهب اليه مضافاً الى أنّه لما كان محتمل

١ - الاتمام، ٢٨

٢ - اقول: ان الاحسن في الجواب لهم ان الرجعة للكفار ليست لاجل التكليف كما لعلمه الظاهر من بعض الاخبار التي تقدّمتنا بل كانت لاجل الانتقام فارجاعهم عن اعتقاداتهم و افعالهم حيثنّذ غير مؤثرة لجهالتهم.

٣ - تصحيح الاعتقاد ذيل الصحيفة، ص ١٨٨

المدرّك بل المتيقن كما عرفت في صدر البحث فلا اعتبار به في حدّ نفسه في المقام وبالجملة ان ما ذهب اليه «ره» غير ملائم مع ما استدلّ به لاثبات الرجعة وكيف كان فقد مرّ منا في الجمع بين الاخبار ما هو الحقّ في المقام فراجع.

تذكّرة ان مسألة الرجعة غير مربوطة بمسألة ظهور المهدي القائم - صلوات الله عليه و على آباءه الطاهرين - وان كان يظهر من بعض الاخبار الرجعة شروعاتها كان في زمان الظهور فتدبرّ فيها حتّى تجدد ما اشرنا تذكره و الله العالم.

فصل

في الموت وحقيقته وحكمته

ولا شبهة بعد الغض، من أنه مورد للحسّ والشهود، في وجوب الاقرار بان كلّ حيّ ما سوى الله تعالى يموت، لمادّل عليه آيات الصريحة و الاخبار الكثيرة، وستقف على بعضها في المبحث التالي والمباحث الآتية انشاء الله تعالى، وما دلّ من الآيات و الاخبار على الموارد الثلاث كثيرة جداً؛ أمّا الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿كُلّ نفس ذائقة الموت، أمّا توفّون أجوركم يوم القيمة فن زحزح عن النار و ادخل الجنة فقد فاز، و ما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور﴾^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿أنتك ميّت و أنهم ميّتون﴾^(٢)

ومنها قوله تعالى: ﴿ثمّ أنكم بعد ذلك لميّتون﴾^(٣)

ومنها قوله تعالى: ﴿كُلّ نفس ذائقة الموت ثمّ إلينا ترجعون﴾^(٤)

ومنها قوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك و هو على كلّ شيء قدير،

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْغَفُورُ»^(١).

قال الطبرسي «ره» في الآية الاخيرة: اى خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه،
والحيوة للتعبّد بالشكر عليها، وقيل خلق الموت للاعتبار والحيوة
للتزوّد، وقيل انما قدّم ذكر الموت على الحيوة لانه الى القهر اقرب، وقيل
انما قدّمه لانه اقدم، فان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الاموات
كالنطفة و التراب، ثم اعترضت الحيوة، ليبلوكم، اى ليعاملكم معاملة
المختبر بالامر و النهي فيجازي كلّ عامل بقدر عمله، وقيل ليبلوكم ايكّم
اكثر للموت ذكراً و احسن له استعداداً، او احسن صبراً على موته، و
موت غيره، و ايكّم اكثر امثالاً للاوامر و اجتناباً عن النواهي في حال
حيوته، انتهى موضع الحاجة.

اقول: الظاهر من قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ هو تعليل الجملة (خلق الموت و
الحيوة) فصارت الخلقة لاجل الاختبار عمن احسن عملاً و لما كان جملة
افعل التفضيل اعني احسن عملاً مطلقة و يصحّ شمولها لجميع ما يعدّ أنّه
احسن من غيره، اذا لاحسن كما يطلق على العمل الذي نفسه حسناً من
غيره، كذلك يطلق على ما كان اكثرأ، و هكذا و لما كان العمل ملازم
للجزاء، فصارت مفاد الآية ان الخلقة كانت لاجل تحصيل اكثار العمل و
افضله، حتّى يجازي بما هو كذلك، فعلى هذا، ان الآية لا تختص به بعض

المصاديق، واما الاخبار فمنها في الكافي بسنده عن داود الازاري عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: مناد ينادي في كل يوم، ابن آدم للاموت، واجمع للفناء، وابن للخراب^(١).

ومنها فيه بسنده الحسن عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: جاء جبرئيل الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: يا محمد عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقة واعمل ما شئت فانك لاقية^(٢).

ومنها فيه بسنده الحسن عن ابي عبيدة قال: قلت لابي جعفر - عليه السلام - حدثني ما انتفع به فقال: يا ابا عبيدة اكثر ذكر الموت، فانه لم يكثر ذكره انسان، الا زهد في الدنيا^(٣).

ومنها في البحار عن روضة الواعظين قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : اكيس الناس، من كان اشد ذكرًا للموت^(٤).

ومنها فيه وقال امير المؤمنين - عليه السلام - في خطبته: فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحذوكم تخفوا تلحقوا، فانما ينتظر باولكم آخركم^(٥).

ومنها في العيون بسنده عن محمود بن ابي البلاد قال: سمعت الرضا

٢- ح ١٧، ب النوادر

١- ج ٣، ب النوادر، ح ١٩

٤- ج ٦، ح ٣٥، ص ١٣٥

٣- ح ١٨، ص ٢٥٥

٥- ح ٣٦

- عليه السّلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: إذا كان يوم القيامة، يقول الله عز وجلّ لملك الموت يا ملك الموت وعزّي وجلالي وارتفاعي في علوي لا ذيقنك طعم الموت كما اذقت عبادي^(١). ومنها فيه بهذا الاسناد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَنْتَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢) قلت: يا ربّ اتموت الخلائق كلّهم ويبقى الانبياء^(٣) فزلت كلّ نفس ذائقة الموت ثمّ إلينا ترجعون^(٤).

ومنها في الكافي بسنده الصحيح عن أبي المعز قال: حدّثني يعقوب الاحمر، قال: دخلنا على أبي عبد الله - عليه السّلام - تعزيه باسماعيل فترحم عليه، ثمّ قال: إنّ الله عز وجلّ نعي الى نبيّه - صلى الله عليه وآله وسلم - نفسه فقال: ﴿أَنْتَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾، وقال: ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ثمّ انشأ يحدث فقال: أنّه يموت اهل الارض حتّى لا يبقى احد ثمّ يموت، اهل السماء، حتّى لا يبقى احد، الآ ملك الموت، وحملة العرش، وجبرئيل وميكائيل - عليهما السّلام -، قال: فيجيئ ملك الموت - عليه السّلام -، حتّى يقوم بين يدي الله عز وجلّ، فيقال له: من بقى وهو اعلم، فيقول يا ربّ لم يبق الاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل و

٢ - الزمر، ٣٠

١ - ج ٢، ح ٥، ص ٣٢

٣ - عن صحيفة الرضا، (و تبقي الملائكة)

٥ - آل عمران، ١٨٥

٤ - ج ٢، ح ٥، ص ٣٢

ميكائيل، - عليهم السلام - ، فيقال له: قل: لجبرئيل وميكائيل فليموتا، فتقول الملائكة عند ذلك: يا ربّ رسوليك وامينيك، فيقول: اني قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت، ثمّ يحيي ملك الموت حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقال له من بقى، وهو اعلم، فيقول يا ربّ لم يبق الا ملك الموت وحمله العرش، فيقول قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثمّ يحيي كثيراً حزينا لا يرفع طرفه، فيقال من بقي فيقول يا ربّ لم يبق الا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت فيموت ثمّ يأخذ الارض يمينه والسموات يمينه^(١) و يقول اين الذين كانوا يدعون معي شريكاً اين الذين كانوا يجعلون معي الهاً آخر^(٢).

ومنها فيه بسنده عن زرارة عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: الحياة و الموت خلقان من خلق الله فاذا جاء الموت فدخل في الانسان لم يدخل في شيء الا وقد خرجت منه الحياة^(٣).

ومنها فيه بسنده الحسن عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ان قوماً فيما مضى قالوا النبي لهم ادع لنا ربك يرفع عنا الموت فدعاهم فرفع الله عنهم الموت فكثروا حتّى ضاقت عليهم المنازل وكثر النسل ويصبح الرجل يطعم اباه وجده وامّة وجدّ جدّه و

١ - اشاره الى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ جَمِيعاً مَبْغُضَةً﴾ يوم القيامة والسموات

مطويات يمينه، الزمر، ٦٦ - ٢ - ج ٣، ح ٢٥، ب النوادر، ص ٢٥٦

٢ - ج ٣، ح ٢٤، ب النوادر، ص ٢٥٩

يوضيهم^(١) ويتعاهدهم فشفغلوا عن طلب المعاش فقالوا، سل لنا ربك ان يردنا الى حالنا التي كنا عليها، فسأل نبهم ربه فردهم الى حالهم^(٢). ومنها في معاني الاخبار بسنده عن محمد بن علي عن ابيه الرضا عن ابيه موسى بن جعفر - عليهم السلام - قال: قيل للصادق - عليه السلام - صف لنا الموت، فقال: للمؤمن كاطيب ريح يشمه فينص (فيتنفس) لطيبه وينقطع التعب والالم كله عنه، وللکافر كلسع الافاعي ولدغ العقارب او اشد قيل فان قوماً يقولون انه اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالاحجار وتدوير قطب الارحية^(٣) في الاحداق قال: فهو كذلك هو على بعض الكافرين و الفاجرين الاترون منهم من يعاين تلك الشدائد فذاكم الذي هو اشد من هذا الا من عذاب الآخرة فهذا اشد من عذاب الدنيا. قيل: فما بالنار كافرأ يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يتحدث ويضحك ويتكلم. وفي المؤمنين ايضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين و الكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد، فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك، فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتحميصه، من ذنوبه، ليرد الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الابد، لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر، فليوفى اجر حسناته في

١ - اي يطهرهم من الادناس والانباس

٢ - ج ٣، ح ٣٦، ب النوادر، ص ٢٦٠

٣ - الرضخ الرمي و الارحية جمع الرحي وهي الطاحون.

الدنيا، ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العقاب، وما كان من شدة على الكافر هناك، فهو ابتداء عقاب الله له، بعد نفاذ حسناته ذلكم بأن الله عدل لا يجر (١).

ومنها فيه بسنده عن الحسن بن علي الناصر [ي] عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين - عليهم السلام - قال: قيل لأمير المؤمنين - عليه السلام - صف لنا الموت، فقال: على الخير، سقطتم هو أحد ثلاثة أمور، يرد عليه أما بشارة بنعيم الأبد، وأما بشارة بعذاب الأبد، وأما تحزين وتهويل، وأمر [ه] مبهم لا يدري من أي الفرق هو، فأما ولينا المطيع لامرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن يسويه الله عز وجل بأعداءنا، لكن يخرجهم من النار بشفاعتنا، فاعملوا واطيعوا لا تتكلموا، ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة.

٣- وسئل الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - ما الموت الذي جهلوه؟ قال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا (إذا تقلبوا) عن دار

النكد الى نعيم الابد، واعظم ثبور يرد على الكافرين اذ نقلوا (اذا تقلبوا) عن جنتهم الى نار لا تبديد ولا تنفد، وقال علي بن الحسين -عليهما السلام-: لما اشتد الامر بالحسين بن علي بن ابي طالب -عليهما السلام-، نظر اليه من كان معه، فاذا هو بخلافهم لانهم كلما اشتد الامر تغيرت الوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجبت^(١) قلوبهم، وكان الحسين -عليه السلام- وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم، و تهدى جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لايبالي بالموت، فقال لهم الحسين -عليه السلام-: صبراً بني الكرام فما الموت الا قطرة تعبر بكم، عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فايكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر، وما هو لاعدائكم، الا كمن ينتقل من قصر الى سجن، وعذاب، ان ابي حدثني عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ان الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء الى جناتهم، وجسر هؤلاء الى جحيمهم، ما كذبت ولا كذب.

٤- وقال محمد بن علي -عليهما السلام-: قيل لعلي بن الحسين -عليهما السلام-: ما الموت؟ قال: للمؤمن كنز ثياب وسخة قلة^(٢) وفك قيود، و اغلال ثقيلة، والاستبدال بافخر الثياب، و اطيبها روائح

١- وجب القلب وجباً وجيئاً وجباناً، رجف وخفق، في بعض النسخ، وجلت.

٢- اي كثر فيه القمل وهو دويبة معروفة

اوطى المراكب و آنس المنازل، و للكافر كخلع ثياب فاخرة و النقل عن منازل انسية و الاستبدال باوسخ الثياب و اخشنها و اوحش المنازل و اعظم العذاب.

٥- و قيل لمحمد بن عليّ - عليها السلام - ما الموت؟ قال: هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة الاّ أنّه طويل مدّته، لا ينتبه منه الاّ يوم القيامة، فمن رأى في نومه من اصناف الفرح، ما لا يقادر قدره، و من اصناف الاهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال فرح في النوم، و وجل فيه، هذا هو الموت فاستعدوا^(١).

ومنها في البحار عن الكافي بسنده لما ضرب امير المؤمنين - عليه السلام - (الى ان قال) امير المؤمنين - عليه السلام -: ايها الناس كلّ امرئ^(٢) لاق

١- ب معنى الموت، ح ٢ و ٣ و ٤ و ٥، ص ٢٨٨

٢ - قال المجلسي «ره» في البحار في شرح تلك الجملة: قوله - عليه السلام - كلّ امرئ لاق في فراره، اي من الامور المقدرة المحتمة كالموت، قال الله تعالى: ﴿قُلْ اِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَاِنَّهٗ مَلٰٓئِكُمْ﴾، و أنّما قال - عليه السلام -: في فراره لان كلّ احد يفرّ دائماً من الموت، و ان كان تبعداً، و المساق مصدر ميمي و ليست في نهج البلاغة كلمة، اليه، فيحتمل، ان يكون المراد بالاجل منتهي العمر، و المساق ما يساق اليه، و ان يكون المراد به المدة فالمساق زمان السوق، و قوله - عليه السلام -، و الهرب منه موافاته من حمل اللازم على الملزوم، فإنّ الانسان مادام يهرب من موته بمركات و تصرفات يفني عمره فيها، فكان

في فراره، ما منه يفرّ، و الاجل مساق النفس اليه و الهرب منه موافاته الحديث^(١)

و منها في الكافي بسنده عن عبدالرحمن بن يزيد عن ابي عبدالله عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : مات داود النبي - عليه السلام - يوم السبت مفجوءاً فاظلته الطير باجنحتها، و مات موسى كليم الله - عليه السلام - في التيه فصاح صائح من السماء مات موسى - عليه السلام -، و اي نفس لاقموت^(٢).

و منها فيه بسنده الموثق عن ابي بصير قال: سئلت ابا عبدالله عليه السلام - عن ميّنة المؤمن فقال: يموت المؤمن بكلّ ميّنة، يموت غرقاً و يموت بالهدم، و يبتلي بالسبع، و يموت بالصاعقة، و لا تصيب ذاكر الله تعالى^(٣).

هذه جملة من الايات و الاخبار التي قد دلّت على الموت و حقيقته و حكمته، و دلّت ايضاً من حيث النصّ و العموم و الاطلاق، على ان جميع

→ الهرب منه موافاته، و المعنى أنّه اذا قدّر زوال عمر او دولة فكلّ ما يدبره الانسان لرفع ما يهرب منه يصير سبباً لحصوله، اذ تأثير الادوية و الاسباب باذنه تعالى، مع أنّه عند حلول الاجل يصير احذق الاطباء اجهلهم، و يغفل عما ينفع المريض، و هكذا في سائر الامور (ج ٤٢، ص ٢٠٧)

١- ج ٤٢، ح ١١، باب ١٢٦، ص ٢٠٦.

٢- ج ٣، ب علل الموت، ح ٤، ص ١١١

٣- ج ٣، ب علل الموت، ح ٩، ص ١١٢

النفوس قد قضى عليهم الموت بالقضاء الحتمي، وأنه ملاقيهم، وإن كانوا يفرّون منه، وبعد ذلك فقد وقع الكلام في بعض المطالب التي ينبغي تقديمه في المقام، كما هو دأب بعض أهل هذا الفن.

منها في حبّ لقاء الله و ذم الفرار عنه، فقد استدلّ له بالآيات الكثيرة و الاخبار المتظافرة أما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس، فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين، ولن يتمنّوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾^(١) و اجمال مفاد هذه الآية، كما في الجمع، أنّها راجعة إلى الاحتجاج على اليهود بما فضح به، علمائهم، فقال: قل يا محمد لهم إن كانت الجنة خالصة لكم دون الناس، كما ادعيتم، بقولكم لم يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، و كنتم صادقين في قولكم، نحن أبناء الله و أحبائه فتمنّوا الموت و أخبر الله عنهم، و لن يتمنّوه أبداً بما قدمت أيديهم من المعاصي، و تكذيب الكتاب و الرّسول.

ومنها قوله تعالى: ﴿و لقد كنتم تمنّون الموت من قبل إن تلقوه فقد رأيتموه و انتم تنظرون﴾^(٢) و اجمال مفاد هذه الآية، كما فيه، إن قوماً ممن فاتهم شهود بدر كانوا، يتمنّون الموت بالشهادة، بعد بدر قبل أحد فلما راوه يوم أحد، اعرض كثير منهم عنه، فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك. ومنها قوله تعالى: ﴿الذين قالوا لآخوانهم و قعدوا لو اطاعونا ما قتلوا،

قل فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ﴿١﴾ و اجمال مفادها، كما فيه، ان قالوا المنافقين لاخوانهم في النسب لا في الدين في قتلي احد، و قعدوهم يعني هؤلاء القائلون، لو اطاعونا في القعود في البيت، و ترك الخروج الى القتال، ما قتلوا، قل لهم، يا محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين، في هذه المقالة، و لا يمكنهم دفع الموت لانه يجوز ان يدخل عليهم العدو في قعريوتهم.

ومنها قوله تعالى: ﴿ايُنَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ ﴿٢﴾ و مفادها، كما فيه، أنه لما كانت الآيات السابقة لها مربوطة بالجهاد و تمردهم عنه و قالوا بعد ما كتب عليهم القتال، ربنا لم كتبت علينا القتال، لولا اخرتنا الى اجل قريب، اعني الموت بالاجال، ثم خاطبهم بذلك، ايُنَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَاؤِهِمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣﴾ و مفادها، كما فيه، اجمالاً أنه استدل في الآيات السابقة لمسئلة المعاد، ثم اوعد الغافلين عن الادلة السابقة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ، وَ

إذا لا تمتعون إلا قليلاً»^(١) و مفادها، كما فيه، اجمالاً أن هذه الآية مربوطة بالخندق وبيعة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وحلفوا أنهم ينصرونه ولا يرجعون، عن مقاتلة العدو ولا ينهزمون، قل للذين استأذنوك في الرجوع، واعتلوا، بأن ييوتهم يخاف عليها، لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت الخ، إن كان حضر أجالكم فإنه لا بد من واحد منها وإن لم تحضر أجالكم و سلمتم من الموت أو القتل في هذه الواقعة لم تمتعوا في أيام الدنيا إلا أياماً قلائل.

ومنها قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين، قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾^(٢) و مفادها كما فيه اجمالاً قل لليهود، إن كنتم تظنون على زعمكم، أنكم أنصار الله، وإن الله ينصركم من دون الناس فتمنوا الموت الخ، ثم أخبر عن حالهم ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم، من الكفر والمعاصي، فكان مساق هذه الآية مساق آية الأولى، فتدبر، فهذه جملة من الآيات التي قد أوردها العلامة المجلسي «ره» في البحار^(٣) لمسئلة حب لقاء الله و ذم الفرار من الموت كما عنون بابها بذلك، والظاهر أن غرضه، من بيان ذلك

الباب، و أيراد هذه الآيات و أيراد الاخبار تلوها، هو لزوم الاعتراف و الاقرار على المؤمن به حبّ لقائه، و ذمّ الفرار عنه بهذا العنوان بخصوصه و من جملة مستندة «ره» هو هذه الايات و من الاسف لم يدلّ شيئي منها على لزوم مقصوده بمعناه المراد لان آية الاولى و الاخيرة كما عرفت مربوطتان به طائفة اليهود و نحوها و مخصوصة بها مع زعمهم أنّهم اوليائه و احبّائه و كذا.

ثانيها مربوطة به تمّنى الموت بعد وقعة البدر.

و ثالثها مربوطة به المنافقين.

و رابعها مربوطة بالتمرد عن الجهاد.

و خامسها مربوطة بايعاد الغافلين عن مسألة المعاد.

و سادسها مربوطة بالخالقين للنصرة، و عدم الاعتذار عنها، و رجوعهم بالخوف على بيوتهم، فلم تكن شيئي من هذه الموارد مربوطة بما هو بصدده و من المعلوم ان موارد هذه الآيات كانت من قبيل الاخبار عن قضايا، الخاصة، و لم تكن مربوطة بمسئلة ان المورد لا يكون مخصّصاً فلا تغفل، و الحاصل اصبحت الآيات غير دالّة على ما هو رحمه الله بصدده.

و اما الاخبار التي اوردها في هذا الباب، كانت على طوائف ثمانية، الطائفة، الاولى، واردة لاصل الموت و تذكره، و راحة المؤمن عنده فمناها فيه عن تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: قلت له، اخبرني عن الكافر، الموت خير له، ام الحياة فقال: الموت خير

لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، قُلْتُ: وَلَمْ، قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْأَبْرَارِ﴾، وَيَقُولُ، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْثَلًا عَلَيَّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ أَمْثَلًا
عَلَيَّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١).

الطائفة الثانية واردة في ان المؤمن لما لم يطمئن به راحته عند الموت لم يطلب الموت.

فمنها فيه عن معاني الاخبار بسنده عن موسى بن اسماعيل عن ابيه عن
جده عن جعفر بن محمد - عليهما السلام - قال: كان للحسن بن علي بن
ابي طالب - صلوات الله عليهما - صديق، وكان ماجناً، فتباطي عليه
اياماً فجاءه يوماً، فقال الحسن - عليه السلام - : كيف اصبحت، فقال:
يا بن رسول الله اصبحت، بخلاف ما احب، و يحب الله، و يحب الشيطان،
فضحك الحسن - عليه السلام - ثم قال: وكيف ذلك، قال: لان الله
عز وجل يحب ان اطيعه و لا اعصيه، و لست كذلك، و الشيطان يحب ان
اعصى الله و لا اطيعه، و لست كذلك، و انا احب ان لا اموت، و لست
كذلك، فقام اليه رجل فقال: يا بن رسول الله ما بالناس نكرو الموت و لا نحبّه
قال: فقال الحسن - عليه السلام - : انكم اخربتم آخرتكم و عمرتم
دنياكم، فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب^(٢) توضيح منه،

الماجن، من لا يبالي قولاً ولا فعلاً.

الطائفة الثالثة واردة في ان في لقاءه الراحة و الكرامة فمنها فيه عن الخصال بسنده عن محمود بن لييد ان رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - قال: شيان يكرهما ابن آدم يكره الموت، و الموت راحة للمؤمن من الفتنة، و يكره قلة المال، و قلة المال اقل للحساب^(١).

الطائفة الرابعة واردة في مدح طول العمر و النهي عن تمنى الموت، و في ترجيحه لو ظفر بالعبادات اللاتقة، فمنها فيه عن امالي الشيخ بسنده عن ام الفضل قالت دخل رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - على رجل يعود، و هو شاك فتمني الموت، فقال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - على و آله و سلم -: لا تمن الموت فانك ان تك محسناً تزدد احساناً الى احسانك و ان كنت (و ان تك) مسيئاً فتؤخر لتستعجب فلاتمنوا الموت^(٢).

الطائفة الخامسة واردة عند المعانية مثل ما نقل فيه عن معاني الاخبار بسنده عن عبد الصمد بن بشير عن بعض اصحابه عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قلت له: اصلحك الله من احب لقاء الله احب الله لقاءه، و من ابغض لقاء الله، ابغض الله لقاءه، قال: نعم قلت: فو الله انا لنكره الموت، فقال: ليس ذاك حيث تذهب، انما ذلك عند المعانية اذا رأى

١- ج ٦، ب ٤، ح ١٣، ص ١٢٨، و يستفيد كذلك من ح ١١ و ١٢ من ذلك الباب.

٢- ج ٦، ب ٤، ح ١٦، ص ١٢٨ و كذا يستفيد من ح ١٥ و ٢٣ و ٤٤ و ٤٥ من ذلك

ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم، واللّه يحب لقاءه، وهو يحب لقاء اللّه، حيثنّذ، وإذا رأى ما يكره، فليس شيء أبغض إليه من لقاء اللّه عزّ وجلّ، واللّه عزّ وجلّ يبغض لقاءه^(١).

الطائفة السادسة واردة في حبّ الموت إذا كان في طاعة اللّه فمنها فيه عن معاني الأخبار بسنده عن شعيب العرقوفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام -: شيء يروي عن أبي ذر رحمه اللّه أنّه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس، وأنا أحبّها، حبّ الموت، وحبّ الفقر، وحبّ البلاء، فقال: إن هذا ليس على ما تروون (على ما يرون) أمّا عني الموت في طاعة اللّه أحبّ إلى من الحياة في معصية اللّه، والفقر في طاعة اللّه، أحبّ إلى من الغنى في معصية اللّه، والبلاء في طاعة اللّه، أحبّ إلى من الصحة في معصية اللّه^(٢).

الطائفة السابعة واردة، على نحو المناجات، مثل ما روى فيه عن الإمامي الصدوق بسنده عن عباية بن ربعي قال: إن شاباً من الانصار كان يأتي عبد الله بن العباس وكان عبد الله يكرمه، ويدينه^(٣) فقليل له أنك تكرم هذا الشاب و تدينه وهو شابّ سوء يأتي القبور فينبشها بالليالي، فقال عبد الله بن العباس: إذا كان ذلك فاعلموني، قال: فخرج الشابّ في بعض

١- ج ٦، ب ٤، ح ١٧، ص ١٢٩

٢- ج ٦، ب ٤، ح ١٩، ص ١٢٩ وكذا ج ٢٠، من ذلك الباب راجع الى ذلك.

٣- اي يحسن اليه

الليالي، يتخلّل القبور فأعلم عبد الله بن العباس، بذلك، فخرج لينظر ما يكون من امره، و وقف ناحية ينظر اليه حيث لا يراه الشاب قال: فدخل قبراً قد حفر ثم اضطجع في اللحد و نادى باعلى صوته يا ويحى اذا دخلت لحدي و حدي، و نظقت الارض من تحتي، فقالت لامرحباً بك، و لا اهلاً، قد كنت ابغضك، و انت على ظهري، فكيف و قد صرت في بطني بل ويحي، اذا نظرت الى الانبياء و قوفاً و الملائكة صفواً فن عدلك غداً من يخلصني، و من المظلومين من يستنقذني، و من عذاب النار من يجيرني، عصيت من ليس باهل ان يعصي، عاهدت ربّي مرّة بعد اخرى، فلم يجد عندي صدقاً و لا وفاءً، و جعل يردد هذا الكلام و يبكي، فلما خرج من القبر التزمه ابن عباس و عانقه، ثم قال: نعم النباش نعم النباش ما انبشك الذنوب و الخطايا ثم تفرقا^(١).

الطائفة الثامنة، واردة للزهد في الدنيا و التنبه للآخرة، و الموعظة فمنها فيه عن امالي الشيخ، فيما كتب امير المؤمنين - عليه السلام - لمحمد بن ابي بكر، عباد الله، ان الموت ليس منه [فيه] فوت فاحذروا قبل وقوعه، و اعدّوا له عدته، فانكم طرد الموت ان اقمتم له اخذكم و ان فررتم منه ادرككم، و هو الزم لكم من ظلكم، الموت، معقود بنواصيكم، و الدنيا تطوي خلفكم، فاكثرُوا ذكر الموت عند ما تنازعكم اليه، انفسكم من الشهوات، و كفى بالموت واعظاً و كان رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - كثيراً ما،

يوصي أصحابه، بذكر الموت، فيقول: أكثرُوا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات^(١).

بقي من الروايات التي أوردها المجلسي «ره» في ذلك الباب ما روى عن أمالي الصدوق بسنده عن ابن ظبيان عن الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين - عليه السلام - قال: لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم - عليه السلام - اهبط الله ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم قال: و عليك السلام يا ملك الموت، اداع أم ناع قال: بل داع يا إبراهيم، فاجب قال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله، قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله، فقال: الهي قد سمعت ما قال: خليلك إبراهيم، فقال الله جل جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه، و قل له هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه، إن الحبيب يحب لقاء حبيبه^(٢).

وهذه الرواية يمكن أن يستدلّ بصدورها لذمّ الموت حيث أنه مورث لزوال ما هو محطاً لجميع الآثار والخيرات، فهو مذموم، ولا يليق للخليل رضائه بذلك للخليل، ويمكن أن يستدلّ بذيلها لمدحه، حيث أن فيه لقاءً للحبيب وهو مطلوب، وبالجمله أن الرواية كانت ذو اعتبارين، وكلّ منهما في حد نفسه صحيح وغير مربوط بما نحن فيه، و ظهر لك الى الآن

١- ج ٦، ب ٤، ح ٣٠، ص ١٣٢ وكذا يدلّ على ما ذكر، ح ١٤ و ٧ و ١٠ و ٢٢ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٦، من

ذلك الباب. ٢- ج ٦، ب ٤، ح ٨، ص ١٢٧.

ان الاخبار ايضاً، لاتدلّ شيئ منها على لزوم حبّ لقاء الله و ذم الفرار عنه، من حيث هي، فاصبحت الروايات ايضاً غير دالّة على تلك الدعوى، اذ كلّ طائفة منها اذا تأملت فيها، كما عرفت وردت في موضوع خاص، و مطلب مخصوص، غير ما وردت طائفة اخرى في ذلك، و جميعها صحيحة على حسب موازينها، و لم تكن بينها التضاد، و لا التناقض حتى اتعب «ره» نفسه الشريف في آخر الباب في الجواب عنها، و رفع التناقض بينها بوجوه خمسة^(١) نعم ان الرواية الاولى التي نقلتها

١ - و هي قوله «ره» و يمكن الجواب (ج ٦، ص ١٣٨) عنه بوجوه و اجمالاً انه «ره» تارة اجاب بما ذكره الشهيد «ره» بان حبّ لقاء الله مخصوص به حال الاحتضار، و المعاناة، و اخرى، بان الموت ليس نفس لقاء الله فكراهته كان من حيث الالم منه.

و ثالثاً بان ما ورد في ذمّ كراهة الموت فهي محمولة، على ما اذا كرهه لحبّ الدنيا و شهواتها.

و رابعاً بان كراهة الموت انما تذمّ اذا كانت مانعاً، من تحصيل السعادات الاخرية بان يترك الجهاد و نحوه.

و خامساً بما لفظه ان العبد، يلزم ان يكون في مقام الرضا بقضاء الله فاذا اختار الله له الحياة، فيلزمه الرضا بها، و الشكر عليها فلو كره الحياة و الحال هذه فقد سخط ما ارتضاه الله له، و علم صلاحه فيه، و هذا مما لا يجوز، و اذا اختار الله تعالى له الموت يجب ان يرضى بذلك و يعلم ان صلاحه فيما اختاره الله له، فلو كره ذلك كان مذموماً، انتهى موضع الحاجة، و لكن لا يخفى ما فيها، على

المجلسي «ره» في ذلك الباب دلت على أن أولياء الله يتمنون الموت مفادها^(١) منافية لطائفة الرابعة من الروايات التي دألة على النهي عن تمنى الموت لكن لما بين في تلك الطائفة، علّة النهي عن تمنى الموت من أن الحياة مورثة للاطاعة والانابة والازدياد في الاحسان والظفر بالعبادات اللائقة، وتلك العوامل معلومة بالبدهاهة، أنها طارئة من حيث الذات على الحياة كما سيظهر لك من إيرادنا مقدّمة لايضاح المقصود عن قريب إنشاء الله تعالى لحقيقة الحال ولا يجوز طرد عروض هذه العوامل عن الحياة من حيث هي قطعاً فعلى هذا يحتمل، بل يتعين أن تكون هذه الرواية

→ فرض التضاد والتهافت بين الاخبار.

أما الجواب الأوّل والثالث والرابع أن كانت راجعة الى ما ذكرناه في المتن مع أنها غير مستدلّة فهو، والآلم تكن جواباً لجميع اخبار الباب. وأما الجواب الثاني مع أنه غير مستقيم لجلّ من الاخبار كما صرح به المصنف «ره» ولاشاهد له لهذا الحمل، ففيه أن الموت طريق منحصرة للقاء الله والله من ذلك الذي الطريق مع أن من كان أهلاً له لا ألم له منه. وأما الجواب الخامس الذي وجهه بالقرب، وأن كان في نفسه صحيح لكن مع أنه لا شاهد له في المقام، لا يرفع التهافت بين هذه الاخبار، لأن بعضها بالصراحة آية عن هذا الحمل كالرواية الاولى ونحوها ومع الغض عن ذلك، لم يكن الاخبار واردة من هذه الجهة كما تنادى مضامين بعضها فتدبر.

١- وهي ما نقلها فيه عن تفسير علي بن ابراهيم، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين، قال: ان في التوراة مكتوب اولياء الله يتمنون الموت، ثم قال: ان الموت الذي تفرون منه فأنه ملائكم (ج ٦، ب ٤، ح ١، ص ١٢٥)

واردة في بيان ان اولياء الله لما عرفوا من حالاتهم انهم يصلون الى رحمة الله لجهدهم في تحصيل المعارف و اتيان اعمال الصالحة و وصولهم الى مرتبة انهم يعدّون من اولياء الله، فخافوا في حفظ هذه المرتبة، ان زيد عمرهم، فلذا يتمنّون الموت فعلى هذا ان الرواية لم تكن منافية لتلك الطوائف من الاخبار، و من المعلوم لاينا في ما ذكرناه، مع دلالة بعض الروايات على ان المؤمن لا يكره على قبض روحه، كما في الكافي بسنده الواصل الى تمار الاسدي عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : لو ان مؤمناً أقسم على ربه ان لا يميته ما اماته ابدأً، و لكن اذا كان ذلك او اذا حضر اجله بعث الله عزّ وجلّ اليه ريحين يقال له: المنسيّة و ريحاً يقال له: المسخية فاما المنسيّة فانها تنسيه اهله و ماله، و اما المسخية فانها تسخي نفسه عن الدنيا، حتّى يختار ما عند الله^(١).

و كذا رواية تاليها لان المؤمن في وقت حضور الاجل استرضاه الله بموته.

مقدمة لايضاح المقصود اقول: لاشك و لاشبهة، عقلاً في ان رأس جميع النعم هي الحياة، و انها كانت بمنزلة رأس المال، للتجارة و جميع الاثار الوجودي، مترتبة عليها، من حيث الاقتضاء، و من البديهي شرعاً ان حياة الابدني الاخروي و جميع مراتب نعمها مترتبة على الحياة الدنيوي،

فعلى هذا ان جميع الخيرات الفانية، والباقية، طارية على الحياة الدنيوي، اذا صرفها على وجه يورثها، وبناءً على هذا ان العقل يحكم مستقلاً بحسبها، بالبداهة اقتضاءً فهي ممدوحة عقلاً كذلك، واما الموت فهو مقابل للحياة عقلاً من حيث هي لانه مورث لرفع ما هو المقتضي، لمجمع الخيرات، فهو مذموم عقلاً كذلك، ولما كان العقل حاكماً مستقلاً في المقام لا يجوز للشارع ردع حكمه، في كلا الموردين، ولكن لو صار الحياة مورثة لما هي منافية لمقتضاها، بمعنى انها لو صارت سبباً لدفع الخيرات، او جمع العقوبات او كليهما فلا شبهة في انها مذمومة عقلاً ايضاً وكذا الموت لو كان مورثاً لما يخالف مقتضاه بمعنى انه صار مورثاً لدرك الفيوضات او لخوف فوت دركها او لدفع جمع العقوبات ونحوها فلا شبهة في انه ممدوحة كذلك وبناءً على هذا ان كل ما ورد من الشرع كما في الاخبار السابقة من المدح او الذم عليها كانت من قبيل احكام الارشادية وناظرة اما الى ما هو مقتضي الحياة والموت نفسها او الى ما يخالف لمقتضيها كما اذا تأملت في مجموعها يظهر لك ذلك وبه بيان آخر اما اولاً فان الاخبار لم تكن في مقام الجعل حتى تكون بينهما تضاد.

وثانياً على فرض التسليم انها ناظرة الى طرق العوارض لما يقتضيه الحقايق فلا تضاد ولا تنافي بينها اصلاً ولم يدل شيء منها على لزوم حب لقاء الله بخصوصه و ذم الفرار عنه وبناءً على ما ذكرناه و عدم دلالة الاخبار على لزوم حب لقاء الله بخصوصه ان ما ورد من الادعية الواردة في استدعاء طول العمر ايضاً لم تكن منافية لهذه الاخبار بل مساعدة لها

حيث ان الادعية الماثورة كانت في مقام ان طول العمر لما كان مورثاً لما هو مقتضى له فإنه مطلوب فلذا ورد الاستدعاء له مع ان في كثير منها استدعاء طول العمر بما هو مقتضى له و مطلوب منه مثل ما ورد في الليالي شهر الصيام، و ان تطيل عمري في خير و عافية، و في بعضها الآخر، و ان تطيل عمري في طاعتك و في دعاء ابو حمزة ثمالى، و اجعلني ممن اطلت عمره و حسنت عمله، و في دعاء ليلة آخر شعبان «اللهم ابقي خير البقاء» و نحو ذلك فعلى هذا من هذه الجهة لم يكن الاشكال ايضاً في البين، حتى تكلفنا عن جوابه، كما زعم المجلسي «ره» و تفتن لجوابه في آخر^(١) جوابه الخامس الذي عدّه وجه قريب بما لا يكون مرتضى والله

١ - قوله «ره» و اما الدعاء لطلب الحياة و البقاء لامره تعالى بذلك فلا ينافي الرضا بالقضاء و كذا في الصحة و المرض و الغني و الفقر و سائر الاحوال المتضادة يلزم الرضا بكل منها في وقته و امرنا بالدعاء لطلب خير الامرين عندنا (البحار، ج ٦، ص ١٣٩)

و لا يخفى ما فيه، و لكن لا بدّ من ايراد الكلام و توضيح الاشكال من عطف المناسب له مفصلاً و لكن نرد اجماله في المقام و ملخصه أنّه لا بدّ من اجراء الاشكال في اصل الدعاء و جعله فنقول: لاشبهة في ان المقدرات كانت بيد الله تعالى و ان الامورات الواصلة الى الانسان مربوطة بمقدراته و من البديهي أنّها تابعة للمصالح و المفساد النفس الامرية، و أنّه تعالى لا يقدر الا عند المصلحة و لو كانت هي موجودة في اى زمان من عمره لاعطي ما قدره في تلك الزمان و

العالم و مع الغضّ عن جميع ما ذكرناه أنّه يستفاد من جملة الروايات ان المؤمن يكره الموت منها في الكافي^(١) فراجع.

→ لو لم يدع الله فيما قدر له اصلاً و كذا لو لم يكن المصلحة موجودة فيه اصلاً لم يعطه ابداً و لو دعا الله فيه الف مرّة و كذا الكلام في سائر الامورات الباعثة لبذل الله تعالى بعض النعم على الانسان او رفع النقم عنه كالصدقة و البرّ خصوصاً بالوالدين و كصلوة اوّل الوقت و التذورات و التوسلات و نحوها كما هو مضمون كثير من الاخبار.

فعلى هذا ان الدعاء و نحوه غير مؤثر و غير صحيح، و الجواب عنه، أنّه لاشبهة في صحة المقدرات و أنّها تابعة للمصالح و المفاسد، و لكن ان نفس الدعاء و نحوه قد يورث المصلحة كما مرّ الكلام في ذلك في بحث الآجال و مسئلة البدء فراجع فلاتضادّ بين التقديرات و بين صحة الدعاء و نحوها و تأثيرها اصلاً.

١ - ج ٢، ٧ و ح ٨ و هو صحيح و ح ١١ من باب من اذى المسلمين و احتقرهم ص

فصل

في ذكر الموت وحقيقته

يقع البحث بعد ذكر الموت وحقيقته في الامورات المتعلقة به.
الامر الأول في ذكر ملك الموت واحواله واعوانه، ولا بد من ايراد الايات
والاخبار الواردة فيها اما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿و هو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة، حتى اذا جاء احكم الموت، توفته رسلنا و
هم لا يفرطون﴾^(١).

قال الطبرسي «ره»: معناه والله المقتدر المستعلي على عباده، الذي
فوقهم، لا بمعنى أنه في مكان مرتفع فوقهم، وفوق مكانهم، لأن ذلك من
صفة الاجسام، والله تعالى منزّه عن ذلك، ومثله في اللغة امر فلان فوق
امر فلان، اي هو اعلا امراً، وانفذ حكماً، ومثله يد الله فوق ايديهم،
فالمراد به أنه اقوى واقدر منهم، وأنه القاهر لهم، ويقال: هو فوقه في
العلم، اي اعلم منه وفوقه في الجود اي اجود، فعبر عن تلك الزيادة بهذه
العبارة، للبيان عنها، ويرسل عليكم حفظة، عطف على صلة الالف و
اللام، في القاهر، وتقديره وهو الذي يقهر عباده، ويرسل عليكم حفظة.

أي ملئكة يحفظون أعمالكم ويحسونها عليكم، ويكتبونها، وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي، إذا علموا أن عليهم حفظة، من عند الله يشهدون عليهم يوم القيمة، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته، أي تقبض روحه، رسلنا، يعني أعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقادة قالوا وأما يقبضون الأرواح بامرهم ولذلك أضاف التوفى إليه في قوله قل يتوفىكم ملك الموت، وقال: الزجاج يريد بالرسول هؤلاء الحفظة، فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجئ الممات، وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة، وهم لا يفرطون، أي لا يضيعون، عن ابن عباس والسدي، وقيل لا يغفلون ولا يتوانون، انتهى محل الحاجة^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم، قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبدوا الله الذي يتوفىكم وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾^(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿الذين تتوفىهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا في السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾^(٤).

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) لا يحفى ان مفاد هذه الآيات الاربعة المتقدمة واضحة.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) قال الطبرسي «ره» في الآية الاخيرة: ثم امر سبحانه نبيه، فقال: قل: يا محمد للمكلفين، يتوفَّيكم، اي يقبض ارواحكم اجمعين، و قيل يقبضكم واحداً واحداً، حتى لا يبقى منكم احد، ملك الموت الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ، اي وُكِّلَ بقبض ارواحكم عن ابن عباس، قال: جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت، مثل جام يأخذ منها ما شاء، اذا قضى عليه الموت من غير عناء و خطوته، ما بين المشرق والمغرب، وقيل ان له اعواناً كثيرة من ملئكة الرحمة و ملئكة العذاب عن قتادة و الكلبي، فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس، و يدلّ عليه قوله: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾، وقوله: ﴿تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، و اما اضافة التوفى الى نفسه في قوله: ﴿اللَّهُ يَتُوفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، فلاّنه سبحانه خلق الموت و لا يقدر عليه احد سواه، انتهى موضع الحاجة^(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتُوفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي

ذلك لابات لقوم يتفكرون^(١) ولا يخفى ان التعابير في الآيات، بحسب الظاهر مختلفة، حيث ان التوفى قد يسند الى الرسل كما في الاية الاولى و الثانية وقد يسند الى الله تعالى كما في الآية الثالثة والاخيرة وقد يسند الى الملائكة كما في الآية الرابعة والخامسة وقد يسند الى الملك الموت كما في الآية السادسة، ولكن يمكن عودها الى مال واحد، والمحتمل في المقام ثلاثة.

الأول ان التوفى للتوفى بالذات هو الله تعالى، وهو محيت حقيقة ولا شبهة في ذلك كما يدل على ذلك الآية الثالثة والاخيرة، ولكنه تعالى لما كان اجلّ واعظم ان يتوفى بنفسه، فلذا جرى بالواسطة كما يدل عليه سائر الآيات على حسب اختلاف تعابيرها، ويشهد لذلك الاحتمال ما رواه في البحار عن الاحتجاج في خبر الزنديق المدعي للتناقض في القران، قال امير المؤمنين - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَوَفَّيْكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ﴾، ﴿وَتَوَفَّهُ رُسُلُنَا﴾، ﴿وَتَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيْ اَنْفُسِهِمْ﴾، فهو تبارك وتعالى اجلّ واعظم من ان يتوفى ذلك، بنفسه، وفعل رسله و ملائكته فعلة، لأنهم بامرهم يعملون فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة، بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿اللّٰهُ يَصْطَفِيْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، فمن كان من اهل الطاعة تولّت قبض

روحه ملائكة الرحمة، و من كان من اهل المعصية، تولّى قبض روحه ملائكة النعمة، و لملك الموت اعوان من ملائكة الرحمة و النعمة، يصدرون عن امره، و فعلهم فعله، و كلّ ما يأتيونه منسوب اليه، و اذا كان فعلهم فعل ملك الموت، و فعل ملك الموت فعل الله، لانه يتوفّى الانفس على يد من يشاء، و يعطى و يمنح و يثيب و يعاقب على يد من يشاء، و ان فعل امنائه فعله، كما قال: ﴿و ما تشاؤون الا ان يشاء الله﴾^(١).

الاحتمال الثاني ان الاختلاف في التعابير بحسب اختلاف شرافة المتوفّين، حيث يليق بعضهم ان يتولّى هو بنفسه، كما هو ظاهر آية الثالثة و الاخيرة، و بعضهم يليق ان ارسل اليهم ملك الموت، او الرسل و نحوها، كما يدلّ على ذلك سائر الايات و يشهد لذلك، ما رواه في البحار عن التوحيد، بسنده عن ابي معمر السعداني، في خبر من اتى امير المؤمنين - عليه السلام - مدّعيا للتناقض في القران، قال - عليه السلام - اما قوله: ﴿قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾، و قوله الله: ﴿يتوفى الانفس حين موتها﴾، و قوله: ﴿توفّته رسلنا و هم لا يفرطون﴾ و قوله: ﴿الذين تتوفّهم الملائكة ظالمي انفسهم﴾، و قوله: ﴿الذين تتوفّهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ فان الله تبارك و تعالى يدبّر الامور كيف يشاء، و يوكل من خلقه من يشاء، بما يشاء، اما ملك الموت فان الله عزّوجلّ يوكله بخاصته من يشاء من خلقه، و يوكل رسله من

الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه، تبارك و تعالى، و الملائكة الذين ساءهم الله عز وجل و كلهم بخاصة من يشاء من خلقه، أنه، تبارك و تعالى، يدبر الأمور، كيف يشاء و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسره، لكل الناس، لأن منهم القوى و الضعيف، و لأن منه ما يطاق حمله، و منه ما لا يطاق حمله، إلا من يسهل الله له حمله، و اعانه عليه من خاصة اوليائه، و أنما يكفيك ان تعلم ان الله المحيي المميت، و أنه يتوفى الانفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته و غيرهم^(١).

الاحتمال الثالث ان تولى التوفى قد أجرى أولاً من قبل الملائكة و الرسل ثم يتولى ملك الموت من الملائكة و الرسل ثم يتولى الله عز وجل من ملك الموت كما هو ظاهر ما رواه في من لا يحضره الفقيه، و سئل الصادق - عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى حِينَ مَوْتِهَا﴾، و عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، و عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ، و الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ و عن قول الله عز وجل: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾، و عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾، و قد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصىه إلا الله عز وجل، فكيف هذا، فقال: ان الله تبارك و تعالى جعل لملك الموت اعواناً من الملائكة يقبضون الارواح، بمزلة صاحب الشرطة له اعوان من الانس،

يبعثهم في حوائجهم فتتوفاهم الملائكة، و يتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، و يتوفاه عز وجل من ملك الموت^(١) و يمكن ان يؤل احتمالان الاخيران الى الاحتمال الاول، حيث أنه تعالى، لما كان بالذات ميت و لا شريك له في ذلك، و في غيره من الافعال قطعاً، كما هو مقتضى ادلة توحيد الافعال و لكن قد يرى المصلحة لاجراء التولي في الامانة بالواسطة و حينئذٍ، فقد يرى المصلحة في تعدد الواسطة، بان تتولي اعوان ملك الموت ثم تتوليّه و هكذا، ففعل الواسطة و لو مع التعدد، هو فعله، كما كان هو مفاد احتمال الثالث، و قد يرى المصلحة لمرتبة الشرافة في البعض ان يخص التولي بواسطة ملك الموت لخاصة من يشاء من خلقه، و هكذا، كما كان هو مفاد احتمال الثاني، فبالنتيجة فعل ملك الموت و فعل مثله فعله، تبارك و تعالى، فعلى هذا لم يكن بين الاحتمالات تهاوت، اصلاً، فتدبر جيداً، و اما الاخبار فمفهومها في الكافي بسنده عن اسباط بن سالم مولى ابيان قال: قلت لابي عبدالله - عليه السلام - : جعلت فداك، يعلم ملك الموت بقبض من يقبض، قال: لا، انما هي صكاك^(٢) تنزل من السماء اقبض، نفس فلان ابن فلان^(٣).

و منها فيه بسنده الحسن عن هشام بن سالم قال: قال ابو عبدالله

١ - ج ١، ب غل الميت، ح ٢٧، ص ٣٣

٢ - الصك بالفتح، الكتاب و الجمع الصكاك.

٣ - ج ٣، ب النوادر، ح ٢١، ص ٢٥٥

- عليه السّلام - : ما من بيت شعر ولا وبر، إلا وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات^(١).

ومنها فيه بسنده عن زيد الشحام قال: سئل ابو عبد الله - عليه السّلام - عن ملك الموت، يقال: الارض بين يديه كالقصعة يمدّ يده منها، حيث يشاء، قال: نعم^(٢).

ومنها فيه بسنده عن جابر عن ابي جعفر - عليه السّلام - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - : اخبرني جبرئيل - عليه السّلام - ان ملكاً من ملائكة الله كانت له عند الله عز وجل منزلة عظيمة فتعّيب^(٣) عليه فاهبط من السماء الى الارض فأتى ادریس - عليه السّلام - فقال: ان لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك فصلّي ثلاث ليال لا يفتر و صام ایامها لا يفطر ثمّ طلب الى الله تعالى في السحر في الملك فقال: الملك انك قد اعطيت سؤلك وقد اطلق لي جناحي و انا احب ان اكافيك فاطلب الى حاجة فقال: تريني ملك الموت لعلی أنس به فانه ليس يهتني مع ذكره شيء فبسط جناحه ثمّ قال: اركب فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقل له اصعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال الملك: يا ملك الموت مالي اراك قاطباً^(٤) قال: العجب اني تحت ظلّ العرش حيث امرت ان اقبض روح آدمي بين السماء

١ - ج ٣، ب النوادر، ح ٢٢، ص ٢٥٦ ٢ - ج ٣، ب النوادر، ح ٢٤، ص ٢٥٦

٣ - عتب عليه اي وجد و تعّيب مثله ٤ - القطب، العبوس.

الرابعة والخامسة فسمع ادريس - عليه السلام - فامتحن^(١) فخر من جناح الملك فقبض روحه مكانه وقال الله عز وجل: ﴿ورفعناه^(٢) مكاناً علياً﴾^(٣).

ومنها في تفسير علي بن ابراهيم بسنده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: جاء جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبراق الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، الى ان قال: ثم مرت بملك من الملائكة وهو جالس، واذا جميع الدنيا بين ركبتيه واذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه، ولا يلتفت يمينا ولا شمالاً مقبلاً عليه، كهيئة الحزين، فقلت: من هذا يا جبرئيل، فقال: هذا ملك الموت، دائب في قبض الارواح فقلت: يا جبرئيل ادني منه حتى اكلمه، فادناني منه فسلمت عليه، وقال له جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة، الذي ارسله الله الى العباد فرحب بي وحياتي بالسلام، وقال: ابشر يا محمد فاني ارى الخير كله في امتك، فقلت: الحمد لله المنان ذي النعم على عباده، ذلك من فضل ربي ورحمته علي، فقال جبرئيل: هو اشد الملائكة عملاً فقلت: اكل من مات، او هو ميت فيما بعد، هذا، تقبض روحه، قال: نعم قلت: تراهم حيث كانوا، وتشهده بنفسك، فقال: نعم، فقال ملك الموت: ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني منها الا كالدرهم في كف الرجل يقلبه

١ - معض من الامر، كفرح، غضب وشق عليه.

كيف يشاء، و ما من دار الا و انا اتصفحها كل يوم خمس مرات، و اقول:
 اذا بكى اهل الميت على ميتهم، لا تبكوا عليه فان لي فيكم عودة و عودة،
 حتى لا يبقى منكم احد فقال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - :
 كفى بالموت طامة^(١) يا جبرئيل فقال جبرئيل: ان ما بعد الموت اطم^(٢) و
 اطم من الموت^(٣) الحديث.

و منها في من لا يحضره الفقيه، و قال الصادق - عليه السلام - : قيل لملك
 الموت - عليه السلام - : كيف تقبض الارواح؟ و بعضها في المغرب و
 بعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: ادعوها فتجيبي، قال: فقال
 ملك الموت: ان الدنيا بين يدي كالقصة بين يدي احدكم فيتناول منها
 ماشاء، و الدنيا عندي كالدرهم [كدرهم] في كف احدكم يقلبه كيف
 شاء [يشاء]^(٤).

و منها في البحار عن العيون بالاسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه
 - عليهم السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : لما
 اسرى بي الى السماء رأيت في السماء الثلاثة رجلاً قاعداً، رجل له في
 المشرق و رجل في المغرب، و بيده لوح ينظر فيه، و يحرك رأسه فقلت: يا
 جبرئيل من هذا فقال: ملك الموت - عليه السلام - ^(٥).

١ - الطامة، الداهية تفوق ما سواها. ٢ - اي اعظم و اقبح.

٣ - ج ٢، ص ٦ ٤ - ج ١، ب غسل الميت، ح ١٢، ص ٣٢

٥ - ج ٦، ب ٥، ح ٣، ص ١٤١

ومنها فيه عن جامع الاخبار قال ابراهيم الخليل - عليه السلام - لملك الموت: هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر، قال: لا تطيق ذلك قال: بلى قال: فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه و مناخره لهيب النار و الدخان فغشى على ابراهيم ثم افاق فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه^(١).

ومنها في البحار عن علل الشرائع بسنده عن حنان بن سدير عن ابيه قال: قلت لابي جعفر - عليه السلام - : اخبرني عن يعقوب حين قال: لولده اذهبوا فتحسسوا من يوسف و اخيه، اكان علم انه حي و قد فارقه منذ عشرين سنة، و ذهبت عيناه من الحزن، قال: نعم علم انه حي قلت: وكيف علم قال: انه دعا في السحر ان يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه، تريال فهو ملك الموت، فقال له: تريال ما حاجتك يا يعقوب، قال: اخبرني عن الارواح تقبضها مجتمعة او متفرقة، فقال: بل متفرقة و روحاً و روحاً، قال: فمر بك روح يوسف قال: لا، قال: فعند ذلك علم انه حي فقال: لولده، اذهبوا فتحسسوا من يوسف و اخيه^(٢) و الغرض من ايراد ذلك الرواية ان اعوان ملك الموت، قد تقبض الارواح و ردها الى ملك الموت روحاً و روحاً، و لذا يصح سؤال يعقوب - عليه السلام - بهذه الكيفية عن ملك الموت.

اقول: ان الاخبار لو تأملت فيها، تقف ان مفادها هو مفاد الآيات، فعليك التدبر فيها حتى تجد ما قلناه والله المستعان.

تحقيق وايضاح

ولا بد من ان يتقدم له مقدمة، وهي أنه قد تقرر في محله ان صدور الفعل قد استند الى من صدر عنه الفعل اذا كان فاعله مختاراً ولم يستند الى من اوجد اسباب الفعل، او تهيؤها، ولذا استند افعال العباد حسنة كانت او قبيحة الى انفسهم، ولم يستندوا الى الله تعالى، حيث أنه تعالى قد اعطى اسباب الافعال مثل القدرة ونحوها على العباد، وذلك الاعطاء وقع سبباً لصيرورتهم متمكنة من صدور الافعال عنهم، لا ان ذلك الاعطاء وقع لصيرورتهم فاعلاً لها، وذلك واضح عقلاً و يصير بديهاً لمن تأمل في الجملة، والآصاروا مجبورة في افعالهم، حيث أنهم على الفرض بمجرد ذلك الاعطاء يصيروا فاعلين ومن الضروري أنه لم يكن كذلك بل بواسطة الاعطاء يصيروا متمكنين والآ حصل مفاد الجبر، ومن الواضحات الاولى أنه تعالى، لم يكن سبباً لفاعليتهم، بل السبب لصيرورتهم فاعلاً هو اختيارهم، اعني اختيار الاسباب للصرف في الافعال كيف تشاء، و بعبارة اخرى، ان الله تعالى سبب للاقدار على نحو الاختيار، ولا يكون سبباً للفاعلية بل السبب، لها هو اختيار المكلف فقط، وأنه لا يصح اطلاق الفاعل الاعلى من صدر عنه الفعل اختياراً، كما عرفت، بل لا يصح نفي اطلاق الفاعلية عن من لم يتمكن عن الفعل، اعني لم يصح ان يقال ان فلاناً

لم يطر الى السماء، اذ صحة نفي الاسناد تابع لصحة اثباته، فتى لم يصحّ اسناد فعل الى شخص، لم يصحّ سلبه عنه قطعاً، وذلك معلوم لا يحتاج الى اقامة برهان، و تمام الكلام في محله، و من المعلوم ان هذا البحث اعني استناد الفعل الى الفاعل مربوط بافعال الاختيارية، كما عرفت، اذا تمهد هذه، فنقول: ان المقام ليس من قبيل ما ذكر، و عليك ان لا تخلطه به، بل كان من قبيل اجراء امورات الممالك من قبل السلاطين الظاهرية، بواسطة ايدى المأمورين المربوطة، حيث ان الملك الموت مأمور من قبل الله تعالى للتوفي و كذا سائر الملثكة، من اعوانه مع انهم مختارون في افعالهم، و لكن لما انهم لا يعصون ما امر الله، و يفعلون ما يؤمرون^(١)

١ - و شهد على ذلك ما رواه في الكافي بسنده عن الهيثم بن واقد عن رجل عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: دخل رسول الله على رجل من اصحابه و هو يجود بنفسه، فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي، فانه مؤمن فقال له ابشر يا محمد فاني بكل مؤمن رفيق، و اعلم يا محمد اني اقض روح ابن آدم فيجزع اهله فاقوم في ناحية من دارهم فاقول: ما هذا الجزع فوالله ما تعجلنا قبل اجله، و ما كان لنا في قبضه من ذنب، فان تحتسبوا و تصبروا تؤجروا و ان تجزعوا تأثموا و توزروا و اعلموا ان لنا فيكم عودة ثم عودة فالحذر الحذر، انه ليس في شرقها و لا في غربها اهل بيت مدر و لا وبر الا و انا اتصفّحهم في كل يوم خمس مرات، و لانّا اعلم بصغيرهم و كبيرهم منهم بانفسهم، و لو اردت قبض روح بعوضة، ما قدرت عليها حتى يأمرني ربي بها، فقال رسول الله صلى الله عليه

فيصح حقيقة استناد الفعل، و التوفى الى الله تعالى، و هو حقيقة محيت، و ان استند التوفى في بعض الآيات الى الملك الموت و الملائكة كما عرفت و لكن لا يكون على سبيل الحقيقة، بل كان من باب اجراء الامور على طريق الاسباب، و اسناد التوفى الى غير الله تعالى، يمكن ان يكون لاجل بيان ان، انى الله ان يجري الامور الآ باسبابها، فعليك بامعان النظر حتى كشف لك حقيقة الحال، خصوصاً في الرواية التي اوردناها في ذيل الصحيفة عن الكافي، فلو امعن النظر فيها، لوجدت ما نحن بصدده، و الله العالم.

الامر الثاني في سكرات الموت و شدائده، و قد وردت فيه آيات كثيرة، و الاخبار المتظافرة، اما الايات فمنها قوله تعالى: ﴿ان الذين توفيتهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاؤلئك مأويهم جهنم و ساءت مصيراً﴾^(١) قال الطبرسي «ره»: اي قبض ارواحهم او تقبض ارواحهم الملائكة، الملائكة ملك الموت او هو و غيره، فان الملائكة تتوفى و ملك الموت يتوفى، و الله يتوفى، و ما يفعله الملائكة او ملك الموت، يجوز ان يضاف الى الله، اذ فعلوه بامرهم، و ما تفعله الملائكة، جاز ان يضاف الى

→ و آله و سلم: انما يتصفحهم في مواقيت الصلوة، فان كان عمن يواظب عليها عند مواقيتها. لثنته شهادة ان لا اله الا الله و ان محمداً رسول الله و نحى عنه ملك

الموت ابلبس (ج ٣، ب اخراج روح المؤمن و الكافر، ح ٢، ص ١٣٦)

ملك الموت، اذ فعلوه بامرہ، ظالمی انفسہم، ای فی حال ہم، فیہا ظالموا انفسہم، اذ تحسبوا حقہا، من الثواب، و ادخلوا علیہا العقاب بفعل الکفر، قالوا فیم کنتم، ای قالت لهم الملائکۃ، فیم کنتم، ای فی ای شیئی کنتم من دینکم، علی وجہ التقرير لهم، او التویخ لفعلمہم، قالوا کنا مستضعفین فی الارض، يستضعفنا اهل الشرك بالله فی ارضنا و بلادنا بکثرة عددهم، و قوتہم، و یمنعوننا من الايمان بالله و اتباع رسوله علی جہۃ الاعتذار، قالوا، ای قالت الملائکۃ لهم، الم تکن ارض اللہ واسعۃ، فتهاجروا فیہا ای فتخرجوا من ارضکم و دورکم و تفارقوا من یمنعکم من الايمان بالله و رسوله الی ارض یمنعکم اهلها من الشرك فتوحّدوه و تعبدّوه و تتبّعوا رسوله، انتهى محل الحاجة^(١).

و منها قوله تعالى: ﴿و لو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائکۃ يضربون وجوہہم و ادبارہم و ذوقوا عذاب الحریق﴾^(٢) قال الطبرسي «ره»: ای یقبضون ارواحہم عند الموت، يضربون وجوہہم و ادبارہم، یرید استاہم و لكن اللہ سبحانہ کنی عنہا عن سعید بن جبیر و مجاہد، و قيل وجوہہم ما اقبل منهم، و ادبارہم ما ادبر منهم، و المراد يضربون اجسادہم من قدامہم و خلفہم و المراد به قتلي بدر عن ابن عباس و مجاہد و سعید بن جبیر و اکثر المفسرین^(٣) انتهى محل الحاجة.

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) قال الطبرسي «رد»: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته، و كانوا يَتَّقُونَ، مع ذلك معاصيه، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، فيه اقوال

أحدها أن البُشْرَى في الحياة الدنيا هي ما بَشَّرَهُمُ اللَّهُ تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وقوله: ﴿يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ الآية عن الزجاج والنزاع.

وثانيها أن البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، عن قتادة والزهري والضحاك والجبائي.

وثالثها أنها في الدنيا، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وفي الآخرة بالجنة، وهي ما يبشِّرُهُمُ الملائكة عند خروجهم من القبور، وفي القيمة إلى أن يدخل الجنة، يبشرونهم بها حالاً بعد حال، وهو المروي عن أبي جعفر - عليه السلام - وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وروي عقبه بن خالد عن أبي عبد الله - عليه السلام - أنه قال: يا عقبه لا يقبل الله من العباد يوم القيمة

الآ هذا الدين الذي انتم عليه و ما بين ايديكم، و بين ان ترى ما تقر به عينه، الآ ان يبلغ نفسه الى هذه، و او ما ييده الى الوريد، الخبر بطوله، ثم قال: ان هذا في كتاب الله و قرء، الذين امنوا و كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة، الآية، و قيل ان المؤمن يفتح له باب الى الجنة في قبره فيشاهد ما اعد له في الجنة قبل دخولها، لا تبديل لكلمات الله، اي لاخلف لما وعد الله تعالى به من الثواب و لاخلاف في قوله^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الآ تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾^(٢). قال الطبرسي «ره»: ﴿الذين قالوا ربنا الله﴾، اي و حدوا لله بلسانهم، و اعترفوا به، و صدقوا انبيائه، ثم استقاموا، اي استمروا على ان الله ربهم و حده لم يشركوا به شيئاً عن مجاهد، و قيل معناه ثم استقاموا على طاعته و اداء فرائضه عن ابن عباس، و الحسن قتادة و ابن زيد، و قيل ثم استقاموا في افعالهم كما استقاموا في اقوالهم، و قيل ثم استقاموا على ما توجبه الربوبية عن عبادته عن ابن مسلم، و روي عن انس قال: قرأ علينا رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - هذه الآية ثم قال: قد قالها ناس، ثم كفر اكثرهم، فن قالها حتى يموت فهو بمن استقام عليها، و روي محمد بن الفضيل قال: سألت ابا الحسن الرضا عن الاستقامة، فقال: هي و الله ما انتم عليه، تنزل عليهم الملائكة، يعني عند الموت، عن

بجاهد و السدي، و روي ذلك عن أبي عبد الله - عليه السلام - و قيل
تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله،
عن الحسن و ثابت و قتادة، و قيل في القيمة عن الجبائي و أبي مسلم، و
قيل أن البشري تكون في ثلاثة مواطن، عند الموت، و في القبر، و عند
البعث، عن و كيع بن الجراح، ألا تخافوا و لاتحزنوا، أي يقولون لهم
لاتخافوا و لاتحزنوا عقاب الله و لاتحزنوا الفوات الثواب و قيل، لاتخافوا
أمامكم من أمور الآخرة، و لاتحزنوا على ما ورائكم، و على ما خلفتم من
أهل و ولد، عن عكرمة و مجاهد، و قيل لاتخافوا و لاتحزنوا على ذنوبكم،
فإني أغفرها لكم عن عطاء ابن أبي رباح و قيل أن الخوف يتناول
المستقبل و الحزن يتناول الماضي، و كان المعني، لاتخافوا فيما يستقبل من
الأوقات، و لاتحزنوا على ما مضى و هذا نهاية المطلوب، و ابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون، بها في دار الدنيا على السنة الانبياء. (١)

أقول: أن المحتملات الثلاثة الأول يمكن استفادتها من إطلاق الآية أعني
يقولون لهم لاتخافوا و لاتحزنوا مطلقاً عما يكون مورد الاخافة او الحزن
كما هو مفاد احتمال الرابع فتدبر جيداً.

ثم أقول: أنه لا شبهة في أن الآية الأولى و الثانية ظاهرة بل صريحة فيما نحن
بصدده و أما آية الثالثة دالة على المقصود، بناءً على بعض الاحتمالات فيها
و كذا الآية الرابعة و تكون الآيات العديدة الأخرى أيضاً ظاهرة في

المقصود، و لكن لم نذكرها خوفاً من الاطالة فعليك الرجوع بالمطولات، و ما ذكرناه اغنانا عما تركناه، و لكن الاخبار الباب التي سنذكر طرفاً منها للتالي انشاء الله تعالى، جلّها بل كلها صريحة في المقصود، و قد اشرنا أنّها متطافرة، بل أنّها متواترة، و لكن نحن نذكر بعضها خوفاً من التطويل، أما الاخبار فمنها في الكافي بسنده عن السكون عن ابي عبد الله - عليه السلام - انّ الميّت اذا حضره الموت اوثقه ملك الموت و لولا ذلك ما استقر^(١).

ومنها فيه عن عليّ بن ابراهيم رفعه قال: لما مات ذرّ بن ابي ذرّ مسح ابوذر القبر بيده، ثمّ قال: رحمك الله يا ذرّو الله ان كنت بي باراً و لقد قبضت، و انّي عنك لراض، أما والله ما بي فقدك و ما عليّ بن غضاضة^(٢) و مالي الى احد سوى الله من حاجة، و لولا هول المطلق، لسنّني ان اكون مكانك و لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، و الله ما بكيت لك و لكن بكيت عليك فليت شعري ماذا قلت، و ماذا قيل لك، ثمّ قال: اللهم انّي قد وهبت له ما افترضت عليه من حقّي، فهب له ما افترضت عليه من حقك، فانت احقّ بالجود منّي^(٣).

ومنها فيه بهذا الاسناد عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال النبيّ - صلى الله عليه و آله و سلم -: مستريح و مستراح منه، المستريح فالعبد

١- ج ٣، ب النوادر، ح ٢، ص ٢٥٠

٢- ج ٣، ب النوادر، ح ٤، ص ٢٥٠

٣- والغضاضة، الذلّة

الصالح استراح من غم الدنيا وما كان فيه من العبادة الى الراحة و نعيم الآخرة، و انا المستراح منه، فالفاجر يستريح منه الملكان اللذان يحفظان عليه، و خادمه و اهله و الارض التي كان يمشي عليها^(١).

و منها فيه بسنده الحسن عن علي بن رثاب قال: سمعت ابا الحسن الأول - عليه السلام - يقول: اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة و بقاء الارض التي كان يعبد الله عليها، و ابواب السماء التي كان يصعد اعماله فيها، و ثلم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء، لان المؤمنين حصون الاسلام كحصون سور المدينة لها^(٢).

و منها فيه بسنده عن جابر عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: سألته عن لحظة ملك الموت، قال: اما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعثرهم السكته، فا يتكلم احد منهم فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحضهم^(٣).

و منها فيه بسنده الحسن عن يزيد الكناسي عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: ان فتية من اولاد ملوك بني اسرائيل كانوا متعبدين، و كانت العبادة في اولاد ملوك بني اسرائيل، و أنهم خرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا، فمروا بقبر على ظهر الطريق، قد سنى عليه السافي^(٤) ليس يبين منه الا رسمه، فقالوا لو دعونا الله الساعة، فينشر لنا صاحب هذا القبر، فساثلناه، كيف وجد طعم الموت، فدعوا الله، و كان دعاؤهم الذي دعوا

١- ج ٣، ب النوادر، ح ١١، ص ٢٥٤ ٢- ج ٣، ب النوادر، ح ١٣، ص ٢٥٤

٢- ج ٣، ب النوادر، ح ٣١، ص ٢٥٩ ٤- سفت الريح الشاب اذا ذونه و حملته

اللَّهِ به، انت الهنا يا رَبَّنَا ليس لنا اله غيرك، والبديع الدائم غير الغافل، و
الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوت، لك في كُلِّ يوم شأن، تعلم كُلَّ شَيْءٍ بغير تعليم، انشر
لنا هذا المَيِّت بقدرتك، قال: فخرج من ذلك القبر رجل ابيض الرأس و
اللحية ينفذ رأسه من التراب فرعاً شاخصاً، بصره الى السماء، فقال
لهم: ما يوقفكم على قبري، فقالوا دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم
الموت، فقال لهم: لقد سكنت في قبرى تسعة و تسعين سنة، ما ذهب عني
الم الموت و كربه، ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي، فقالوا له مَتَّ يوم
مَتَّ، وانت على ما نرى ابيض الرأس و اللحية، قال: لا، ولكن لما سمعت
الصيحة اخرج اجتمعت تربة عظامي الى روحي، فنفست فيه، فخرجت
فرعاً شاخصاً بصري، مهطعاً الى صوت الداعي، فايضٌ لذلك رأسي و
لحيتي^(١).

ومنها في الخصال بسنده عن احمد بن حمزة الاشعري قال: حدَّثني ياسر
الخادم قال: سمعت ابا الحسن الرضا - عليه السلام - يقول: ان اوحش ما
يكون هذا الخلق، في ثلاثة مواطن، يوم يولد و يخرج من بطن امه، فيرى
الدنيا، و يوم يموت فيرى الآخرة و اهلها، و يوم يبعث فيرى احكاما لم
يرها في دار الدنيا، و قد سلَّم اللّهُ عزَّ و جلَّ على يحيى في هذه الثلاثة
المواطن، و آمن روعته فقال: و سلام عليه يوم ولد، و يوم يموت، و يوم
يبعث حيّاً، و قد سلَّم عيسى بن مريم - عليه السلام - على نفسه في هذه

الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وَلَدَتْ، وَ يَوْمٍ أَمُوتَ، وَ يَوْمٍ أَبْعَثَ حَيًّا﴾^(١).

ومنها في البحار عن تفسير فرات بن ابراهيم بسنده معنعناً عن ابي بصير، قال: قلت لابي عبد الله - عليه السلام - : جعلت فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه قال: فقال: لا والله، قال: قلت: وكيف ذلك، قال: ان المؤمن اذا حضرته الوفاة، حضر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، و اهل بيته امير المؤمنين علي بن ابي طالب، و فاطمة و الحسن و الحسين، و جميع الائمة - عليهم السلام - ، ولكن اكنوا عن اسم فاطمة، و يحضره جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و عزرائيل - عليهم السلام - قال: فيقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب - عليه السلام - يا رسول الله، انه كان ممن يحبنا و يتولانا فاحبه، قال: فيقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يا جبرئيل انه كان يحب علياً و ذريته فاحبه، و قال جبرئيل لميكائيل و اسرافيل - عليهم السلام - : مثل ذلك، ثم يقولون جميعاً لملك الموت: انه ممن كان يحب محمداً و آله، و يتولى علياً و ذريته، فارفق به، قال: فيقول ملك الموت و الذي اختاركم و كرمكم، و اصطفى محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - و آله و سلم - بالنبوة و خصه بالرسالة لاننا ارفق به من والد رفيق، و اشفق عليه من اخ شقيق، ثم قام اليه ملك الموت فيقول يا عبد الله اخذت فكاك رقبتك، اخذت رهان امانك، فيقول نعم، فيقول

الملك فهاذا فيقول: بحبي محمداً وآله، و بولايتي عليّ بن ابي طالب و ذريته، فيقول اما ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه و اما ما كنت ترجوا فقد اتاك الله به، افتح عينيك فانظر الى ما عندك قال: فيفتح عينيه فينظر اليهم واحداً واحداً و يفتح له باب الى الجنة فينظر اليها فيقول: له هذا ما اعد الله لك، و هؤلاء رفقاؤك، افتح الباب للحاق بهم او الرجوع الى الدنيا، قال: فقال ابو عبد الله - عليه السلام - : اما رأيت شخوصه ^(١) و رفع حاجبيه الى فوق، من قوله لاحاجة لي الى الدنيا، و لا الرجوع اليها و يناديه مناد من بطنان العرش، يسمعه و يسمع من محضرته، يا ايّها النفس المطمئنة الى محمد و وصيته و الائمة من بعده، ارجعي الى ربك راضيةً بالولاية، مرضيةً بالثواب، فادخلي في عبادي مع محمد و اهل بيته و ادخلي جنتي غير مشوبة ^(٢)

الامر الثالث فيما يعاين المؤمن و الكافر عند الموت ففيه اخبار مستظاهرة منها في الكافي بسنده عن ابي بصير قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : اذا حيل بينه و بين الكلام اتاه رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - و من شاء الله فجلس رسول الله عن يمينه و الآخر عن يساره، فيقول له رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - اما ما كنت ترجو، فهو ذا امامك، و اما ما كنت تخاف منه فقد امنت منه ثم يفتح له باب الى الجنة

١ - شخص الشيء، ارتفع، شخص بصره، فتح عينيه فلم يطفرف.

فيقول: هذا منزلك من الجنة، فان شئت رددناك الى الدنيا ولك فيها ذهب وفضة، فيقول: لا حاجة لي في الدنيا فعند ذلك يبيض لونه، ويرشح جبينه، وتقلص شفاته، وتنتشر منخراته، وتدمع عينه اليسرى، فاي هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فاذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فتختار الاخرة فتغسله فيمن يغسله وتقلبه فيمن يقلبه فاذا ادرج في اكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين ايدي القوم قُدمًا وتلقاه ارواح المؤمنين، يسلمون عليه، ويبشرونه بما اعد الله له جل ثناؤه من النعيم، فاذا وضع في قبره رد اليه الروح الى وركيه، ثم يسأل عما يعلم^(١) فاذا جاء بما يعلم، فتح له ذلك الباب الذي اراه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، فيدخل عليه من نورها وضوئها وبردها وطيب ريحها، قال: قلت: جعلت فداك فاين ضغطة القبر، فقال: هيات ما على المؤمنين منها شيء، والله ان هذه الارض لتفتخر على هذه، فيقول: وطأ على ظهري مؤمن، ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الارض والله لقد كنت احبك، وانت تمشي على ظهري فاما اذا ولّيتك فستعلم ماذا اصنع بك فتفسح مدًا بصره^(٢).

ومنها فيه بسنده الموثق عن سعيد بن يسار أنه حضر احد ابني سابور و

١ - اي ما يجب ان يعلم

٢ - ج ٢، ب ما يعاين المؤمن والكافر، ح ٢، ص ١٢٩

كان لهما فضل و ورع و اخبات^(١) فرض احدهما، و ما احسبه الا زكريا بن سابور، قال: فحضرتة عند موته فبسط يده، ثم قال: ابيضت يدي^(٢) يا علي، قال: فدخلت على ابي عبدالله - عليه السلام - و عنده محمد بن مسلم، قال: فلما قت من عنده ظننت^(٣) ان محمداً يخبره بخبر الرجل فاتبعني^(٤) برسول فرجعت اليه، فقال: اخبرني عن هذا الرجل الذي حضرتة عند الموت اي شيئ سمعته، يقول: قال: قلت: بسط يده، ثم قال: ابيضت يدي يا علي، فقال ابو عبدالله - عليه السلام - : و الله رااه و الله رااه و الله راه^(٥).

و منها فيه بسنده عن عقبه انه سمع ابا عبدالله - عليه السلام - يقول: ان الرجل اذا وقعت نفسه في صدره يري، قلت: جعلت فداك و ما يري، قال: يري رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - فيقول له رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - ، انا رسول الله ابشر، ثم يري علي بن ابي طالب - عليه السلام - فيقول: انا علي بن ابي طالب الذي كنت تحبه، تحب ان انفعك اليوم، قال: قلت له: ا يكون احد من الناس يري هذا، ثم يرجع الى الدنيا قال: قال: لا، اذا رأى هذا ابداً مات و اعظم ذلك قال: و

١ - الاخبات: الخشوع

٢ - كان علياً - عليه السلام - مرس يده و صافحه.

٣ - انما ظن ذلك لانه كان اخبر محمداً به قبل ذلك

٤ - يعني ابا عبدالله - عليه السلام -

٥ - ج ٣، ب ما يعاين المؤمن و الكافر، ح ٣، ص ١٣٠

ذلك في القرآن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ
 الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (١) ﴿اللَّهُ﴾ (٢).
 ومنها فيه بسنده الحسن عن يحيى بن سابط قال: سمعت أبا عبد الله
 - عليه السلام - يقول في الميت تدمع عينه عند الموت، فقال: ذلك عن
 معاينة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيرى ما يسره، ثم قال:
 أما ترى الرجل يرى ما يسره، وما يحب فتدمع عينه لذلك، ويضحك (٣).
 ومنها فيه بسنده الموثق عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله
 - عليه السلام - : قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، إلى قوله،
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤) فقال: أنها إذا بلغت الحلقوم، ثم أرى منزله من
 الجنة فيقول: ردوني إلى الدنيا، حتى أخبر أهلي بما أرى، فيقال: له ليس
 إلى ذلك سبيل (٥) و منها فيه بسنده الصحيح عن جارود بن المنذر، قال:
 سمعت أبا عبد الله - عليه السلام - يقول: إذا بلغت نفس أحدكم هذه، و
 أو ما بيده إلى حلقه، قرت عينه (٦).

ومنها في أمالي الشيخ المفيد بسنده عن الأصمغ بن نباته قال: دخل

١ - يونس، ٦٤

٢ - ج ٣، ب ما يعاين المؤمن والكافر، ح ٨، ص ١٣٣

٣ - ج ٣، ب ما يعاين المؤمن والكافر، ح ٦، ص ١٣٣

٤ - الواقعة، ٨٢-٨٧

٥ - ح ٣، ب ما يعاين المؤمن والكافر، ح ١٥، ص ١٣٥

٦ - ج ٣، ح ١٤، ص ١٣٥

الحارث الهمداني على امير المؤمنين على - عليه السلام - في نفر من الشيعة، وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأوّد^(١) في مشيته، ويخبط الارض بمحجنه، وكان مريضاً فاقبل عليه امير المؤمنين - عليه السلام - وكانت له منه منزلة، فقال: كيف تجد يا حارث، فقال: نال الدهر يا امير المؤمنين مني و زادني اواراً و غليلاً^(٢) اختصام اصحابك، بباك قال: وفيهم خصومتهم، قال: فيك^(٣) وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غال و مقتصد، قال [تال]: و من متردد مرتاب، لا يدري اي قدم ام يحجم فقال: حسبك يا اخا همدان الا ان خير شيعتي النمط^(٤) الاوسط، اليهم يرجع الغالي، و بهم يلحق التالي، فقال له الحارث: لو كشفت، فذاك ابي و امي، الرين عن قلوبنا، و جعلتنا في ذلك بصيرة من امرنا؟

قال - عليه السلام - : قدك^(٥) فانك امرؤ ملبوس عليك، ان دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف اهله، يا حارث ان الحق احسن الحديث، و الصادع^(٦) به مجاهد، و بالحق اخبرك، فارعني سمعك ثم خبر به، من كان له حصانة [حصافة] من اصحابك، الا اني عبد الله و اخو رسوله و صديقه الاول [الاكبر]، صدقته و آدم بين الروح

١ - اي يتعوج

٢ - الاوار بالضم حرارة الشمس و حرارة العطش و الغليل، الحقد

٣ - [قال في شأنك و البلية من قبلك] ٤ - النمط، جماعة من الناس امرهم واحد

٥ - قد، اسم فعل مرادفة ليكفي، او اسم مرادف لحسب

٦ - صدع بالحق، تكلم به جهاراً

و الجسد، ثم اني صديقة الأول في امتكم حقاً فنحن الاولون و نحن
الاخرون، و نحن خاصه، يا حارث و خالصته، و انا صفوه و وصيه و
وليته، و صاحب نجواه، و سرّه اوتيت فهم الكتاب، و فصل الخطاب، و
علم القرون و الاسباب، و استودعت الف مفتاح يفتح كل مفتاح، الف
باب يفضي، كل باب الى الف الف عهد، و ايدت و اتخذت، و امددت
بليلة القد نغلا، و ان ذلك يجري لي و لمن استحفظ من ذريتي، ما جرى
الليل و النهار حتى يرث الله الارض و من عليها و ابشرك يا حارث
لتعرفني عند الممات و عند الصراط و عند الحوض، و عند المقاسمة، قال
الحارث: و ما المقاسمة، قال: مقاسمة النار اقسامها قسمة صحيحة، اقول:
هذا وليّ فاتركيه، و هذا عدوي فخذيه، ثم اخذ امير المؤمنين
- عليه السلام - بيد الحارث فقال: يا حارث اخذت بيدك، كما اخذ
رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - بيدي، فقال لي: و قد شكوت
اليه حسد قریش و المنافقين لي، انه اذا كان يوم القيمة اخذت بحبل الله و
بمحزته، يعني عصمته من ذي العرش تعالى، و اخذت انت يا عليّ
بمحزتي، و اخذ ذريتك بمحزتك، و اخذ شيعتكم بمحزتكم، فاذا يصنع
الله بنيه، و ما يصنع نبيه بوصيه خذها اليك، يا حارث قصيرة من^(١)
طويلة انت مع من احببت، و لك ما اكتسبت، يقولها ثلاثاً، فقام الحارث

١ - و في المثل (قصيرة من طويلة) اي ثمرة من نخلة، يضرب في اختصار الكلام.
عن الفيروز آبادي.

يجزّ رده و هو يقول: ما ابالي بعدها متى لقيت الموت، او لقيني، قال: جميل بن صالح و انشدني ابو هاشم السيد الحميري رحمه الله، فيما تضمنه هذا الخبر، قول عليّ لحارث عجب، كم ثمّ اعجوبة له حملاً، يا حارهمدان من ميت يرنى، من مؤمن او منافق قبلاً، يعرفني طرفه و اعرفه، بنعته و اسمه و ما عملاً، و انت عند الصراط تعرفني، فلا تخف عثرة و لازلاً، اسقيك من بارد على ظمأ، تخاله في الحلاوة العسلا، اقول للنار حين توقف للعرض، دعيه لا تقربي الرجل، دعيه لا تقريه ان له، حبلاً بجبل الوصي متصلاً^(١). و منها في امالي الشيخ الطوسي بسنده عن الحارث الهمداني، قال: دخلت عليّ امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب - عليه السلام - فقال: ما جاء بك قال: حيّ لك، يا امير المؤمنين، فقال: يا حارث اتحبني فقلت: نعم و الله، يا امير المؤمنين، قال: اما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحبّ و لو رأيتني و انا اذود^(٢) الرجال عن المحوض ذود غريبة الابل لرأيتني، حيث تحبّ، و لو رأيتني و انا مارّ على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلّم -، لرأيتني حيث تحبّ^(٣).

١- المجلس الاول، ص ٢-٤ ٢- زاد الابل عن الماء، دفعه و طرده

٣- اورد الشاعر المضمون في سبيكة النظم، و القريض، في قوله، لنحن على المحوض ذواده ندود و تسعد و راده، و ما فاز من فاز الابنا، و ما خاب من حبازادة، و من سرّنا نال منّا السرور، و من ساءنا ساء ميلاده، و من كان ظالمنا حقنا، فإنّ القيامة ميعاده، المنقول: من الطبري عن بشارة

ومنها فيه بسنده الواصل الى عبيدالله بن الحسن قال: حدثني ابوسعيد محمد بن رشيد قال: آخر شعر قاله سيد محمد رحمه الله قبل وفاته ساعة وذلك انه اغشى عليه واسود لونه ثم افاق وقد ابيض وجهه وهو يقول، احبّ الذي من مات من اهل ودّه، تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحك، و من مات يهوى غيره من عدوّه، فليس له الا الى النار مسلك، اباحسن تفديك نفسي واسرتي، ومالي وما اصبحت في الارض املك، اباحسن اني بفضلك عارف، واني بحبل من هواك لمسك، وانت وصي المصطفى و ابن عمه، وانا نعاذي مبغضيك و نترك، مواليك ناج مؤمن بين الهدى، [و غاليك] و قاليك معروف الضلالة مشرك، ولاح^(١) لحاني في على و حزبه، و قلت: لحاك الله انك اعفك^(٢).

ومنها في البحار عن محاسن بسنده عن الخطاب الكوفي و مصعب الكوفي عن ابي عبد الله - عليه السلام - انه قال: لسدير و الذي بعث محمداً بالنبوة و عجل روحه الى الجنة ما بين احدكم و بين ان يغتبط و يرى سروراً او تبين له الندامة و الحسرة الا ان يعاين، ما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿عن اليمين و عن الشمال قعيد﴾، و اتاه ملك الموت بقبض روحه فينادي روحه، فتخرج من جسده، فاما المؤمن فايحس بخروجها، و ذلك

→ المصطفى (البحار، ج ٦، ب ٧، ص ١٨١). (ج ١، الجزء الثاني) الايمان وحب آل محمد يدخل في القلب، ص ٤٧. ١ - لحا الله فلاناً قبيحه و لعنه.

٢ - اعفك، اي احمق، (ج ١، الجزء الثاني) الايمان وحب آل محمد يدخل في القلب، ص ٤٨.

قول الله سبحانه و تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي﴾^(١)، ثم قال: ذلك لمن كان ورعاً مواسياً لآخوانه و صولاً^(٢) لهم، و ان كان غير ورع و لا وصول لآخوانه، قيل له ما منعك من الورع و المواساة لآخوانك، انت ممن انتحل المحبة بلسانه و لم يصدق ذلك بفعل، و اذا لقي رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - و امير المؤمنين - عليه السلام - لقاها معرضين مقطعين في وجهه، غير شافعين له، قال سدير من جدع^(٣) الله انفه، قال ابو عبد الله - عليه السلام - : فهو ذاك^(٤).

تذييل

لاشبهة في ان عالم المادة بالطبيعة مستلزم لما يلائمها، و كذا عالم الارواح اعني غير المادة بالطبيعة مستلزم لما يلائمها، كما هو مقتضي مسألة السنخية، و لاشبهة في ان مسألة النزع و قبض الارواح مربوطة بكليهما، اعني عالم المادة و عالم غير المادي، كما سيأتي تفصيلها ان شاء الله تعالى و لاشبهة ايضاً في ان حضور نبيتنا المكرم او امتنا المطهرة عند النزع و كذا ان المعاينة لهم لا تكون على سنخ عالم المادة و الجسم العادي حتى الحي

٢- اي كثير الاعطاء لهم.

١- الفجر، ٢٧-٣٠

٣- جدع الانف اي قطعه، كناية عن المذلة، اي من اذله الله يكون كذلك.

٤- ج ٦، ب ٧، ح ٢١، ص ١٨٦

من الائمة و ذلك لانه لو كان كذلك فلا بد من ما يلزمها من سعة المكان و الرؤية عادةً و سائر ما تعلق بمسئلة المادّة و الاجسام العادية بل الحضور لابد من أن يكون على نحو غير سنخ المادي و عالم الجسم المادي قطعاً فعلى هذا لما دلّ الاخبار المستفيضة على ذلك فلا مجال ليراد الشبهة بان ذلك كان على خلاف الحسّ و العقل و اما لا مجال لكونه على خلاف الحسّ فلانه لم يظهر من اي دليل، و لم يدع احد على حضورهم، على نحو عالم المادّة، و عالم الجسم العادّي، حتّى يصحّ ان يقال أنّه خلاف الحسّ، و اما عدم المجال لكونه على خلاف العقل بل الشبهة فيه صرف تخيّل و وسوسة، و لم تكن لها حبل رقيق، حيث ان عالم الارواح له سعة، و لم يكن له موانع و حواجب المادى فلا مانع من حضورهم بأي نحو من انواع الحضور المثالي على نحو الاعجاز و غيره، حيث كان منهم ام ميتاً، بل لم يمكن المقام مورداً للاشكال، كما لا يكون مورداً للاشكال، لحضور ملك الموت و اعوانه فافهم و اغتنم.

الامر الرابع في احوال البرزخ و القبر و عذابه و سؤاله و ما يتعلق بذلك، و قد وردت في تلك الامر آيات و اخبار متواترة، و هو من اهمّ مسائل الباب، فلا بد من تأمل التام في ما يستفاد منها خصوصاً من اخبار الباب، فلذا يليق بالمقام الاطالة بالكلام فنقول مستعيناً بالله تبارك و تعالى، اما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿و لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل

احياء و لكن لاتشعرون»^(١) قال الطبرسي «ره»: فهى ان يسمّى من قتل في الجهاد امواتاً بل احياء، اي هم احياء و قيل فيه اقوال. احدها و هو الصحيح أنّهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة، و هو قول ابن عباس و قتادة و مجاهد، و اليه ذهب الحسن و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء، و اختاره الجبائي و الرماني و جميع المفسرين. و الثاني ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - يقتلون نفوسهم في الحرب بغير سبب، ثم يموتون فيذهبون، فاعلمهم الله أنّه ليس الامر على ما قالوه، و أنّهم سيحيون يوم القيمة و يثابون عن البلخي و لم يذكر ذلك غيره.

و الثالث معناه لاتقولوا هم اموات في الدين، بل هم احياء بالطاعة و الهدى، و مثله قوله، او من كان ميتاً فأحييناه، فجعل الضلال موتاً، و الهداية حياة، عن الاصمّ.

و الرابع ان المراد أنّهم احياء لما نالوا من جميل الذكر و الثناء، كما روي عن امير المؤمنين - عليه السلام - من قوله هلك خزان الاموال، و العلماء باقون ما بقي الدهر، اعيانهم مفقودة و اثارهم في القلوب موجودة و المعتمد هو القول الاول، لانّ عليه اجماع المفسرين و لانّ الخطاب للمؤمنين و كانوا يعلمون ان الشهداء على الحقّ و الهدى، و أنّهم يحشرون و يحيون يوم القيمة، فلا يجوز ان يقال لهم، و لكن لاتشعرون، من حيث

أنهم كانوا يشعرون ذلك، ويقرّون به، ولأنّ حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر، ولو كانوا أيضاً أحياءً بما حصل لهم من جميل الشّاء لما قيل أيضاً، ولكن لا تشعرون، لأنهم كانوا يشعرون ذلك ووجه تخصيص الشّهداء بكونهم أحياء و أن كان غيرهم من المؤمنين قد يكون أحياءً في البرزخ أنّه على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم، ثمّ البيان لما يختصّون به من أنهم يرزقون، كما في الآية الأخرى: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾.

فان قيل فنحن نرى جثّة الشّهداء مطروحة على الأرض لا تنصرف ولا يرى فيها شيء من علامات الأحياء.

فالجواب: أن على مذهب من يقول من أصحابنا في الإنسان، أن الله يجعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعمون فيها، دون أجسامهم التي في القبور، فإنّ النعيم والعذاب إنّما يحصل [يصل] عنده إلى النفس التي هي الإنسان المكلف عنده، دون الجثّة، ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ أبو جعفر في كتاب تهذيب الأحكام مسنداً إلى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمّد عن الحسين بن أحمد عن يونس ابن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله جالساً، فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين، قلت: يقولون في حواصل طير خضر في قناديل، تحت العرش، فقال أبو عبد الله: سبحان الله المؤمن أكرم على الله، أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فياكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم، عرفوه بتلك الصّورة،

التي كانت في الدنيا. و عنه عن ابن ابي عمير عن حماد، عن ابي بصير، قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن ارواح المؤمنين فقال: في الجنة على صور ابدانهم، لورايتهم، لقلت فلان، فاما على مذهب من قال من اصحابنا، ان الانسان هذه الجمل المشاهدة و ان الروح هو النفس المتردد، في مخارق الحيوان، و هو اجزاء الجو فاقول انه يلطف اجزاء من الانسان، لا يمكن ان يكون الحي حياً باقل منها، يوصل اليها النعيم، و ان لم تكن تلك الجملة بكاملها، لا انه معتبر بالاطراف و اجزاء السمن، في كون الحي حياً، فان الحي لا يخرج بمفارقتهما من كونه حياً، و ربما قيل بان الجنة يجوز ان يكون مطروحة في الصورة، و لا تكون مئة فتصل اليها اللذات كما ان النائم حي و تصل اليه اللذات، مع انه لا يحس و لا يشعر، بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يجد به السرور، و الالتذاد، حتى انه يود ان يطول نومه فلا ينتبه، و قد جاء في الحديث انه يفسح له مد بصره، و يقال له نعم نومة العروس، و قوله: ﴿و لكن لا تشعرون﴾، اي لا تعلمون انهم احياء، و في هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا، في سؤال القبر و اثابة المؤمن فيه، و عذاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار و انما حمل البلخي الآية على حيوة الحشر، لانكاره عذاب القبر^(١). و المحكي^(٢) عن الرازي قال في تفسير تلك الآية بعد نقل ما ذكره الطبرسي «ره» من الاقوال الاربعة: و اختيار القول الأول و هذا قول اكثر المفسرين، و هذا دليل على ان

المطيعين يصل ثوابهم إليهم، وهم في القبر، فإن قيل نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور، فكيف يصح ما ذهبتم إليه قلنا أما عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة، ولا امتناع في أن الله تعالى يعيد الحياة إلى كل واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة، من غير حاجة إلى التركيب، والتأليف، وأما عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيد الله الحياة إلى الأجزاء التي لا بد منها في مائة الحياة بغير الأطراف، ويحتمل أن يحييهم إذا لم يشاهدوا، ثم قال: وأكثر العلماء على ترجيح هذا القول ويدل عليه وجود.

أحدها أن الآيات الدالة على عذاب القبر كثيرة كقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾^(١) والموتان لا يحصلان إلا عند حصول الحياة في القبر وقال تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَاراً﴾^(٢) والفاء للتعقيب وقال: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾^(٣) وإذا ثبت عذاب القبر، وجب القول بثواب القبر أيضاً لأن العذاب حق الله تعالى على العبد، والثواب حق العبد على الله تعالى، فاسقاط العذاب أحسن من إسقاط الثواب، فحيث ما اسقط العقاب إلى القيامة بل حققه في القبر، كان ذلك في الثواب أولى.

وثانيها أن المعنى لو كان على ما قيل في سائر الأقوال، لم يكن لقوله، ولكن

لا تشعرون، معنى، لأن الخطاب للمؤمنين وقد كانوا يعلمون أنهم سيحيون يوم القيامة، وأنهم ماتوا على هدى ونور.

وثالثها ان قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، دليل على حصول الحياة في البرزخ مثل المبعث.

ورابعها قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، والاخبار في ثواب القبر وعذابه، كالمتواترة و كان - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول في آخر صلواته واعوذ بك من عذاب القبر.

وخامسها لو كان المراد بقوله، أنهم احياء، أنهم سيحيون فحينئذ لا يبقى لتخصيصهم بهذا فائدة.

وسادسها ان الناس يزورون قبور الشهداء ويعظمونها، وذلك يدلّ من بعض الوجوه على ما ذكرناه.

واعلم ان في الآية قولاً آخر وهو ان ثواب القبر، وعذابه، للروح، لا للقلب، وهذا القول مبنى على معرفة الروح، ونشر الى حاصل قول هؤلاء فنقول، أنهم قالوا انه لا يجوز ان يكون الانسان عبارة عن هذا الهيكل المخصوص لوجهين.

الأول ان اجزاء هذا الهيكل ابداء في النمو والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان ولاشك ان الانسان من حيث هو هو باق، من اول عمره الى آخره، والباقي غير ما هو غير باق، فالمشار اليه عند كل احد بقوله، انا، وجب ان يكون مغايراً لهذا الهيكل.

الثاني أني اكون عالماً بأنّي، انا، حال ما اكون غافلاً عن هذه الاعضاء الظاهرة فادّل عليه قولنا، انا، مغاير لهذه الاعضاء و الابعاض، ثمّ اختلفوا عند ذلك في ان الذي يشير اليه كلّ احد بقوله، انا، اي شيء هو، و الاقوال فيها كثيرة الآ ان اشدّها تحصيلاً وجهان.

أحدهما أنّها اجزاء جسمانية سارية في هذا الهيكل سريان النار في الفحم، و الدهن في السّمسم، و ماء الورد في الورد، و القائلون بهذا القول فريقان. أحدهما الذين اعتقدوا تماثل الاجسام، فقالوا ان تلك الاجسام متماثلة لسائر الاجزاء التي منها يؤلّف هذا الهيكل، الآ ان القادر المختار سبحانه يبقّي بعض الاجزاء من اول العمر الى آخره، فتلك الاجزاء هي التي يشير اليها كلّ احد، باننا، ثمّ ان تلك الاجزاء حيّة بحياة مخلقها الله، فيها فاذا ازال الحياة عنها ماتت، و هذا قول اكثر المتكلمين.

و ثانيهما ان الذين اعتقدوا اختلاف الاجسام، زعموا ان الاجسام التي هي باقية من اول العمر الى آخره اجسام مخالفة بالماهية، للاجسام التي منها اتلف هذا الهيكل، و تلك الاجسام حيّة لذاتها مدركة لذاتها نورانية لذاتها، فاذا خالطت هذا البدن و صارت سارية في هذا الهيكل سريان النار في الفحم، صار هذا الهيكل مستنيراً بنور ذلك الروح، متحركاً بتحريكه، ثمّ ان هذا الهيكل ابدأ في الذوبان و التحليل، الآ ان تلك الاجزاء باقية بحالها، و أنّما لا يعرض لها التحليل لانّها مخالفة بالماهية لهذه الاجسام فاذا فسد هذا القالب انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة النوارنية الى عالم السماوات و القدس و الطهارة ان كانت من جملة السعداء او الى

الحجيم و عالم الآفات ان كانت من جملة الاشقياء.

والقول الثاني ان الذي يشير اليه كل احد بقوله، انا، موجود ليس بمتحيز و لا قائم بالمتحيز، و أنه ليس داخل العالم، و لا خارجاً عنه، و لا يلزم من كونه كذلك ان يكون مثلاً لله تعالى لان الاشتراك في السلوب، لا يوجب الاشتراك في الماهية، و قالوا هذه الارواح بعد مفارقة الابدان تتألم و تلتذ الى ان يردها الله تعالى الى الابدان، يوم القيامة، فهناك يحصل الالتذاذ و التألم للابدان، فهذا قول قال: به عالم من الناس قالوا و ان لم يقم عليه برهان قاهر على القول به، و لكن لم يقم دليل على فساد، و أنه مما يزيل الشكوك و الشبهات، عما ورد في كتاب الله من ثواب القبر و عقابه فوجب المصير اليه فهذا هو الانسان في توجيه هذا القول. انتهى كلام الرازي. (١)

١ - قال العلامة المجلسي «ره»: اقول: ثم قال الرازي في تفسير آية آل عمران بعد اختيار القول الأول فيها: ايضاً يحتمل ان يكون الروح جسماً مخصوصاً سارياً في هذه الجنة سريان النار في الفحم، و يحتمل ان يكون جوهرًا قائماً بنفسه ليس بجسم و لا حال في الجسم، و على كلا المذهبين فإنه لا يبعد أنه لما مات البدن انفصل ذلك الشئ حيًا، و ان قلنا اماته الله الا أنه تعالى يعيد الحياة اليه، و على هذا التقدير تزول الشبهات بالكلية عن ثواب القبر في هذه الآية و عن عذابه كما في قوله تعالى: ﴿أَغْرَقُوا فَاَدْخَلُوهُنَّ نَارًا﴾، فثبت أنه لا امتناع في ذلك، و ظاهر الآية دالة عليه فوجب المصير اليه، و الذي يؤكد ما قلناه القرآن و الحديث و

→ العقل أما القرآن فأيات.

أحديها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك﴾ (الفجر، ٢٧) الآية ولا شك أن المراد بقوله: ﴿ارجعي إلى ربك﴾، بالموت ثم قال: ﴿فادخلي في عبادي﴾، وفاء التعقيب يدل على أن حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت.

و ثانيها قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرطُونَ﴾ (الأنعام، ٦١) وهذا عبارة عن موت البدن، ثم قال: ﴿ثُمَّ رَدَّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾ (الأنعام، ٦٢) فقوله رَدَّوْا، ضمير عنهم، وأما هو هو بحياته، وذاته المخصوصة، فدل على أن ذلك باق بعد موت البدن.

و ثالثها قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ (الواقعة، ٨٩) وفاء التعقيب يدل على أن قيامة كل أحد حاصلة بعد موته، وأما قيامته الكبرى فهي حاصلة في الوقت المعلوم عند الله، وإيضاً روى أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ - يوم بدر كان ينادي المقتولين، ويقول: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فقليل يا رسول الله أنهم أموات، فكيف تناديهم فقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ - : أنهم اسمع منكم، وإيضاً قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ - : أنبياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار وأما المعقول فن وجوه الأول أن وقت النوم يضعف البدن وضعفه لا يقتضي ضعف النفس، بل النفس تقوى عند النوم فتشاهد الأحوال و تطلع على المغيبات، فهذا يقوى الظن في أن موت البدن لا يستعقب موت النفس.

→ الثاني ان كثرة الافكار سبب لجفاف الدماغ و جفافه منوذاً الى الموت، وهذه الافكار سبب لاستكمال النفس بالمعارف الالهية، و هو غاية كمال النفس، فاما هو سبب لكمال النفس فهو سبب لنقصان البدن فهذا يقوى الظن في ان النفس لامتوت بموت البدن.

الثالث ان احوال النفس على ضد احوال البدن و ذلك لان النفس انما تفرح و تبتهج بالمعارف الالهية، كما قال تعالى: ﴿الَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد، ٢٨) وقال - صلى الله عليه و آله و سلم -: ابيت عند ربّي يطعمني و يسقيني، و لاشك ان ذلك الشراب ليس الا عبارة عن المعرفة و المحبة و الاستنارة بانوار عالم الغيب، و ايضاً فاننا نرى ان الانسان اذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان او الفوز بمنصب او بالوصول الى معشوق قد ينسى الطعام و الشراب، و بالجملة فالسعادات النفسانية كالمضادات للسعادة الجسمانية، و كلّ ذلك يغلب على الظن، ان النفس مستقلة بذاتها و لاتعلق لها بالبدن، و متى كان كذلك، و جب ان لامتوت النفس بموت البدن، و اما قوله تعالى: ﴿يرزقون﴾، فاعلم ان المتكلمين قالوا الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فقوله: ﴿يرزقون﴾ اشارة الى المنفعة و قوله: ﴿فرحين﴾، اشارة الى الفرح الحاصل بسبب ذلك التعظيم، و اما الحكماء فانهم قالوا اذا اشرقت جواهر الارواح القدسية بالانوار الالهية كانت مبهجة من وجهين.

احدهما يكون ذواتها مستنيرة مشرقة متألّقة بتلك المعارف الالهية. و الثاني يكونها ناظرة الى ينبوع النور، و مصدر الرحمة و الجلالة قالوا و

تحقيق في معنى كلمة أحياء

أقول: لأشكال، في أن كلمة، أحياء، مطلق وقابلة لمعاني الأربعة المحتملة التي ذكرها الطبرسي «ره» ويمكن الجمع بين ثلاثة منها أعني الأول والثالث والرابع إذ كونهم أحياء حقيقة لا ينافي في كونهم أحياء بالطاعة والهدى وكونهم أحياء من جميل الذكر والثناء بل يلائمها بمعنى أنهم في ضمن كونهم أحياء في البرزخ حقيقة أنهم أحياء بالهدى والذكر بل معنيين الأخيرتين يلزمان لمن قتل في سبيل الله تعالى كما لا يخفى فعلى هذا أن الله تعالى لم يجز أن يخبر عما يلزم الشيء لأنه واضح بل كان في صدد إخبار عما لا يوضح للمخاطبين وهو معنى الأول وكلمة أحياء لما كانت مطلقة صالحة لإرادة جميع معان ثلاث فلا يجوز تخصيصه به بعض المعاني وأما معنى الثاني فهو خلاف الظاهر لأن الآية ظاهرة في أنها كانت في مقام الإخبار عما وقع لاعما سيقع وأما سبب تخصيصهم بالذكر يمكن أن يكون من باب بيان تفوقهم وجلالة قدرهم وذلك يصير سبباً لتحرك المسلمين للقتال مع الكفار لا لاجل أن عالم البرزخ كان مختصة بهم، وأنهم من جملة أفراد التي مشمولة للإخبار التي دلت على أن من مات وهو

→ ابتهاجها بهذا القسم الثاني اتم من ابتهاجها بالاول، فقوله ﴿يرزقون﴾، إشارة الى الدرجة الاولى وقوله، ﴿فرحين﴾، الى الدرجة الثانية ولذا قال: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾، يعني فرحهم ليس بالرزق بل بإتياء الرزق، لأن المشغول بالرزق مشغول بنفسه، والناظر الى إتياء الرزق مشغول بالرازق، ومن طلب الرزق لغيره فهو محجوب انتهى. (ج ٦، ب ٨، ص ٢٠٧)

ماحض للايمان و ماحض للكفره فله البرزخ، كما سيأتي اخبار الواردة فيها و ما فيها و اما الاشكال باننا نرى جثة الشهداء مطروحة على الارض، لا تنصرف و لا يرى فيها اثرًا من علامات الاحياء، فذلك مدفوع بعد بيان ان العالم البرزخ روحاني و ليس بجسماني كما سيأتي ان شاء الله تعالى بمعنى ان حياته ليست مثل تلك الحيوة الجسماني الدنيوي قطعاً كما يمكن ان يستفيد ذلك عن بعض ما ذكرناه من كلمات المفسرين و لكن المسئلة تحتاج الى تحقيق تام فانتظر.

ومنها قوله تعالى: ﴿و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما اتاهم الله من فضله، و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، الا خوف عليهم و لا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله و فضل، و ان الله لا يضيع اجر المؤمنين﴾^(١) قال الطبرسي «رد» في تفسير تلك الآية: وقوله: ﴿عند ربهم﴾، فيه وجهان: احدهما انهم بحيث لا يملك لهم احد نفعاً و لا ضرراً الا ربهم و ليس المراد بذلك قرب المسافة، لان ذلك من صفة الاجسام و ذلك مستحيل على الله تعالى، والاخر انهم عند ربهم احياء من حيث يعلمهم كذلك، دون الناس عن ابي على الجبائي و روى عن ابن عباس و ابن مسعود و جابر ان النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - قال: لما اصاب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر، ترد انهار الجنة، و تأكل من ثمارها، و

روي عنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ لَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: وَ
 قَدْ اسْتَشْهَدَ فِي غَزَاةِ مَوْتِهِ، رَأَيْتَهُ وَلَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي
 الْجَنَّةِ، وَانْكَرَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ الْأَرْوَاحِ، وَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ عَرَضٌ، لَا يَجُوزُ
 أَنْ يَتَنَعَّمَ وَهَذَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ رَقِيقٌ هَوَائِيٌّ، مَأْخُوذٌ مِنَ الرِّيحِ، وَ
 يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَدَنِ وَيُرَدُّ إِلَيْهِ، وَهِيَ الْحَسَّاسَةُ الْفَعَالَةُ، دُونَ
 الْبَدَنِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْحَيَاةِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّ ضِدَّ الْحَيَاةِ الْمَوْتَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
 الرُّوحُ، وَهَذَا قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى، يَرْزُقُون، مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ غَدَوًا وَعَشِيًّا،
 وَقِيلَ يَرْزُقُونَ النَّعِيمَ فِي قُبُورِهِمْ، ﴿فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أَيِ
 يَسْرُونَ بِمَا آعَظَاهُمُ اللَّهُ مِنْ ضُرُوبِ نَعَمِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ فِي قُبُورِهِمْ وَ
 قِيلَ مَعْنَاهُ فَرَحِينَ بِمَا نَالُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَجَزَائِهَا، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
 لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أَيِ يَسْرُونَ بِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فَارَقُوهُمْ، وَهُمْ
 أَحْيَاءُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَاجِهِمُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ، لَعَلَّهُمْ بِأَنَّهُمْ أَنْ
 اسْتَشْهَدُوا لَحَقُوا بِهِمْ، وَصَارُوا مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ إِلَى مِثْلِ مَا صَارُوا إِلَيْهِ،
 يَقُولُونَ أَخْوَانُنَا يَقْتُلُونَ كَمَا قَتَلْنَا فَيُصِيبُونَ مِنَ النَّعِيمِ، مِثْلَ مَا أَصَبْنَا، عَنْ
 ابْنِ جَرِيرٍ وَتَقَادَةُ وَقِيلَ أَنَّهُ يُؤْتَى الشَّهِيدَ بِكِتَابٍ فِيهِ ذِكْرٌ مِنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ
 مِنْ أَخْوَانِهِ فَيَسْرُ بِذَلِكَ وَيَسْتَبْشِرُ كَمَا يَسْتَبْشِرُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِقُدُومِهِ فِي
 الدُّنْيَا عَنْ السَّيِّدِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ فِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنْ لَهُمْ فَضْلًا
 عَظِيمًا بِتَصَدِيقِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ عَنِ الزَّجَاجِ، أَنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،
 أَيِ يَسْتَبْشِرُونَ بِأَنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ ﴿الَّذِينَ لَمْ
 يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، لِأَنَّ الَّذِينَ يَلْحَقُونَ بِهِمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَى عَدَمِ الْحُزَنِ،

فالاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه ﴿لاخوف عليهم﴾، فيمن خلفوه من ذريتهم، لأن الله يتوَلَّم، ﴿ولا هم يحزنون﴾، على ما خلفوا من اموالهم، لأن الله قد اجزل ما عَوَّضهم، وقيل معناه ﴿ولاخوف عليهم﴾، فيما يقدمون عليه لأن الله محصّ ذنوبهم بالشهادة، ولا هم يحزنون، على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة، يستبشرون، يعنى هؤلاء الَّذِينَ قتلوا في سبيل الله الَّذِينَ وصفهم الله بأنهم يرزقون، فرحين بما اتىهم الله من فضله، بنعمة من الله وفضل، الفضل والنعمة عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد وقيل في تكراره قولان:

احدهما ان المراد أنها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة، فالنعمة ما استحقَّوه بطاعتهم، والفضل ما زادهم من المضاعفة في الاجر، والآخر أنه للتاكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة^(١) انتهى موضع الحاجة.

اقول: لا يخفى ان هذه الآية اظهر لما نحن بصدده من الآية السابقة خصوصاً مع القرائن الموجودة في الآية، كما اشار الطبرسي «ره» اليها بل جملة ﴿فرحين بما اتىهم الله من فضله﴾، ظاهرة في فعلية الفرح، ووصول الفرح اليهم عند الحياة بعد الشهادة لان تكون اشارة الى ما اوعده الله لهم بها في جنة الآخرة فدلالة الايتين على ثبوت عالم البرزخ في كمال القوة فلا تغفل.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) قال الطبرسي «ره»: أي تثبتهم في كرامته و ثوابه بقولهم الثابت الذي وجد منهم، وهو كلمة الايمان، لانه ثابت بالحجج والادلة، وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد و حرمتها في الحياة الدنيا، حتى لا يزولوا ولا يضلوا عن طريق الحق، ويثبتهم بها في الآخرة، حتى لا يزولوا ولا يضلوا عن طريق الجنة، وقيل معناه يثبتهم بالتمكين في الارض و النصره و الفتح في الدنيا، و باسكانهم الجنة في الآخرة، عن أبي مسلم، و قال أكثر المفسرين: ان المراد بقوله في الآخرة، في القبر، والآية وردت في سؤال القبر و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و هو المروي^(٢) عن أئمتنا

١- ابراهيم، ٢٧

٢- و هو الذي روي علي بن ابراهيم في تفسيره بسنده عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين - عليه السلام - قال: ان ابن آدم اذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، و اول يوم من أيام الآخرة، مثل له اهله و ماله و ولده و عمله فيلتفت الى ماله، فيقول: و الله اني كنت عليك لحريصاً، شحيحاً، فاعندك فيقول: خذ مني كفنك، ثم يلتفت الى ولده فيقول: و الله اني كنت لكم محبباً، و اني كنت عليكم لمحامياً فاذا عندكم، فيقولون نؤدبك الى حفرتك و نواريك فيها ثم يلتفت الى عمله، فيقول: و الله اني كنت فيك لزاهداً، و أنك كنت على لشقيلاً فاذا عندك، فيقول: انا قرينك في قبرك و يوم حشرك، حتى اعرض انا و انت

→ على ربك، فان كان لله ولياً اتاه اطيب الناس ريحاً واحسنهم منظراً وازينهم رياضاً، فيقول: ابشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، وقد قدمت خير مقدم. فيقول: من انت فيقول: انا عمك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة، وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله، ان يعجله فاذا ادخل قبره اتاه ملكان وهما فتانا القبر يجران اشعارهما، وينحتان الارض بانيابهما واصواتهما، كالرعد العاصف و ابصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول: الله ربّي ومحمد نبيي والاسلام ديني فيقولان، بئسك الله بما تحب وترضى، و هو قول الله: ﴿يَسُبُّوا اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، فيفسحان له في قبره مد بصره، وينتحان له باباً الى الجنة، ويقولان له نعم قرير العين نوم الشاب الناعم، وهو قوله، ﴿اصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً واحسن مقيلاً﴾ (الفرقان، ٢٤) و اذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه اقبح خلق الله رياضاً وانته ريحاً فيقول: له من انت فيقول: له انا عمك ابشر، ينزل من حميم وتصلية جحيم، وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يحبسه فاذا ادخل قبره اتياه ممتحناً القبر فالتقايا اكفانه ثم قالوا له من ربك ومن نبيك وما دينك، فيقول: لا ادري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضر بأنه بمرزبة (المرزبة، عصية حديد) ضربة ما خلق الله دابة الا وتذعر لها، ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له باباً الى النار ثم يقولان له نعم بشر حال، فهو من الضيق مثل ما فيه القنا (والقنا جمع قناة وهي الرمح) من الزجاج (الزج بالضم، حديدة في اسفل الرمح) حتى ان دماغه يخرج مما بين ظفره و لحمه و يسلط عليه حيات الارض وعقاربها، وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله

انتهى.

اقول: الظاهر من سياق الآيات اللاحقة لها، ان الآية مربوطة بالقيامة، كما ترى من تفسير الطبرسي «ره» ولكن المتبع هو الذي دلّ عليه الرواية الصحيحة^(١) وقد وردت روايات عديدة على ان المراد هو ما نحن بصدده، كما عرفت بعضها في ذيل الصحيفة والله العالم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾^(٢).

اقول: ان هذه الآية ايضاً كآلية السابقة ظاهرة في القيمة لصريح سياق آيات اللاحقة لها، نعم لودلّ الدليل على ان المراد من قوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾، هو عالم القبر والبرزخ، فهو المتبع.

ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ، قَالَ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣)، قال الطبرسي «ره»: يعني ان هؤلاء الكفار اذا اشرفوا على الموت، سألو الله تعالى عند ذلك الرجعة الى دار التكليف فيقول

→ من قبره، وانه ليتمني قيام الساعة، بما هو فيه من الشر (تفسير القمي، ج ١، ص ٣٦٩).

١ - بناءً على اعتماد على كلّ ما اورد على بن ابراهيم من الرواة في احاديث تفسيره كما عليه بعض المحققين. ٢ - طه، ١٢٥.

٣ - المؤمنون، ١٠٠.

احدهم، ﴿رَبِّ ارْجِعُون﴾، على لفظ الجمع و في معناه قولان: احدهما انهم استغاثوا أولاً بالله، ثم رجعوا الى مسألة الملائكة، فقالوا لهم ارجعوني اي ردوني الى الدنيا عن ابن جريج. والاخر انه على عادة العرب في تعظيم المخاطب، كما قال: ﴿قرة عيني لي ولك لاتقتلوه﴾، و روي النضر بن شميل قال: سئل الخليل عن هذا ففكر، ثم قال: سألتوني عن شيء لا احسنه، ولا اعرفه، معناه فاستحسن الناس منه ذلك، ﴿لعليّ اعمل صالحاً فيما تركت﴾، اي في تركتي، والمعنى اودى عنها حق الله تعالى، وقيل معناه في دنياي فانه ترك الدنيا و صار الى الآخرة، وقيل معناه اعمل صالحاً فيما فرطت و ضيعت، اي في صلاتي و صيامي و طاعاتي، وقال الصادق - عليه السلام -: انه في مانع الزكوة يسأل الرجعة عند الموت، ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم: ﴿كَلَّا﴾، اي لا يرجع الى الدنيا، انما، اي ان مسألة الرجعة، ﴿كلمة هو قائلها﴾، اي كلام يقوله، و لافائدة له في ذلك، وقيل معناه هي كلمة يقوها بلسانه، و ليس لها حقيقة، مثل قوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾، و روي العياشي باسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: قلت لابي الحسن الرضا - عليه السلام -: جعلت فداك ايعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن، ان لو كان كيف^(١) كان يكون قال: ويحك ان مسائلك لصعبة، اما

١ - و يدلّ على ذلك ايضاً صحيحة منصور بن حازم قال: سألت ابا عبد الله

قرأت قوله عز وجل: ﴿لو كان فيها الهة إلا الله لفسدتا﴾، ولعلي بعضهم على بعض، لقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون ان لو كان كيف كان يكون، وقال: ويحكى قول الاشقياء ﴿رب ارجعون، لعلّ اعمل صالحا فيما تركت، كلاً انها كلمة هو قائلها﴾، وقال، ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾، فقد علم الشيء الذي لم يكن لو كان كيف كان يكون، وهو السميع البصير الخبير العليم، ﴿ومن ورائهم﴾، اي ومن بين ايديهم، ﴿برزخ الى يوم يبعثون﴾، اي حاجز بين الموت والبعث في القيمة، من القبور عن ابن زيد، وقيل حاجز بينهم والرجوع الى الدنيا وهم فيه، الى يوم يبعثون، عن ابن عباس ومجاهد، وقيل البرزخ الامهال الى يوم القيمة، وهو القبر وكل فصل بين شيئين فهو برزخ عن علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان احداً لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطراراً وانه من اهل الثواب او العقاب عن الجبائي انتهى كلامه (١).

اقول: ان المستفاد من ظاهر الآية وعلى حسب سياق آيات السابقة لها، ان الكفار تتمنى الرجوع بواسطة بعض المشاهدات عند الموت، ولكن لا اثر لتمنيهم، ثم دلت على ان البرزخ حاجز الى يوم يبعثون، اي انه بمجرد

→ - عليه السلام - هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالامر قال: لا، من قال هذا فاخزاه الله قلت: ارأيت ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة اليس في علم الله قال: بلى قبل ان يخلق الخلق (الكافي، ج ١، ب البدء، ح ١١، ص ١٤٨)

الموت لا يبعثون بل فصل بينهما ولكن لا تدلّ على كيفية الفصل من الثواب والعقاب، نعم بواسطة بعض الروايات في تفسيرها صارت دليلاً لما نحن فيه، وستقف عليها في طيّ الاخبار الآتية ان شاء الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا اثْنَتَيْنِ وَآحِيتَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(١) قال الطبرسي «ره» اختلف في معناه على وجوه

احدها ان الاماة الاولى في الدنيا بعد الحيوّة، والثانية في القبر قبل البعث، والاحياء الاولى في القبر للمسائلة، والثانية في الحشر عن السدي وهو اختيار البلخي.

وثانيها ان الاماة الاولى حال كونهم نطفاً فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة الثانية ثم احياهم للبعث فهاتان حياتان وموتتان ونظيره قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا﴾، الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك واختاره ابو مسلم.

وثالثها ان الحيوّة الاولى في الدنيا، والثانية في القبر ولم يرد الحيوّة يوم القيمة، والموتة الاولى في الدنيا، والثانية في القبر، عن الجبائي، فاعترفنا بذنوبنا، التي اقترفناها في الدنيا، فهل الى خروج من سبيل، هذا تطف منكم، في الاستدعاء اي هل بعد الاعتراف سبيل الى الخروج، انتهى موضع الحاجة^(٢)

وقال أبو بكر السجستاني في نزهة القلوب في تفسير غرائب القرآن: ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَاحِييتِنَا اثْنَتَيْنِ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، فالموتة الاولى كونهم نطفاً في اصلاب آبائهم، لأن النطفة مِيتة والحياة الاولى احياء الله تعالى آيَاهم من النطفة، والموتة الثانية اماتة الله آيَاهم بعد الحيوة، والحياة الثانية احياء الله آيَاهم للبعث فهاتان موتتان وحياتان^(١) ويقال: الموتة الاولى التي تقع بهم في الدنيا

١- وعن الشيخ البهائي قدس الله روحه، اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلامية في اثبات عذاب القبر بقوله تعالى، حكاية عن الكفار: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الآية، و تقريره أنه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف باماتتين واحبائين، فاحدى الاماتتين في الدنيا والاخرى في القبر بعد السؤال، واحد الاحيائين فيه للسؤال، والآخر في القيامة، وأما الاحياء في الدنيا فأنما سكثوا، لأن غرضهم الاحياء الذي عرفوا فيه قدرة الله سبحانه على البعث، ولهذا قالوا، فاعترفنا بذنوبنا، اي بالذنوب التي حصلت بسبب انكار المحشر، و الاحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم، قال المحقق الشريف في شرح المواقف: ان تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسرين، ثم قال: واما حمل الاماتة الاولى على خلقهم امواتاً في اطوار النطفة، وحمل الاماتة الثانية على الاماتة الطارية على الحياة، وحمل الاحيائين على الاحياء في الدنيا، والمحشر، فقد ردّ بأن الاماتة أنما تكون بعد سابقة الحيوة، و لاحياة في اطوار النطفة، وبأنه قول شاذ من المفسرين، والمعتمد هو قول الاكثرين، انتهى كلامه (البحار، ج ٦، ص ٢١١)

بعد الحياة، والحياة الاولى احياء الله تعالى اياهم في القبر لمسئلة منكر و نكير، و الموتة الثانية، اماتة الله تعالى اياهم بعد المسائلة، والحياة الثانية احياء الله تعالى اياهم للبعث^(١)، ولا يخفى ان هذين الوجهين هما الوجه الثاني و الوجه الأول من الوجوه التي ذكره الطبرسي «ره» وقال العلامة الطباطبائي - قدس سره - قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا امْتِنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الى آخره سياق الآية و ما قبلها^(٢) يشعر بانهم يقولون هذا القول بعد استماع النداء السابق، و انما يقولونه وهم في النار بدليل قولهم، ﴿فهل الى خروج من سبيل﴾، و تقديم هذا الاعتراف منهم نوع تسبيح و توسل الى التخلص من العذاب و لات حين مناص، و ذلك انهم كانوا، و هم في

→ اقول: العلامة المجلسي «ره» بعد نقل هذا الكلام عن البهائي «ره» و المحقق الشريف - قدس سره -، قال: فقد جعل التفسير بالوجه الأول مستفيضاً، و بالوجه الثاني شاذاً، و يخطر بالبال ان الامر بالعكس، فان الشائع المستفيض بين المفسرين هو ما جعله شاذاً، و الشاذ النادر هو ما جعله مستفيضاً، و لعل هذا من سهو قلمه، انتهى لفظه.

و لكن بعد النقل عن تزييف بعض الوجوه، و نقل الكلام عن الكشف، و امين الاسلام، في المقام، قال: في آخر كلامه، ما لفظه فظهر ان ما ذكره السيد الشريف ليس به بعيد عن الصواب في هذا الباب.

١ - في هامش القران، ص ٣٩٣

٢ - و هي قوله تعالى: ﴿ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون﴾، المقت، اشد البغض.

الدنيا، في ريب من البعث والرجوع الى الله فانكروه، ونسوا يوم الحساب، وكان نسيان ذلك سبب استر سألهم في الذنوب، وذهابهم لوجوههم في المعاصي ونسيان يوم الحساب، مفتاح كل معصية وضلال، قال تعالى: ﴿أَنَّ الَّذِينَ يَضَلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١) ثم لما أماتهم الله أمانة بعد أمانة، وأحياهم أحياء بعد أحياء، زال ارتياهم في أمر البعث، والرجوع الى الله، بما عاينوا من البقاء بعد الموت، والحياة بعد الحياة، وقد كانوا يرون أن الموت فناء، ويقولون ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، وبالجملة زال عنهم الارتياح بحصول اليقين، وبقيت الذنوب والمعاصي، ولذلك توسلوا الى التخلص من العذاب بالاعتراف، فتارة، اعترفوا بحصول اليقين كما حكاها الله عنهم، في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْسَلُونَ نَاسِكُوا رُؤُوسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٢) وتارة، اعترفوا بذنوبهم كما في الآية المبحوث عنها، وقد كانوا يرون أنهم أحرار مستقلون في إرادتهم وأفعالهم، لهم أن يشاؤوا ما شاؤوا، وأن يفعلوا ما فعلوا، ولا حساب ولا ذنب، ومن ذلك يظهر وجه ترتب قولهم فاعترفنا بذنوبنا، على قولهم: ﴿أَمَّا اثْنَتَيْنِ وَاحِثَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ﴾، فالاعتراف، في الحقيقة مترتب على حصول اليقين بالمعاد الموجب لحصول العلم بكون انحرافاتهم عن سبيل الله ضلالات وذنوباً والمراد بقولهم: ﴿أَمَّا اثْنَتَيْنِ وَ

أحييتنا اثنتين﴾، كما قيل الامامة عن الحياة الدنيا، والاحياء للبرزخ، ثم الامامة عن البرزخ والاحياء للحساب يوم القيامة، فالآية تشير الى الامامة بعد الحياة الدنيا، والامامة بعد الحياة البرزخية، والى الاحياء في البرزخ والاحياء ليوم القيامة، ولولا الحياة البرزخية لم تتحقق الامامة الثانية، لأن كلاً من الامامة والاحياء يتوقف تحققه على سبق خلافة، ولم يتعرّضوا للحياة الدنيا ولم يقولوا، وأحييتنا ثلاثاً، وان كانت احياء لكونها واقعة بعد الموت الذي هو حال عدم ولوج الروح، لأن مرادهم ذكر الاحياء الذي هو سبب الايقان بالمعاد، وهو الاحياء في البرزخ، ثم في القيامة وأما الحياة الدنيوية فأنها، وان كانت احياء، لكنها لا توجب بنفسها يقيناً بالمعاد، فقد كانوا مرتابين في المعاد، وهم احياء في الدنيا، بما تقدّم من البيان، يظهر فساد ما اعترض عليه، بأنّه لو كان المراد بالاحيائين ما كان في البرزخ، وفي الآخرة، لكان من الواجب ان يقال: ﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا ثلاثاً﴾، اذ ليس المراد ذكر ما مرّ عليهم من الامامة والاحياء وذلك امانتان اثنتان واحياء آت ثلاث. والجواب أنّه ليس المراد، هو مجرد ذكر الامامة والاحياء اللتين مرّتا عليهم، كيفما كانتا، بل ذكر ما كان منها مورثاً لليقين بالمعاد، وليس الاحياء الدنيوي على هذه الصفة، انتهى لفظ^(١) موضع الحاجة.

١ - (ج ١٧، ص ٢٣٠) ثم ذكر وجه الثاني الذي ذكره الطبرسي «ره» وردّ بالجواب

أقول: إلى الآن، قد ظهر مما ذكرنا في المتن والحاشية، التقوية من الشيخ البهائي، والسيد الشريف، بل العلامة المجلسي، والعلامة الطباطبائي - قدس سره -، للوجه الأول الذي ذكره الطبرسي «ره» أعني المراد من الاماتين الامامة عند الموت والثانية بعد السؤال والمراد من الاحيائين هو الاحياء في القبر للسؤال والثانية الاحياء عند البعث، والظاهر، هو الوجه عندده ايضاً، حيث قدمه على سائر الوجوه، وكيف كان أنه لاشبهة

→ الذي تلقناه آنفاً في المتن عنه أعني، أنه ليس المراد هو مجرد ذكر الامامة إلى آخره و بعدم صدق الامامة على حال الانسان قبل ولوج الروح في جسده كما سيأتي الإشارة إليه وقد ذكر وجه ثالث واجاب عنه ايضاً بما اجاب في المتن ثم ذكر احتمالات أخرى واجوبته، ما لفظه، وقيل المراد بالاحيائين احياء البعث والاحياء الذي قبله، و احياء البعث قسماً، احياء في القبر، و احياء عند البعث، ولم يتعرض لهذا التقسيم فتشمل الآية الاحياءات الثلاث، والاماتين جميعاً، ويرد عليه ما يرد على الوجهين السابقين عليه، مضافاً إلى ما اورد عليه ان ذكر الامامة الثانية التي في القبر دليل على ان التقسيم ملحوظ والمراد التعدد الشخصي، لا النوعي، وقيل المراد احياء النفوس في عالم الذر، ثم الامامة ثم الاحياء في الدنيا، ثم الامامة ثم الاحياء للبعث، ويرد عليه ما يرد على سوابقه، وقيل المراد بالتثنية التكرار كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ (الملك، ٤) والمعنى امتنا امانة بعد امانة و احييتنا احياء بعد احياءة و اورد عليه أنه إنما يتم لو كان القول امتنا امانتين و احييتنا احياءتين او كرتين مثلاً لكن المقول نفس العدد، وهو لا يحتمل ذلك كما قيل في قوله: ﴿الْمَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (النحل، ٥١) انتهى كلامه رفع مقامه.

في تقوية هذا الاحتمال، حيث ان كلمة اَمْتَنَا، قد تعدى بهمزة باب الافعال ولايلائم، الا اذا كان الموت مسبوقاً بالحياة، حتى يصدق الاماتة وان صدق الموت، على ما اذا لم يكن كذلك، مثل قوله تعالى: ﴿وكنتم امواتا فاحياكم﴾^(١) حيث ان الانسان قبل وجوده لم يكن شيئاً، ولكن ان آية اَمْتَنَا، لم تكن من قبيل هذه الاية، كما زعمه السجستاني وهو الوجه الثاني مما ذكره الطبرسي «ره»

اقا اولاً فلعدم صدق الاماتة كما عرفت

وثانياً فلعدم التناسب، اذ قوله تعالى ﴿كنتم امواتا﴾، كان في مقام التعجب من جهة عدم ايمان الكفار، وكفرهم بالله تعالى، للتعبير في صدر الاية، بقوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله، وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون﴾، ولايناسب هذا الا للحمل على ان الانسان الذي لم يكن شيئاً، وبعد احيائه وعدم تنبئه على خالفه كان مورداً للتعجب، ولكن آية، ﴿اَمْتَنَا﴾، لما تقع في مقام الانجاء من العذاب بعد رؤيته، ووقوعه فيه، كما عرفت مفادها، وواقعة في مقام حق اليقين، ولذا استدعى الخروج منه بقوله، فهل الى خروج من سبيل، لم تناسب ذلك. و بالجملة، ان التناسب مورث لتقوية هذا الاحتمال مضافاً الى ان الاماتة استعملت في آيات عديدة على الموت التي سابقها الحياة، مثل قوله تعالى: ﴿انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه﴾

الآية (١) وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ الآية (٢) ونحوه، والحاصل يظهر من هذا البيان، ضعف الوجه الثاني، وأما الوجه الثالث والاحتمالات الثلاث الأخر التي نقلناها في ذيل الصحيفة عن الطباطبائي - قدس سره -، فظهر ضعفها بما قدمنا منه - قدس سره -، أنفاً.

فالإنصاف أن الوجه الأول قوي بين المحتملات، كما عرفت وتدل الآية على الحياة في القبر، ولكن تقوية هذا الاحتمال أوقعنا في أشكال عويص، وهو أن حمل الاماتة الثانية في القبر بعد السؤال ملازم لعروض الموت بعد السؤال في القبر عليهم، وأنهم لم تكن أحياء بعده حتى يصح حمل الأحياء الثانية على الأحياء في الآخرة ولكن ذلك مناف.

أما أولاً للآيات السابقة التي دلت باطلاقها على أن الشهداء ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾، فرحين بما آتاهم الله من فضله، لانتها أنها دلت بظاهرها على أنهم أحياء ولا موت لهم بعد السؤال.

وثانياً مناف لصريح الأخبار التي دلت على أنهم بعد السؤال أحياء إلى يوم البعث، كما ستطلع عليها في مبحث الأخبار.

وثالثاً مناف لمادل على استحباب الخيرات والمبرات وإرسالها إلى الأموات، بل سيرة المسلمين سلفاً وخلفاً كانت على ذلك، فلو أنهم بعد السؤال عرض لهم الاماتة، ولم تكن لهم حياة باي معنى فلا يبق لهم محلاً

لارسال الخيرات، وليت شعري لم لا يتفطن اصحابنا رضوان الله عليهم لذلك فيما اعلم.

وبالجملة تنتظر الجواب لهذا الاشكال و سنجيب عنه بعد نقل طوائف الاخبار و بيان مفادها، ان شاء الله تعالى.

واما الاخبار فأنها على طوائف خمسة، ومضامينها مختلفة الطائفة الاولى دالة على مطلق الثواب والعقاب بعد الموت، واغلبها كانت بنحو العموم، وانها كثيرة.

الطائفة الثانية دالة على خصوص عذاب القبر و سؤاله و ثوابه، وانها متظافرة.

الطائفة الثالثة دالة على السؤال و الثواب والعقاب من القبر الى يوم البعث، وانها ايضاً كثيرة.

الطائفة الرابعة دالة على ان سؤال القبر مربوط به طائفة خاصه.

الطائفة الخامسة دالة على عمومية السؤال و الثواب والعقاب.

اما الطائفة الاولى فمنها في تفسير القمي، علي بن ابراهيم قال في تفسير قوله تعالى: ﴿و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾^(١) فانه حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن ابي عبيدة الحذاء عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: هم والله شيعتنا اذا دخلوا الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله، استبشروا بمن لم

يلحق بهم من اخوانهم من المؤمنين في الدنيا، الآخوف عليهم ولا هم يحزنون، وهو ردّ على من يبطل الثواب والعقاب بعد الموت^(١).

ومنها فيه في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر - عليه السلام - في قوله: ﴿فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا﴾، يعنى ارواح المؤمنين، تسبق ارواحهم الى الجنة بمثل الدنيا، و ارواح الكافرين الى النار بمثل ذلك^(٢) و منها فيه، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣) الآية بسنده عن سليمان الديلمي عن أبي بصير عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: ان اطفال شيعتنا من المؤمنين تربيتهم فاطمة - سلام الله عليها -^(٤).

اقول: ان الآية لسياق ذيلها وآيات السابقة واللاحقة لها مربوطة بالجنة الخلد و عالم الآخرة و لامساس لها بعالم البرزخ، فذكرها في المقام، غير مناسب فكذلك الرواية في تفسيرها فلاتغفل.

ومنها في البحار عن المحاسن بسنده، عن جميل بن درّاج قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : ان المؤمنين اذا اخذوا مضاجعهم اصعد الله بارواحهم اليه، فن قضى له عليه الموت، جعله في رياض الجنة كنوز رحمة و نور عزّته، و ان لم يقدر عليها الموت بعث بها مع امسائه من

الملائكة الى الابدان التي هي فيها^(١).

ومنها فيه عند بسنده عن ابراهيم بن اسحاق الجازي قال: قلت لابي عبد الله - عليه السلام - : اين ارواح المؤمنين فقال: ارواح المؤمنين في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها، ويقولون ربنا اقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا، قال: قلت: فاین ارواح الکفار فقال: في حجرات النار يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها، ويقولون ربنا لاتقم لنا الساعة، لتنجز لنا ما وعدتنا^(٢).

ومنها فيه عند بسنده عن عاصم بن حميد عن ابي بصير عن احدهما - عليهما السلام - قال: اذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهن صورة احسنهن وجهاً، وابهاهن هيئة، واطيبهن ريحاً، وانظفهن صورة، قال: فيقف صورة عن يمينه، واخرى عن يساره، واخرى بين يديه، واخرى خلفه، واخرى عند رجله، وتقف التي هي احسنهن فوق رأسه فان اتى عن يمينه منعتة التي عن يمينه، ثم كذلك الى ان يؤتى من الجهات الست قال: فتقول احسنهن صورة، ومن انتم جزاكم الله عني خيراً، فتقول التي عن يمين العبد انا الصلوة، وتقول التي عن يساره انا الزكوة، وتقول التي بين يديه انا الصيام، وتقول التي خلفه انا الحج والعمره، وتقول التي عند رجله، انا برّ من وصلت من اخوانك، ثم يقلن

من انت فانت احسننا وجهاً واطيناً ريحاً وابهانا هيئة، فتقول انا الولاية لآل محمد - صلوات الله عليهم اجمعين - ^(١).

ومنها في الكافي بسنده الحسن عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن ارواح المؤمنين، فقال: في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شراها، ويقولون ربنا اقم الساعة لنا، وانجز لنا ما وعدتنا، والحق آخرنا باولنا ^(٢).

ومنها فيه بسنده الحسن عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: سألت عن ارواح المشركين فقال: في النار يعذبون، يقولون ربنا لاتقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا باولنا ^(٣) و منها فيه بسنده الحسن او الموثق عن القداح عن ابي عبد الله عليه السلام - عن آبائه - عليهم السلام - قال: قال امير المؤمنين - عليه السلام - : شرّ ماء على وجه الارض ماء برهوت، وهو الذي يحضر موت ترده هام الكفار ^(٤).

ومنها في البحار عن مشارق الانوار عن الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الابرار ان امير المؤمنين - عليه السلام - اضطجع في نجف

١ - ج ٦، ب ٨، ح ٥٠، ص ٢٣٤

٢ - ج ٣، ب آخر في ارواح المؤمنين، ح ٤، ص ٢٤٤

٣ - ج ٣، ب في ارواح الكفار، ح ١، ص ٢٤٥

٤ - ح ٤، من هذا الباب.

الكوفة على الحصي، فقال قنبر: يا مولاي الا افرش لك ثوبي، تحتك، فقال: لا ان هي الآ تربة مؤمن، او مزاحمته في مجلسه، فقال الاصبع بن نباته: اما تربة مؤمن فقد علمنا انها كانت، او ستكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه، فقال: يابن نباته ان في هذا الظهر ارواح كل مؤمن و مؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور^{(١)(٢)}.

١- ج ٦، ب ٨، ح ٥٥، ص ٢٣٧

٢- و يدلّ على ذلك، الحديث الذي رواه علي بن ابراهيم في تفسيره في ضمن حديث طويل (ج ٢، ص ٧)، وايضاً ما رواه ثقة الاسلام الكليني في (الكافي ج ٣، باب جنة الدنيا، ح ١)، بسنده الصحيح، (ص ٢٤٦) وكذا حديث الثاني من هذا الباب وكذا يدلّ على ما نحن بصدده كثير ما نقل العلامة المجلسي «ره» من الروايات في (باب ٨، مثل ح ٢٢ و ٣١ و ٣٢ و ٤٤ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٨ و ٧٥ و ٧٨ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٦) ونحوها، وبعض الروايات الباب تدلّ على مطلق الحياة في عالم البرزخ مثل (ح ٥٨ و ٦٧ و ٧٩) ونحوها، وبعضها تدلّ على حياة خصوص بعض ارواح المقدّسه في عالم البرزخ كالنبي والولي وغيرهما مثل (ح ٨٠ و ٨١ و ٨٤ و ٨٥) وبعضها تدلّ على حياة بعض افراد الخبيثة و دركاتهما، مثل ما رواه في البحار عن الاختصاص بسنده عن بشير النبال قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : كنت مع ابي بعسفان (عسفان كعثمان موضع على مرحلتين من مكة) و ضجنان كسكران، جبل قرب مكة، في واديهما، او بضجنان، فنفرت بغلته فاذا رجل في عنقه سلسلة، و طرفها في يد آخر يجزّه، فقال: اسقني فقال الرجل: لاسقه لاسقاء الله، فقلت لابي: من هذا؟ فقال: هذا معاوية، و نحوها، (ج ٦، ب ٨، ح ٨٣ ص ٢٤٧).

واقفا الطائفة الثانية اعني ما كانت منها دالة على خصوص عذاب القبر و
سؤاله و ثوابه فمنها في امالي الصدوق بسنده عن ابي المقدام قال: قال
الصادق جعفر بن محمد - عليها السلام - : نزلت هاتان الآيتان في اهل
ولايتنا، و اهل عداوتنا، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فروح و ریحان،
يعني في قبره، ﴿وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ﴾، يعني في الاخرة، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ فنزل من حميم، يعني في قبره، ﴿وَتَصْلِيَةٍ جَحِيمٍ﴾،
يعني في الاخرة^(١).

ومنها فيه بسنده عن ابراهيم بن محمد عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه
عن آبائه - عليهم السلام - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و آله و
سلم - : مرَّ عيسى بن مريم - عليه السلام - بقبر يعذب صاحبه، ثم مرَّ به
من قابل، فاذا هو ليس يعذب فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول،
فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام فاذا هو ليس يعذب، فواحي الله
عزَّ وجلَّ اليه يا روح الله انه ادرك له ولد صالح فاصلح طريقا، و آوى
يتيماً ففغرت له بما عمل ابنه، قال: وقال عيسى بن مريم - عليه السلام - :
ليحيى بن زكريا - عليه السلام - اذا قيل فيك ما فيك، فاعلم انه ذنب
ذكرته فاستغفر الله منه، و ان قيل فيك ما ليس فيك، فاعلم انها حسنة

١ - المجلس الثاني و السبعون، ح ١١، ص ٤٧٤، و نقلها في تفسير القمي، ج ٢، ص

كتبت لك، لم تتعب فيها^(١).

و منها فيه بسنده عن اسمعيل بن مسلم السكوني عن الصادق جعفر بن محمد عن ايده عن آباءه عن عليّ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم^(٢).
و منها فيه بسنده عن عبد الله سنان عن ابي عبد الله الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - قال: اتى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقيل له ان سعد بن معاذ قدمنا فقام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقام اصحابه معه فامر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب فلما ان حنط وكفن وحمل على سريرة تبعه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليه وآله وسلم - بلا حذاء ولا رداء ثم كان يأخذ يمينه السرير مرة ومرة يسرة السرير مرة حتى انتهى به الى القبر فنزل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليه وآله وسلم - حتى لحده وسوى اللبن عليه وجعل يقول: ناولوني حجراً ناولوني تراباً رطباً يسدّ به ما بين اللبن فلما ان فرغ وحنّ التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليه وآله وسلم -: اني لاعلم انه سيبلى ويصل البلى اليه ولكن الله يحب عبداً اذا عمل عملاً احكمه فلما ان سوى التربة عليه قالت ام سعد يا سعد هنيئاً لك الجنة فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليه وآله وسلم -: يا ام سعدمه لا تجزمي على

١- المجلس السابع والسبعون، ح ٨، ص ٥١٢.

٢- المجلس الثمانون، ح ٢، ص ٥٤٠.

ربك فان سعداً قد اصابته ضمة قال فرجع رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : و رجع الناس فقالوا يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على احد أنك تبعت جنازته بلارداء و لاحذاء فقال - صلى الله عليه و آله و سلم - : المثلثة كانت بلارداء و لاحذاء فتأسيت بها قالوا و كنت تأخذ يمينه السرير مرة و يسرة السرير مرة قال : كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ قالوا امرت بغسله و صليت على جنازته و لحدته في قبره ثم قلت : ان سعداً قد اصابته ضمة قال : فقال : نعم انه كان في خلقه مع اهله سوء ^(١).

ومنها في البحار عن علل الشرايع بسنده عن زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي - عليه السلام - قال : عذاب القبر يكون من النيمة و البول و عزب ^(٢) الرجل عن اهله ^(٣).

ومنها في الامالي الصدوق بسنده الواصل الى محمد ابن عمار عن ابيه قال : قال الصادق - عليه السلام - : من انكر ثلاثة اشياء فليس من شيعتنا ، المعراج و المسألة في القبر و الشفاعة ^(٤).

١ - المجلس الحادي و الستون ، ح ٢ ، ص ٣٨٤

٢ - اي بعده و اعتزاله عن اهله و لعله كناية عن نشوزه عليها كما عرفت ذلك آنفاً عن رواية سعد بن معاذ أنه بواسطة سوء خلقه في اهله قد اصابته ضمة القبر .

٣ - ج ٦ ، ب ٨ ، ح ٢١ ، ص ٢٢٢

٤ - المجلس التاسع و الاربعون ، ح ٥ ، ص ٢٩٤

ومنها في امالي الصدوق بسنده^(١) عن سعيد بن المسيب قال: كان علي بن الحسين - عليهما السلام - يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في اعمال الآخرة بهذا الكلام، في كل جمعة في مسجد الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وحفظ عنه وكتب، كان يقول: أيها الناس اتقوا الله واعلموا انكم اليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، ويحك ابن آدم الغافل، وليس بمغفول عنه، ابن آدم ان اجلك اسرع شيئ اليك، قد اقبل نحوك حثيثاً، يطلبك ويوشك ان يدركك، وكان قد اوفيت اجلك، وقبض الملك روحك، وصرت الى منزل وحيداً، فرد اليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكاك منكر و نكير لمساتلتك، وشديد امتحانك، الا وان اول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبد، وعن نبيك الذي ارسل اليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن امامك الذي كنت تتولاه، ثم عن عمرك فيما افنيه، ومالك من اين اكتسبته، وفيما اتلفته، فخذ حذرك، وانظر لنفسك واعد للجواب، قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فان تك مؤمناً تقياً عارفاً بدينك متبعا للصادقين موالياً لاولياء

١ - و اسنادها، ابي عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن عبد الله بن غالب عن ابيه عن سعيد بن المسيب، والظاهر ان رواية هذا الحديث معتبرة، نعم اختلف في سعيد بن المسيب قدحاً ومدحاً، راجع المعجم، (ج ٨، ص ١٢٩) و راجع لعبد الله بن غالب (ج ١٠، ص ٢٧٢) انه ثقة.

اللَّهِ، لَقَّاكَ اللَّهُ حَبَّتِكَ و انطق لسانك بالصواب، فاحسنت الجواب، فبشّرت بالجنة والرضوان من الله، والخيرات الحسان، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وان لم تكن كذلك تلجلج لسانك، ودحضت حَبَّتِكَ و عميت عن الجواب، وبشّرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم، وتصلية حليم، فاعلم ابن آدم ان من وراء هذا ما هو اعظم واقطع و اوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، و ذلك يوم مشهود، و يجمع الله فيه الاولين والآخرين ذلك يوم ينفخ فيه في الصور، و تبعثر فيه القبور ذلك يوم الازفة، اذ القلوب لدي الحناجر كاظمة، الحديث (١).

ومنها فيه عن عبد الله بن عباس قال: اقبل بن ابي طالب - عليه السلام - ذات يوم الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - باكيًا، وهو يقول: ﴿أَنَا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : يا علي، فقال علي - عليه السلام - : يا رسول الله ماتت امي فاطمة بنت اسد، قال: فبكى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم قال: رحم الله امك يا علي، اما انت ان كانت لك اما فقد كانت لي اما خذ عمامتي هذه وخذ ثوبي هذين، فكفّنها فيهما، و مر النساء فليحسن غسلها ولا تخرجها حتى اجيء، فالى امرها، قال: و اقبل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - و آله و سلم - بعد ساعة و اخرجت فاطمة امّ علي - عليه السلام - فصلّي

عليها النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - صلوة لم يصل على احد قبلها، مثل تلك الصلوة، ثم كبر عليها اربعين تكبيرة، ثم دخل الى القبر فتمده فيه فلم يسمع له انين ولا حركة، ثم قال: يا علي ادخل يا حسن ادخل فدخل القبر فلما فرغ مما احتاج اليه قال له: يا علي اخرج يا حسن اخرج فخرجا ثم زحف^(١) النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - حتى صار عند رأسها ثم قال: يا فاطمة انا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فان اتاك منكرو نكير فسألك من ربك، فقولى الله ربى، و محمد نبىي، والاسلام ديني، و القرآن كتابي، وابني امامي، و وليي، ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت، ثم خرج من قبرها، و حثا عليها حثيات، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضها ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي، فقام اليه عمار بن ياسر، فقال: فداك ابي وامي يا رسول الله، لقد صليت عليها صلوة لم تصل على احد قبلها، مثل تلك الصلوة، فقال: يا ابا اليقظان و اهل ذلك، هي مني، و لقد كان لها من ابي طالب ولد كثير، و لقد كان خيرهم كثيراً، و كان خيرنا قليلاً، فكانت تشبعني و تبيعهم و تكسوني و تعريهم و تدهنني و تشعثهم^(٢) قال: فلم كبرت عليها اربعين تكبيرة، يا رسول الله، قال: نعم يا عمار التفت عن يميني فنظرت الى اربعين صفاً من الملائكة، فكبرت لكل صف تكبيرة،

١ - الزحف، هو الدبيب على الركبتين قليلاً قليلاً

٢ - الاشعث المنغير الرأس

قال: فتددت في القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة، قال: إن الناس يحشرون يوم القيمة عراة فلم ازل اطلب الى ربي عز وجل أن يبعثها ستيرة، والذي نفس محمد بيده، ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها، ومصباحين من نور عند يديها، ومصباحين من نور عند رجلها، وملكها الموكلان بقبرها، يستغفران لها الى ان تقوم الساعة^(١).

ومنها في ثواب الاعمال بسنده عن ابن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلوة عن يمينه و الزكاة عن يساره والبر^(٢) مطلق عليه، ويتنحى الصبر ناحية، قال: فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسأله، قال: الصبر، للصلوة والزكاة والبر، دونكم صاحبكم، فان عجزتم عنه فانا دونه^(٣).

ومنها في البحار عن الاختصاص والسرائر بسنده عن زر بن حبیش قال: سمعت علياً عليه السلام - يقول: ان العبد اذا ادخل حفرة اتاه ملكان اسمها منكر ونكير، فاوّل من يسألانه عن ربه، ثم عن نبيه، ثم عن وليه، فان اجاب نحيي، وان عجز عذّباه، فقال له: رجل ما لمن عرف ربه و نبيه، ولم يعرف وليه، فقال: مذبذب^(٤) لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ومن

١ - المجلس الحادي والخمسون، ج ١٤، ص ٣١٥

٢ - اطل عليه اي اشرف

٣ - ثواب الصلوة والزكاة والبر والصبر، ص ٢٠٣

٤ - المذبذب: المتحيّر.

يضلل الله فلن تجد له سبيلا، ذلك لاسبيل له، وقد قيل للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من الولي يا نبي الله قال: وليكم في هذا الزمان علي، ومن بعده وصيه، ولكل زمان عالم يحتاج الله به، لئلا يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم انبياءهم، ﴿رَبَّنَا لَوْلَا ارسلت اليَنَا رَسُولًا فَتُنَبِّئَنَا آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنُخْزِي﴾، تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات، وهم الاوصياء، فاجابهم الله، ﴿قُلْ كُلٌّ مَتَرَبَّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾، وأما كان ترَبَّصهم ان قالوا، نحن في سعة عن معرفة الاوصياء، حتى نعرف اماماً، فعيرهم الله بذلك، والوصياء هم اصحاب الصراط وقوف عليه، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه، لانهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند اخذ الموائيق عليهم و وصفهم في كتابه، فقال جل وعز: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَاهِهِمْ﴾، هم الشهداء على اوليائهم والنبي الشهيد عليهم اخذ لهم موائيق العباد بالطاعة، واخذ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عليهم الموائيق بالطاعة، فجرت نبوته عليهم، وذلك قول الله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثاً^(١).

١- ج ٦، ب ٨، ح ٤٦، ص ٢٣٢ و يسدلّ على ذلك احاديث كثيرة نقلها العلامة

وأما الطائفة الثالثة أعني ما كانت منها دالة على السؤال والثواب والعقاب من القبر إلى يوم البعث، فمنها في أمالي الشيخ بسنده عن أبي إسحاق الهمداني قال: لما ولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - محمد بن أبي بكر مصر، وأعمالها، كتب له كتاباً وأمره أن يقرأه على أهل مصر، وليعمل بما وصاه به فيه، وكان الكتاب، بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - إلى أهل مصر ومحمد بن أبي بكر، سلام عليكم، فإني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسئولون، واليه تصيرون (إلى أن قال) يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له، أشد من الموت، القبر، فاحذروا ضيعته وضيعته وظلمته وغرته، أن القبر يقول: كل يوم أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود والهُوَام، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، أن العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض مرحباً وأهلاً قد كنت أحب أن تمشي على ظهري فإذا وليت^(١) فستعلم كيف صني بك، فيتسع له مد البصر، وأن الكافر إذا دفن قالت له الأرض لا مرحباً ولا أهلاً لقد كنت من أبغض من يعيش عن ظهري، فإذا وليت^(١) فستعلم كيف صني بك فتضمه حتى تلتقي

→ المجلسي «ره» في هذا الباب، مثل ح ٥٣ و ٥٤ و ٥٧ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٧١ و

٧٣ و ٩٤ و ٩٥ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ وغيرها

١ - أما من ولي فلاناً، دنا منه وقرب، أو من ولي يلي ولاية الشيء، قام به وملك أمره.

اضلاعه، وان المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه، عذاب القبر، انه يسلب على الكافر في قبره تسعة وتسعين^(١) تيناً^(٢) فينهش لحمه و يكسرن عظمه، يتردّدن عليه كذلك، الى يوم يبعث لو ان تيناً منها نفخ في الارض لم تنبت زرعاً أبداً، يا عباد الله ان انفسكم الضعيفة و اجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسر، تضعف عن هذا، فان استطعتم ان تجزعوا لاجسادكم و انفسكم ممّا لا طاقة لكم به، و لاصبر لكم عليه، فاعملوا بما احبّ الله و اتركوا ما كره الله، الحديث طويل جداً^(٣).

ومنها في البحار عن نهج البلاغة قال امير المؤمنين - عليه السلام - في خطبة: حتّى اذا انصرف المشيع و رجع المتفجع أقعد في حفرة نحيباً لبهته السؤال و عثرة الامتحان، و اعظم ما هنالك بلية نزل الحميم و تصلية الحميم و فورات السعير، لافرة مريحة، و لادعة مزيجه و لاقوة حاجزة، و لاموتة ناجزة، و لاسنة مسلية، بين اطوار الموتات و عذاب الساعات^(٤).

١ - عن الشيخ البهائي قال: بعض اصحاب الحال، و لا ينبغي ان يستعجب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيات بقدر عدد الصفات المذمومة، من الكبر و الرياء و الحسد و الحقد، و سائر الاخلاق و الملكات الرديّة، فانها تشعب و تتنوع انواعاً كثيرة، و هي بعينها تنقلب حيات في تلك النشأة، انتهى كلامه.

٢ - كسكين حية عظيمة

٣ - الجزء الاول، كتاب على الى اهالي مصر، ص ٢٤

٤ - ج ٦، ب ٨، ح ٦٩، ص ٢٤٣

ومنها في الكافي بسنده عن عمرو بن يزيد قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام -: اني سمعتك و انت تقول كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم؟ قال: صدقتك، كلهم والله في الجنة، قال: قلت: جعلت فداك، ان الذنوب كثيرة كبار فقال: اما في القيمة فكلكم في الجنة، بشفاعة النبي المطاع او وصي النبي، ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته الى يوم القيامة^(١).

ومنها في البحار عن تفسير النعماني باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام -: قال: و اما الرد على من انكر الثواب والعقاب في الدنيا بعد الموت قبل القيامة، فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْ شَرَّ سَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، يعني السماوات والارض قبل القيامة، فاذا كانت القيامة بدلت السماوات والارض، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرِثَهُمْ يَرْزُقْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وهو امر بين امرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، ومثل قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، والغدو والعشي لا يكونان في القيامة، التي هي دار الخلود، واما يكونان في الدنيا، وقال الله تعالى في اهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

و البكرة والعشى، أما يكونان من الليل والنهار، في جنة الحياة، قبل يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهراً﴾، ومثله قوله تعالى سبحانه: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ الآية^(١) ويدل على ذلك ما نقلناه سابقاً في ذيل الصحيفة عن تفسير القمي «ره» في تفسير آيات البرزخ، ويدل عليه ايضاً ما رواه عن الكافي في البحار في ذلك الباب^(٢).

وأما الطائفة الرابعة اعني ما كانت منها دالة على ان سؤال القبر مخصوصة بطائفة^(٣) خاصة فمنها في البحار عن الاختصاص بسنده المعتبر عن ابي

١- ج ٦، باب ٨، ح ٧٦، ص ٢٤٥ ٢- ح ٦٨

٣- ولا يخفى ان احاديث هذه الطائفة منحصرة بهذه الاحاديث الستة التي ذكرناها في المتن، على ما استقصيناه، والحديث الثالث والسادس ضعيف، والحديث الأول منبهر، بل بعض رواها كان جليل القدر مثل ابن (راجع معجم الخوئي، ج ١٥، ص ٩٥) بزيغ والثاني حسن والرابع موثق والخامس صحيح، على ما اضطبطها العلامة المجلسي «ره» في مرآت العقول (ج ١٤، ص ٢٠٦ و ٢٠٧). اسناد خمسة احاديث الأول أما الأول، سعد عن ابن عيسى ومحمد بن عبد الجبار معا عن ابن يزيغ عن منصور بن يونس عن ابي بكر، وأما الثاني ابو علي الاشعري عن محمد بن عبد الله الجبار عن الحجال عن ثعلبه عن ابي بكر، وأما الثالث عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن عبد الرحمن بن ابي

بكر الحضرمي عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: لا يسأل في القبر الآ من محض الايمان او محض الكفر محضاً، فقلت له: فسائر الناس فقال: يلهمي عنهم^(١).

ومنها في الكافي بسنده الحسن عن أبي بكر الحضرمي قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : لا يسأل في القبر الآ من محض الايمان محضاً او محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم^(٢).

ومنها فيه بسنده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: انما يسأل في قبره من محض الايمان محضاً و الكفر محضاً، و اما ما سوى ذلك فيلهي عنهم^(٣).

ومنها فيه بسنده الموثق عن ابن بكير عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: انما يسأل في قبره من محض الايمان محضاً و الكفر محضاً، و اما ما سوى ذلك فيلهي عنه^(٤).

→ نجران عن عبد الله بن سنان و اما الرابع ابو علي الاشعري عن محمد بن عبد الجبار عن محمد بن اسماعيل عن منصور بن يونس عن ابن بكير و اما الخامس محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن يزيد بن معاوية عن محمد بن سلم.

١- ج ٦، باب ٨، ح ٥٢، ص ٢٣٥

٢- ج ٣، ب المسألة في القبر و من يسأل و من لا يسئل، ح ١، ص ٢٣٥

٣- ج ٣، ب المسألة في القبر و من يسأل و من لا يسئل ح ٢، ص ٢٣٥

٤- ج ٣، ب المسألة في القبر و من يسأل و من لا يسئل، ح ٣، ص ٢٣٥ و هذا

و منها فيه بسنده الصحيح عن محمد بن سلم قال: قال ابو عبد الله - عليه السلام - : لا يسأل في القبر الا من محض الايمان محضاً او محض الكفر محضاً^(١).

و منها فيه بسنده عن ابي بكر الحضرمي قال: قلت لابي جعفر - عليه السلام - : اصلحك الله من المسئولون في قبورهم، قال: من محض الايمان و من محض الكفر، قال: قلت: فبقية هذا الخلق، قال: يلهي، و الله عنهم ما يعبا بهم، قال: قلت: و عمّ يسألون قال: عن الحجة القائمة بين اظهركم، فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان ابن فلان فيقول: ذاك امامي فيقال: نعم انا لله عينيك، و يفتح له باب الجنة، فما يزال يتحفه من روحها الى يوم القيمة، و يقال للكافر: ما تقول في فلان ابن فلان، فيقول: قد سمعت به، و ما ادري ما هو، فيقال له: لادريت، قال: و يفتح له باب من النار، فلا يزال يتحفه من حرّها الى يوم القيامة^(٢).

و اما الطائفة الخامسة اعني ما كانت منها دالة على عمومية السؤال و الثواب و العقاب فمنها في البحار عن كشف اليقين من تفسير الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي باسناده رفعه قال: اقبل صخر بن حرب حتى جلس

→ الحديث لم يوجد في كثير من النسخ (كذا في هامش المطبوع) فالحديث ضعيف.

١ - ج ٣، ب المسألة في القبر و من يسأل و من لا يسأل، ح ٤، ص ٢٣٦

٢ - ج ٣، ب المسألة في القبر و من يسأل و من لا يسأل، ح ٨، ص ٢٣٧، و هذا الحديث

ضعيف، و اسناده. عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسن بن

سنان عن عبد الله بن عبد الرحمن عن عبد الله بن القاسم عن ابي بكر.

الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: يا محمد هذا الامر لنا بعدك، ام لمن، قال: يا صخر، الامر بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فانزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يعني يسألك اهل مكة عن خلافة علي بن ابي طالب، ﴿عن النبا العظيم، الذي هم فيه مختلفون﴾، منهم المصدق بولايته وخلافته، ومنهم المكذب، ﴿كلا﴾، رد عليهم، ﴿سيعلمون﴾، سيعرفون خلافته بعدك، أنها حق يكون، ﴿ثم كلا سيعلمون﴾، سيعرفون خلافته وولايته، اذ يسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر الا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية امير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميت من ربك، وما دينك، ومن نبيك، ومن امامك (١).

ومنها فيه عن كتابي الحسين بن سعيد، فضالة، عن ابان، عن بشير النبال قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: خاطب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قبر سعد فمسحه بيده، واختلج بين كتفيه، فقيل له يا رسول الله رايناك خاطبت واختلج بين كتفيك، وقلت: سعد يفعل به هذا فقال: أنه ليس من مؤمن الا وله ضمة (٢).

ومنها في الكافي، محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن علي بن الحكم عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ما من مؤمن ولا كافر الا وهو يأتي اهله عند زوال الشمس، فاذا رأى اهله

يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، و اذا رأى الكافر اهله يعملون بالصالحات، كانت عليه حسرة^(١).

ومنها فيه، علي بن محمد عن علي بن الحسن عن الحسين بن راشد، عن المرتجل بن معمر عن ذريح المحاربي عن عبادة الاسدي عن حبة العري قال: خرجت مع امير المؤمنين - عليه السلام - الى الظهر، فوقف بوادي السلام، كانه مخاطب لا قوام، فقامت بقيامه اعيتت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني اولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت و جمعت رداي، فقلت: يا امير المؤمنين اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبة، ان هو الا محادثة مؤمن او مؤانسته قال: قلت: يا امير المؤمنين وانهم لكذلك، قال: نعم و لو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محبتين^(٢) يتحادثون، فقلت: اجسام ام ارواح فقال: ارواح، و ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض الا قيل لروحه الحق بوادي السلام، و انها لبقعة من جنة عدن^(٣).

ومنها فيه عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن الحسن بن علي عن احمد بن عمر رفعه عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قلت له: ان اخي ببغداد و اخاف ان يموت بها، فقال: ما تبالي حيثما مات، اما انه

١ - ج ٣، ب ان البت يزور اهله، ح ٢، ص ٢٣٠

٢ - محبتين من احتبي بالثوب اشتمل او جمع بين ظهره و ساقيه بعمامة و نحوها.

٣ - ج ٣، ب في ارواح المؤمنين، ح ١، ص ٢٤٣

لا يبقى مؤمن في شرق الأرض و غربها إلا حشر الله روحه الى وادي السلام، قلت له: واين وادي السلام قال: ظهر الكوفة، اما اني كاني بهم خلق خلق يعود يتحدثون^(١).

ومنها فيه، محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن عبدالرحمن بن ابي هاشم عن سالم عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: ما من موضع قبر الا و هو ينطق كل يوم ثلاث مرات، انا بيت التراب، انا بيت البلاء، انا بيت الدود، قال: فاذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً و اهلاً، اما والله لقد كنت احبك و انت تمشي على ظهري، فكيف اذا دخلت بطني فستري ذلك، قال: فيفسح له مد البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنة، قال: و يخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قط احسن منه، فيقول يا عبدالله ما رأيت شيئاً احسن منك فيقول: انا رأيك الحسن الذي كنت عليه، و عملك الصالح الذي كنت تعمله، قال: ثم تؤخذ روحه فتوضع في الجنة، حيث رأى منزله، ثم يقال له: نعم قرير العين فلا يزال نفحة من الجنة، تصيب جسده، يجد لذتها و طيبها حتى يبعث، قال: و اذا دخل الكافر، قال: لا مرحباً بك و لا اهلاً، اما والله لقد كنت ابغضك و انت تمشي على ظهري، فكيف اذا دخلت بطني، ستري ذلك، قال: فتضم عليه فتجعله رميماً، و يعاد كما كان، و يفتح له باب الى النار فيرى مقعده من النار، ثم قال: ثم انه يخرج منه رجل اقبح من رأى قط، قال: فيقول: يا عبدالله من

انت ما رأيت شيئاً أقبح منك، قال: فيقول: انا عمك السيئ الذي كنت تعمله، و رأيك الخبيث، قال: ثم تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثم لم تزل نفخة من النار تصيب جسده، فيجد المها و حرّها في جسده الى يوم يبعث و يسلط الله على روحه تسعة و تسعين تنيناً تنهشه، ليس فيها تنين ينفخ على ظهر الارض فتنبت شيئاً^(١) و لا يخفى ان سائر طوائف الاخبار التي ذكرنا جملة منها آنفاً يستفيد منها العموم لان اغلب رواياتها المتعرضة فيها لحال احاد الناس بعد الموت كانت بلفظ الجمع او الجمع المضاف بما يحلى بالالف و اللام مثل هذه المضامين، يعني ارواح و ارواح الكفار، ما يقول الناس في ارواح المؤمنين بعد موتهم، ارواح المؤمنين، ان المؤمنين، و نحوها و مقتضاها هو عمومية السؤال و الثواب و العقاب لجميع احاد الناس في عالم البرزخ و ايضاً ان ما كان منها مطلقة و انها جلّها و كانت بلفظ المفرد و المفرد المحلى بالالف و اللام بنحو هذه المضامين، ان ابن آدم اذا كان في آخر يوم من الدنيا، اذا مات العبد المؤمن، عمّا يلقي صاحب القبر، و نحوها، و من المعلوم انها باطلاقتها دالة على عمومية السؤال و الثواب و العقاب بل دوامها الى يوم البعث كما هو صريح اخبار الطائفة الثالثة، و لم تكن الى الان تهافت بين طوائف الاخبار اصلاً الا ما يبادر بالذهن بالنظر البدوي بين هذه الطائفة الاخيرة و ما هي بمنزلتها التي دلت على عمومية السؤال و الثواب و

العقاب و بين الطائفة الرابعة التي دلت على خصوص السؤال على الطائفة الخاصة، و من المعلوم بعد تمامية السند، و الدلالة لتلك الطائفة، و عدم الترجيح بين هذه و ما يقابلها، فلا بد من حمل العموم و المطلق على الخصوص كما هو مقرر في مباحث الاصول و لكن نقول.

اقا اولاً فان العمومات و المطلقات الاخبار الباب آية عن التخصيص و التقييد كما هو ظاهر لمن تأمل فيها.

و ثانياً يمكن ان يتصرف في مفاد اخبار الخاصة بان يقال: ان الرواية الثالثة و الرابعة و الخامسة على حدوما اضبطناها كما سنبينه لك للتالي راجعة به خصوصية السؤال لا به خصوصية المسئولين حيث ان عبر فيها بأنه، انما يسأل في قبره من محض الايمان محضاً، و لا يسأل في القبر الامن محض الايمان محضاً او محض الكفر محضاً، و ان امثال هذه العبارات صريحة في ان مورد السؤال هو محض الايمان و محض الكفر، الذي راجع الى السؤال عن الاعتقادات فقط خصوصاً الرواية الخامسة كما هو صريح كثير من الاخبار الباب لا السؤال عن الفروع، و جملة (و ما سوى ذلك فيلهي عنهم، او، فيلهي عنه، راجع الى ما سوى الايمان، و لولا ذلك فيليق ان يعبر به (ان ما سواهم فيلهي عنهم هذا بناءً على ان كلمة (من) من حروفات الجارة و اقا بناءً على قرائتها بالفتح، اعني كانت موصولة فالمراد منها هو المسئولين، اعني الطائفة الخاصة، و لكن الاحتمال الأول كان راجحاً فيها و غير بعيد، و لا اقل من التساوي فلا تكون تلك الروايات دالة بان السؤال كان مخصوصاً لطائفة خاصة.

واقفا الرواية السادسة و ان لم يحتمل فيها ما ذكرناه للتصريح بقوله: (قال قلت فبقية هذا الخلق قال: يلهي و الله عنهم) الا انها ضعيفة لسهل بن زياد فانه ضعيف^(١) جزماً، او انه لم تثبت وثاقته فبقى الرواية الاولى و الثانية، و الاحتمال المذكور، و ان كان فيها قوي بحسب صدر الرواية، الا انه لا يلائم بحسب ذيل الرواية نعم يمكن ان يحمل على ما ذهب اليه المجلسي «ره» و سيأتي ذكر كلامه ايضاً ان شاء الله تعالى.

و ثالثاً به بيان آخر ان الروايات الخمسة الأول قد نفي السؤال في جملة المستثنى منه مطلقاً، بكلمة (لا) و (انما) و هي في موضع النفي و اثبت في المستثنى ذلك السؤال من محض الايمان.

و بعبارة واضحة بمناسبة نفي السؤال في جملة المستثنى منه (بقوله لا يسأل في القبر اذ ما هو بمنزلة اعني قوله انما يسئل في قبره) فلا بد من ان يحمل المستثنى بهذا اللسان على تثبت السؤال لا المسؤول، فالنتيجة هي انحصار السؤال عن المورد^(٢) لا الاشخاص، و ما يشعرنا على ذلك:

اقفاً أولاً هو ان نفي السؤال و اثباته لمحض الايمان كانا في جميع الروايات

١- راجع المعجم الخوئي ج ٨، ص ٢٤٠

٢- فلا يعاب بما قال العلامة المجلسي «ره» في المقام: بيان - من محض بفتح الميم اسم موصول و بكسر الميم حرف جرّ و قراءة محض مصدراً ليكون المعنى انه لا يسأل عن الاعمال بل عن العقائد - تصحيف ياباه صريح الاخبار بل المعنى انه لا يسأل عن المستضعفين المتوسطين بين الايمان و الكفر، لما عرفت من المناسبة و لما سيأتي في الجواب الرابع، البحار، ج ٦، ص ٢٦٠

الخمس بلحن واحد.

وثانياً جميع الروايات صدراً و ذيلًا كانت من كلام المعصوم و مبتدئة منه - عليه السلام - و كلامه - عليه السلام - كان في كمال الجودة و ذلك يرشدنا بأن المستثنى منه لم تكن مفرغاً اذ تقدير كلمة (احد) و نحوها، كان على خلاف الاصل، و لذا لابد من حمل جملة (فسائر الناس، فقال يلهى عنهم) في الرواية الاولى، و جملة (و الآخرون يلهون عنهم) في الرواية الثانية، على بعض الاحتمالات الذي سيأتي ذكره عند تذكر كلمات الاصحاب رضوان الله عليهم، و بعد اللتيا و اللتي و الغض عن جميع ما ذكرناه الى الآن.

الانصاف ان الروايات دلالتها على السؤال عن طائفة خاصه غير تمام، لا مكان جعل بعض الروايات قرينة على بعض الآخر، و جعل صدر بعضها، قرينة على ذيل الآخر، او ذيل بعضها على صدر الآخر، و تصادم الاحتمالات مورثة لاجمال الروايات.

و رابعاً على تسليم قراءة كلمة (من) بالفتح الواقعة في الروايات الخاصه و جعلها موصولة فالمراد منها هو المسؤولين.

فنقول مستعيناً بالله تعالى على ما سنح لي في يوم السابع العشر من الربيع الاول، في السنة اربع عشر بعد اربع مائة و الف مضت عن الهجرة النبوية، و هو يوم مولود نبيّنا - صلوات الله و سلامه عليه و على اهل بيته اجمعين - ان غاية ما دلت هذه الروايات هي انحصار مطلق السؤال (اعني سواء كان عن الاصول او هو مع الفروع) عن

هذه الطائفة الخاصة فهذه الروايات من هذه الجهة مطلقة، ومن حيث المسؤولين مقيدة، ولكن اطلاقها قد تقيد بالاخبار التي قد دلت^(١) على ان السؤال كان عن الاصول مع الفروع، اعني ما دلّ على عمومية السؤال عن الاصول كان مبيناً لاطلاق هذه الطائفة من الاخبار، فصار مفاد اخبار الخاصة، ان هذه الطائفة الخاصه، كان لها السؤال عن الاصول مع الفروع، لمزيتهم، فيبقى الاخبار المطلقة التي دلت باطلاقها على عموم السؤال وكان مفادها هو السؤال عن الاصول فقط، وانها بالغة على عشرين^(٢) حديثاً بلامعارض، والشاهد لهذا الجمع هو الاخبار العموم التي دلت على عمومية السؤال وثبتت عالم البرزخ لكل آحاد الناس وانها في هذا الباب ستة^(٣) احاديث.

١- وما كان منها صريح في ذلك اثنتين احداهما ما تقدمنا في الطائفة الثانية من اخبار الباب عن سعيد بن المسيب،

و ثانيهما رواية (١١١) التي نقلها في البحار في اخبار الباب وما كان مستفاد منها بطريق الملازمة كثيرة نحو رواية (٩ و ١٤ و ١٦ و ٢١ و ٢٦ و ٣٥ و ٧١ و ٧٢ و ١٠٩ و ١١٤، ج ٦، ب ٨، ص ٢٠٢).

٢- وهي ح ٢٠ و ٢٢ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣١ و ٣٢ و ٤٦ و ٥٣ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٧٣ و ١٠٣ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ من احاديث، ب ٨، في احوال البرزخ - البحار، ج ٦، ص ٢٠٢.

٣- البحار. ب ٨، ص ٢٠٢ وهي ح ٦ و ١٩ و ٥٥ و ٦٥ و ٩٠ و ١١٧ من هذا الباب، و

وخامساً يحتمل أن يكون المراد من جملة الموصول والصلة أعني قوله (من محض الإيمان و من محض الكفر بناءً على قراءة الفتح) الواقعة في الحديث الصحيح الخامس ونحوها هو غير المستضعفين والمراد من قوله (فبقية هذا الخلق قال: يلهي والله عنهم) في هذا الحديث ونظائره ذلك في سائر الأحاديث هو المستضعفين كما احتمله العلامة المجلسي «ره» في مرآت العقول والله العالم.

فالتيجة في نهاية المطاف من جميع ما ذكرناه هي أن الحكم بعمومية السئوال وعذاب القبر وثوابه، وعالم البرزخ لجميع آحاد الناس، بحسب تلك الروايات الباب كان بلا ريب، والاعتقاد بها بلا مانع، خصوصاً مع التوجه إلى سائر الأبوبة التي نافعة للمقام، بل يستفيد منها ما نحن بصدد، مثل باب الاحتضار^(١) و باب الجريدتين^(٢) و

→ لا يخفى أن العمومات لا تختص بها بل المطلقات في هذا الباب التي آبية عن التخصيص وعمومات سائر الأبواب زائدة على حد التواتر فلا تغفل.

١ - الأخبار في هذا الباب كثيرة منها في الكافي في حصة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - دخل على رجل من بني هاشم وهو يقضي، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب الأرضين السبع، وما بينهما، ورب العرش العظيم، و

→ الحمد لله رب العالمين، فقالها فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: الحمد لله الذي استنقذه من النار (ج ٣، ب تلقين الميت، ح ٩، ص ١٢٤) و احاديث هذا الباب عشرة، وخمسة منها، حسان على ما اضبطها المجلسي «ره» في مرات العقول (ج ١٣) ويستكشف من هذه التلقينات عند ميت الانسان مطلقاً، من دون فرق بين طوائفها مع ان كثيراً منها كان الامر بالتلقين فيها بنحو العموم وبعضها مطلقة - أنه بعد الموت مطلقاً مخوفة للعذاب، ويدفع بها، و راجع لهذه الاخبار جامع الاحاديث (ج ٣، ب ٩) وقد نقلها فيه بالغاً على ستة و اربعين حديثاً ص ١٢٣.

٢- و الاخبار فيه بالغاً على ثلثين حديثاً و راجع لها جامع الاحاديث (ج ٣، ب ٢٢ و ب ٢٣ و ب ٢٤ من ص ٢٥٨ الى ص ٢٦٥).

منها في الكافي حسنة حرير و فضيل و عبد الرحمن بن ابي عبد الله، قال: قيل، لابي عبد الله - عليه السلام - لاي شيء توضع مع الميت الجريدة، قال: انه يتجافي عنه العذاب، ما دامت رطبة (ج ٣، ح ٧، ص ١٥٣) و منها فيه حسنة زرارة قال: قلت لابي جعفر - عليه السلام -: ارايت الميت اذا مات لم تجعل معه الجريدة قال: يتجافي عنه العذاب و الحساب، مادام العود رطباً، قال: و العذاب كله في يوم واحد، في ساعة واحدة، قدر ما يدخل القبر و يرجع القوم، و انما جعلت السمعتان لذلك، فلا يصيبه عذاب و لاحساب بعد جفوفها، ان شاء الله (ج ٣، ب الجريدة، ح ٤، ص ١٥٢).

و قال المجلسي «ره» في شرح هذا الحديث: و ينافي بظاهره ما تضمنه كثير من

باب سَلِّ المَيِّت (١).

→ الاخبار من اتصال نعيم القبر و عذابه الى يوم القيامة، اللهم الا ان يجعل اتصال العذاب مختصاً بالكافر كما تضمنته بعض الاخبار كذا ذكره شيخنا البهائي «ره»، و قيل المراد ان عذاب الروح في بدنه الاصلى يوم يرجع اليه، يكون في ساعة واحدة، اقول: يمكن ان يكون المراد ان ابتداء جميع انواع العذاب و اقسامه في الساعة الاولى، فاذا لم يبتدأ فيها يرتفع العذاب رأساً، و الله يعلم (مرات العقول، ج ١٣، ص ٣٢٦) اقول: هذه الحسنة لاتنافي سائر الاخبار التي قد دلت على العذاب في البرزخ الى يوم البعث، حيث انه لعل نظره - عليه السلام - الى عذاب القبر فقط، او ما لبعض الناس في الجملة و اذا لم يبتدء به رفع عنه العذاب رأساً، ولذا قال - عليه السلام -: (ان شاء الله) وهذا الباب كالسابق يستفيد منها خوف العذاب لكل ميت في القبر و بواسطتها تجافي العذاب.

- ١ - و الاخبار في ذلك كثيرة و ثقلها في الكافي احد عشر منها و اغلبها حسنة و صحيحة و موثقة على ما اضبطها العلامة المجلسي «ره» في مرآت العقول (ج ١٤) منها فيه بسنده الصحيح عن ابي بصير عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: اذا سالت المَيِّت فقل بسم الله و بالله و على ملة رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - اللهم الى رحمتك لا الى عذابك فاذا وضعته في اللحد فضع يدك على اذنه فقل، الله ربك، و الاسلام دينك، و محمد نبيك، و القرآن كتابك، و على امامك (ج ٣، ح ٢، ص ١٩٥) قوله - عليه السلام - فضع يدك، و الظاهر ان هذا تصحيف النساخ، و الصواب (فك) كذا في التهذيب (مرات العقول)

و ما يقال عند دخول القبر من الدعاء و التلقين و باب ترييع القبر

→ و منها فيه بسنده الموثق عن سماعة عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: اذا وضعت الميت في القبر، قلت: اللهم [هذا] عبدك و ابن عبدك و ابن امتك نزل بك و انت خير منزل به، فاذا سللته من قبل الرجلين و دليته قلت: بسم الله و بالله و على ملة رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - اللهم الى رحمتك لا الى عذابك، اللهم افسح له في قبره، و لقنه حجبته، و ثبته بالقول الثابت، و قنا و اياه عذاب القبر، و اذا سويت عليه التراب، قل اللهم جاف الارض عن جنيبه و اصعد روحه الى ارواح المؤمنين في عليين، و الحق بالصالحين (ج ٣، ح ١١، ص ١٩٧) و دلالة هذا الباب على ما نحن بصدده اوضح من سابقه و أنها مطلقة و راجع لجميع اخبار الباب جامع الاحاديث. (ج ٣، ب ٣٢، ص ٤١٣)

و من الواضح ان الناس عموماً كانت من غير اهل هذه الطائفة، اعني من هو ماحض للايمان، و ثبوت تلك المرتبة لهم معلومة العدم، عند غالب الناس، اعني كونهم من المتوسطين في الايمان و اوضح، و لو أنهم كانوا من غير المسؤولين، مع أنهم جلّ الناس، لامعنى لتلقين الناس بنحو الاطلاق بل العموم، و من ادل الدليل أنه لم يشر في رواية من ذلك اللباب و ما قبله، و ما بعده الى التفصيل بين الطائفتين اصلاً بل جلّ الروايات، لولا الكلّ قد عبر فيها بلفظ المفرد المحلى باللام، و هو مفيد للعموم، مع المقدمات الحكمة، و هي في المقام موجودة، و مثل هذه الروايات المعدودة المزبورة التي بظاهرها دالة على السؤال عن خصوص الطائفة لا تقوى لتقييد هذه المطلقات، اذ أنها آية عن التقييد مع ما فيها، من المحتملات فتدبر و لاتغفل.

ورثه بالماء^(١)، وباب زيارة أهل القبور^(٢) وباب إن الميت

١ - والاحاديث في تلك الباب ايضاً كثيرة منها في الكافي بسنده الموثق عن سماعه عن أبي عبدالله - عليه السلام - قال: يستحب أن يدخل معه في قبره جريدة رطبة، و يرفع قبره من الأرض قدر أربع أصابع مضومة، و ينضح عليه الماء، و يغلى عنه (ج ٣، ح ٢، ص ١٩٩).

و منها بسنده عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله - عليه السلام - في الماء على القبر، قال: يتجافى عنه العذاب مادام الندى، في التراب (ج ٣، ح ٦، ص ٢٥٥) راجع لهذه الاحاديث جامع الاحاديث (ج ٣، ب ٤٢، ص ٤٣٦) و بعض احاديث هذا الباب تدلّ باطلاقها على ما نحن بصدده.

٢ - منها في الكافي حسنة ابن درّاج عن أبي عبدالله - عليه السلام - في زيارة القبور قال: أنهم يأنسون بكم، فإذا غبتم عنهم استوحشوا (ج ٣، ح ١، ص ٢٢٨) و منها فيه بسنده الحسن عن عبدالله بن سنان قال: قلت لأبي عبدالله - عليه السلام - : كيف التسليم على أهل القبور، قال: نعم، تقول السلام على أهل الديار من المسلمين و المؤمنين انتم لنا فرط، و نحن انشاء الله بكم لاحقون (ج ٣، ح ٥، ص ٢٢٩)

و منها فيه حسنة هشام بن سالم عن أبي عبدالله - عليه السلام - قال: سمعته يقول: عاشت فاطمة - عليها السلام - بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً، لم تر كاشرة (الكشر التبرسم كما عن الجوهرى) و لاضاحكة، تأتى قبور الشهداء في كلّ جمعة مرتين، الاثنين و الخميس، فتقول ههنا كان رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - ههنا كان المشركون (ج ٣، ح ٣، ص ٢٢٨) و الاحاديث في ذلك

يزور اهلہ^(١)، و من تعابير المختلفة من ابواب زیارة القبور في عناوين متعددة^(٢)، فبالنتيجة في نهاية الشوط، يستفید ما نحن بصددہ

→ الباب ايضا كثيرة مع كون كثيرها بنحو العموم، راجع جامع الاحاديث (ج ٣، ص ٥٢٨) فأنها على طريق الملازمة دالة على حيوة الناس مطلقاً وفرحهم و حزنهم بعد الموت فلا تغفل.

١ - منها في الكافي بسنده الحسن عن حفص بن البختري عن ابي عبد الله عليه السلام - قال: ان المؤمن ليزور اهلہ، فيرى ما يحب و يستر عنه ما يكره، و ان الكافر ليزور اهلہ فيرى ما يكره و يستر عنه ما يحب، قال: و منهم من يزور كل جمعة و منهم من يزور على قدر عمله (ج ٣، ح ١، ص ٢٣٠) و منها فيه بسنده عن اسحاق بن عمار قال: قلت لابي الحسن الاول عليه السلام -: يزور المؤمن اهلہ، فقال: نعم، فقلت: في كم قال: على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كل يوم، و منهم من يزور في كل يومين، و منهم من يزور في كل ثلاثة ايام، قال: ثم رايت في مجرى كلامه أنه يقول: ادناهم منزلة يزور كل جمعة، قال: قلت: في ساعة، قال عند زوال الشمس، و مثل ذلك، قال: قلت: في اي صورة، قال: في صورة العصفور، او اصغر من ذلك فيبعث الله تعالى معه ملكاً فيراه ما يستره، و يرجع الى قرعة عين (ج ٣، ح ٥، ص ٢٣١) و متون احاديث ذلك الباب كانت كسابقتها.

٢ - احدها بهذا العنوان و فيه روايات منها في جامع الاحاديث عن الشهيد الثاني في رسالة الجمعة عن النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - أنه قال: من زار قبر ابيه او احدهما في كل جمعة غفر له و كتب برأ، و قال بعض الصالحين: ان الموتى

→ يعلمون زوارهم يوم الجمعة و يوماً قبله و يوماً بعده (ج ٣، ح ٢، ص ٥٢٨).
 و ثانيها بهذا العنوان و فيه روايات، منها فيه روى عن محمد بن مسلم أنه قال:
 قلت لأبي عبد الله - عليه السلام -: الموقى نزورهم، فقال: نعم، قلت: فيعلمون
 بنا اذا اتيناهم، فقال: اي والله أنهم ليعلمون بكم و يفرحون بكم و يستأنسون
 اليكم، قال قلت: فاي شيء نقول: اذا اتيناهم، قال: قل اللهم جاف الارض
 عن جنوبهم و صاعد اليك ارواحهم و لقهم منك رضوانا، و اسكن اليهم [منهم]
 من رحمتك ما تصل به و وحدتهم، و تونس به و حشتهم، أنك على كل شيء
 قدير (ج ٣، ح ١٢، ص ٥٣٠).

و ثالثها بهذا العنوان، و فيه روايات، منها فيه بسنده عن اسحق بن عمار عن
 ابي الحسن - عليه السلام - قال: قلت: له المؤمن يعلم بمن [من] يزور قبره
 قال: نعم [و] و لا يزال مستأنساً به مادام [زال] عند قبره فاذا قام و انصرف
 من [عن] قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة (ج ٣، ح ١٤، ص ٥٣٠).

و رابعها بهذا العنوان، و فيه روايات، منها فيه بسنده عن عثمان بن عيسى عن
 رجل عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: اذا زرتم موتاكم قبل طلوع
 الشمس سمعوا و اجابوكم و اذا زرتموهم بعد طلوع الشمس سمعوا و لم
 يجيبوكم (ج ٣، ح ٣٩، ص ٥٣٦).

و خامسها بهذا العنوان، و فيه روايات، منها فيه عن داود الرقي قال: قلت لأبي
 عبد الله - عليه السلام -: يقوم الرجل على قبر ابيه و قريبه و غير قريبه هل
 ينفعه ذلك قال: نعم ان ذلك يدخل عليه كما يدخل على احدكم الهدية يفرح

→ بها (ج ٣، ح ٧، ص ٥٢٩).

و سادسها بهذا العنوان، وفيه روايات، منها فيه بسنده عن صفوان الجمال قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - يخرج في ملاء من الناس من اصحابه كل عشية خميس الى بقيع المدينة فيقول السلام عليكم يا اهل الديار ثلاثاً رحكم الله ثلاثاً (ج ٣، ح ١٩، ص ٥٣١).

و سابعها بهذا العنوان، وفيه روايات، منها فيه بسنده عن محمد بن احمد بن يحيى قال: كنت بفيد فشتيت مع علي بن بلال الى قبر محمد بن اسمعيل بن بزيع، قال: فقال لي: علي بن بلال، قال لي: صاحب هذا القبر، عن الرضا - عليه السلام - من اتى قبر اخيه، من اي ناحية يضع يده، و يقرء انا انزلناه في ليلة القدر سبع مرات، امن [من] يوم الفزع الاكبر (ج ٣، ح ١، ب ٢، ص ٥٣٧) و لا يخفى انه يستفيد من جميع هذه الاخبار ان الاموات مطلقاً كانوا احياء، و يعرفون زوارهم، و يفرحون من زيارتهم، و يأمنون بهم و يسترحشون من انصرافهم. و ان زوارهم ان كانوا قبل طلوع الشمس اجابوا عنهم، و يدخل اليهم بالزيارة، فرحة لهم، و لولا انهم احياء لم يجزان يخاطبوهم بكلمة الخطاب، و قراءة القران تفيد لهم و لولم يفد، الامر بها لغو عند قبورهم، فلو كان هذه الامور مخصوصة بطائفة خاصه، مع انهم معروفة لغالب الناس لابد من اضافتها بهم خاصة، و لم يشر و لو في رواية واحدة ضعيفة، الى ان هذه الاداب مخصوصة بهم، بل في جميع الاخبار، اما ان تكون بلفظ العموم، او بمنزلة او

من تلك الأبوبة، وإلى الآن ما سردنا عليك من الأخبار هي، جلّ ما روت أصحابنا في أخبار عالم البرزخ، والظاهر أنّه لا خلاف بين المسلمين في عذاب القبر و ثوابه، بل العقاب و الثواب في عالم البرزخ إلى يوم القيمة، كما تستفاد من أخبار صحاح العامة وغيرها.

منها في صحيح البخاري بسنده عن عبد الله عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، قال: إن أحدكم، إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى القيامة^(١).

ومنها فيه بسنده عن صالح حدثني نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: أطلع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فقليل له اتدعوا أمواتاً، فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون^(٢).

ومنها في صحيح المسلم بسنده عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال: قال نبي الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، أنّه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتيه ملكان فيقولان له

→ بلنظ المطلق، ونحو ذلك كما عرفت ممّا في بعض أبواب المقدمة فلا يجوز رفع اليد عنها بواسطة الأخبار المعدودة المزبورة كما عرفت.

١ - الجزء الثاني، ب ما جاء في عذاب القبر، ص ١٠٣

٢ - الجزء الثاني، ب ما جاء في عذاب القبر، ص ١٠١ وقد أورد محمّد البخاري في هذا الباب خمسة عشر حديثاً آخر، فراجع.

ما كنت تقول في هذا الرجل، قال: فاما المؤمن فيقول: انه عبد الله و رسوله قال: فيقال له: انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعداً من الجنة، قال نبي الله - صلى الله عليه و آله و سلم - : فيراها جميعاً قال قتادة: و ذكر لنا انه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً و يملأ عليه خضراً الى يوم يبعثون^(١).

ومنها في المستدرک على الصحيحين بسنده الواصل الى ابن طائوس عن ابيه انه كان يقول بعد التشهد كلمات كان يعظمهن جداً قلت: في الثنتين كلاهما، قال: بل في المثني الآخر بعد التشهد، قلت: ما هو؟ قال: اعوذ بالله من عذاب جهنم، و اعوذ بالله من عذاب القبر، و اعوذ بالله من شر المسيح الدجال، و اعوذ بالله من فتنة المحيا و الممات، قال: و كان يعظمهن، قال ابن جريج: اخبرني عبد الله بن طائوس عن ابيه عن عائشة عن النبي - صلى الله عليه و آله و سلم -^(٢) و لا بأس بذكر حديث تطفلاً و رغماً لما هو دأب الوهايين الذين في حال الحاضر سلطة الحجاز لهم، و هو ما رواه الحاكم بسنده الصحيح الذي اذعن بصحته الحافظ الذهبي ايضاً عن عبد الله بن ابي مليكة ان عائشة اقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا ام المؤمنين من اين اقبلت، قالت من قبر اخي عبد الرحمن بن ابي بكر،

١ - الجزء الثامن، ب عرض مقعد الميت من الجنة او النار، ص ١٦١ و اورد مسلم في

هذا الباب احد عشر حديثاً آخر، فراجع.

٢ - ج ١، كتاب الجنائز، ص ٣٧٩ و قد اورد الحاكم في هذا الباب اربعة و احاديث

آخر متفرقة.

فقلت لها: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نهى عن زيارة القبور قالت نعم، كان نهى، ثم امر بزيارتها^(١) وقد اورد احاديث كثيرة على هذا المنوال.

قال الصدوق «ره»: اعتقادنا في النفوس^(٢) انتهاء هي الارواح التي بها تقوم الحياة والخلق الاول لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ان اول ما ابدع الله سبحانه هي النفوس المقدسة المطهرة فانطقها بتوحيده ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه.

واعتقادنا فيها انتهاء خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وانما تنقلون من دار الى دار وانتهاء في الارض غريبة وفي الابدان مسجونة. واعتقادنا فيها انها اذا فارقت الابدان فهي باقية، منها منعمة، ومنها معذبة، الى ان يردّها عز وجل بقدرته الى ابدانها، وقال عيسى بن مريم - عليه السلام - للحواريين بحق اقول لكم، انه لا يصعد الى السماء الا ما نزل منها، وقال الله جلّ ثنائه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فالمراد منها الى الملكوت بقى يهوى في الهاوية وذلك ان الجنة درجات، والنار درجات، وقال عز وجل: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْصَدٍ صَدَقَ عِنْدَ مُلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

امواتاً، بل احياء عند ربهم يرزقون ﴿فرحين﴾ الى آخره، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ الى آخره. وقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: الارواح جنوده مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وقال الصادق - عليه السلام -: ان الله آخا بين الارواح في الاظلة قبل ان يخلق الابدان بالفي عام، فلو قد قام قائمنا اهل البيت، لورث الاخ الذي آخا بينها في الاظلة، ولم يرث الاخ من الولادة. وقال الصادق - عليه السلام -: ان الارواح لتلتقي في الهواء، فتعارف وتسائل، فاذا اقبل روح من الارض فقالت الارواح دعوه، فقد افلتت من هول عظيم، ثم سألوه ما فعل فلان وما فعل فلان، فكلما قال: قد بقي رجوه ان يلحق بهم، وكل ما قال، قدمات، قالوا هوى هوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غُضْبِي فَقَدْ هَوَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ، نَارُ حَامِيَةٍ﴾، ومثل الدنيا وصاحبها، كمثل البحر والملاح والسفينة، وقال لقمان لابنه: يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير، واجعل سفينتك فيها الايمان بالله عز وجل واجعل زادك فيها تقوى الله، واجعل شراعها التوكل على الله، فان نجوت فبرحمة الله، وان هلكت فبذنوبك، لامن الله، واشد ساعات ابن آدم ثلث ساعات، يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حياً، وقد سلم الله على يحيى في هذه الساعات، فقال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، وقد سلم فيها عيسى على نفسه فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ، وَيَوْمَ أَمُوتُ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

والاعتقاد في الروح انه ليس من جنس البدن وانه خلق آخر لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا خَلْقًا آخَرَ﴾.

واعتقادنا في الانبياء والرسل والائمة - عليهم السلام - ان فيهم خمسة ارواح روح القدس، وروح الايمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح المدرج و في المؤمنين اربعة ارواح، روح الايمان وروح القوة وروح الشهوة وروح المدرج، وفي الكافرين والبهائم ثلاثة ارواح، روح القوة وروح الشهوة وروح المدرج، واما قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، فأنه خلق اعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ومع الملائكة، ومع الائمة، وهو من الملكوت، وانا اصنف في هذا المعنى كتاباً اشرح فيه معاني هذه الجمل^(١).

١ - قال الشيخ المفيد ابو عبد الله «رد» في شرح كلمات الصدوق «رد»: كلام ابي جعفر في النفس والروح، على مذهب الحنابلة دون التحقيق ولو اقتصر على الاخبار. ولم يتعاط ذكر معانيها، كان اسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه، اما النفس فعبارة عن معان:

احدها: ذات الشيء والآخر [الثاني] الدم السائل، والآخر [الثالث] النفس الذي هو الهواء، والرابع الهوى وميل الطبع، فاما شاهد المعنى الاول، فهو قولهم هذا نفس الشيء، اي ذاته وعينه، وشاهد الثاني قولهم كلما كانت له نفس سائلة، فحكمه كذا وكذا، وشاهد الثالث قولهم فلان هلكت نفسه اذا انقطع نفسه، ولم يبق في جسمه [نفسه] هواء يخرج من جوانبه، وشاهد الرابع، قول

→ الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف، ٥٣) يعني الهوى دافع الى القبيح، وقد يعبر بالنفس عن النقم قال الله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران، ٢٩) يريد به نقمه وعقابه، فاما الروح، فعبارة عن معان، احدها الحياة، والثاني القران، والثالث ملك من ملائكة الله تعالى، والرابع جبرئيل - عليه السلام -، فشاهد الاول، قولهم كلّ ذي روح فحكه كذا وكذا، يريدون كلّ ذي حيوة، وقولهم في من مات قد خرجت منه الروح، يعنون به الحيوة، وقولهم في الجنين صورة لم تلجه الروح، يريدون لم تلجه الحيوة. وشاهد الثاني، قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً، مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى، ٥٢) يعني به القران.

و شاهد الثالث، قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (الآية، النبأ، ٣٨). وشاهد الرابع، قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ (النحل، ١٠٢) يعني جبرئيل - عليه السلام -، فاما ما ذكره ابو جعفر «ره»، و رواه ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد بالقي عام، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها ما اختلف، فهو حديث من احاديث الآحاد و خبر من طرق الافراد وله وجه غير ما ظنّه، من لاعلم له بحقائق الاشياء، وهو انّ الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بالقي عام فما تعارف منها، قبل خلق البشر [اذ ذك] ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منها، اذ ذاك اختلف بعد خلق البشر، (قال المصنف قدس الله نفسه اعني المفيد «ره» في ضمن جواب المسئلة الثانية من المسائل السروية: فاما الخبر بانّ الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد بالقي عام فهو من اخبار

→ الآحاد. وقد روته العامة كما روته الخاصة، وليس مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحته و أنما نقله رواته، لحسن الظن به و أن ثبت القول، فالمعنى فيه، أن الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح فالخلق للأرواح قبل الأجساد. خلق تقدير، في العلم كما قدمناه، و ليس بخلق لذواتها كما وصفناه، و الخلق لها بالاحداث و الاختراع، بعد خلق الأجسام، و الصور التي تدبرها الأرواح، و لولا أن ذلك كذلك، لكانت الأرواح تقوم بانفسها، و لا تحتاج الى آلات تعملها [تعلقها] و لكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجسام، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، و هذا محال لاخفاء بفساد، و أما الحديث بأن الأرواح جنوده مجتدة، فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه، أن الأرواح التي هي الجواهر البساطط، تتناصر بالجنس، و تتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرأي و الهوى ائتلف، و ما تناكر منها بمباينته في الرأي و الهوى اختلف، و هذا موجود حساً و مشاهداً و ليس المراد بذلك، أنما تعارف منها في الذرّ، ائتلف كما يذهب اليه الحشوية كما يتّاه [لمايناه] من أنه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم، و لو ذكر بكلّ شيء ما ذكر ذلك، فوضح بما ذكرناه أن المراد بالخبر ما شرحناه، و الله الموفق للصواب، تصحيح الاعتقاد. ذيل ص ١٧٩ (المسائل السروية التي سئلها عنه السيد الشريف الفاضل بسارية مازندران) (تمتة كلام المفيد«ره» في شرح كلام أبي جعفر«ره»

و ليس الامر كما ظنّه اصحاب التناسخ و دخلت الشبهة فيه على حشوية الشيعة فترهوا أن ذوات الفعالة المأمورة المنهية كانت مخلوقة في الذرّ قال

→ المفيد قدہ فی ضمن جواب المسئلة الثانية من الاسئلة السروية مانصہ: و اما الحديث في اخراج الذرية من صلب آدم - عليه السلام - على صورة الذر فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف الفاظ معانيه والصحيح انته اخرج الذرية من ظهره كالذر فملأهم الاق و جعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة و على بعضهم ظلمة لا يشوبها نور و على بعضهم نوراً و ظلمة فلما رأهم آدم عجب من كثرتهم و ما عليهم من النور و الظلمة فقال: يا رب ما هؤلاء فقال الله عز وجل: هؤلاء ذريتك يريد تعريفه كثرتهم و امتلاء الافاق بهم و ان نسله يكون في الكثرة كالذر الذي راہ ليعرفه قدرته و يبشره باتصال نسله و كثرتهم فقال آدم - عليه السلام -: يا رب ما لي ارى على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة و على بعضهم ظلمة لا يشوبها نور و على بعضهم ظلمة و نوراً فقال تبارك و تعالى: اما الذين بهم النور بلاظلمة فهم اصفيائي في ولدك الذين يطيعوني و لا يعصون في شيئي من امري فاولئك سكان الجنة و اما الذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور فهم الكفار من ولدك الذين يعصوني و لا يطيعون في شيئي من امري فاولئك الذين حطب جهنم و اما الذين عليهم نور و ظلمة فاولئك الذين يطيعوني من ولدك و يعصوني يخلطون اعمالهم السيئة باعمال حسنة فاولئك امرهم التي ان شئت عذبتهم فبعد لي و ان شئت عفوت عنهم بتنفضي فانبا الله بما يكون من ولده و شبههم بالذر الذي اخرجهم من ظهره و جعله علامة على كثرة ولده و يحتمل ان يكون ما اخرجهم من ظهره اصول اجسام ذريته دون ارواحهم، و انما فعل الله ذلك ليدل آدم - عليه السلام - على العاقبة منه، و يظهر له من قدرته و سلطانه، و من عجائب صنعته و علمه بالكائن، قبل كونه ليزداد آدم - عليه السلام - يقيناً بربه و يدعوه

→ ذلك الى التوفير على طاعته، و التمسك بأوامره و الاجتناب لزواجره، و أما الاخبار التي جاءت بان ذرية آدم - عليه السلام - استنطقوا في الذر فنطقوا فاخذ عليهم العهد، فافترؤا فهي من اخبار التاسخية و قد خلطوا فيها و مزجوا الحق بالباطل، و المعتمد من اخراج الذرية ما ذكرناه بما يستمر القول به على الادلة العقلية و الحجج السمعية دون ما عدها و إنما هو تخليط لا يثبت به اثر على ما وصفناه، تصحيح الاعتقاد، ذيل ص ١٨٠) (تمت كلام المفيد «ره» في شرح كلام ابي جعفر «ره»)

و تتعارف و تعقل و تفهم و تنطق ثم خلق الله لها اجساداً من بعد ذلك فركبها فيها و لو كان ذلك كذلك، لكننا نعرف ما كنا عليه و اذا ذكرنا به ذكرناه، و لا يخفى علينا الحال فيه، الا ترى ان من نشأ يولد من البلاد، فاقام فيه حولاً ثم انتقل الى غيره، لم يذهب عنه علم ذلك و ان خفي عليه لسهوه عنه، فذكر به، ذكره، و لولا ان الامر كذلك لجاز ان يولد انسان متاً ببغداد و ينشأ بها، و يقيم عشرين سنة فيها، ثم ينتقل الى مصر آخر فينسى حاله ببغداد، و لا يذكر منها شيئاً، و ان ذكر به و عُدَّ عليه علامات حاله و مكانه و نشوه، انكرها، و هذا ما لا يذهب اليه عاقل، و ما كان ينبغي لمن لا معرفة له بحقائق الامور ان يتكلم فيها، على خطب عشواء (قال - قدس سره - في ضمن جواب المسئلة الاولى من المسائل العكبرية: ان قيل ان اشباح آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم سبق وجودها وجود آدم فالمراد بذلك ان امثلتهم في الصور كانت في العرش فرأها آدم و سئل عنها فاخبره الله انها امثال صور من ذريته شرفهم بذلك و عظمهم به، فاما ان يكون

→ ذواتهم - عليه السلام - كانت قبل آدم موجودة فذلك باطل بعيد عن الحق لا يعتقد محصل، ولا يدين به عالم، وإنما قال: به طوائف من الغلاة الجهال والحشوية من الشيعة، الذين لا بصيرة لهم بمعاني الاشياء وحقيقة الكلام، وقد قيل ان الله تعالى كان قد كتب اسمائهم في العرش ورآها آدم وعرفهم بذلك، وعلم ان شأنهم عند الله عظيم، واما القول بان ذواتهم كانت موجودة قبل آدم فالقول في بطلانه ما قدمناه الى آخره

و قال في ضمن جواب المسئلة المتممة للخمسين فصل: وقوله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد مبعوثاً ولم يزل نبياً فانه مجمل من المقال وباطل فيه، على حال، فان اراد بذلك انه لم يزل في الحكم مبعوثاً في العلم نبياً فهو كذلك، وان اراد انه لم يزل موجوداً في الازل ناطقاً رسولاً، وكان في حال ولادته نبياً مرسلأ كما كان بعد الاربعين من عمره فذلك باطل، لا يذهب اليه الا ناقص غيبي، لا يفهم عن نفسه ما يقول، والله المستعان وبه التوفيق، تصحيح الاعتقاد، ذيل ص ١٨٢ (نعمه كلام المفيد «ره» في شرح كلام ابي جعفر «ره»)

والذي صرح به ابو جعفر «ره» في معنى الروح والنفس هو قول التناسخية، بعينه من غير ان يعلم انه قولهم، فالجناية بذلك على نفسه، وعلى غيره عظيمة فاما ما ذكره من ان الانفس باقية، فعبارة مذمومة ولفظ يضاد الفاظ القران، قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ﴾ (الرحمن، ٢٦) والذي حكاه و توهبه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحددين، الذين زعموا ان النفس لا يلحقها الكون والفساد وانتهى باقية، وانما

→ تنفى و تفسد الأجسام المركبة، و الى هذا ذهب بعض اصحاب التناسخ و زعموا ان الانفس لم تزل تتكرر في الصور و الهياكل، لم تحدث و لم تنف و لن تعد، و انتها باقية غير فانية و هذا من اخبث قول و ابعده من الصواب، و بما دونه في الشناعة و الفساد شنع به الناصبة على الشيعة و نسبوه الى الزندقة و لو عرف مثبته بما فيه لما تعرض له لكن اصحابنا المتعلقين بالاخبار اصحاب سلامة و بعد ذهن و قلة فطنة يمزون على وجوههم فيما سمعوه، من الاحاديث، و لا ينظرون في سندها، و لا يفرقون بين حقها و باطلها، و لا يفهمون ما يدخل عليهم في اثباتها، و لا يحصلون معاني ما يطلقونه منها، و الذي ثبت من الحديث في هذا الباب ان الارواح بعد موت الاجساد على ضربين، منها، ما ينقل الى الثواب و العقاب،

و منها، ما يبطل فلا يشعر بشواب و لاعقاب، و قد روى عن الصادق عليه السلام - ما ذكرناه في هذا المعنى و يساه، فسل عن مات في هذه الدار، اين تكون روحه، فقال: من مات و هو ماحض للايمان محضاً او ماحض للكفر محضاً، تنقلت روحه من هيكله الى مثله في الصورة، و جوزى باعماله الى يوم القيمة، فاذا بعث الله من في القبور انشأ جسمه و رد روحه الى جسده و حشره، ليوقيه اعماله، فالؤمن ينتقل روحه من جسده الى مثل جسده في الصورة، فيجمل في جنة من جنات الله يتنعم فيها الى يوم الماب، و الكافر ينتقل روحه من جسده الى مثله، بعينه فتجمل في نار و يعذب بها الى يوم القيمة، و شاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿قِيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون

→ بما غفر لي ربِّي ﴿يس، ٢٦﴾

و شاهد ما ذكرناه في الكافر، قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً و
عشيّاً﴾ (المؤمن، ٤٦)

فاخبر سبحانه ان مؤمناً قال بعد موته: ﴿وقد ادخل الجنة يا ليت قومي
يعلمون﴾، واخبر ان كافراً يعذب بعد موته غدواً وعشيّاً و يوم تقوم الساعة
يخلد في النار، والضرب الآخر يلهي عنه و تعدم نفسه عند فساد جسمه،
فلا يشعر بشيء حتى يبعث، وهو من لم يحض الايمان محضاً ولا الكفر محضاً، و
قد بين الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا
يوماً﴾ (طه، ١٠٤) فيبين ان قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور،
حتى يظن ان ذلك عشر ايام يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشراً، (طه، ١٠٣) و يظن
بعضهم ان ذلك كان يوماً، وليس يجوز ان يكون ذلك عن وصف من عذب الى
بعته، او نعم الى بعته، لان من لم يزل متعماً او معذباً، لا يبجل عليه حاله، فيما
عومل به و لا يلتبس عليه الامر في بقائه بعد وفاته، وقد روي عن ابي عبد الله
- عليه السلام - انه قال انما يسئل في قبره من محض الايمان محضاً او محض
الكفر محضاً فاما ما سوى هذين فانه يلهي عنه، و قال - عليه السلام - في
الرجعة انما يرجع الى الدنيا عند قيام القائم - عليه السلام - من محض الايمان
محضاً او محض الكفر محضاً، فاما ما سوى هذين فلا رجوع بهم، الى يوم المآب،
انتهى كلامه. (تصحیح الاعتقاد، ص ١٧٨-١٨٨)

و نقل المجلسي «ره» نفس ذلك عنه بعد نقل كلام الصدوق «ره» في الموضعين،

→ من البحار (ج ٦، ص ٢٥١ وج ٦١، ص ٧٩) ولا يخفى أن للنفس كما قيل معنى آخر، يستعمل كثيراً في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾، وقوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ الْهَوَىٰ﴾، وكقول عليّ - عليه السلام - من عرف نفسه فقد عرف ربه، كما أن للروح معنى آخر، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، وقوله: ﴿وَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾، وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، وهو الذي يسمّى بالنفس الناطقة والروح الانساني، وهو جوهر مجرد ومدرك للكليات والمعقولات هذا ما علق بعض المحشين على البحار (ج ٦، ص ٢٥١)

اقول: ان للنفس مراتب صعوداً ونزولاً وكذا لها اعتبارات، فما من النفس مهبذة ومتصفة به بعض الملكات الحميدة، تسمى النفس باعتبار تلك الملكة بكذا وكذا، وهكذا الكلام في جانب انصافها بالملكات الرزيلة، فاطلاق النفس على النفس المطمئنة، واللّوامة، والامارة، ونحوها، كما ترى في كلام المفيد «ره» وبعض المحشين ليست من الاطلاقات على معان متعددة حقيقة كما هو واضح، اذ مع عدم هذه القيود لم تكن ظاهرة فيها وكذا استعمالها بحسب الاعتبارات الأخر ايضاً كاطلاقها على النفس السائلة كان بواسطة بعض الاعبارات لا غير واما اطلاقه «ره» النفس بمعنى المعهود على النَّفْسِ بالحريك بمعنى الهواء كان ذلك من سهو قلمه «ره» لأنَّ انقطاع النَّفْسِ بالحريك وان كان مورثاً لهلاكه النَّفْسِ اى ذات الشخص ولكن لا يكون ذلك

اقول: ملخص ما يستفاد من كلام المفيد «ره» الذي نقلناه في ذيل الصحيفة، في شرح كلام الصدوق «ره»، بعد نقل المعاني للنفس والروح و ايراد شواهدا من الآيات والاعبار، واوردنا بعد نقل كلامه، بعض ما عليه، في ذيل الصحيفة، انه - قدس سره - انكر خلق الارواح قبل الاجساد، وقال انه حديث من طرق الاحاد^(١) وحمل خلق

→ اعني هلاكة النّفس مبين لمعنى الاول بل هو نفسه و عينه و اما انقطاع النّفس بالتحريك كان مبيناً للنّفس بمعنى المعهود فعلى هذا لا يصحّ عدّ ذلك في جملة معاني النّفس فليتنظّن ما في كلامه «ره» و لا تغفل.

١ - الاخبار في ذلك الباب متظافرة، بل متواترة، من حيث المجموع، و سيأتي ان كثيرها صحاح و حسان و غيرها، منها، في البحار عن الاختصاص بسنده عن الاصغر بن نباته قال: كنت مع امير المؤمنين - عليه السلام - خفاته رجل فسلم عليه، ثم قال: يا امير المؤمنين انّى و الله لا حبك في الله و احبك في السر كما احبك في العلانية، و ادين الله بولايتك في السر كما ادين بها في العلانية، و بيد امير المؤمنين عود، فطأ رأسه ثم نكت بالعود ساعة في الارض، ثم رفع رأسه اليه، فقال: ان رسول الله حدثنى بالف حديث لكلّ حديث الف باب، و ان ارواح المؤمنين تلتقى في الهواء فتشتمّ و تتعارف، فما تعارف منها انتلف، و ما تناكر منها، اختلف، و بحقّ الله لقد كذبت، فما اعرف في الوجوه وجهك، و لا اسمك في الاسماء، ثم دخل عليه رجل آخر، فقال: يا امير المؤمنين انّى لا احبك في الله و احبك في السر كما احبك في العلانية، قال: فنكت الثانية بعوده في الارض، ثم رفع رأسه اليه فقال: له صدقت، ان طينتنا طينة مخزونة اخذ الله

الارواح^(١) على خلق الملائكة، وائتلاف الارواح حمل على ائتلاف الملائكة عند خلق البشر، و ما لم يتعارف منها، حمل على اختلافهم بعد خلق البشر، زعما ان ذلك مذهب التناسخ^(٢) و استبعد عالم الارواح،

→ ميثاقها من صلب آدم، فلم يشدّ منها شاذ، و لا يدخل فيها داخل من غيرها، اذهب فاتخذ للفقر جلباباً، فاني سمعت رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - يقول: يا علي بن ابي طالب، و الله الفقر اسرع الى محيينا من السيل الى بطن الوادي (ج ٦١، ب ٤٣، ح ٧، ص ١٣٤).

و منها فيه عن البصائر بسنده عن عبارة قال: كنت عند امير المؤمنين - عليه السلام - اذا قبل رجل فسلم عليه، ثم قال: يا امير المؤمنين و الله لا حبك فساله ثم قال: له ان الارواح خلقت قبل الابدان بالفي عام ثم اُسكنت الهواء، فما تعارف منها ائتلف هيناً، و ما تناكر منها اختلف هيناً، و ان روى انكر روحك (ج ٦١، ب ٤٣، ح ٢، ص ١٣١).

و منها (ح ١ و ٣ و ٤ و ٥ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦) و غيره من تلك الباب و ما يؤل الى مفاد ذلك الباب، هو ما رواه في الكافي من الاخبار في باب خلق ابدان الائمة و ارواحهم (ح ١ و ٢ و ٣ و ٤، ج ١، ص ٣٨٩).

١ - و لكنه - قدس سره - في ضمن جواب المسئلة من المسائل السروية التي ذكرناها في (صحيفة ٥٤٨)، حمل خلق الارواح قبل الاجساد على خلق تقديرى، اعني انه تعالى قدر الارواح في علمه قبل اختراع الاجساد، لاجل عدم الذكر لما مضى من تلك الاحوال، و ذلك الحمل مناف لما ذكر في شرح كلمات الصدوق «ره».

٢ - اراد - قدس سره - بها، من كان منهم القائلون بقدم الارواح و النفوس.

لاجل عدم الذكر في الحال مطلقاً، من احوال تلك الزمان شيئاً، ثم ذكر ان الانفس الباقية منافية و مضادة للقران و هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدین، و مذهب بعض اصحاب^(١) التناسخ، و انتهم زعموا انّ الانفس لم تنزل تتكرر في الصور، و قال - قدّس سرّه -: سمعوه من الاحاديث، و لا ينظرون في سندها^(٢) و بعد ذلك قد قسم الارواح

١ - اشار بذلك الى من كان منهم القائلون بأنّ الروح بعد الموت انتقل الى بدن انسان آخر تسمى باصحاب التناسخ، و القائلين بأنّه بعد الموت انتقل الى حيوان غير الناطق تسمى بالمسوخية، و القائلين بانتقاله بعد الموت الى جسم نباتي تسمى بالفسوخية، و القائلين بانتقاله بعد الموت الى جسم جمادي، تسمى بالرسوخية، هذا هو المعروف و المشهور من مذاهبهم و قد نقل مذهب آخر، و هو رأى القائلين بالانتقال صعوداً اي انتقال روح (و قال الشاعر الفارسي:

وز جمادی مردم و نامی شدم وز نما مردم ز حیوان سر زدم
(الى قسوله)

بار دیگر از ملک پَران شدم آنچه در وحی ناید آن شدم
الجماد الى النبات و روحه الى الحيوان، و روحه الى الانسان، و سيأتي بطلان هذه المذاهب و للاطلاع على جميع الاراء و المذاهب و البرهان على بطلانه و ما يتعلق به فارجع (الاسفار، ج ٩، من ص ٢، الى ٥٦).

٢ - و لكن بعد النظر في سند بعض اخبار الباب تجد ان هذا الكلام لا اساس له، مثل ما في الكافي بسنده الحسن، محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن ابن

→ محبوب، عن ابن رناب، عن بكير بن اعين، قال: كان أبو جعفر - عليه السلام - يقول: إنَّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا، وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالاقرار له بالربوبية، ولمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بالنبوة، و عرض الله جلّ وعزّ على محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أمّته في الطين، وهم اظله وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله ارواح شيعتنا قبل ابدانهم بالفي عام، و عرضهم عليه، وعرفهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعرفهم علياً ونحن نعرفهم في لحن القول (ج ١، ب فيه تنف وجوامع، ح ٩، ص ٤٣٧)

و ما فيه ايضاً بسنده الصحيح، محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصحاف، قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن قوله: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ (التغابن، ٣) فقال: عرف الله عزّ وجلّ ايمانهم بمولاتنا، وكفرهم بها يوم أخذ عليهم الميثاق، وهم ذرّ في صلب آدم، و سأله عن قوله عزّ وجلّ: ﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فأنّا على رسولنا البلاغ المبين﴾ (التغابن، ١٢) فقال: اما والله ما هلك من كان قبلكم، و ما هلك من هلك، حتّى يقوم قائمنا - عليه السلام - الآ في ترك ولايتنا، و جحود حقنا، و ما خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من الدنيا حتّى الزم رقاب هذه الامة حقنا، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (ج ١، ب فيه نكت و تنف، ح ٧٤، ص ٤٢٦). و منها فيه بسنده الحسن عن الحسن بن نعيم قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فمنكم مؤمن و

على قسمين ضرب ينعم، و يعذب الى يوم القيامة، اما ما ينعم فهو مؤمن
ماحض، و ينتقل روحه الى مثل جسده في الصورة، و يستنعم في جنان
الدنيا الى يوم الماب، واما ما يعذب فهو كافر محض، و ينتقل روحه من
جسده الى مثله و يجعل في النار الى يوم القيمة، و ضرب الآخر يلهمي
عنهم و يعدم و لا يشعر بشيء، حتى يبعث، و ايد كلامه بقوله تعالى و
صرح في آخر كلامه، ان المنعم و المعذب هو الروح الجوهر البسيط.
واقول: ان كلامه - قدس سره - في شرح كلام الصدوق «ره» مشتمل
على عدة نقاط.

النقطة الاولى انه «ره» انكر خلق الارواح قبل الاجساد، و قال: انه من
طرق الآحاد، و حمله على خلق الملائكة، تارة، و في بعض كلامه في محط
آخر على خلق التقديري، كما نقلنا عنه في ذيل الصحيفة ففيها انه قد ظهر
من مطاوي ما ذكرناه من نقل الاخبار انه ليس من طرق الآحاد بل
انها متواترة جداً، مع اشتغالها على الصحاح و الحسان و نحوها، فلا مجال
لحملها على خلق الملائكة او الخلق التقديري كما هو واضح.

→ منكم كافر فقال: عرّف الله ايمانهم بولايتنا و كفرهم بها يوم اخذ الميثاق
في صلب آدم - عليه السلام - و هم ذرّ (ح ٤) من هذا الباب و هذا الحديث
بناءً على عوده به عالم الارواح و كذا الحديث السابق كان مربوطاً بما نحن فيه و
نظيره كثير في باب طينة المؤمن و باب فطرة الخلق و غيره أنها حسان و
صحاح و ثقات بالغة الى تسعة احاديث و عودها اليها ليس به بعيد فتأمل
جيداً.

النقطة الثانية أنه - قدس سره - زعم أن ذلك مورث لتثيبت مذهب اصحاب التناسخ، اعني من اعتقد منهم بقدم الارواح ففيها ان مجرد خلق الارواح قبل الاجساد، لا يورث ذلك، حيث ان المفروض هو خلقها قبل اجسامهم و هو ملازم لحدوثهم، ومضادة لقدمهم، وذلك ليس من مذهب اهل التناسخ، بمعنى المزبور قطعاً كما هو ظاهر.

النقطة الثالثة الاستبعاد لهذه الخلقة، لاجل عدم الذكر لاحوال تلك الزمان ففيها اولاً أنه ليس بمستبعد اذ يمكن ان الارواح^(١) في تلك الاوقات، قد تعلق بنحو من الغالب المثالي الذي لم يكن من سنخ هذا العالم المادي، وعدم الذكر كان لهذه الجهة اعني ان آلاته في تلك الاوقات كان غير هذه الآلات المادي، و ثانياً يمكن ذلك لاجل بعض الوجوه

١ - قال العلامة المجلسي «ره» في هذا المورد.

اقول: قيام الارواح بانفسها او تعلقها بالاجساد المثالية ثم تعلقها بالاجساد العنصرية مما لا دليل على امتناعه، و اما عدم تذكر الاحوال السابقة فلعله لتقلبها في الاطوار المختلفة، او لعدم القوى الدينية، او كون تلك القوى قائمة بما فارقت من الاجساد المثالية، او لذهاب الله تعالى تذكر هذه الامور عنها، لنوع من المصلحة كما ورد ان الذكر والنسيان من صنعه تعالى، مع ان الانسان لا تذكر كثيراً من احوال الطفولية والولادة، والتأويل الذي ذكره للحديث في غاية البعد، لاسيما مع الاضافات الواردة في الاخبار المتقدمة (البحار، ج ٦١، ص

الأخر مما احتمل بعض مهرة^(١) الفن و مما سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى.

النقطة الرابعة عدّ بقاء الانفس الباقية مضادة للقران، و زعم ان ذلك هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحددين، و بعض اهل التناسخ، ففيها اولاً أنت لا ينافي بقائها بعد الموت، لما ورد في كتاب الله العزيز اعني، كل من عليها فان، و نحوها اذ الفناء عبارة عن صيرورة الشيء عن حيز الانتفاع، و كان بمثابة قوله تعالى: ﴿اذالسماء انفطرت و اذ الكواكب انتثرت﴾، و قوله تعالى: ﴿اذالسماء كسحت﴾ و قوله تعالى: ﴿اذالشمس كورت﴾ و

١ - قال العلامة المجلسي «ره» فيه ايضاً بعد ثقل كلام المفيد «ره»، بهذا البيان و اقول اما تشييعه على الصدوق رحمه الله، بالقول بسبق الارواح، فيأتي في كتاب السماء و العالم اخبار مستفيضة في ذلك، و لاستبعاد فيه، و لم يقم برهان تام على نفيه، و ما ذكره من انه لا بد ان يذكر الانسان تلك الحالة، فغير مسلم، مع بعد العهد و تخلل حالة الجنينية و الطفولية، و غيرها بينها و لاستبعاد في ان ينسبه الله تعالى، ذلك لكثير من المصالح مع انا لا نذكر اكثر احوال الطفولية، فاي استبعاد في نسيان ما قبلها، و اما القول به بقاء الارواح، فقال رحمه الله: به في بعضها فاي استبعاد في القول بذلك في جميعها، و ما ذكره من الاخبار لا يدل على فناء الارواح الملهو عنهم، بل على عدم اثابتها و تعذيبها، و ان كان الطعن على الصدوق في انه يتضمن كلامه انه لا يفنى الله الارواح في وقت من الاوقات، فليس كلامه مصرحاً بذلك، مع ان في افنائها ايضاً كلاماً، سيأتي في موضعه، انتهى كلامه. (ج ٦، ب ٨، ص ٢٥٥).

نحوها، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في آخر مباحث البرزخ.
 وثانياً أنته - قدس سره - قد اعترف به بقاء الروح بالنسبة الى طائفة
 خاصة الى يوم المآب كما صرح به ونقلت روحه الى^(١) مثله في الصورة

١ - قال الشيخ البهائي في المقام، على ما حكى عنه في مرأت العقول، لطيفة، قد
 يتوهم أن القول بتعلق الارواح بعد مفارقة ابدانها العنصرية باشباح آخر، كما
 دلت عليه الاحاديث، قول بالتناسخ، وهذا توهم سخيف، لأن التناسخ الذي
 يطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الارواح بعد خراب اجسادها باجسام
 آخر، في هذا العالم، اما عنصرية كما يزعم بعضهم، ويقسمه الى النسخ، و
 المسخ، و النسخ، و الرسخ، او فلكية ابتداءً او بعد تردها في الابدان العنصرية
 على اختلاف آرائهم الواهية، المفصلة في محلها، و اما القول بتعلقها في عالم آخر
 بابدان المثالية مدة البرزخ الى ان تقوم قيامتها الكبرى، فتعود الى ابدانها
 الاولى باذن مبدعها، اما بجميع اجزائها المتشعبة، او بايجادها من كتم العدم، كما
 انشأها اول مرة، فليس من التناسخ في شيء، وان سميته تناسخاً فلامشاحة في
 التسمية، اذا اختلف المسمى، وليس انكارنا على التناسخية، و حكنا
 بتكفيرهم، بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن الى آخر، فان المعاد الجسماني
 كذلك عند كثير من اهل الاسلام، بل يقولهم بقدّم النفوس، و تردها في اجسام
 هذا العالم، و انكارهم المعاد الجسماني، في النشأة الاخرى، قال الرازي في
 نهاية العقول، أن المسلمين يقولون بحدوث الارواح وردها الى الابدان، لافي
 هذا العالم، و التناسخية يقولون بقدّمها وردها اليها في هذا العالم، و ينكرون
 الآخرة، و الجنة و النار، و أنما كفروا من اجل هذا الانكار، انتهى موضع الحاجة

و غفل ان ذلك يرد على نفسه.

النقطة الخامسة انه - قدس سره - قد خصص الثواب و العقاب بعد الموت بطائفة خاصه ففيها قد عرفت^(١) مما ذكرناه آنفاً مفصلاً و انه

→ في المقام (ج ١٤، ص ٢٢٣) و قد نقل ذلك المجلسي (ره) عنه بعينه في البحار (ج ٦، ص ٢٧٧).

١ - اقول: مضافاً الى ما عرفت ان الشاهد القوي على ان المراد من الخبرين المذكورين ليس كما توهمه «ره» بل يمكن ان يكون المراد منها هو التفصيل الوارد في الصحيحه الكناسي التي تبين فيها حال ثلاث طوائف بعد الموت: منها متعمدة؛ و منها معذبة؛ و منها موقوفة، و يمكن ان يكون الموقوفين، هي بمن لم يحض الايمان محضاً، مع الغرض عن سائر الاحتمالات التي سبق ذكرها و عليك بامعان النظر في الصحيحه، حتى تفق بحقيقه الحال. و هي ما في الكافي بسنده الصحيح عن ضريس الكناسي قال: سألت ابا جعفر - عليه السلام - ان الناس يذكرون ان فراتنا يخرج من الجنة فكيف هو و هو يقبل من المغرب و تصب فيه العيون و الاودية قال: فقال: ابو جعفر - عليه السلام - ، و انا اسمع ان لله جنه خلقها الله في المغرب و ماء فراتكم، يخرج منها و اليها تخرج ارواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها، و تأكل منها و تتنعم فيها (الى ان) قال: و ان لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها ارواح الكفار و يأكلون من زقومها (الى ان) قال: قلت: اصلحك الله فما حال الموحدين المقربين بنبو محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - من المسلمين المذنبين الذين يموتون و ليس لهم امام و لا يعرفون و لا يتكلم فقال: اما هؤلاء فانهم في حفرتهم

لا وجد له واما تأييده بالآية^(١) لمن يلهم عنه الثواب والعقاب، اعني من لم يحض الايمان محضاً، و من لم يحض الكفر محضاً ففيه، انسه يمكن ان يكون عدم علمهم بمقدار لبثهم كان لاجل عدم طغيان عذابهم و سهولة امرهم بحيث لم يتوجهوا به طول المدة ولكن في الآية تكون احتمالات^(٢)

→ لا يخرجون منها فن كان منهم له عمل صالح و لم يظهر منه عداوة بخذله خذ الى الجنة التي خلقها الله في المعزب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته الى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته و سيئاته، فاما الى الجنة و اما الى النار، فهؤلاء موقوفون لامر الله، قال: وكذلك يفعل الله بالمستضعفين و البله و الاطفال و اولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم (الحديث، ج ٣، ب جنة الدنيا، ح ١، ص ٢٤٦) و بالجملة ان الحديث مبين لها و قريب من ذلك ما رواه القمي في تفسيره بسند الصحيح فراجع (ج ٢، ص ٢٦٠).

١ - اعني قوله تعالى: ﴿يوم ينفث في الصور و نحش المجرمين يومئذ زرقاً، يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشراً﴾، نحن اعلم بما يقولون اذ يقول: ﴿امثلهم طريفة ان لبثتم الا يوماً﴾ (طه، ١٤) و آية السابقة لها، ﴿من اعرض عنه يحمل يوم القيمة وزراً، خالد في فيه و ساء لهم يوم القيمة حملاً﴾ (١٠١)

٢ - قال الطبرسي «ره»، يوم ينفث في الصور، هو بدل من يوم القيمة و قد سبق معناه، و نحش المجرمين يومئذ زرقاً، قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الها يحشرون زرق العيون، سود الوجوه، و معنى الزرقة الخضرة في سود العين، كعين السنور، و المعنى في هذا تشويه الخلق (الى ان قال) يتخافتون بينهم، اي يتساورون بينهم، فيقول: المجرمون بعضهم لبعض، ﴿ان

آخر التي تورث الاطمينان خصوصاً بعضها على ان الآية لم تكن مربوطة بكيفية اهل البرزخ لهذه الطائفة، بل من المقطوع انتها لم تكن مربوطة بطائفة التي كان عذاب البرزخ ملهؤ عنهم على زعمه، حيث ان في الآية

→ لبثتم الا عشرًا أي ما لبثتم الا عشر ليال، عن ابن عباس و قتادة يعنى من التفخة الاولى الى الثانية و ذلك انه يكف عنهم العذاب فيما بين الفتحين و هو اربعون سنة و قيل ما لبثتم في الدنيا تنسون فيه من النار من شدة هول ذلك اليوم مدة لبثهم في الدنيا، و قيل في القبر، يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم، كانتهم كانوا نياماً، فانتبهوا و قيل انهم يقللون لبثهم في الدنيا لطول ما هم لاثبون فيه من النار، عن الحسن، ثم قال سبحانه: ﴿نحن اعلم بما يقولون﴾، اي بما يتساورون بينهم اذ يقول: ﴿امثلتهم طريقة﴾، اي اصلحهم طريقة و او فرهم عقلاً و اصوبهم رأياً و قيل اكثرهم سداداً عند نفسه، ان لبثتم يوماً، اي ما لبثتم الا يوماً في الدنيا و في القبور، انما قال ذلك، لان اليوم الواحد و العشرة اذا قوبلا بيوم القيمة و ما لهم من الايام في النار، كان اليوم الواحد اقرب اليه و هو كقوله لم يلبثوا الا عشية اوضحها، انتهى موضع الحاجة (ج ٢).

و قال المحقق الطباطبائي في تفسيره في الآية: و معنى الجملة على ما يعطيه السياق بقولون ما لبثتم في الدنيا قبل الحشر الا عشرة ايام يستقلون لبثهم فيها، بقياسه الى ما يلوح لهم من حكم الخلود و الابدية، الى آخر كلامه، فراجع (اليزان، ج ١٤، ص ٢٢٦)

اقول: و لا يخفى هذا الاحتمال اصحّ الاحتمالات و نظير تلك الآية قوله تعالى: ﴿و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾ (الروم، ٥٥).

بيان حال المجرمين المعذبين كما هو صريحها وانتهى اعم منها، ومما هو غير ماحض للايمان، هذه نقاط كلامه «ره» في شرح كلمات الصدوق «ره» وما فيها.

واقام مجمل كلامه في جواب مسألة الثانية، ان الخبر بان خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام فهو من اخبار الاحاد كما مر منه، وانكر خلقها، وعلى فرض الصحة حمل، على خلق تقديري، على خلاف ما مر منه، ولو صح ذلك لكانت الارواح تقوم بانفسها ولا تحتاج الى آلات، وحمل حديث ان الارواح جنود مجنده وائتلافها واختلافها على ان الارواح التي هي الجواهر تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرأي والهوى، ائتلف، وهكذا في جانب المباينة اختلف، على خلاف ما مضى منه، فراجع.

واقام مجمل كلامه في حديث اخراج الذر في ضمن جواب مسألة الثانية التي ذكرناها^(١) انه - قدس سره -، لم ينكر اخراج الذرية من صلب آدم - عليه السلام - على صورة الذر بشكل نوراني وظلماني، ولكن احتمل ان ما اخرج من ظهره هو اصول اجسام ذريته دون ارواحهم، وذلك ليدل آدم - عليه السلام - على العاقبة ويظهر له قدرته وسلطانه. وقال في آخر كلامه: اما الاخبار التي دلت على استنطاقهم في الذر فهي من اخبار التناسخية، ومزجوا الحق بالباطل وقال والمعتد من اخراج

الذرية ما ذكرناه.

واقامجمل كلامه في اشباح آل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كما ذكرنا^(١) عنه في ضمن جواب مسألة الاولى من المسائل^(٢) العكبرية^(٣) ان المراد بها هو امثلتهم في العرش فراها فشر فهم وعظمهم بذلك، ولم تكن ذواتاً وإنما قال به طوائف من الغلاة واجمال كلامه في فصل^(٤) تاليه، معنى ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولد مبعوثاً ولم يزل نبياً ان اراد بذلك، انه لم يزل في الحكم مبعوثاً في العلم نبياً، فهو كذلك، و ان اراد انه لم يزل موجوداً في الازل ناطقاً رسولاً، باطل لا يذهب اليه، الا ناقص غبي هذا خلاصة ما نقلنا عنها هناك.

واما ما لانقل عنه خوفاً من الاطالة فهو ما نقل^(٥) عنه العلامة

١ - في ذيل الصحيفة، ٥٥١

٢ - وهي المسائل التي سئلها الحاجب ابوالليث بن سراج وهي احدى وخمسون مسألة

٣ - عكبر: بضم العين على عشر فراسخ من بغداد.

٤ - اقول: مفاد هذه الجملات بعد التعمق فيها ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والائمة - عليهم السلام - لم تكن موجودة بالذوات في الازل، وهو رأى بعض الغلاة الجهال وغيرهم، وهذا كلام لا يفهم القائل به من نفسه ما يقول، ولا يخفى ان كلامه «قدس سره» في ذلك المقام به تلك المثابة، كان في غاية المتانة والصحة ولا يحتاج الى استناد الى البينة والبرهان.

٥ - في مرآت العقول، ج ٧، ص ٣٨ وفي ذيل صحيفة شرح تصحيح الاعتقاد، ص

المجلسي «رد» و غيره في اشباح الائمة و عالم الذر، و اما ما قال «ره» في اشباح الائمة - عليهم السلام - ففاده اجمالاً، ان الصحيح من حديث الاشباح ان رأى آدم اشباحاً على العرش فسأل الله تعالى عنها فاوحى الله انتها اشباح رسول الله، و امير المؤمنين، و الحسن و الحسين - عليهم السلام -، و فاطمة - سلام الله عليها -، و اعلمه انه لولا الاشباح التي رآها ما خلقه، و لا خلق سماء، و لا ارضاً، و ذلك تعظيم و تجليل لهم، و لم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيية و لا ارواحاً ناطقة، ثم قال في فصل تاليه: و مثل ما بشر الله به آدم بشر به في الكتب الاولى، من بعثه فقال في محكم كتابه: ﴿النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر﴾^(١)، الآية، و ايد البشارة به آيتين الأخريين. و قال في آخر كلامه: فلذلك اظهر لادم - عليه السلام - صورة شخصه و اشخاص اهل بيته و بين لهم عن محلهم و منزلتهم لديه و لم يكونوا في تلك الحال احياء ناطقين و لا ارواحاً مكلفين و اما كانت اشباحهم دالة عليهم و اما ما قال «ره» في عالم الذر^(٢)

٢ - و الاخبار الصحيحة و الحسنة و الموثقة و غيرها في ذلك المورد كثيرة منها في الكافي بسنده الموثق كالصحيح، ابو علي الاشعري و محمد بن يحيى، عن محمد بن اسماعيل، عن علي بن الحكم، عن ابان بن عثمان، عن زرارة عن ابي جعفر - عليه السلام - قال: لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان، الى ان

→ قال: ثم اخذ طيناً من اديم الارض فعركه عركاً شديداً فاذا هم كالذر يدبّون الحديث، (ج ٢، ب آخر منه وفيه زيادة، ح ١، ص ٦).
و منها فيه بسنده الحسن كالصحيح، علي بن ابراهيم، عن ابيه عن ابن ابي عمير، عن ابن اذينة، عن زرارة، ان رجلاً سأل ابا جعفر - عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وهم ذريتهم. و اشهدهم، على انفسهم الست بربكم قالوا بلى﴾، الى آخر الاية (الاعراف، ١٧٢) فقال و ابوه يسمع - عليها السلام - : حدثني ابي، ان الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم - عليه السلام - ، الى ان قال: فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذر من بينه و شماله الحديث، و هو حديث الثاني من ذلك الباب.

و منها فيه بسنده الحسن الموثق كالصحيح، علي بن ابراهيم، عن ابيه، عن احمد بن محمد بن ابي نصر، عن ابان بن عثمان عن محمد بن علي الحلبي، عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: ان الله عز وجل لما اراد ان يخلق آدم - عليه السلام - ارسل الماء على الطين، ثم قبض قبضة فعركها، ثم فرّقها فرقتين بيده، ثم ذرأهم فاذا هم يدبّون، الحديث، و هو الثالث منه.

و منها فيه بسنده الحسن، محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، و علي بن ابراهيم، عن ابيه، عن الحسن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، قال: سمعت ابا جعفر - عليه السلام - يقول: ان الله عز وجل لما اخرج ذرية آدم - عليه السلام - من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له، و بالنبوة لكل

بعد ذكر ما نقلنا^(١) عنه في فصل تاليه فان تعلق بقوله تبارك اسمه: ﴿و
 اذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على انفسهم
 الست برّبكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنّا عن هذا
 غافلين﴾^(٢) فظنّ بظاها على انطاق الذريّة و خطابهم.

فالجواب عند: انه حمل على المجاز والاستعارة و اتعب نفسه الشريف في
 ذلك، و ملخصه انه، قال: فكأنه سبحانه، لما الزمهم الحجة بعقولهم على
 حديثهم، و وجود محدثهم، قال لهم: ﴿الست برّبكم﴾، فلما لم يقدرُوا على
 الامتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم كانوا كقائلين، ﴿بلى شهدنا﴾، و
 اعتضد لذلك الجواب به آية سجدة الشمس و القمر و هي قوله تعالى:
 ﴿الم تر انّ الله يسجد له من في السموات و من في الارض و الشمس و
 القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدوابّ و كثير من الناس و كثير حقّ

→ نبي، فكان اول من اخذ له عليهم الميثاق بنبوته، محمّد بن عبد الله - صلى
 الله عليه و آله و سلّم -، ثمّ قال الله عزّ وجلّ: لآدم انظر ماذا ترى. قال: فظنر
 آدم - عليه السلام - الى ذريته و هم ذر قد ملأوا السماء، قال آدم
 - عليه السلام - : ياربّ ما اكثر ذريتي و لا مرّما خلقتهم، فما تريد منهم باخذ
 الميثاق عليهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يعبدوني لا يشركون بي شيئاً﴾، الحديث و
 هو طويل جدّاً و شريف و استفيد منه مطالب متعددة فراجع (ج ٢، ب آخر منه،
 ح ٢، ص ٨)

و منها (ح الثاني من ب التالى له). ١ - في الصحيفة: ٥٤٨

عليه العذاب ﴿^(١)﴾ ﴿وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَقَالَ مَنْ مَكْرَمٍ أَنْ اللَّهَ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ﴾، و آية اثنتيا للسماء والارض ﴿^(٢)﴾ و آية السؤال عن امتلاء الجهنم ﴿^(٣)﴾ وقال في الآية الاولى فهو كالمطيع وفي الثانية كانتا كالقائل، ﴿اتينا طائعين﴾.

وفي الثالثة والله تعالى يحلّ عن خطاب النار وهو مما لا يعقل ولا يتكلم، واما اخبر عن سعتها، وذلك كله على مذهب اهل اللغة وعادتهم في المجاز، وتمسك لما ذهب اليه باشعار متعددة، وبالجملة اتم كلامه بشرح طويل.

اقول: ما في كلامه في فصل الاخير، انا قد قررنا في بعض مباحثنا في امثال آية الاولى والثانية اللتان اعتضد بهما، لما ذهب اليه، وانتهت كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿^(٤)﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿^(٥)﴾.

١ - الحج، ١٨.

٢ - وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فصلت، ١١.

٣ - وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، ق.

٤ - انحديد، ٢.

٥ -

٥ - الجمعة، ٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَوَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(١)، ونحوها، إن ذكر التسبيح وما شاكله لا يصح أن يصدر من شيء، إلا إذا كان له معرفة، وثبت له عرفان، ولا يحصل إلا لمن ثبت له الإدراك والشعور، وذلك معلوم بالبداهة، ولا يحتاج إلى البرهان، وبعبارة موجزة إن التسبيح متفرعة على المعرفة والمعرفة متفرعة على الشعور والإدراك وأغلب الموجودات في الآيات المزبورة لم يثبت لها إدراك وشعور حتى يصح صدور التسبيح ونحوه عنها وإن قيل بثبوته فيها ولكن عهده على مدعيها، ولم يثبت عندنا شيء، سوى إطلاق هذه الآيات على تسبيحهم وصلواتهم، ولذا نقول ملخص الكلام في المقام أن التسبيح ونحوه حقيقة كانت على قسمين.

الأول التسبيح باللسان وهو دال على تنزيه مسبوحة، كما أن السجدة أعني وضع الجبهة على الأرض، دالة على الخضوع لمسجوده. الثاني التسبيح بالكون والوجود وهو أيضاً دال على تنزيه مسبوحة، وكذا السجدة له تعالى كونا دالة على الخضوع لمسجوده، بل التسبيح والسجدة بمعنى الثاني أرفع وأبين وأتم من الأول، حيث أن التسبيح والتسجيد بمعنى الأول دلالة على التنزيه والخضوع، هو صرف إعلان، وشهادة، مع الانقطاع، من دون إقامة بيّنة وبرهان، ولكن بمعنى الثاني دال

على تنزيه المسبوح والخضوع له مع اقامة البيّة والبرهان، مع الاستمرار، بل لاخير بان يقال انّ التسبيح كان له معنى فارد وان كان له فردين هو التنزيه و ذلك قد يتحقّق باظهاره باللسان، وقد يتحقّق بوجود الشئ تكويننا، وكذا السجدة لها معنى فارد، وان كان له فردين، وهو الخضوع، وذلك قد يتحقّق بوضع الجبهة على الارض، وقد يتحقّق بصيرورة الشئ مصنوعاً للصانع و مقدوراً للقادر و بعبارة اخرى ان لفظ التسبيح و السجدة كانت من الالفاظ المشتركة معنى و نحن تقتصر لتوضيح المرام بايراد مثال، و هو ان من كان متصفاً بجودة الخط و حسنه، فلاثبات هذه الصفة له كان طريقان.

الاول اخبار البيّنة او اخبار نفسه اذا كان ثقة و نحوه به ثبوت هذه الصفة له.

الثاني رؤية صدور خط الجميل عنه و كلا الطريقتين بالاستقلال كافيتان لاثبات هذه الصفة له، و من المعلوم انّ الطريق الثاني اتقن و ابين و اتمّ من الطريق الاول، لآنته مضافاً الى دلالته على ثبوت جودة الخط عليه و تنزه صاحبه عن انحرافات الخط، ايضاً دالّ على برهان وجود هذه الصفة له، بمعنى ان صاحب الخط لو لم يتّصف بهذه الصفة لم يمكن صدور الخط مع هذا الوصف عنه، فصدوره عنه دليل على وجود هذه الصفة له، مع البرهان، و لذا كلّما ازداد دائرة صدور خطه كذلك عنه، سعة، ازداد على ثبوت هذه الصفة له سعة، و كذلك كلّما كان ادقّ و اتقن كان دلالته عليها كذلك، و ايضاً مادام مصنوع صاحب الخط باقياً كان هذه الدلالة و

الشهادة مستمرة لانقطاع لها ولو صار الخطاط فانياً وذلك، بخلاف طريق الأول، حيث أنه بمجرد اخبار البينة وقطعه انقطع الدلالة، وهو واضح، وكذلك، أن هذا المصنوع هو خاضع لصانعه بالبداهة، إذ لو لم يكن كذلك، لم يمكن أن يتعلم بهذا التعليم في رسم الخط الكذائي، ففي عين دلالة على مقام فضل صاحبه ينادي بخضوعه له ولا يخفى أن هذا كان من أعلى مراتب الخضوع، هذا، فتلك الموجودات بكمال صورها، وجمال هيئتها، وجلال هيبتها، وفي غاية احكامها واتقانها، كما تنادي بأعلى صوتها التكويني، على تنزه خالقها عن مشابهته بالموجودات الممكنة، وجلالة قدسه عن مماثلته بها، كانت أيضاً براهيناً ساطعة لساحة مقدس محدثها، دائماً لانقطاع لها، إذ لو لم يكن محدثها منزّه عن مشابهة الممكنات من حيث الحياة والقدرة والعلم والارادة وغيرها، لم يتعقل أن يصدر عنه تعالى هذه الموجودات، بهذه الاوضاع والاشكال والكيفيات، وكذلك أنها ساجدة وخاضعة له بكمال الخضوع، وذلك لأن الشيء لو لم يكن ذليلاً خاضعاً مقهوراً به شئ مراتب شئونه، وأحواله، وهيئته وصورته، لم يجوز أن يتعقل تسلط خالقه عليه في تمام مراتب شئونات، وأحوالاته، وصوره، كما أشرنا إليه، ولذا أن الصانع الظاهري تسلط به صنع مصنوعه في جميع ادوار صنعه ومراحل وجوده، إلا في مرحلة واحدة^(١) فالمصنوع بالنسبة إلى ذلك المرحلة، لم يكن مقهوراً وخاضعاً

لصانعه، و صانعه كذلك بالنسبة الى ذلك المرحلة لم يمكن تسلطه عليه، و هو واضح و لكن الموجودات الممكنة، اعني ما سوى الله تعالى، بالنسبة الى تمام شئوناتها، و ادوار وجوداتها و كينوناتها، باي كون و وضع، و رفع و اى صورة و هيئة، و في اى زمان و مكان، خاضعة و ذليلة لذات المستجمع لجميع الصفات الثبوتيه، و المنزه عن جميع صفات السلبية، اعني الواجب تعالى، و هو المؤثر فيما سواه، اذ لا مؤثر في الوجود الا الله كما هو مبرهن في محله^(١) فالموجودات مما عدها تعالى باسرها لما كانت منتهية اليه تعالى فلا بد من انتها مقهورة و ذليلة له تعالى، و بارقام تعيينها و حركاتها مع انتها معلنة لتنزه خالقها و مسبحة لمديرها ساجدة و خاضعة له، في اعلى مراتب الخضوع، و ذلك مفاد التسبيح و السجدة بمعنى الثاني، فلا يحتاج في امثال ذلك المقام التوصل الى المجاز او الاستعارة نعم

→ الاضمحلال عليه، بالنسبة الى الزمان الآتية مطلقا، و من المعلوم ان الحفظ من هذه الجهة غير متدورة له، فصنوعه غير مقهور له من هذه الجهة بلا شك و ارياب.

١ - و يرشدك الى برهانه هذه الابيات، لاشك في ان هنا موجوداً، حساً عياناً و كذا شهوداً، ان يكن واجباً فقد زال الشجر، ان يكن ممكناً الى الغير افتقر، فذلك الغير اذ يكون واجباً، فهو، و الاكان محتاجاً الى، موجد آخر بحكم العقل، و هكذا في كل فصل فصل، فيلزم الدور او التسلسل، كلاهما مستنكر و باطل، اذ كل آحاد لتلك السلسلة في كونها ممكنة مشتركة، فلا جرم تكون محتاجاً الى، موجد آخر تكون واجباً.

آية، ﴿هَلْ امْتَلَأْتُمْ﴾ دالة على السعة كما ذكره - قدس سره - .
 ان قلت: ما الدليل على هذا التقسيم و حمل الآيات على التسييح و
 السجدة التكويني، و ما الفرق بين هذا الحمل، و ما حمل المفيد «ره» عليه،
 و كلا الحمل كان خلاف للظاهر، قلت، أما الدليل على التقسيم .
 اَمَّا أَوَّلُهُ أَنَّهُ لَمَّا مَرَّ فِي مَطَاوِي كَلِمَاتِنَا أَنَّ التَّسْيِيحَ مَتَفَرِّعَةٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، وَ
 الْمَعْرِفَةُ مَتَفَرِّعَةٌ، عَلَى الْإِدْرَاكِ وَ الشُّعُورِ وَ لَمَّا أُطْلِقَ مُتَكَرِّرًا فِي كَلَامِ اللَّهِ
 تَعَالَى، صَدُورُ التَّسْيِيحِ وَ نَحْوِهِ، عَنِ الْمُمَكِّنَاتِ الْغَيْرِ الشَّاعِرَةِ بِنَحْوِ
 الْخُصُوصِ، أَوْ فِي ضَمَنِ ذَوِي الشُّعُورِ، وَ الْإِسْتِعْمَالِ وَ الْإِطْلَاقِ وَ إِنْ كَانَ
 أَعْمَ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَ الْمَجَازِ كَمَا قَرَّرَ فِي مَحَلِّهِ وَ لَكِنْ لَمَّا مَرَّ مِنْ أَنَّ التَّسْيِيحَ
 بِاللِّسَانِ كَمَا كَانَ دَالًّا عَلَى تَنْزِيهِ الْمَسْبُوحِ كَذَلِكَ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ مُوجُودَةٌ فِي
 التَّسْيِيحِ التَّكْوِينِيِّ بِمَرْتَبَتِهِ الْأَعْلَى، وَ كَذَا الْكَلَامُ فِي السَّجْدَةِ كَمَا مَرَّ مُفَصَّلًا،
 وَ لَا مَانِعَ فِي الْعَرَفِ وَ اللَّغَةِ مِنْ اسْتَظْهَارِ ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ بِلَا قَرِينَةٍ
 وَ عُنَايَةٍ، وَ لَذَا لَو أُطْلِقَ عِنْدَ الْعَرَفِ بِهِ ظُهُورُ التَّسْيِيحِ مِنْ غَيْرِ ذَوِي
 الشُّعُورِ، وَ قُلْنَا إِنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ وَ الْجِبَالَ وَ الطَّيْرَ وَ الدَّوَابَّ
 كُلَّهُمْ يَسْبَحُونَ يَنْسَبِقُ أَنْ تَسْبِيحَهُمْ كَانَ هُوَ التَّسْيِيحُ التَّكْوِينِيُّ، لَا غَيْرَ، وَ
 لَا يَنْسَبِقُ أَنْتَهُمْ كَانُوا كَالْمَسْبُوحِينَ بَلْ لَا يَخْتَلِجُ ذَلِكَ بِالْبَالِ أَصْلًا، وَ الْإِنْصَافُ
 أَنَّ هَذَا الْإِنْصَبَاقَ كَانَ بِلَا شَكٍّ وَ أَرْتِيَابٍ وَ هُوَ آيَةُ الْحَقِيقَةِ وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ
 هَذَا الْإِنْصَبَاقَ مُسْتَدُّ إِلَى حَاقٍّ لَفْظِ التَّسْيِيحِ عِنْدَ اسْتِنَادِهِ إِلَيْهِمْ أَذْ هُوَ
 عَلَامَةُ الْحَقِيقَةِ لَا بِحَسَبِ الْإِطْلَاقِ.

وَ ثَانِيًا أَنْتَ يَدُلُّنَا عَلَى هَذَا آيَةُ السَّجْدَةِ حَيْثُ أُطْلِقَ كَلِمَةً، يَسْجُدُ، فِيهَا عَلَى

غير الشاعر والشاعر باطلاق^(١) واحدٍ وقال تعالى: الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، اعني بعد اسناد السجدة الى العموم اسندها الى خصوص بعض الممكنات غير الشاعرة مثل الشمس والقمر ونحوه بواسطة حرف العطف ثم عطف بها، كثير من الناس، وهم شاعرون ولو كانت سجدة الشمس والقمر وغيره لم تكن السجدة حقيقة لم يجز عطف سجدة الناس عليهم مع انتهم يسجد له حقيقة، وعلى فرض ان سجدتهم كانت على نحو الاستعارة والمجاز لم يجز استعمال اللفظ الواحد باطلاق واحد في معناه الحقيقي والمجازي لان معنى المجازي لا بد له من قرينة معاندة لمعنى الحقيقي حتى يصح استعماله في ذلك المعنى فيلزم الجمع بين الشئ وما يعانده، ولا يجوز حمل السجدة في الآية على معناه المجازي في جميع موارد المذكورة في الآية، وهو واضح، فلا بد من الحمل على معناه الحقيقي، اعني اظهار الخضوع، وهو في الشاعر عبارة عن وضع الجبهة على الارض ويتحقق بها، وفي غيرهم بوجودهم التكويني و

١ - ولا يخفى ان في بعض آيات التسييح، نحو قوله تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الارض﴾، وقوله تعالى: ﴿يسبح له من في السموات ومن في الارض﴾، وغيرها كذلك اسند الله تعالى التسييح على الشاعر وغيره باطلاق واحد، وهذا الاطلاق، ايضاً شاهد على ما نحن بصدده ولا يصح ان يقال: ان الاطلاق كان من باب التغليب، او من اجل الشرافة ونحوها، كما هو واضح.

لعلمي أن هذا الدليل كاف لجواب المستشكل و ظهر مما ذكرنا الجواب عن الفرق بين ما ذكرنا من الحمل و حمل المفيد «ره» على الجواز والاستعارة، ولا يخفى أن ما ذكرنا كان مربوطاً بما ليس لها شعور قطعاً، وأن كان بعض الفلاسفة قائل بوجود الشعور لجميع الموجودات كما مر الإشارة اليه، وسيأتى اجمال كلامهم في مباحث الآتية إن شاء الله تعالى، وأما ما نحن فيه أعني الأرواح، من غير الأبدان، التي يمكن أن تكون شاعرة بل لا شبهة في شعورهم وإدراكهم بحسب أدلة السمعية، والأخبار الصحيحة والحسنة^(١) وغيرها ونقلتها متدرجة كما وقفت على بعضها في ذيل الصحيفة، بل متواترة من حيث المجموع على ما مر أعني في مطلق الأرواح كما تنقأ أنفاً على كثيرها في ذيل الصحيفة، في الأبواب المختلفة^(٢)

١ - منها في الكافي بسنده الحسن، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن الحسن بن نعيم الصحاف قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿فمنكم مؤمن ومنكم كافر﴾ (التغابن، ٣ والآية هكذا، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن، الآية) فقال: عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بها يوم اخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذر (ج ١، ب فيه نكت و تنق، ح ٤، ص ٤١٣).

٢ - أحدها في الباب الأول من البحار على تعبير، أن الأرواح الائمة صلوات الله عليهم أجمعين خلقوا قبل خلق السموات والأرض بكثير آلاف عام، منها فيه عن تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن قبيصة بن يزيد الجعفي، قال: دخلت على

→ الصادق - عليه السلام - و عنده ابن ظبيان و القاسم الصير في، فسلمت و جلست و قلت: يا ابن رسول الله اين كنتم قبل ان يخلق السماء مبنيه و ارضا مدحية او ظلمة او نوراً، قال: كنا اشباح نور حول العرش، نسبج الله قبل ان يخلق آدم - عليه السلام - بخمسة عشر الف عام، فلما خلق الله آدم - عليه السلام - فرغنا في صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر الى رحم مطهر حتى بعث الله محمداً - صلى الله عليه و آله و سلم - الخبر (ج ١٥، ب ١، ح ٥، ص ٦).

ومنها (ح ٤، و ٧، و ٨، و ٩، و ١٠، و ١١، و ١٢، و ١٤، و ١٨، و ٣٤) من هذا الباب و ثانيها في ذلك الباب ايضاً على تعبير انتههم خلقوا بالي عام و نحوه.

منها فيه عن بصائر الدرجات بسنده عن علي بن معمر عن ابيه قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله تبارك و تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْاُولَى﴾، قال: يعنى به محمداً - صلى الله عليه و آله و سلم - .. حيث دعاهم الى الاقرار بالله في الذر الاول (ج ١٥، ب ١، ح ٣، ص ٣).

ومنها فيه عن علل الشرائع بسنده عن الفضل قال: قال: لى ابو عبد الله - عليه السلام - يا مفضل اما علمت ان الله تبارك و تعالى بعث رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - و هو روح الى الانبياء عليهم السلام و هم ارواح قبل خلق الخلق بالي عام، قلت، بلى قال: اما علمت انه دعاهم الى توحيد الله و طاعته و اتباع امره، و وعدهم الجنة على ذلك، و اوعده من

خصوصاً بالنسبة الى الارواح المقدسة على تعبير انتهم اشباح^(١) نور و

→ خالف، ما اجابوا اليه و انكره النار فقلت: بلى، الخبر (ج ١٥، ب ١، ح ١٧،

ص ١٤)

ومنها (ح ٦، وح ١٣ وح ١٥ وح ١٦ وح ١٨ وح ١٩ وح ٢١ وح ٢٢ وح ٢٣ وح ٢٤ وح ٢٥ وح ٣٣) من ذلك الباب.

و ثالثها في موارد مختلفة.

منها في الخصال الصدوق بسنده عن علي بن ابي حمزة عن ابي عبد الله - عليه السلام - و ابي الحسن - عليه السلام - قالوا لو قد قام القائم، لحكم بثلاث لم يحكم بها احد قبله، يقتل الشيخ الزاني، و يقتل مانع الزكوة، و يورث الاخ اخاه في الاظلة، (ج ١، ص ١٦٩) ومنها غير ذلك.

١ - منها في البحار عن العلل بسنده عن معاذ بن جبل ان رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - قال: ان الله خلقني و عليا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام قبل ان يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فاين كنتم، يا رسول الله قال: فدام العرش نسيح الله و نحمده، و نقده، و نمجده، قلت: على اى مثال قال: اشباح نور (ج ٥٧، ب ١، ح ١٦، ص ٤٣).

ومنها (ح ٢٩ وح ٨٠ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١٢ و ١١٣ و ١٣٤ و ١٣٥) وغيره من ذلك الباب.

و منها فيه (ج ٤٣، ب ١، ح ١١، ص ٨).

و منها في الكافي بسنده عن مزارم، عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال الله تبارك و تعالى: يا محمد انى خلقتك و علياً نوراً يعنى روحاً بلا بدن قبل ان

→ اخلق، سهاواتي و ارضي و عرشي و بحري، فلم تزل تهلّلني و تمجّدني، ثمّ جمعت رويكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني و تقدّسني و تهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين، و قسمت الثنتين ثنتين فصارت اربعة، محمّد واحد، و عليّ واحد، و الحسن و الحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن (اي اصلا - او بلا بدن عنصري بل بدن مثالي، راجع لشرح هذه الرواية مرأت العقول، ج ٥، ص ١٨٦) ثمّ محنا يمينه فافضى نوره فينا (ج ١، ب مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلّم، ح ٣، ص ٤٤٠).

و منها فيه بسنده عن جابر بن يزيد، قال: قال: لي ابو جعفر - عليه السلام - يا جابر انّ الله اول ما خلق، خلق محمّداً - صلى الله عليه و آله و سلّم - و عترته الهداة المهتدين فكانوا اشباح نور بين يدي الله، قلت: و ما الاشباح، قال: ظلّ النور ابدان نورانية، بلا ارواح (اي بلا ارواح حيوانية) و كان مؤيداً بروح واحدة و هي روح القدس فيه، كان يعبد الله و عترته، و لذلك خلقهم حلّاء، علماء - بررة اصفياء يعبدون الله بالصلوة و الصوم، و السجود و التسييح، و التهليل و يصلون الصلوات، و يحجّون و يصومون (ج ١، ب مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلّم، ح ١٠، ص ٤٤٢).

و منها (ح ٦ و ح ٧) من ذلك الباب.

و منها في البحار عن تفسير عليّ بن ابراهيم بسنده عن شهاب بن عبد ربّه قال: سمعت الصادق - عليه السلام - يقول: يا شهاب نحن شجرة النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة، و نحن عهد الله و ذمّته، و نحن ودّ الله و حبّته، كنّا

نحوه، و تَسْبِيحُ اللَّهِ و تقدسه و تحمده و تمجّده و تهلّله و تكبّره.
وانتها اغلبها، كما عرفت ممّا ذكر منها، في ذيل الصحيفة، على تعبير أنّهم،
نَسَبَحَ فَيَسْبَحُ اهل السّماء بتسييحنا، فسبحنا فسبح اهل الارض، و في
بعض الآخر، فامرنا الله بالتسييح، فسبحنا فسبحت الملائكة، و كذا

→ انوار صفوف حول العرش، نَسَبَحَ فَيَسْبَحُ اهل السّماء بتسييحنا الى ان هبطنا
الى الارض فسبحنا فسبح اهل الارض بتسييحنا و انا نحن الصّاقون و انا
نحن المَسْبُوحون فمن و في بذمتنا فقد و في بمهد الله عزّ وجلّ و ذمته، و من خفر
فقد خفر ذمّة الله عزّ وجلّ، و عهده، خفر، اي نقض العهد (ج ٢٤، ب ٣٣، ح ٢،
ص ٨٧)

و منها فيه عن كنز جامع الفوائد بسنده عن اشياخ من آل محمّد عن عليّ بن ابي
طالب - عليه السّلام - ، قالوا قال عليّ - عليه السّلام - : في بعض خطبه انا آل
محمّد كنّا انواراً حول العرش، فامرنا الله بالتسييح فسبحنا فسبحت الملائكة
بتسييحنا ثمّ اهبطنا الى الارض، فامرنا الله بالتسييح فسبحنا فسبحت اهل
الارض بتسييحنا، فانا نحن الصّاقون و انا نحن المَسْبُوحون (ج ٢٤، ب ٣٣، ح
٣، ص ٨٨).

و منها (ح ٣) من ذلك الباب.

و منها فيه عن كنز جامع الفوائد بسنده عن ابن عباس عن النّبيّ - صلى الله
عليه و آله و سلّم - (الى ان قال) ثمّ جعلنا عن يمين العرش ثمّ خلق الملائكة
فسبحنا فسبحت الملائكة و هللنا فهللت الملائكة و كبرنا فكبرت الملائكة،
فكان ذلك من تعليمي و تعليم عليّ، الحديث (ج ٣٥، ب ٣، ح ٢٥، ص ٢٩).
و منها بعض احاديث ذلك الباب.

فسبحنا فسبحت اهل الارض، ومنها على تعابير اخرى، والظاهر منها،
انتهم كانوا شاعرين وذوات ادراك غايته، بل انتها صريحة في ذلك،
فلا مجال لصحة حملها على ما ذكر المفيد «ره» لما ذكرناه آنفاً، بل ولا على
ما حملناه، في تسبيح الشمس والقمر، وغيره اعني التسبيح التكويني و
بل لا يصح ذلك لان التسبيح التكويني كان شأن ذات المخلوق والموجود
من الممكنات، كما تقدمناه وسيأتي في ذيل الصحيفة زائداً على ما تقدم، و
لا تكون هذا التسبيح مزية لهم اذ انت لا ينفك عن حاق المقدورات، ومن
الضروري ان هذه الاخبار في المعصومين انما انشأت لبيان شرافتهم، و
علو مقاماتهم ومزية رتبهم - عليهم السلام - ، كما تنادي ذلك من
اقتداء اهل السماء والارض في التسبيح والتقديس بهم، ومن حيث اثبت
فيها اخذ الميثاق لهم، وذلك آية الشرافة لهم، كما اقر بذلك الخصم
- قدس سره - ، ومع الغض عن مثل ذلك ان ما ذكرناه ظاهر لمن تأمل
فيها بادنى الدقة و اذا كان الاخبار في ذلك المقام، فلا يناسب حملها على
التسبيح التكويني، اذ هو مشترك بين جميع الموجودات على السواء، من
دون ابراز المزية ونحوها، بل ان الاخبار تعاند لذلك الحمل حيث انت قد
صرح في بعضها ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان اول^(١)

١ - منها في البحار عن بصائر الدرجات بسنده عن صالح بن سهل عن ابي
عبد الله - عليه السلام - قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -
باي شيء سبقت ولد آدم قال: اني اول من اقر بيلي، ان الله اخذ ميثاق النبيين و

اجاب، و لا يكون لذلك مفاد، ألا أنه - صَلَّى الله عليه و آله و سلم - و
 الاثمة - عليهم السلام - كانت ذات شعور و ادراك لان ما يرشدنا الحمل
 في تسبيح الممكنات الغير الشاعرة كالشمس و القمر و نحوه على التكويني
 هو معلوليته. و تلك المعلولية لما كانت من وصف ذاتها، فكان ذلك
 الوصف في الجميع على نهج سواء كما مرّ آنفاً، و لامعنى في الذاتيات التقدم
 و التأخر و هو واضح بفقرينة، اول من اجاب، لا يجوز حملها على الاجابة
 التكوينية، مضافاً الى ذلك قوله تعالى: ﴿الست بربكم قالوا بلى﴾، و
 الاخبار التي كانت بتلك التعبير و انتها كثيرة^(١) دالة على ان تلك الارواح

→ اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى، فكنت اول من اجاب (ج ١٥، ب ١،
 ح ٢٣، ص ١٦)

و منها (ح ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧) و غيره من تلك الباب و لكن في الحديث الاخر
 فأول من نطق رسول الله - صَلَّى الله عليه و آله و سلم - و امير المؤمنين
 - عليه السلام - و الاثمة صلوات الله عليهم اجمعين فقالوا انت ربنا الخ.
 و منها في الكافي (ج ٢، ب ١) ان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم اول من اجاب،
 ح ٣، ص ١٢ و ح ١ من ذلك الباب).

١ - منها في الكافي بسنده الصحيح علي بن ابراهيم عن محمد بن يحيى عن يونس
 عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: سأته عن قول الله
 عز وجل: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾، ما تلك الفطرة قال: هي
 الاسلام فطرهم الله حين اخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: الست بربكم، و فيه
 المؤمن و الكافر (ج ٢، ب فطرة الخلق، ح ٢، ص ١٢).

والذرات كانت شاعرة لأنها وقعت في مورد الخطاب والسؤال و صدور الجواب عنهم، قالوا بلى، ولا يصح حمل ذلك التعبير على ما ذكره المفيد «ره» ايضاً أعني المجاز والاستعارة لما عرفت ولما ان هذا الحمل مناف لما مر من ان الاخبار التي نشأت لتكريم مقامهم وتجليل شأنهم و هو يصادق فيما اذا صدر التسييح والتهيل ونحوه عنهم، وكونهم اول من اجاب، حقيقة لا كمن صدر عنه هذا، كما ذهب اليه المفيد «ره» اعني الاستعارة و المجاز فانها لا يشتم عنها رائحة التكريم والتجليل و هو واضح، وكذا لا يصح ايضاً حملها مع تعبير المذكور على ما ذكرنا من الاجابة التكويني مثل التسييح التكويني حيث ان الامر التكويني مستند الى نفس العلول كما مر مراراً وذاته^(١) دالة عليه و ذلك لا يوافق المقام

→ و منها (ح ٤) من تلك الباب و هو حسن.

و منها (في البحار، ج ٥٧، ب العوالم، ب ٤، ح ١٤، ص ٣٧١).

و منها في الكافي بسنده الصحيح، محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة قال: سألت ابا عبد الله - عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ (الروم، ٣٠) قال: فطرهم جميعاً على التوحيد (ج ٢، ب فطرة الخلق، ح ٣، ص ١٢) وكذا بهذا المضمون (ح ١) من ذلك الباب و هو حسن، و مثل هذه الاحاديث كانت دليلاً لما نحن بصدده لتفسير الفطرة في بعض اخبار الصحيحة به حين اخذ الميثاق كما عرفت فندبر ولا تغفل.

→ ملخص الكلام في ذلك المقام زائداً على تقدّم في المتن، و توضيحاً له، إنّ المقدور و المخلوق بما هو هو، اعني بلحاظ تعلق القدرة به و صرف النظر عن وجوده الخارجى لا ينفك عنه الخضوع و الذلّة، اذ لو لم يكن له الخضوع و الذلّة بوجوده الحقيقى، لم يمكن عليه قبول اثر قدرة القادر، و ذلك معلوم بالبدهة، و كذلك التآدر و الخالق، اعني من اعمل قدرته و قوته لاصداره و اخراجه من العدم، لا ينفك عن القاهرية، و الغالبية بالنسبة اليه، اذ لو لم يكن كذلك لم يمكن ظهور قهره و غلبته عليه، و من البديهي أنّ القهر و الغلبة من طرف القادر كان من شؤون عزّته و سلطته على المقدور، و بعد تعلق القدرة عليه و صيرورته متدوراً و مخلوقاً بالفعل، يسمع منه بمجرد ذلك، صوت الخضوع و صرخة الذلّة من حائق ذاته، ربيعاً، و في عين الحال هذا النداء يلزم اعلان القهر و الغلبة و العزّة و السلطنة لخالقه و صانعه، بلسان اجلى و ارفع، و ذلك الاعلان يلزم تسبيحه الحقيقى و تنزيهه، الواقعى بل هو عينه، حيث لو لم يكن خالقه منزهاً عن صفات الامكانى، لم يعقل صدور هذه المظاهرات مع هذه الكيفيات، عنه و بالجملة هذا النداء و الاعلان كلاهما بارزة من صميّة ذاته، و من الضروري كلّما كان اعمال القدرة من طرف الخالق سعة و اتقاناً، و احكاماً اعلى و ارفع، كان اعلان العظمة و العزّة و السلطنة و العرفان على خالقه و علمه و تنزيهه اجمل و اظهر (و يرشدك الى ذلك هذه الايات، اذ فعله في خلقه الانسان، كذلك النبات و الحيوان، في غاية الاحكام و الاتقان، فأنته من اوضح البرهان، اي على علمه)

→ و لما كان كل ما سوى الله تعالى حادث (و يرشد الى ذلك هذه الايات، و هو تعالى قادر مختار، في فعله يفعل ما يختار، اذ ما سوى الله كلاً حادث، اذ هو لا ينفك عن حوادث، و ما عن الحوادث لا ينفك، فأنته لحادث بلا شك) و انتها بما هي هي مقدورة لله تعالى اذ نسبة ما سواء اليه مساولة، و هي الامكان، فكل شيء خاضع له (و الى هذه اشار مولانا امير المؤمنين - عليه السلام - في دعاء الكميل بقوله، و خضع لها كل شيء، و ذل لها كل شيء، و اشير الى ذلك في دعاء الجوشن الكبير، يا من كل شيء، خاضع له يا من كل شيء خاضع له) و دليل له، و انتنه تعالى قاهر (و الى هذه ايضا اشار، بقوله، و بقوتك التي قهرت بها كل شيء، و بجبروتك التي غلبت بها كل شيء، و بعزتك التي لا يقوم لها شيء) و عزيز على كل شيء، و ان سطوته عالية (و الى ذلك اشار بقوله - عليه السلام - ، و بسلطانتك الذي علا كل شيء) على كل شيء فلازم ذلك ان كل شيء يسبحه (و الى ذلك اشار الله تبارك في كتابه الكريم بقوله: ﴿ و ان من شيء الا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم انته كان حليماً غفوراً ﴾، (الاسراء، ٤٦)، ﴿ و بقوله يسبح لله ما في السموات و ما في الارض ﴾، الآية، (الجمعة ٢) و قوله سبح لله ما في السموات و ما في الارض، الآية، (الحديد، ٢) و غيرها) و يقدسه و ساجدة له تعالى (و الى ذلك اشار بقوله: ﴿ الم تر ان الله يسجد له من في السموات و من في الارض و الشمس و القمر ﴾، الآية، الحج ١٨) بل نفس الخضوع و الذلة عبارة عن عين التسبيح و التنزيه كما عرفت فعلى هذا ان كل شيء مملوء من عظمته و كماله، فبذلك الجهة صار كل شيء عظيم و شريف، و بعبارة واضحة ان الممكنات لها ثلاث

→ جهات، الأولى جهة ذواتها و كينوتها، الثانية، جهة صدورها منه تعالى و انتسابها اليه، الثالثة، جهة اضافتها في انفسها، و نسبة بعضها الى البعض، و نسبة تكونها في قرونها و ادوارها، و عواملها و نشأتها.

أما الجهة الأولى، فأنها من حيث الذات و بما هو هو دني و رذيل و ردي و حقير و ظليم.

و أما الجهة الثانية فلما كان كل موجود مظهر لحاقه، و مجلى لربه، و بهاء من بهائه، و جمال من جماله، و جلال من جلاله، و عظيم من عظمته، و نور من انواره، و هكذا، صار بهي و جميل و جليل و عظيم و نير و هكذا، (و بهذه اشار في دعاء السحر المنقول عن مولانا علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية و الثناء، اللهم اني اسئلك من بهاءك بابهاء و كل بهانك بهي، اللهم اني اسئلك من جمالك باجمله و كل جمالك جميل، اللهم اني اسئلك من جلالك باجله و كل جلالك جليل، اللهم اني اسئلك من عظمتك باعظمها و كل عظمتك عظيمة، اللهم اني اسئلك من نورك بانوره و كل نورك نير، و في دعاء يوم المباهلة المروي عن الصادق - عليه السلام -، اشير ايضاً بهذه المضامين، فراجع) فعلى هذا ان الممكنات من جهة ذواتها كانت في غاية الفقر و الفاقة و من جهة انتها مظهر لحاقها كانت في غاية مراتب الكالات و الفضائل، و بالجملة ان الممكن من هذه الجهة مكرم و مجلل و معظم لوقوعه و عاء لعظمته تعالى، و صار مملوا منها كما اشار الى ذلك مولانا علي بن ابي طالب - صلوات الله و سلامه عليه - في دعاء الكميل، و بعظمتك التي ملأت كل شي.

→ و اما الجهة الثالثة، فانها حقير من حيث، و كبير من حيث، اعني نسبة بعضهم الى البعض، كنسبة الدرة الى الفيل، و هكذا بالنسبة الى ادوار كينونتها و قرونها و نشأتها، و اشار الى بعض ما سردنا عليك بعض الفحول في شرح دعاء الكميل.

و بعبارة ثالثة موجزة ان للممكنات لها جهتان جهة الشأنية و جهة الفعلية، اما جهة الشأنية فهي فقرها الذاتي، و هي بتلك الجهة كانت، ليس، و اما الجهة الفعلية فكانت لها انتساين.

الاولى، جهة انتسابها الى الصدور والوجود، التي منشأ لتجلّى عظمة ربّه و هي بهذه الجهة و بذلك الانتساب صارت عظيمة لأنّها وقعت ظرف لمن هو عظيم و مملوءة من عظمها، و بعد فعليتها صارت مسبّحة و مقدّسة لمن املأ عظمته فيها (و يشهد على تسبيحها بل يدلّ، ما ورد عن النبيّ - صلى الله عليه و آله و سلّم - كما عن الدر المنصور بسنده عن ابن عمران النبيّ - صلى الله عليه و آله و سلّم - قال: ان نوحاً لما حضرته الوفاة قال لا يُثَبِّتُهُ امر كما سبحان الله و بحمده فانها صلاة كلّ شيء و بها يرزق كلّ شيء، (الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، بحث روائى، ص ١٢٧) قال الطّاباطبائي «ره» بعد نقل الرواية، اقول: ظهر ممّا قدمناه في معنى تسبيح الاشياء الارتباط المشار اليه في الرواية بين تسبيح كلّ شئ و بين رزقه فان الرزق يتقدّر بالحاجة و السؤال و كلّ شئ انما يستحيّ الله تعالى بالاشارة باظهار حاجته و تنقصه الى تنزهه تعالى من ذلك).

الثانية : جهة انتسابها الى ادوار نفسها و اطوارها الشخصية، و الى افراد نوعها

→ وبه تلك الجهة كانت صغيرة وكبيرة معاً.

تذنيب: قد ظهر من مطاوي كلمتا أن الكلام، قد وقع في البحث عن العلة و المعلوم و على هذا، لا بأس، بالإشارة إليه و هي أن العلة هل يجب تقدمها على المعلوم ذاتاً أو بالعكس أو لا تكون بينها تقدم و تأخر - كذلك، و من البديهي أن الصحيح هو الآخر، و لكن لا ريب أن العلة من حيث الرتبة مقدمة على المعلوم، و تمام الكلام في محله، و لا بأس بالإشارة إلى مسلك بعض أصحاب الن من المفسرين و اللغويين في التسييح التكويني منها الطبرسي «ره» قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم أنه كان حليماً غفوراً﴾ (بني إسرائيل، ٤٦): أي ليس شيء من الموجودات إلا و يسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته، إذ كل موجود سوى القديم حادث، يدعوا إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعوا إلى تثبيت قديم غنى بنفسه عن كل شيء سواء و لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، و قيل إن معناه و ما من شيء من الأحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن، و قيل إن كل شيء على العموم من الوحوش و الطيور و الجمادات، يسبح الله تعالى حتى صرير الباب و حزير الماء عن إبراهيم، و جماعة، و لكن لا تفقهون تسبيحهم، أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء، حيث لم تنظروا فيها، فتعلموا كيف دلالتها على توحيده، أنه كان حليماً، بمهلككم لا يعاجلكم بالعقوبة على كفركم، غفوراً، إذا تبتم و أتيتم إليه، انتهى كلامه.

و قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء ينفثو ظلاله

→ عن اليمين و الشمال سجداً لله و هم داخرون ﴿(النحل، ٤٨) اي اذله صاغرون، قد تبه الله بهذا على ان جميع الاشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها و مدبرها، بما لولاه لبطلت، و نقل «ره» قبل اسطر من ذلك عن الكلبي و معنى سجود الظل لله دورانه من جانب الى جانب لانه متسلم منقاد مطيع للتسخير الى آخر كلامه.

اقول: و صرف النظر عن جميع ذلك كله ان التأمل و التوغل في الآية و ما بعدها يورث ما كنا بصده و الله العالم (ج ٢).

و منها الفيض «ره» قال في قوله تعالى: ﴿و ان من شيء الا يسبح بحمده﴾، في الكافي و العياشي، عن الصادق - عليه السلام - تنقض الجدر تسبيحها، و عنه ما من طير يصاد الا بتضييعه التسبيح، و عن الباقر - عليه السلام - انه سئل اتسبح الشجرة اليابسة، فقال: نعم اما سمعت خشب البيت كيف ينقض، و ذلك تسبيحه لله فسبحان الله على كل حال.

اقول: و ذلك لان التقصانات الخلائق دلائل كمالات الخالق و كثراتها و اختلافاتها شواهد وحدانيته، و انتفاء الشريك عنه، و الضدّ و الندّ، كما قال امير المؤمنين - عليه السلام -: بتشعيره المشاعر عرف ان لاقرين له، الحديث، فهذا تسبيح فطريّ و اقتضاء ذاتي، نشأ عن تجلّ تجلّي لهم، فاحبوه فانبعثوا الى الثناء عليه، من غير تكليف، و هي العبادة الذاتية التي اقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق، الذي يستحقه جلّ جلاله، انتهى. (الصافي، ص ٢٩٠).

و منها علي بن ابراهيم القمي «ره» قال في تفسير قوله تعالى: ﴿و ان من شيء

→ الآيسح بحمده»، فحركة كل شيء تسبح الله عز وجل.

ومنها الطريحي «ره» قال في قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قيل التسبيح أما بلسان الحال فإن كل ذرة من الموجودات تنادي بلسان حالها على وجود صانع حكيم واجب لذاته، وأما بلسان المقال، وهو في ذوي العقول ظاهر، وأما غيرهم من الحيوانات فذهب فرقة عظيمة، إلى أن كل طائفة منها يسبح ربها بلغتها وأصواتها، إلى آخر كلامه (مجمع البحرين، ص ١٧٨).

ومنها المحقق الطباطبائي - قدس سره - قال في تفسير قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، يثبت لأجزاء العالم المشهود التسبيح وأنها تسبح الله وتزخه عما يقول من الشريك وينسبون إليه والتسبيح تنزيه قولي كلامي، وحقبة الكلام الكشف عما في الضمير بنوع، من الإشارة إليه والدلالة عليه، غير أن الإنسان لما لم يجد إلى إراءة كل ما يريد الإشارة إليه من طريق التكوين طريقاً، التجأ إلى استعمال الالفاظ وهي الأصوات الموضوعة للمعاني، ودل بها على ما في ضميره، إلى أن قال: وبالجملة فالذي يكشف به عن معنى المقصود قول وكلام، وقيام الشيء بهذا الكشف، قول منه وتكليم، وإن لم يكن بصوت مقروء، ولفظ موضوع، ومن الدليل عليه ما ينسبه القرآن إليه تعالى من الكلام والقول والامر والوحي ونحو ذلك، مما فيه معنى الكشف عن المقاصد وليس من قبيل القول والكلام المعهود عندنا معاشر المتلسنين باللغات، وقد ساء الله سبحانه قولاً وكلاماً وعنده هذه الموجودات المشهودة

→ من السماء والارض ومن فيها ما يكشف كسفا صريحاً عن وحدانية ربها في ربوبيته وينزهه تعالى عن كل نقص وشين فهي تسبح الله سبحانه وذلك انها ليست لها في انفسها الا محض الحاجة، و صرف الفاقة اليه، في ذاتها و صفاتها، و احوالها، و الحاجة اقوى كاشف عما اليه الحاجة، لا يستقل المحتاج دونه، و لا ينفك عنه (الى ان قال بعد كلام طويل) فالحق ان المسيح الذي تشبه الآية لكل شئ هو المسيح بمعناه الحقيقي، الى آخر كلامه، (ج ١٣، ص ١١٤) و منها صدر التألمين «ره» نكات قرآنية ذوقية في تفسير سورة الاعلى، و بين فيها عشر تسييحات، و قال التسييح الثاني، ما لفظه، في الاستدلال على عنايته و حكمته و تنزيهه و تمجيده بوجود النبات و احواله و انما قدم الاستدلال بوجود الحيوان على احوال النبات لان الحيوان اشرف فكان اولى بالتقديم، قوله تعالى: ﴿الَّذِي اَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً اُحْوًى﴾، الغناء بالضم الدرين اليبس الذي يحمله السيل، و الاحوى الاسود فاحوى، صفة لغناء، اي اخرج المرعى و انبت العشب فجعله بعد طراوته و خضرته هُشياً درينا اسود، و يحتمل ان يكون احوى حالاً من المرعى، اي انبته اسود، لشدة الخضرة و الري، فجعله غناءً بعد حوية، و وجه الاستدلال به نوعان:

الاول هو ان النبات جسم مؤلف من عناصر متضادة متداعية الى الانفكاك و الافتراق، الى امكنتها الطبيعية فلا بد من اجتماعها في مكان واحد من قادر مختار يجبرها على الالتئام، و يحفظها عن الافتراق، و ليس هو نفسها النباتية، لان حدوثها مسبوق بحدوث المزاج المسبوق بحالة اجتماعها، فلو كان الجابر لها

→ على الالتيام و حافظ لها عن الافتراق، هو النفس النباقي لزم تقدّم الشيء على نفسه بمراتب و لانفس حيوانيته لتقدّم النبات على الحيوان طبعاً، فلو كان نفسه سبباً لاجتماعها لزم الدور، و هو محال، فثبت أنّ الموجد لاجزاء النبات و التصرف فيها بالجمع و الحفظ عن الافتراق و الانبات، موجود مقدس، عن التركيب و الامتراج مرتفع عن الاجسام و الاحياز، و عن التخصيص بالامكنة و الجهات (ص ٢٧٤)، و انه - قدس سرّه - قد تعرّض لتسييح السادس فيها، في قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُنَا مِنْ غَضَبِهِ وَيَتَجَبَّبُهَا لِشِقَى الَّذِي يَصَلَّى النَّارِ الْكُبْرَى، ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾، (الاعلى ١٠-١٣) و استدلل لهذا التسييح به اختلاف نفوس الخلق في السعادة و الشقاوة بحسب الكمال العملي و عدمه، و اظنّب «ره» الكلام طويلاً في ذلك التسييح فراجع.

اقول: ان الاختلاف لما كان دليلاً على تقديسه و تسييحه فلا بدّ من تعميمه في مطلق الاختلافات، وعدّ اختلاف الناس من حيث الخلق في السعادة و الشقاوة، من احد مصاديقها.

و بالجملة، لو اتخذنا هذا السبيل اعني الاختلاف للتقديس و التمجيد خصوصاً به شتى ارقامها و اوضاعها، و احيازها و اوزانها، و كمياتها و الوانها، و طعوماتها و كمياتها، في دهور المختلفة، لكان مطلق اختلافات المخلوقات و المصدورات دليل مستقل تامّ، على تسييحه و تمجيده، و ذلك كما هو كذلك عقلاً ايضاً تنادى بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ

→ على جنوبيهم و يتفكرون في خلق السموات و الارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فتننا عذاب النار»، (آل عمران، ١٩٠-١٩١) فتدبر جيداً حتى تجد ما نحن بصده، و الله هو الهادي على الحقائق.

و اقول: ان الظاهر من هذه الكلمات انهم «قدس الله ارواحهم» قائلون بالتسييح التكوين المعبر في بعض كلماتهم كما ترى بالتسييح الفطري او بالتسييح الحالى و نحوها، و بالجملة مفادها واحدة نعم و ان كان الظاهر من كلام الطباطبائي «ره» مع بيانات مختلفة هو كذلك، و لكن يختلج بالبال بعد الدقة في تمام كلماته صدرأ و ذيلأ، يمكن ان يكون نظره الى امر آخر مشابه لما ذكرناه من جهة، و يخالف من جهة آخر، و كيف كان ان كان مسلكه هو عين ما ذكرناه فنعم المطلوب، و الآفعلية اقامة الدليل هذا و لكن ما هو الامتن و الاحسن في المقام ما ذكرناه.

بقى الكلام في بعض الآيات و اخبار الباب و انتهت مع كثرتها على طوائف الاولى بعض الآيات و الاخبار التي دلت على تسييح الجبال (منها قوله و لقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أو بى معه و الطير و الثأله الحديد (سبأ، ١١) قال على بن ابراهيم: يا جبال أو بى معه، اى سبحي لله و الثأله الحديد، قال كان داود عليه السلام - اذا مر في البرارى يقرأ الزبور تسبح الجبال و الطير و الوحوش معه و الآن الله له الحديد، مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما احب. و قال الصادق عليه السلام -: اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء فأنته اليوم الذي الآن الله فيه الحديد لداود - عليه السلام - (تفسير القمي، ج ٢، ص ١٩٩)

→ قال الطبرسي «ره»: ﴿يا جبال اؤبي معه و الطير﴾، اى قلنا للجبال يا جبال سـبـحـي مـعـه عـن ابـن عـبـاس، و الحـسـن و قـتـادـة و مـجـاهـد قـالـوا امـر اللـه الجبال ان تـسـبـح مـعـه اذـا سـبـح فـسـبـح مـعـه و تـأوـيـلـه عـنـد اـمـل اللـغـة رـجـحـي مـعـه التـسـبـيـح مـن آب يـؤوب، و يـجـوز ان يـكـون سـبـحـانـه فـعل فـي الجبال ما تـأتـى بـه مـنـها التـسـبـيـح مـعـجـزأـله، و اـمـا الطـير فـيـجـوز ان يـسـبـح و يـحـصـل لـه مـن التـمـيـز، ما يـتـأتـى مـنـه ذلـك، بان يـزـيـد اللـه فـي فـطـنـتـه فـيـنـهـم ذلـك (ج ٢).

و تـسـبـيـح الحـصـي و نـحوه (مـنـها فـي مـنـاقـب ابـن شـهـر آشـوب، امـير المـؤمـنـين عـلـيـه السـلام - كـنـت اخـرج مـع رـسـول اللـه الـى اسـفـل مـكـة و اشـجارها، و لا يـمـر بـحـجر و لا شـجر، الـآ قـالـت السـلام عـلـيـك يا رـسـول اللـه، و انا اسـمـع، عـلـقـمـه و ابـن مـسـعـود كـنـا نـجـلس مـع النـبـي - صـلـى اللـه عـلـيـه و آلـه و سـلـم - الطـعـام يـسـبـح و رـسـول اللـه يـأكـل، و انا مـكـرـز العـامـرى و سـألـه آيـة فـدعا تـسـع حـصـات، فـسـبـحـن فـي يـده و فـي حـديـث و ضـعـهـن عـلى الارض فلم يـسـبـحـن و سـكـنـن، ثم عاد، و اخـذـهـن فـسـبـحـن، ابـن عـبـاس، قـال: قـدم مـلـوك حـضـر مـوت عـلى النـبـي - صـلـى اللـه عـلـيـه و آلـه و سـلـم - فـقـالـوا كـيـف نـعـلم انـك رـسـول اللـه، فـاخـذ كـفـاً مـن حـصـى، فـقـال: هـذا يـشـهـد انـي رـسـول اللـه، فـسـبـح الحـصـا فـي يـده، و شـهـد انـتـه رـسـول اللـه - صـلـى اللـه عـلـيـه و آلـه و سـلـم - (النـبـي - صـلـى اللـه عـلـيـه و آلـه و سـلـم -) قـال: انـي لا عـرف حـجـراً بـمـكـة ما مـررت عـلـيـه الـآ سـلـم عـلـي (ابـو هـريرة) و جـابـر الـانـصـارى و ابـن عـبـاس و ابـي بـن كـعب و زـيـن العـابـديـن - عـلـيـه السـلام - ان النـبـي - صـلـى اللـه عـلـيـه و آلـه و سـلـم - كان يـخـطـب بـالمـديـنة الـى بـعض الاجـذاع، فلـما كـثـر النـاس، و اتـخـذوا لـه مـنبرأ و تـحول الـيـه حـن كما تـحـن النـاقـة

→ فلما جن اليه و التزمه كان يشنّ اتين الصبي الذي يسكت، و في رواية فاحتضنه (من احتضن الصبي، اى جعله في حضنه و ربا، او ضمه الى صدره) رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - فقال: لو لم احتضنه لحن الى يوم القيمة (ج ١) فصل في نطق الجمادات (ص ٩٥) و غير ذلك.

و منها في البحار عن امالي المفيد «ره» بسنده عن سلمان قال: كنّا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - اذا قبل علي بن ابي طالب - عليه السلام - فناوله حصاة فما استقرت الحصاة في كفّ علي - عليه السلام - حتّى نظقت، و هي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم -، رضيت بالله رباً و بمحمد - صلى الله عليه و آله و سلم - نبياً، و بعلي بن ابي طالب ولياً، ثم قال النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - : من اصبح منكم راضياً بالله، و بولاية علي بن ابي طالب فقد امن خوف الله و عقابه (ج ٤١، ب ١١٢، ح ٩) و كثير اخبار هذا الباب يدلّ على ما نحن فيه و كذا بعض الاخبار في بعض الابواب المتفرقة فليستفحص حتّى نقف على كثيرها) فاعلم ان تسبيح الحصى و نحوه و حنين الجذع اعني ما كان من الموجودات، غير ذات الارواح، فأنها يمكن بل يتعين ان تكون على نحو الاعتجاز، و انطاق الله تعالى، الحصى و الجبال و نحوه، لاجل شرافة نبيّه و اعجازه، كما يستفيد من بعض مضمونها و لذا انتسب في ما اتى به داود من التسبيح و نحوه، في الآية الى فضل الله تعالى و ما كان من الاخبار الصادرة في غير ما ذكر، ففادها هو ما اجاد الفيض «ره» في المقام كما عرفت كلامه.

الطائفة الثانية، ما كانت من قبيل دعاء النملة، منها في البحار عن روضة الكافي،

→ بسنده عن أبي الخطاب عن عبد صالح - عليه السلام - قال: إنَّ الناس أصابهم قحط شديد، على عهد سليمان بن داود - عليه السلام - فشكوا ذلك إليه وطلبوا إليه أن يستسقي لهم، قال: فقال: لهم إذا صليت الغداة مضيت فلما صلى الغداة مضى و مضوا فلما كان في بعض الطريق إذا هو بنملة رافعة يدها إلى السماء، واضعة قدميها على الأرض وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك و لاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم قال: فقال: سليمان - عليه السلام - ارجعوا فقد سقيتم بغيركم فسقوا في ذلك العام و لم يسقوا مثله قط (ج ٦٤، ب ١٠، ح ٩، ص ٢٦٠).

و منها (فيه ج ١٤، ب ٥، ح ١٢، ص ٧٢).

و منها فيه (ج ١٤، ب ٧، ح ٣، ص ٩٤).

و منها فيه، عن بشار الدرجات بسنده عن سالم مولى ابان يباع الزطى قال: كنّا في حائط لابي عبد الله - عليه السلام - و نفر معي قال: فصاحت العصافير فقال: اتدرى ما تقول فقلنا جعلنا الله فداك لا ندرى ما تقول فقال: تقول اللهم انا خلق من خلقك لا بدّ لنا من رزقك فاطعمنا واسقنا (ج ٦٤، ب ١١، ح ٥، ص ٣٠٣).

و منها في كامل الزيارة بسنده عن الحسين بن ابي منذر عن ابي الله - عليه السلام - قال: سمعته يقول: في البومة فقال: هل احد منكم رآها بالنهار، قيل له لا تكاد تظهر بالنهار و لا تظهر الا ليلاً قال: اما انتها لم تنزل تأوى العمران فلما ان قتل الحسين - عليه السلام - آلت على نفسها ان لا تأوى

→ العمران ابدأ و لاتأوى الا الخراب فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجنبها الليل فاذا جنبها الليل فلا تزال ترن على الحسين - عليه السلام - حتى تصبح، الباب الحادى و الثلاثون (ح ١، و منها ح ٢).

و في ذيله، و قالت بنس الامه انتم قتلتم ابن بنت نبيكم و لا امنكم على نفسي (و ح ٣ و ٤ من تلك الباب) و نظيرها ما في البحار (ج ١٤، ب ١، ح ٢٧ و ٢٩).
و نحوها لعن بعض الطيور كالفاخته، منها في الكافي بسنده عن ابي بصير قال: دخلت على ابي عبد الله - صلوات الله عليه - فقال: لي يا ابا محمد اذهب بنا الى اسماعيل نعوده، و كان شاكياً فقمنا و دخلنا على اسمعيل فاذا في منزله فاخته في قفص تصيح فقال ابو عبد الله - عليه السلام -: يا بني ما يدعوك الى امساك هذه الفاخته او ما علمت انها مشومة او ما تدري ما تقول قال اسماعيل لا قال: انما تدعوا على اربابها فتقول فقد تكم فقد تكم فاخرجوه (ج ٦، ب الفاخته و الصلصل، ح ٣، ص ٥٥١ و منها ح ١ و ٢ من ذلك الباب).

و لعن مبغضى آل محمد و نحوها، منها في البحار عن مجالس الشيخ بسنده عن سليمان الجعفرى عن ابي الحسن الرضا عن ابيه عن جده - عليهم السلام - قال: لاتأكلوا القنبرة و لاتسبوا و لاتعطوها الصبيان يلعبون بها فاتها كثيرة التسبيح لله، و تسييحها لعن الله مبغضى آل محمد (ج ٦٤، ب ١١، ص ٣٠٣).

و منها في الكافي بسنده عن السكونى عن ابي عبد الله قال: اتخذوا الحمام الراعية في بيوتكم فاتها تلعن قتلة الحسين بن علي - عليها السلام - و لعن الله قاتله (ج ٦، ب الحمام، ح ١٣).

→ ومنها (ح ١٠) من ذلك الباب.

ومنها في البحار (ج ٢٧، ب ١٦، ح ٤ و ٢٥) من ذلك الباب.

ومنها ، في الكافي بسنده كالموثق عن سليمان بن خالد قال: فيما اظن عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال رُفِي ابوذَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسقى حمراً بالربذة فقال له بعض الناس امالك يا اباذر من يكفيك سقى الحمار فقال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يقول: ما من دابة الا وهي تسأل الله كل صباح اللهم ارزقني مليكاً صالحاً يشبعني من العلف و يرؤيني من الماء و لا يكلفني فوق طاقتي فانا احب ان اسقيه بنفسي (ح ٢، ب نوادر في الدواب، ج ٦، ص ٥٢٧) و لا يخفى ان هذه الاخبار قد دلت على صدور الكلام من بعض الحيوانات كاللحاء و اللمن و نحوه و يمكن ان تكون لاجل وجود الامر الغريزي فيها لجلب سد الجوع و الضمان، و لاجل وجود الحب و البفض لحصول معرفة ما بينهم و بين ربهم و وليه.

الطائفة الثالثة الاخبار و بعض الآيات التي دلت على ثبوت المكاملة بينهم و بين النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - او الوصي - عليه السلام - و من الضروري انه لاشبهة في ثبوت طريق بين كل نوع من انواع الحيوانات من اقسام طرق المكاملة على القاء ما اراد بعضهم لبعضهم لتنظيم معاشهم و سائر الامورات المتعلقة بهم، التي عبارة عن منطقهم، و لذا ان النبي او الوصي اذا عارف منطقهم وقع المكاملة بينه بينهم، كما دل صريح الآية، و هي قوله تعالى: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مَنَ كُلِّ

→ شيء ان هذا هو الفضل المبين ﴿النمل، ١٦﴾ والى آية (٢٨) من هذه السورة دلت على ادراك الحيوانات فتأمل فيها تجد المقصود. على تعليم سليمان بن داود منطق نوع من الحيوانات و صريح غير واحد من الاخبار على تعليم النبي الاكرم و اهل بيته منطقهم بل منطق كل دابة.

منها في البحار عن الاختصاص بسنده عن الفيض بن المختار قال: سمعت ابا عبد الله - عليه السلام - يقول: ان سليمان بن داود، قال: ﴿علّمنا منطق الطير و اوتينا من كل شيء﴾ و قد و الله علّمنا منطق الطير و علم كل شيء (ج ٢٧، ب ١٦، ح ١١، ص ٢٦٤).

و منها فيه عن بصائر الدرجات بسنده عن زرارة عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: قال: امير المؤمنين - عليه السلام - لابن عباس ان الله علّمنا منطق الطير كما علّمه سليمان بن داود منطق كل دابة في برّ او بحر (ج ٢٧، ب ١٦، ح ١٠، ص ٢٦٤).

و منها (ح ٨ و ٩ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٣ و ٢٤ من تلك الباب).

و لاجل ثبوت المكالمة بينها و بين الحيوات راجع البحار ج ١٤، ب ١١١ حتى تقف على اخبار كثيرة بل تفحص في بعض ابواب المناسب للمقام حتى تصل الى اكثر من ذلك (مثل ج ١٤، البحار، ب ١، ح ٢٨ و ٢٩ و ب ٧، ح ٢ و ح ٤) و ما روى في (ص ٩٧) في تلك المجلد فراجع).

الطائفة الرابعة الاخبار الدالة على خصوص تسبيح الدواب و الطيور و هذه

→ الاخبار مقصودة بالاصالة في هذا البحث، وانتها كثيرة ويمكن ان يقال في المقام ان يكون التسبيح لاجل وجود معرفة ما، فيهم كما مرّ وكذا اعترف بذلك العلامة المجلسي «ره» (في البحار، ج ١٤، ص ٤) ونحن نذكر جملة ما وقفنا عليها في ذيل الصحيفة.

منها في الكافي بسنده الحسن او الصحيح عن ابي بكر الحضرمي عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: من اتخذ في بيته طيراً فليتخذ ورشاً فإنه اكثر شيئاً لذكر الله عزّ وجلّ و اكثر تسبيحاً وهو طير يحبنا اهل البيت (ج ٦، ب الورشان، ح ١، ص ٥٥٠ ومنها ح ٣) من ذلك الباب.

و منها فيه بسنده عن السكوني عن ابي عبد الله - عليه السلام - قال: للدابة على صاحبها ستة حقوق لا يحتملها فوق طاقتها ولا يتخذ ظهرها بحالس يتحدث عليها ويده بلفها اذا نزل، ولا يستها ولا يضربها وجھها فانها تسبح، ويعرض الماء اذا مرّ به (ج ٦، ب نوادر في الدواب، ح ١، ص ٥٣٧).
و منها (ح ٤، من ذلك الباب).

و منها (في البحار، ج ٢٧، ب ١٦، ح ٣ و ٧).
و منها (فيه ج ٦٤، ب ٨، ح ٢ و ٧ و ٨ و ١٦) وغيرها من تلك الباب.
والعلامة الطباطبائي - قدس سرّه - نقل بعضها عن كتب اهل السنة في تفسيره الميزان (ج ١٤، ص ١٢٨) فراجع.

و منها في البحار ج ١٤، ب ١، ح ٢٨،
و منها فيه عن تفسير العياشي بسنده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن ابيه

حيث ان الارواح و الذرات وقعت مورداً للخطاب و السؤال و صدور الجواب عنهم و ذلك غير مربوط بمرحلة امر التكويني كما لعلّه واضح و على الغضّ عن جميع ما ذكرناه في اخذ الميثاق عنهم و كونهم واقعين لمورد السؤال و صدور الجواب عنهم ان ما كان في بعض الاخبار كفاية لما نحن بصددّه اذ سئل فيها عن كيفية الاجابة^(١) و الغرض عن التعريض لذلك

→ عليهم السّلام - قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن توسّم البهائم في وجهها و ان يضرب وجوها فأنّها تسبح بحمد ربّها (ج ٦٤، ب ٩، ح ٢٥، ص ٢٢٨).

و حمل الاخبار في عين صراحتها و كثرتها على الاحتمال المذكور لا يكون مورداً من تعسف و تعجّب فعلى هذا لم يكن الداعي لردّها بل لاحتاج لقبول صفة مفادها الى تحمّل تكلفات شاقّة بعيدة كما اتعب السيّد المرتضى «ره» و غيره نفسه الشريف بذلك كما حكى عنه - قدّس سرّه - العلامة المجلسي «ره» عن كتاب الفرر و الدرر في البحار، ج ٢٧، ص ٢٧٤ فراجع.

١ - منها في الكافي بسنده الحسن على بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابنا عن ابي بصير قال: قلت: لابي عبدالله - عليه السّلام - كيف اجابوا و هم ذرّ، قال: جعل فيهم، ما اذا سألهم اجابوه، يعنى في الميثاق (ج ٢، ب كيف اجابوا، ح ١، ص ١٢)

و منها في البحار، عن تفسير العياشي عن ابي بصير، قال: قلت: لابي عبدالله - عليه السّلام - اخبرني عن الذرّ حيث اشهدهم على انفسهم الست ببرّكم قالوا بلى و الله و اسرّ بعضهم خلاف ما اظهر كيف علموا القول حيث قيل لهم،

أَنَّ الذَّرات الَّتِي، يُمْكِنُ عِنْدَ النَّظَرِ الْبَدْوَى، أَنْ لَا تَكُونَ شَاعِرَةً وَلَكِنْ لَمَّا وَقَعُوا مُورِداً لِلسُّؤَالِ وَالْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ، أَنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مَا يُوْرِثُ ذَلِكَ، كَمَا تَرَى فِي الْأَخْبَارِ فَضْلاً عَنِ الْأَرْوَاحِ، الَّتِي كَانَتْ فِي حَدِّ نَفْسِهَا مُسْتَقْلَةً، وَ شَاعِرَةً وَلَا تَكُونُ جَسَماً وَلَا جَسْمَانِيَا كَمَا سَيَأْتِي بِحَثِّهَا أَنْشَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا تَغْفَلُ.

وَأَقَامَا أَجَابَ «رَه» عَنِ الْمَسْئَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَسَائِلِ السَّرْوِيَةِ الَّتِي نَقَلْنَاهَا فِي ذَيْلِ الصَّحِيفَةِ بَانَ حَمَلٍ - قَدَسَ سِرَّهُ - الْأَرْوَاحِ عَلَى خَلْقِ تَقْدِيرِيٍّ وَ عَلَى فَرَضِ الصَّحَّةِ حَمَلٍ عَلَى الْجَوَاهِرِ الَّتِي تَتَنَاصَرُ بِالْجِنْسِ وَ تَتَخَاذَلُ بِالْعَوَارِضِ، فَفِيهِ بَعْدَ مَا عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِهَذَا الْحَمَلِ بَعْدَ تَمَامِيَةِ مَضَامِينِ الْأَخْبَارِ مِنْ حَيْثُ الثَّبُوتِ وَالْإِثْبَاتِ، وَ عَدَمِ تَرْتِبِ شَيْءٍ مِنَ الْمَحَازِيرِ فِيهَا عَقْلاً وَ شَرْعاً، وَ كَذَا ظَهَرَ مِمَّا ذَكَرْنَا فِيمَا أَجَابَ فِي ضَمَنِ هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ فِي حَدِيثِ اخْرَاجِ الذَّرِّيَةِ وَ كَذَا فِيمَا قَالَ فِي ضَمَنِ جَوَابِ الْمَسْئَلَةِ الْأُولَى مِنَ الْمَسَائِلِ الْعَكْبَرِيَّةِ اللَّتَانِ نَقَلْتُهُمَا آتِفاً فِي ذَيْلِ الصَّحِيفَةِ، بَعْدَ عَدَمِ وَرُودِ الْمَحَازِيرِ الَّتِي ذَكَرَهَا وَأَمَّا مَا نَقَلْنَا عَنْهُ مَفَادَ كَلَامِهِ مِنْ حَدِيثِ أَشْبَاحِ الْأَنْمَةِ

→ السَّتِ بَرَبِكُمْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ (ج ٦٧، ب ٣، ح ١٩، ص ١٠٢)

وَمِنْهَا فِيهِ عَنْهُ عَنِ أَبِي بَصِيرٍ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿السَّتِ بَرَبِكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قُلْتُ: قَالُوا بِالسَّتِّهِمْ قَالَ: نَعَمْ، وَ قَالُوا بِقُلُوبِهِمْ، قُلْتُ: وَ أَيْ شَيْءٍ كَانُوا يَوْمِئِذٍ قَالَ: صَنَعَ فِيهِمْ مَا أَكْتَفَى بِهِ (ج ٦٧، ب ٣، ح ٢٠، ص ١٠٢ وَ مِنْهَا ح ١٨) مِنْ هَذَا الْبَابِ.

على العرش و قال: انتها لاتكون صوراً بحية و لا ارواحاً ناطقة في هذا الكلام غرابة مع ورود الاخبار في خصوصها متظافرة، و مع ما مرّ منا في كلامه الاخير من بيانات شافية وبالجملة ممّا ذكرنا صدرّاً و ذيلاً لعلّ لم يبق موردٌ من كلامه و كان فيه النظر الآفقد ظهر ممّا ذكرناه مفصلاً. هذا تمام الكلام في كلمات الصدوق «ره» و تشيع المفيد «ره» عليه، و ما اوردنا على كلمات المفيد «ره» فتدبرّ و اغتتم.

قد فرغ المؤلف من تصحيحه في الليلة الاثني الاخيرة من شعبان المعظم في سنة تاسع العشر و اربع مائة بعد الالف من الهجرة و على هاجرها و خلفائه الاثني العشر الصلوة و السلام.

قد فرغت من تصحيحه الثالث في سنة عشرين بعد اربعمائة و الف الهجرى بيدى مع كمال التعب في عصر اليوم الاحد الذى مضت من شهر الصفر المظفر منها اربعة عشر يوماً و كان ذلك ذخراً ليوم لا ينفع فيه مال و لابنون و مورثاً للعنوّ عن زلّاتى و زلّاة ابي و امّى و جميع اخوانى المؤمنين المحبّين للاغة الراشدين و المقرّين لولايتهم عليهم آلف التحية و الثناء و مورثاً لمغفرتهم و لا بُدّ في ذلك فانه ارحم من كلّ رحيم. و الطبع موقوف للمؤلف او لمن اجاز منه و ترجمته غير جائز الا لمن راعى متن الكتاب اعنى نقل متنه عيناً صحيحاً في الفوق ثمّ ترجمته دقيقاً في الذيل.

مهدي اجلوئيان

فهرس المصادر

- ١ - ارشاد المفيد «ره»
- ٢ - اشارات، لابی علی سینا
- ٣ - اصول الفقه، فرائد الاصول، لشیخنا الانصاری «ره»
- ٤ - اصول علم الکلام، للشیخ محمد حسن التجفی «ره»
- ٥ - اعتقادات، للصدوق «ره»
- ٦ - اعلام الوری، لامین الاسلام الحسن الطبرسی «ره»
- ٧ - الاسفار الاربعة، لصدر المتألهین الشیرازی «ره»
- ٨ - التنقیح، للخوئی «ره»
- ٩ - التهذیب، للشیخ الطوسی «ره»
- ١٠ - الخصال، لشیخ الصدوق «ره»
- ١١ - الشفاء، لابی علی سینا
- ١٢ - القبسات، لباقر الداماد میر داماد «ره»
- ١٣ - القرآن الکریم
- ١٤ - القواعد و الفوائد، للشهید السعید الاول «ره»
- ١٥ - الکافی، لثقة الاسلام الکلینی «ره»
- ١٦ - الله ذاتاً و موضوعاً، لعبدالکریم الخطیب
- ١٧ - المبدء و المعاد، لصدر المتألهین الشیرازی «ره»
- ١٨ - المستدرک، للحاکم النیسابوری «ره»
- ١٩ - المنجد، لاب لوسن معلوف الیسوعی

- ٢٠- امالى الشيخ الطوسى «ره»
- ٢١- امالى الصدوق «ره»
- ٢٢- اوائل المقالات . للمفيد «ره»
- ٢٣- بحار الانوار، للمجلسى «ره»
- ٢٤- تحف العقول، لابی الحسن الخزانى «ره»
- ٢٥- تصحيح الاعتقاد، للمفيد «ره»
- ٢٦- تفسير اطيپ البيان، لسيد عبد الحسين طيب «ره» بالفارسيه
- ٢٧- تفسير البيان فى تفسير القرآن، للخوانى «ره»
- ٢٨- تفسير الصافى، الفيض الكاشانى «ره»
- ٢٩- تفسير القمى، العلى بن ابراهيم «ره»
- ٣٠- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائى «ره»
- ٣١- تفسير حقايق التأويل فى متشابه التنزيل، للسيد الشريف الرضى «ره» و الشارح
الاستاذ محمد الرضا آل كاشف الغطاء «ره»
- ٣٢- تفسير زيارت جامع، حقايق الاسرار، لللقى النقى النجفى «ره»
- ٣٣- تفسير سورة الاعلى، المشهور و المنسوب لصدر المتألهين «ره»
- ٣٤- تفسير غرائب القرآن، السجستانى
- ٣٥- تفسير مجمع البيان، المفضل بن الحسن الطبرسى «ره»
- ٣٦- تقريرات النائينى «ره»، للكاظمى «ره»
- ٣٧- ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، للصدوق «ره»
- ٣٨- جامع احاديث الشيعة، للبروجردى الطباطبائى «ره»
- ٣٩- جواهر ، للشيخ محمد حسن «ره»
- ٤٠- حق اليقين، للسيد الشير «ره»
- ٤١- حقايق الايمان، لاحمد العاملى الشهيد الثانى «ره»
- ٤٢- دعوات المأثورة،
- ٤٣- دلائل الصدق، للشيخ حسن المظفر «ره»

- ٤٤ - رسالة في العدالة، لشيخنا الأنصاري «ره»
- ٤٥ - شرح التجريد، للقوشجي
- ٤٦ - شرح المنظومه، للحكيم السبزواري «ره»
- ٤٧ - شرح النبراس، للمحقق السبزواري «ره»
- ٤٨ - شرح دعاء الكميل، لميرزا ابوالحسن الاصطهباناتي «ره»
- ٤٩ - صحيح البخاري، لمحمد البخاري الجعفي «ره»
- ٥٠ - صحيح المسلم، لابي الحسين مسلم النيسابوري «ره»
- ٥١ - صحيفه سجادية
- ٥٢ - عروة الوثقى، للسيد محمد كاظم اليزدي «ره»
- ٥٣ - عيون الرضا، للحسن بن بابويه القمي «ره»
- ٥٤ - فقه العترة، للخواص «ره»
- ٥٥ - قاموس اللغة، لنصر الهوريني «ره»
- ٥٦ - كامل الزيارات، لابي القاسم قولويه «ره»
- ٥٧ - كشف القوائد، للمحقق الطوسي «ره»
- ٥٨ - كشف المراد في شرح التجريد، للمحقق الطوسي «ره» و العلامة الحلي «ره»
- ٥٩ - كشف المراد، للاهيجي «ره» بالفارسية
- ٦٠ - كفاية الاثر، لابي القاسم القمي الرازي «ره»
- ٦١ - كفاية الموحدين، لسيد اسماعيل الطبرسي «ره»، بالفارسية
- ٦٢ - مباني منهاج الصالحين، للسيد التقي «دام ظله»
- ٦٣ - متاجر، لشيخنا الأنصاري «ره»
- ٦٤ - مجالس المفيد «ره»
- ٦٥ - مجمع البحرين، للشيخ الطريحي «ره»
- ٦٦ - مجمع الرجال، للشيخ علي القهباني «ره»
- ٦٧ - معاضرات في اصول الفقه، للخواص «ره»
- ٦٨ - مستمسك العروة، للسيد الحكيم «ره»

- ٦٩- مستند العروة الوثقى، للخوئي «ره»
- ٧٠- معاني الاخبار، للصدوق «ره»
- ٧١- معجم الرجال، للخوئي «ره»
- ٧٢- مفاتيح الجنان، عباس القمي
- ٧٣- مقاصد الانوار، لجذّي عبدالغفار «ره»
- ٧٤- مناقب شهر اشوب، لابي شهر اشوب «ره»
- ٧٥- منتخب الاثر، اللطف الله الصافي «دام ظله»
- ٧٦- من لا يحضره الفقيه، للصدوق «ره»
- ٧٧- منهاج البرائة في شرح نهج البلاغة، لحبيب الله الهاشمي الخوئي «ره»
- ٧٨- ميرآت العقول، للمجلسي «ره»
- ٧٩- وسائل الشيعة، للشيخ محمد حسن الحر العاملي «ره»



قد اقدم بطبعه المنيع و مقدماته و ما يتعلق به
جميعاً الشَّباب الرّشيد الامين العارف
بخصوصيات الطّبع الفاضل - حفظه الله تعالى -
المسمّى بـ «مرتضى» الملقّب بـ «جنتيان» ابن
الحسين - رحمهما الله و غفرهما و من سلف من
اهل دينه و من غبر الى يوم القيمة - في سنة اربع
مأة و عشرون بعد الالف هـ ق. و في الخاتمة
شكّر الله سعيه و جعل الرّضوان مثواه.